

المقارنات

بين

الكتب السماوية

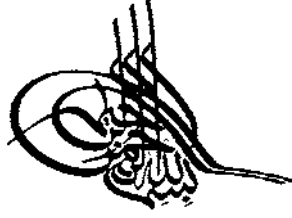
مقارنات في حوار بين الكتب السماوية
الثلاث: القرآن والتوراة والإنجيل - في
بيئاتها الكتابية - وفي أصول من الدين وفروع
منه - والنبوات والأنبياء - تثبت تحريف
العهدين، وصيانة القرآن عن التحريف

بقلم: الفقيه المحقق القرآني

سماحة آية الله العظمى الصادق الطهراني

من منشورات

جامعة علوم القرآن



إلى رجالات الوحي: رسل الله وانبياءه العظام صلوات الله عليهم أجمعين
ولا سيما الخمسة اولى العزم منهم الذين عليهم دارت الرّحى، وفي طليعتهم الرسول
الأعظم سيدنا محمد بن عبدالله صلّى الله عليه وعلى آله الطّاهرين.
وإلى بني الإنسان كافة من كتابيين: يهود ومسيحيين ومسلمين، ومن غيرهم،
فالتورات والإنجيل إثنان من كتب الدين حيث كانا يقودان شطرين عظيمين من
البشرية.

فلا بد لمن يستطلع أحوال البشر عبّر الحياة والتاريخ في مجالات الدعوات
الإلهامية من أن يدرسهما - بمقارنتهما مع القرآن العظيم - ذلك الكتاب المعجز الخالد
الذي يعتنق تعاليمه البارقة شطر كبير من مختلف الشعوب.

ولكي تتطلع الأمم الكتابية بأسرها على القيم الموجودة في هذه الكتب التي
تمثّل انبيائها بدعواتهم الإلهامية - ثم تتبع التي هي أقوم:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ...﴾ (١٧: ٩)

فهذه مقارنات في دروس حرة عادلة عاقلة بين الكتب الثلاث في شتى

٤ المقارنات بين الكتب السماوية

الأصول والفروع الدينية على صعيد التساؤل والمناظرة - مما جرى للمؤلف مع أهل الكتاب - أو ما ألفوه من كتيبات ضد الإسلام - أو ما يمكن ان يقال أو يُسال على التشريع الإسلامية ونبيها.

والرجاء من القراء الكرام إذا كان لهم سؤال أو اعتراض أن يمينوا عليّ بإرساله، لكي نلفت النظر إلى كل نقد نتشرف بالإطلاع عليه - فتأتي الطبعة الثانية من كتابي هذا بتصديق أو جواب النقد - والله من وراء القصد.

النجف الأشرف: محمّد الصادق الطهراني

١٣٨٨ هجرية قمرية على هاجرها وآله آلاف التّحية والسّلام

«مقدمة الطبعة الثانية»

... لما رأيت معارضات ضد القرآن - لا سيما في لبنان من المبشرين الإنجيليين. أخذت في تأليفات أليفه مستدلة رداً على شبهاتهم وشطحاتهم في مهجري الأوّل: النجف الأشرف من شر الشاه «عليه لعنة الله» وكنت أصاحب فيمن صاحبه - المغفور له الشيخ آغا بزرك الطهراني صاحب الذريعة إلى تصانيف الشيعة؛ وفي يوم من الأيام رأيت فرحاً ممّا ألفه الأستاذ الحدّاد البيروتي رئيس المطارنة في جونيا وفي الشرق الأوسط؛ أربعة عشر مجلداً فقلت هاه يا شيخ إنّه من وراء تجليله وتبجيله القرآن بعبارته الطنّانة يقصد قضاءً عارماً ضدّ القرآن فراجعها ثانية فوجدها كما قلت ثم عرض علي أن أرُدّ عليه رداً حاسماً معتذراً أنّي وددت عرضه على صاحب الميزان العلامة الطباطبائي ولكنّه لكثرة اشغاله واشتغاله باله أعرض لكم ذلك الأمر الهام.

قلت له وأنا من منذ زمن مشتغل بتأليف المقارنات بين الكتب السماوية وما شابهها رداً على اليهود والنصارى وسأداوم فيها مع بسط النظر إلى كتابات الحدّاد. كملت كتاب «المقارنات» مع كتاب «عقائدنا» ثم دعاني المغفور له آية الله العظمى السيد محسن الحكيم إلى بيته الصيفي في الكوفة أن آخذ معي مؤلّفاتي

المخطوطة فتشرفت بخدمته فلما رآها قال ما أَلَّف المؤلفون في العراق منذ زمن بعيد قدر ما أَلَّف في مختلف العلوم الإسلامية وأنا جاهز لطباعتها وجدير أن تقدّموا تكلم المؤلفات القيمة لاسيما المقارنات لرئيس جمعية العلماء بالنجف الاشرف سماحة آية الله العظمى الشيخ مرتضى آل يس فقدّمته لسماحته وبعد مراجعة كامله قدّم سماحته لهذا الكتاب مقدمة ترونها.

ثم بعث داراً صغيرة - ما كان يسوى لسكنائى مع اهلي - بسبع مائة ديناراً وطبعت المقارنات وقدمت نسخة إلى آية الله العظمى السيد الحكيم فأشترى مني خمسين نسخة أوزعها بين المبشرين المسيحيين في بيروت، ثم اشترى المغفور له آية الله العظمى السيد الخميني من هذا الكتاب ثلاث مائة نسخة قائلاً هذا أول كتاب - وأفضله طيلة القرون الإسلامية - ردّاً على اليهود والنصارى بصورة مستدلة وسيرة عالية غالية، كما اشترى مني نسخاً أخرى المغفور له آية الله العظمى السيد الخوئي، وانتقلت كل هذه النسخ الميوعة مع النسخ الباقية إلى بيروت حسب طلبات كثيرة، من جملتها - ضمن عديد من المكتبات - زميلي العزيز العلامة سيّد موسى الصدر حيث أمر المجلس الإسلامي الأعلى الشيعي بالسماح لاستيراده إلى لبنان، ثم لحقه كتاب «عقائدنا» وكتاب «رسول الإسلام في الكتب السماوية».

ومن ذكريات لبنانية للمقارنات أن فضيلة الشيخ محمّد علي الزّجبي من أئمة الجمعة لإخواننا السنة ذكر في خطبة له أنّه ما ردّ على شطحات الحدّاد كاتب عربي حتى ردّ عليه مؤلّف فارسي هو سماحة العلامة المحجة الشيخ محمّد الصادق الطهراني، والله الحمد أولاً وآخراً.

وها هي الطبعة الثانية بين يديك بعد خمس وثلاثين سنة، وقد انتشرت الطبعة الأولى في شتى أنحاء العالم، ولم يأتنا نقدٌ حتى الآن، والحال بعد إصلاحات يُطبع هذا الكتاب مرة ثانية والحمد لله أولاً وآخراً.

محرم الحرام ١٤٢٤ هـ. ق

قم المشرفة

محمد الصادقي الطهراني

هاتف: ٢٩٣٤٤٢٥

تقريظ

شيخ جماعة العلماء بالنجف الأشرف

سماحة آية الله العظمى الشيخ مرتضى آل ياسين دام ظلّه الوارف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله الطيبين الطاهرين.
وبعد فإن مؤلف هذا الكتاب القيم - فضيلة الأستاذ العلامة الجليل الشيخ
محمد الصادق دام تأييده - هو من أولئك المؤلفين الناهين الذين جمعوا بين الثقافتين
- وفازوا بكلتا الفضيلتين - فكان لهم من معارفهم المتنوعة ينبوع ثرّ لا يفتأ - يتدفّق
بالمعقول والمنقول - ويفيض بالمفيد المفيد من البحوث التي قلما يتطرق إليها الباحثون
ويضطلع بها المؤلفون - ولعل التوفيق الإلهي شاء أن يبارك أفهامهم وأقلامهم
فيجعلها وسيلة طيبة تستنير بأضوائها الأفكار والعقول أشد ما تكون حاجة إلى
الإستنارة بمثل تلك الأضواء.

وإنه لمجهود كبير، قمين بان يشكّل أشنع وصمة في جبين المسيحية - التي كانت

ولا تزال تهاجم الإسلام بشتى الوسائل ومختلف الأساليب - دون أن يكون لديها ما تحتج به إلا هذه التورات المزيفة والأناجيل المزورة المحرفة، وسيكشف لك هذا الكتاب عن مدى هذه الأباطيل المدسوسة كذباً في الأناجيل، ويعرفك بما فيها من سخافات وخرافات أعجب ما تدعو إليه من العجب - أنها تنبو عن مستوى العقل البشري وقد آمن بها مئات الملايين من البشر.

وهكذا يفعل الشيطان بأوليائه إذ يزين لهم الباطل فإذا هم به مؤمنون ويضلهم عن الحق فإذا هم به كافرون.

وما زالت بليتنا «نحن المسلمين» بهؤلاء البشر تتماهى قرناً بعد قرن وتتفاقم جيلاً بعد جيل - منذ أن إنبثق نور الإسلام في أفق الجزيرة وحتى يومنا الحاضر - على حين أن الإسلام ما زال ولا يزال يشق طريقه قُدماً إلى الأمام، وينشر أشعته الوهاجة شطر المشرق والمغرب، دون أن يعتمد في نشر دعوته على أي درهم او دينار، ودون أن تحدّ في مسيرته الميزانيات الدولية الضخمة التي تغدق بأموالها على صناديق التبشير بكل سخاء، في كافة أنحاء العالم.

ومن المؤسف أن الإسلام كلما ازداد اتساعاً وانتشاراً ازداد هؤلاء المحرفون من البشر تنكراً له وتنمراً - مع العلم بأن تماهى هؤلاء على مناوءتهم للإسلام بهذا الشكل الفظيع، مع شعور الجماهير بسخافة ما يدعون إليه - قد أصبح من أقوى العوامل المؤدية إلى تفشي الفساد بين الجماهير وتحللها من كل دين وعقيدة - وكان تفشي المادية في نظر هؤلاء أهون عليهم من تفشي الإسلام - ولأن يصبح الرجل مادياً ملحداً خير عندهم من أن يصبح محمدياً مسلماً.

ولذلك يجب أن يعلم هؤلاء ويعلم معهم جميع شعوب العالم بأن تفشي المادية هنا وهناك ما هو إلا نتيجة هذا التبشير المسيحي الفاشل الذي أنشأ مخالبه في كل مكان، وعليه تقع مسؤولية هذه المادية الملحدة التي أصبحت تهدد كل الملل والأديان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

١٤/٣/١٣٨٨ هـ. ق

مرتضى آل ياسين

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا إلى مرضاته - وسلكنا إلى مسالك رضوانه - برسل
مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل - جاء وهم بالبينات
والزبر والكتاب المنير - يعلمونهم الكتاب والحكمة ويزكونهم وإن كانوا من قبل
لني ضلال مبين^(١) «بعثهم بما خصهم من وحيه وجعلهم حججاً على عباده لئلا تجب
الحجة لهم بترك الإغذار إليهم - فدعاهم بلسان الصدق إلى سبيل الحق - كشف
الخلق كسفةً دون أن يجهل ما أخفوه من مصون أسرارهم ومكنون ضمائرهم -
ولكن ليبلوهم أيهم أحسن عملاً - فيكون الثواب جزاءً والعقاب بواءً».

وصلواته التامات الزاكيات على المصطفين الأخيار - لا سيما الرسول
الأعظم محمد ﷺ - خاتم النبيين وصفوة المرسلين «الذي أرسله بالدين
المشهور والعلم المأثور - والكتاب المسطور - والنور الساطع - والضياء اللامع -
والأمر الصادق - إزاحة للشبهات - واحتجاجاً - بالبينات - وتحذيراً بالآيات -
وتخويفاً بالمثلات - والناس في فتن إنجذم فيها حبل الدين - وتزعزعت سُوارى
اليقين - واختلف النجر - وتشتت الأمر - وضاق المخرج - وعمي المصدر - فاهدى
خامل، والعمى شامل - عُصي الرحمان، ونُصِر الشيطان، وخُذِل الإيمان - فانهارت
دعائمه وتنكرت معالمة ودرست سبله وعفت شركه.

(١) هنا ما بين القوسين فهو من خطب الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام.

أرسله على حين فترة من الرسل، وطول هَجْعة من الأمم - واعتزام من الفتن - وانتشار من الأمور - وتلظُّ من الحروب - والدنيا كاسفة النور - ظاهرة الغرور - على حين إصفرارٍ من ورقها - وإياس من ثمرها - وإغورارٍ من مائها - قد درست منار الهدى - وظهرت أعلام الردى - فهي متجِّمة لأهلها - عابسة في وجه طالبها - ثمرها الفتنة - وطعامها الجيفة - وشعارها الخوف - ودثارها السيف».

ارسله بكتاب منير يهدي للتي هي اقوم - فيه تبيان كل شيءٍ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين «فرقان لا يُحمد برهانه - وتبيان لا تُهدم أركانه - وشفاء لا تُخشى أسقامه - وعزٌّ لا تُهزم أنصاره - وحق لا تُخذل أعوانه - فهو معدن الإيمان و بحبوحته - وينايع العلم وبحوره - ورياض العدل وغدرائه، وأثافي الإسلام وبنائه - وأودية الحق وغيطانه - وبحر لا ينزفه المنتزفون - وعيون لا ينضبها الماتحون - ومناهل لا يفيضها الواردون - ومنازل لا يضل نهجها المسافرون - وأعلام لا يعمى عنها السائرون - وآكام لا يجوز عنها القاصدون - جعله الله ربيّاً لعطش العلماء - وربيعاً لقلوب الفقهاء - ومحاجاً لطرق الصلحاء - ودواءً ليس بعده داء - ونوراً ليس معه ظلمة - وحبلًا وثيقاً عروته - ومعقلاً منيعاً ذروته - وعزاً لمن تولاه - وسلماً لمن دخله - وهدى لمن ائتم به - وعذراً لمن انتحله - وبرهاناً لمن تكلم به - وشاهداً لمن خاصم به - وفلجاً لمن حاجَّ به - وحاملاً لمن حمّله - ومطيّة لمن أعلمه - وآية لمن توسّم - وجنّة لمن استلام - وعلماً لمن وعى - وحديثاً لمن روى - وحكماً لمن قضى» وهو العلم الخالص الخالد الذي أنزله الله على خاتم رسله محمد ﷺ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ إِخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (٤):

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المدخل

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أوّل الرسل مقاماً وخاتمة
مبعثاً سيدنا وسيد الأمم الذي قال فيه عيسى بن مريم: ﴿مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنَ
بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (٦١:٦) أبي القاسم محمّد صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين.
... عبر القرون بأجيالها، ومرّ الدهور بأحوالها، منذ تكونت البشرية في هذه
البيضة - منذ العهود القديمة لحد الآن - لقد أخذت المشاجرات الهدامة
والخلافات العارمة - أخذت تنمو وتزيد - تقضي وتبيد - بين معتنقي الأديان السماوية
- ولا سيما بين المسيحيين والمسلمين - وهم معظم سكينة الأرض - فأصبحت هذه
الخلافات تثير الولايات المدمرة في الحروب الصليبية وغيرها - .
كل ذلك بالرغم من أن الدين الإلهي لا يهدف في دعوته إلاّ توحيد البشرية
وتوطيد الحق في مختلف شعوبها - ورفض مختلف الأهواء أن تحكم فيها - .
ولا تكاد تحمد تلکم النيران إلاّ بالإطفائيات العاقلة والعادلة بين الطرفين -
ورفض العصبية الجاهلة العادية - كي تصيح البشرية على رغد الأمن والعيش -

وتنحو نحو ما يليق بها على ضوء المكافئة الوجودية العقائدية، حيث إن عقد الصلاح والإسعاد في آية ناحية - إنما هو رهين العقيدة الصالحة ثم تطبيقها - .

وبالحري ذلك - في واقعنا الذي نعيش فيه - عصر النور والذر والقمر الصناعي - عصر التقدم في شتى ألوان الرقي - حيث يتعاون فيه العلماء في شتى أرجاء هذه البسيطة للكشف عن رموز الكون وما يحكم عليه من قوانين - حينما تريد البشرية أن تطير بأجنحة العلم - الخفاقة - نحو الكرات السماوية - حيث ضاقت عليها الأرض بما رحبت - وأصبح صدرها ضيقاً حرجاً فأخذ يصعد نحو السماء!

ففي هذه البيئة المادية الراقية - بالأحرى للبشرية - أن تقضي على العصبية الجاهلة في الناحية الروحية العقائدية - كي تتطلع على ضوئها إلى وحدة الدين الذي ارتضاه الله لعباده في بلاده - .

ومما لا يريبه شك أن قداسة الشرع الإلهي في توحيد الكلمة لا تملي على البشرية - في دور واحد - إلا شريعة واحدة - تحكم في مختلف الشعوب على سواء - ومن ناحية أخرى إن انقطاع الوحي قبل أربعة عشر قرناً إلى انقضاء التكليف - ذلك إجماع من أهل الكتاب - اليهود والنصارى والمسلمين - اجمعين - إجماع منهم مركب وإن اختلفوا فيما بينهم في تعيين الدين وختمه - في أي من هذه!

حينذاك فليتساءل الأمم - ما هذا الدين الخالد الذي يجمع الإنسانية على الاعتناق به وتطبيقه - .

ما هو الدين الذي لا ينازع العقل والعلم ولا ينازعه، بل ويقره ويحققه العلم الطائر بأجنحته الخفاقة - .

ما هو الدين الذي يقضي على الفلسفة المادية القائلة: العلم ينافي الدين - وإنا نعيش في عصر قد تزعزعت فيه أركان العقيدة الدينية، وأخذت الفلسفات المادية الحديثة تنازعها بأن العلم والدين لا يجتمعان!

فعلى البشرية حينذاك أن يتحرى عن دين خالد يؤيد العلم ويؤيده العلم - أنظمة دينية منظمة كنظام الكون. كلما برق بارق من خفيات العوم تبينت حقيقة من أنظمته وقوانينه أكثر فأكثر.

ورغم عدم ثبات للفلسفات المادية حيث يعترها التطورات القاضية - كل مستقبل على غابرها - رغم ذلك فإن الدين باق وكما يقول ارنست رينان: (١)

«من الممكن أن يضمحل ويتلاشى كل شيءٍ نخبه وكل شيءٍ نعبه من ملاذ الحياة ونعيمها - ومن الممكن أن تبطل حربة استعمال القوة العقلية والعلم والصناعة - ولكن يستحيل أن ينمحي الدين أو يتلاشى - بل سيبقى أبد الآبدين حجة ناطقة على بطلان المذهب المادي الذي يود أن يحصر الفكر الإنساني في المضائق الدنيئة للحياة الطينية».

وكما يصرح اجوست سبايتية (٢) قائلاً: «إذن فالدين باق وغير قابل للزوال وهو فضلاً عن عدم نضوب ينبوعه بتمادي الزمن - نرى ذلك الينبوع يتزايد اتساعاً وعمقاً تحت المؤثر المزدوج من الفكر الفلسفي والتجارب الحيوية المؤلمة».

(١) و(٢) فيلسوفان من اشهر الفلاسفة - ينقل مقالتهما هذه: الدكتور احمد نسيم سوسه في كتابه: في طريقى إلى الإسلام - وهو كان من فضلاء اليهود فاستبصر واسلم.

ولكن هذه البغية الحاسمة لصروح الفلسفات المادية - لا تتحقق إلا في الدين الخالد الحق غير الممتزج بالأساطير والأهواء - فعلى الأمم الكتائبين الإلهيين - أهل الملل الثلاث - أن يقضوا على الخلافات العارمة فيما بينهم، لئلا تفسح مجالات للفلسفة المادية والهمجية اللادينية - وليتمكنوا من الوقوف صفاً واحداً وبجبهة واحدة تجاه حريق اللادينية المنتشرة في أقطار العالم. ومن الطبيعي أن كل أمة تدعو إلى نبيها وإلى كتابها - حصراً للحق فيها ورفضاً لغيرها عن نجد الصواب.

ولكن بالرغم من ذلك - هل تتمكن الملل الثلاث أهل الكتب السماوية من توحيد الدين عقائدياً وعملياً - ويرتضوا برمتهم شريعة واحدة، ولكي يستريحوا في رعد الأمن والعيش في النشاطين - ويصطفوا صفاً واحداً تجاه الملاحظة اللادينيين؟

أجل! ولكن ما هو الطريق إلى هذه المهمة - فبأي سناد يسند في هذه الحكومة العادلة - ما هي الأسس التي يجب أن يبنى عليها الحكم العدل في مختلف الأفكار هنا وهناك.

؟ ؟ ؟

إن هي إلا التحري عن بينات الرسل - ما تُبين حق الدعوى عن باطلها، وهي الآن بمتناول أيدينا - فما هي؟

فهل هي معجزاتهم التي قضت بقضاء نحبهم - فلم تبق منها الروايات يرويها لنا اسلافنا؟ كلا!

فلا حجة في أمر حتى نحسه أو نعقله - ونحن الآن نفقد الإحساس لهذه المعجزات المنقولة إلينا - ولا نصدق إلا إمكان تحققها - وإذ ذاك لا تملي علينا الإيمان بهؤلاء - أنهم رجال الوحي - ولا سيما إذا تناقض النقل بالنسبة لهم - وتعارض العقل مع بعض ما يعزى إليهم - وأخيراً لا نجد حجة في نقل الأسلاف إطلاقاً!

كيف وقد كانت الأنبياء من قبل ترى وتأتي بالبينات والزبر والكتاب المنير - ولا يجدون من يصدقهم إلا نفر يسير!

ثم كيف يُحتج بنقل الأسلاف في أصل النبوة وحججها الحسية - فإن كان النقل حجة لتوفره وتواتره - فليكن كذلك من أمة الإسلام للآخرين - ومن أمة المسيح لليهود ومن...!

وإن كانت حججته محدودة بنقل الأسلاف بما هم أسلاف وآباء، مشتركين في هذا الدين - فما هذه إلا تقاليد عمياء لا حجة فيها لمن يتحرى عن الحق - وكان له قلب أو القى السمع وهو شهيد -.

فلو أنك وُلدت في بيئة يهودية - فهل كنت تؤمن بما ينقله إليك أتباع المسيح أو محمد ﷺ؟ - كلا! وإن نعم - إذاً فلتترك دينك - وتؤمن بهما تبعاً -.

بل لا - وإنما تعتمد على ما ينقله اليهود أسلافك ليس إلا - وهكذا فرضنا في من ولد في بيئة دينية أخرى...

فكل بيئة عائلية - وراثية وتربوية - إنما تتطلب وتستسيغ ما يشاكلها من البيئات - فتنحوا نحوها - فنحن الآن إذا نريد الاستطلاع على دين حق يحكم على

البشرية جمعاء. وهو لا يخرج عن هذه الثلاث - إنما يميل علينا فرض التحري عن الحق، التجرد عن التقاليد العمياء عامة، ثم ابتغاء الحق بينات الآيات - .
وإذ ليست هي المعجزات المنقولة عن الأنبياء فلتكن ما خلفوه من كتبهم -
التي أرسلوا التبليغها والدعوة لتطبيقها.

فلو أن هذه الكتب الثلاث - لم تدلنا على نبواتهم - حينذاك فحريٌّ للبشر أن يتحلل عن كل دين ويجتمع على اللادينية - أو يختلق لأمن الحياة وأنظمتها أمراً من عنده - وحاش لله أن يكلمهم إلى ذلك، وأن يذرهم في طغيانهم يعمهون وفي عيهم وغيهم يترددون!

ثم هذا الكتاب - لا بد أن يدلنا دلالة قاطعة - على أن من اتى به نبي وهو حجته بعده - كما كان حجة له إذ جاء - لا أن ينقل معجزاته السالفة - حيث لا تربوا حينذاك عن نقل الأسلاف - .

بل الواجب أن يدل بنفسه - دون أي اختلاف - على أنه من عند الله: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (٤: ٨٢).

لا حجة الآن لصحة دين ما إلا الكتاب الذي خلفه نبيه

فبعد أن انقضت أعصار النبوات وختم الوحي - قبل اربعة عشر قرناً - انحصرت حجة الأنبياء حينذاك بما خلفوها من أسفارهم السماوية، ما بقيت منها سليمة عن التدخلات الجاهلة العادية - .

آنذاك فلنحتفل بمختلف رجالات الأديان الثلاث - فنتسائل عن كيان هذه الكتب - ثم نقارن بينها بعين النصفة والتدقيق والتحقيق.

وهذا الكراس المتواضع يتحمل هذه المهمة الكبرى - دون أي تعصب وجدال - إلا بالتي هي أحسن.

فقد يكفيكم فحصاً وبحثاً - جامعاً لكم شتات المناظرات التي أجريت مع الروحيين: اليهود والمسيحيين - وما كتبوها وألفوها رداً على الإسلام، أو تسائلاً عنه - وما يمكن أن يقال في هذا المجال -.

فضمان لك وعهد وثيق إليك أيها القارئ الكريم! إلا تجد في هذا الكراس أي تحامل أو مناوئة خارجة عن أدب البحث - حيث نستهدف القضاء على اللادينية الهمجية، والتجمع على الدين الواحد الحق - وتركيز الأديان الإلهية على ركيزة واحدة خالدة - لنجعل الأفكار الإلحادية كالماركسية والمذاهب المختلفة المادية مقبورة مع الابد - وهذا من الأهداف الرئيسية القرآنية حيث جاء لتوحيد الأديان ورفع الشكوك والإرتباكات التي انطوت عليها الديانتان: اليهودية والمسيحية - وإرشاد أتباعهما إلى الدين الخالد الجديد حيث يأمر ويحرض على توحيد الدين قائلًا:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٣: ٦٤).

على ضوء الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١٦: ١٢٥).

فيشفي ما في الصدور من غلٍّ - وبعظ المتقين: وتعيها أذن واعية:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ ﴾
(٥٧:١٠).

﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (٣:١٣٨).

بغيتنا - في هذه المناظرات القيمة - أن نحافظ على كيان الوحي الإلهي ورجاله -
ونذود عنهم ما يمس كرامتهم، فنهتدي بهداهم إلى دين الله الذي ارتضاه لعباده - .
نريد لنكشف علل الخلافات العارمة التي خلفت الويلات - ونستوضح
التدخلات والتحاملات الوقحة التي نشبت واشتبكت - فمست كرامة الوحي -
فنخلص النور عن الظلمات:

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٢:٢٥٧).

فمن انصاري إلى الله...؟ ومن يسير معي إلى الله؟ حتى يعيننا بخالص تأييده -
بمنه وكرمه...

فيا أيها الأحرار الألباء الأخيار! من أراد منكم الإنطلاق عن الطواغيت
والأوثان - عن التقاليد الجاهلة العمياء... فليرحل معنا - .

وإنما زادنا في هذه السفرة المباركة - الفطرة والعقل السليمان - وراحتنا
عون الله وحسن توفيقه - بما يهديننا على ضوء الوحي والله يهدي من يشاء إلى صراط
مستقيم .

مقارنات كتابية:
هل يوجد إنجيل المسيح؟
هل إن الكتب الثلاثة توجد بأعيانها؟

... هذه أولى الأسئلة لمتحري الحق - كي يجد ظرفاً صالحاً للتقارن - فقد يوجد هناك رد إيجابي بالنسبة لغير الإنجيل إجمالاً على تدخلات فيها.
واما الإنجيل: إنجيل المسيح؟ فلعله لا أثر عنه فيما بأيدي النصارى.

مراجعة إلى المكتبات الانجيلية:

مدخل المناظرات:

يعجبني هنا استعراض مناظرة حلوة - جرت بيني وبين مدير المكتبة الانجيلية بطهران - شارع قوام السلطنة - وذلك في بعض مراجعاتي إلى هذه المكتبات - وكان المدير من علماء الإنجيل وعنده طالبان إنجيليان - دخلت وسلمت وسألت: هل يوجد هنا إنجيل المسيح عليه السلام؟ هل عندكم إنجيل المسيح؟
... آنذاك لم يجر جواباً - إلا على حيرة وهزء: ما تقول شيخنا؟ هلا قرأت لافتة المكتبة؟! هل هنا إلا مكتبة الكتب المقدسة - ومن هامتها الإنجيل؟!!

يا شيخ! الإنجيل بمعنى البشارة - وهذه الأناجيل المقدسة تبشرنا بالمسيح وملكوته ومعجزاته ورسالاته النيرة - وماله من علو المحتد والمنزلة - التي لا يدانيه فيها أحد؟ فلا ضير إذا لم يوجد هنا وهناك إنجيل المسيح نفسه، حيث تكفينا بشارات هؤلاء الأجلآء وأناجيلهم - لتبشير حالاته ورسالاته وتعاليمه القيمة...؟

نبي بلا كتاب!

قلت: وإن تعجب فعجب قولكم: إن نبياً كريماً - وهو من كبار اولى العزم من الرسل - الذين عليهم دارت الرحي - لا يكون معه كتاب أوحى إليه من ربه! فكيف ارسل بلا كتاب؟ وقد اخبرنا القرآن أنه أنزل عليه الإنجيل، كما انزل الكتاب على سائر المرسلين: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ (٣: ٣).

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (٣: ٤٨).

﴿وَمَا تَنْبَأُهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ (٥: ٤٦).

إن هذه الإفريية بينة، مسأ بكرامة المسيح ﷺ - أن لا يوحى إليه بشيء ولم ينزل عليه كتاب - في حين أن كتب الوحي تنزل على من دونه من النبيين - فما ذنب المسيح أن لا يوحى إليه بشيء ولا ينزل عليه كتاب - حتى يكتب عنه الحواريون فيما تزعمون - ثم تعزون ما كتبوه إلى المسيح أو تعبيراً عنه؟!

القس و.ت. جردنر الإنجليزي^(١): كلا: «إنه في القرون التي مرت بين المسيح

(١) في كتابه: محاورة في الوحي باعتبار التورات والإنجيل والقرآن - صدر من الجمعية الأسقفية بيولاقي مصر - طبع بمطبعة النيل المسيحية بشارع المناخ نمرة ٣٧.

ومحمد ﷺ لم يعترف المسيحيون بإنجيل غير الإنجيل الحالي أي العهد الجديد - وليس هناك أقل بينة تدل على أنه كان لدى المسيحيين كتاب آخر غير الكتاب الحالي - أو الإنجيل الحقيقي - أو أن الحقيقي فقد بعد زمن الهجرة - .

إن الإنجيل الحالي هو إذاً الإنجيل الحقيقي - وإن زعم وجود كتاب آخر أنزل على عيسى عليه السلام هو وهم وخطأ، فيكفي أن نقول فقط: إن كاتب أسفار الإنجيل ألهما أن يدونوها بطرق مختلفة، ووسائل متنوعة، ولذلك يعتبر جوهر ما دونوه موحى به».

او ميم ميلر^(١): أجل: إن ربنا عيسى المسيح لم تكن له شريعة موسى - وإنما قرر شريعة التورات - ولا كتاب سنة عملية اخلاقية لان المسيح كان ذلك الكتاب بأعماله وأقواله - .

ولكن المسيحيين لما لم يروا المسيح في الجسم، على الأكثر، إذ ذاك كانوا بحاجة ماسة إلى كتابات تذكرهم بمعجزات المسيح وحياته النيرة، كي يغنيهم البيان عن العيان. لذلك رأى مؤلفوا الأناجيل الذين كانوا يعرفون حياة المسيح بعيان وبصيرة، وأوا من الواجب عليهم أن يؤلفوا هذه الأناجيل ويشرحوا فيها أحواله وأقواله ومعجزاته، وهذه الكتابات هي المراجع الدينية الثانوية بعد المسيح وتلاميذه».

المناظر: هناك اعترافات من أئمة المسيحيين وغيرهم، رغم المدير و(القس جردنر)، و(او ميم ميلر) أن المسيح كان له إنجيل يخصه، أنزله الله عليه وحيأ

(١) العالم الشهير الإنجيلي في كتابه التمدن القديم في باب تعاليم المسيح.

كسائر كتابات الوحي النازلة على أنبياء الله، واقض العجب من دلائل (ميلر) على عدم لزوم إنجيل المسيح وفكر، ثم اقض ما أنت قاض! وإليكم فيما يلي قولاً فصلاً عن معنى الإنجيل وعن إنجيل المسيح.

معنى الإنجيل:

الإنجيل كلمة يونانية أصلها «ايفنغليون»^(١) وهي من (EU ايو) بمعنى (مرحى، جيد، حقيقي) و(انغليون) هي: البشارة أو التبشير بالفعل، فمعناها الاصيل، التبشير بالسعادة الحقيقية.

ولكن المسيح لم يتكلم باليونانية حيث كانت لغته الآرامية (٢) أي السريانية وفيها يستعمل «سبرته»^(٣) مكان كلمة إنجيل - ايفنغليون - وهذا الفعل مطابق لكلمة: صبر: العربية - فالشريعة التي أسداها المسيح عليه السلام وأنعم بها على العالم كانت عبارة عن الأمل والصبر، وقد وردت كلمة إنجيل في القرآن، ولكنها من اللغات المعربة، وهي مشتقة من نفس الكلمة في اليونانية «انغليوس»^(٣) بمعنى روح أو ملك - لامن - ايفنغليون - وكلة ملك أو ملائكة في السريانية القديمة بمعنى قاصد، سفير، نبي.

والنكته الأساسية هنا أن كلمة إنجيل المستعملة في الأناجيل الأربعة

(1) EVANGHILION.

(2) LINGUAARAMAICA.

(3) SWARTA.

السريانية، عندما تتعلق بالمسيح تكون كلمة سبرته، دائماً وبلا استثناء، وهي تعطي دائماً معنى: الطريقة المذهبية والفكرة المعنوية - وأما إذا اضيفت إلى المبشرين الأربعة فهناك تبدل الحال بدلاً حسب اصلها السرياني: (ايفنغليون) إلى التبشير بالسعادة الحقيقية، فإنجيل المسيح يختلف معناه عن أناجيل الأربعة وغيرهم من المبشرين، فافهم ذلك.

إذاً فما هو المفهوم فيما مرّ اعلاه؟ وأية حقيقة نبحت؟ الشيء المفهوم واضح جداً وهو أن الأناجيل الأربعة وغيرها مما ستمر بك، ليست هي أناجيل بمعنى انغليوس، أو، سبرتا، لأن ذلك خاص بالمسيح عليه السلام حيث يختص به معناه وهو: الرسالة، الطريقة المذهبية، الفكرة المعنوية، وهو لآء لم يكونوا رسلاً ولا مؤسسي المذهب الإنجيلي والفكرة المعنوية المسيحية، وإنما هم (كما يدعون) يعظون ويبشرون برسالة المسيح وفكرته المذهبية، فلا يجوز أن تسمى كتابات المؤلفين الإنجيلي إنجيل المسيح، ولا إنجيلاً بمعنى سبرتا، بل ولا ايفنغليون وهو البشارة، وإنما هي شذاذ من كلمات المسيح تبديلاً بالمعنى أو عين اللفظ، وكثير من الخليط، فهي لأن تسمى أحاديث إنجيلية وتفسير لها وتعابير عنها، أخرى أن تسمى أناجيل، فلا يحق لها إسم الإنجيل حقيقة، كما لا تستحق تسمية نهج البلاغة أو سائر الأحاديث الإسلامية قرآناً، وإن اشتملت عليه قليلاً أو كثيراً، وإنما إطلاق أهل الكتاب وأهل الإنجيل على أمة المسيح، لما كان عندهم الإنجيل الأصل فاقتدوه بما افتدوه باذي بدء، ثم لما عندهم من بعض الإنجيل المنقول في هذه الكتابات.

إذاً فإنجيل المسيح شيء، وأسفار المبشرين شيء آخر، وإن وافقته بعضاً، وحينذاك لا بدلنا التحري عن إنجيل المسيح.

إنجيل المسيح في الأناجيل؟

كلمة إنجيل حسب التفصيل السالف، يراد منها: الفكرة المعنوية والطريقة الموقنة، والأمل والصبر، حيث كانت من سبرته: سريانية بمعنى صبر: العربي. ولم يذهب الحواريون ولا الكنيسة القديمة إلى أن في لفظة إنجيل ما يدل على معنى كتاب أو مصحف.

أجل إن طريقة المسيح عليه السلام كانت موقنة مبشرة بسعادة عظيمة خالدة تأتي بعده ويعبر عنها بالألفاظ: ملكوت الله الذي يأتي في المستقبل.

ودليلاً على ذلك قول: / مرقس ١: ١٤ / وبعدهما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز: (يبشر) بإنجيل ملكوت الله.

إذاً فما معنى إنجيل ملكوت الله؟

هذه الآية تذكرنا أن عيسى كان يعظ بإنجيل آخر، لا بهذه الأناجيل الحالية، لكي تنسب إليه، وقد قال بعد ذلك: ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل / مرقس ١: ١٥ /.

وأما شركة بايبل سوسايتي - وجمعية المبشرين - فقد ترجموا الإنجيل هنا وهناك (كما يهوون) بلفظ بشارة - أتدرون لماذا؟ - ولم يكن فهم هذا بالشيء الصعب - إنما هو لأجل تخليط الأمر على المسيحيين لكي لا يتسائلوا، إذن قد كان هناك إنجيل آخر أقدم من أسفار الإنجيل - هذه التي بأيدينا منذ قرون!

لذلك طووا لفظ إنجيل واستبدلوا بها لفظ البشارة!

فلقد كان للمسيح عليه السلام إنجيل يكرز فيه بملكوت الله وهو الرسول الخاتم

محمد ﷺ كما سنفصل البحث عن ذلك عند: البشارات^(١).

من تصاريح الأربعة وبولس حول إنجيل المسيح:

«أول البشارة: انجل المسيح ﷺ»

... فهذا مرقس يصرح بإنجيل المسيح قائلاً: وبعد ما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز^(٢) ببشارة ملكوت الله ويقول: قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل! / ١ : ١٤ / .

فهذه صرخة المسيح المدوية مع الأبد: توبوا وآمنوا بالإنجيل! إنطلقوا وتحلوا عما يُختلق باسم الإنجيل وآمنوا بإنجيلي أنا! - وقد تشير هذه الصرخة أن هناك كان من يناوئه في دعوته وكتابه.

وهذا متى يقول / ٤ : ٢٣ و ٩ : ٣٥ / «وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم في مجامعهم ويكرز بإنجيل الملكوت ويشفي كل مريض وكل ضعيف في الشعب». وإنجيل الملكوت هو إنجيل المسيح نفسه.

وهذا بولس قائلاً: / روم - ١ / : «أولاً اشكر آلهي يسوع المسيح من جهة

(١) أكثر هذه التحقيقات الأخيرة حول معنا الإنجيل نقلناه عن كتاب الإنجيل والصليب للأب عبدالأحد داود الآشوري العراقي ط القاهرة ١٣٥١ هجري - عن ترجمته العربية التي نقله إليها مسلم عراقي، والبشارات المذكورة في كتابنا. رسول الإسلام في الكتب السماوية حاوية على ستين بشارة من كتابات الوحي وغيرها بمختلف لغاتها.

(٢) يكرز كلمة سريانية يعني ينادي ببشارة الإنجيل.

جميعكم أن إيمانكم ينادى به في كل العالم فإن الله الذي اعبدته بروحي في إنجيل ابنه شاهد لي كيف بلا انقطاع اذكرهم».

وفي / ١-كورنثوس ٩: ٢٣: / «صرت للضعفاء كضعيف لأريح الضعفاء - صرت للكل كل شيءٍ لأخلص على كل حال قوماً. وها أنا أفعله لأجل الإنجيل لأكون شريكاً فيه».

وبالآخر هذا برنابا يخبرنا عن إنجيل المسيح قائلاً: ولما بلغ يسوع ثلاثين سنة من العمر - كما أخبرني بذلك نفسه - صعد إلى جبل الزيتون مع أمه ليجني زيتوناً - وبينما كان يصلي في الظهيرة وبلغ هذه الكلمات «يارب برحمة...» وإذا بنور باهر قد أحاط به وجوق لا يحصى من الملائكة كانوا يقولون: ليشمجد الله. فقدم له الملك جبرئيل كتاباً كأنه مرآة براقية. فنزل إلى قلب يسوع الذي عرف به ما فعل الله وما قال الله وما يريد الله حتى أن كل شيءٍ كان عرياناً ومكشوفاً له - ولقد قال لي: صدق يا برنابا أني أعرف كل نبي وكل نبوة وكل ما أقوله إنما قد جاء من ذلك الكتاب / برنابا: ١: ١-٥ -

«حينئذ قال التلاميذ: حقاً إن الله تكلم على لسانك لأنه لم يتكلم إنسان قط كما تتكلم. أجب يسوع: صدقوني - أنه لما اختارني الله ليرسلني إلى بيت إسرائيل أعطاني كتاباً يشبه مرآة نقية نزلت إلى قلبي حتى أن كل ما أقول يصدر عن هذا الكتاب. ومتى انتهى صدور ذلك الكتاب من في أصد عن العالم. أجب بطرس: يا معلم! هل ما تتكلم الآن به مكتوب في ذلك الكتاب. أجب يسوع: أن كل ما أقوله لمعرفة الله ولخدمة الله ولمعرفة الإنسان ولخلاص الجنس البشري إنما هو جميعه صادر من ذلك الكتاب: الذي هو إنجيلي / برنابا ١: ١٦٨ - ٥ /.

«... وأنتم شهداء على هذا كيف أني أنكر على هؤلاء الأشرار^(١) الذين بعد انصرافي عن العالم سبطلون حق إنجيلي بعمل الشيطان. ولكنني سأعود قُبَيْل النهاية»^(٢) برنابا ٥٢: ١٤ - ١٥ / .

«... مع أنني الآن أبكي شفقة على الجنس البشري لأطيلن في ذل اليوم عدلاً بدون رحمة هؤلاء الذين يحتفرون كلامي: ولا سيما أولئك الذين ينجسون إنجيلي»
/ برنابا ٥٨: ٢١ - ٢٢ / .

تصاريح غير الأربعة حول إنجيل المسيح:

أخبار السلام والرحمة من المسيح (روم ١٠: ١٥) وإنجيل السلام للمسيح (اف ٦: ١٥) وإنجيل الخلاص (اف ١: ١٣) وإنجيل الرب (اول تسلو ٢: ٩) وبشارة نعمة الرب (٤١: ٢٠).

هاه! وكأنك أيها المدير لاخبرة لك ولا لزملائك بالكتب المقدسة وبيئتها - وقد كان يحق لك خبرة ساذجة بالإنجيل - كي لا يحدث مثل هذه المحدث المخزي - أجل كان حقاً عليك وإن لست رجلاً روحياً! وأساء حالاً منك النفس جردنر الإنجليزي في مقالته السالفة!

(١) يعني بالأشرار الذين يدعونه إلهاً كما في الآيات السابقة عليها.

(٢) عودة قُبَيْل النهاية إنما هو في دولة القائم المهدي من آل محمد ﷺ حيث ينزل المسيح ﷺ ويأتي به ﷺ فيؤمن به أهل الكتاب إنجازاً لوعده تعالى: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته... / ٤: ١٤١ / .

آنذاك - قام أحد الطالبين حائراً ذعراً - يقول: مهلاً يا شيخ! إنه رجل روحي كبير من علماء الإنجيل - هذا استاذنا الجليل في الإنجيل - لا فحسب - فسوف لا تجد في المكتبات الإنجيلية مديراً ساذجاً من البسطاء - فكلهم من أهل الثقافة الإنجيلية...

قلت: فما هذه المقالات البشعة - الخارجة عن أدب البحث - حيث أخذ ينسبني بصفتي روحي مسلم - وسائر الروحيين المسلمين - ينسبنا إلى الجهل ويسخر منا - وليس من العلم أن تنسب مناظر كإلى الجهل قبل أن تفهم مقالته وسوآله! حينذاك قام المدير بكل اعتذار - خجلانا أسفاً - يدير لسانه في فيه - لا يجر جواباً يلقيه - إلا قوله:

هب يا أستاذ! إن إنجيل المسيح فقد - كما تقولون - إلا أننا بعد فقد عينياً نجده في أسفار الحوارين الأجلء الأربع - الذين رباهم بتربيته الخاصة - وحباهم ما حباه ربه - فهؤلاء الكرام الكاتبون - من تعاليمه النيرة - يبشروننا برسالته ورسالاته.

عدد الأناجيل وبيئتها عبر القرون المسيحية:

إنجيل المسيح في الأناجيل:

مختلف الأناجيل عبر القرون المسيحية:

يذكر لنا المؤرخون والروحيون الإنجيليون - أن هناك عبر القرون المسيحية كانت وتكوّنت أناجيل متوفرة غير ما ينسب إلى المسيح عليه السلام - وقد تبلغ زهاء مائة وعشرين:

ففي: اكسيهوما (١) أن مشايخ المسيحية يذكرون الأناجيل كما يلي:

سبعة منسوبة إلى المسيح ﷺ:

(١) رسالته إلى أبكرس ملك أديسه (٢) رسالته إلى بطرس وبولس (٣) كتاب التمثيلات والوعظ (٤) زبور المسيح (٥) كتاب الشعوذات والسحر! (٦) كتاب مسقط رأس المسيح ومريم وظئرها (٧) رسالة المسيح التي سقطت من السماء في المائة السادسة.

ثمانية منسوبة إلى مريم ﷺ:

(١) رسالتها إلى أكناش (٢) رسالتها إلى سيسيليين (٣) كتاب مسقط رأس مريم (٤) كتاب مريم وظئرها (٥) تاريخ مريم وحديثها (٦) كتاب معجزات المسيح (٧) الأسئلة القصيرة والطويلة لمريم ﷺ (٨) كتاب نسل مريم والخاتم السلجاني.

إحدى عشرة منسوبة إلى بطرس الحواري:

(١) إنجيل بطرس (٢) أعماله (٣) مشاهداته (٤) مشاهداته الثانية (٥) رسالته إلى كليمنس (٦) بحثه مع وايين (٧) وعظه (٨) سفره (٩) قياسه (١٠) تعليمه (١١) آداب صلاته.

تسعة منسوبة إلى يوحنا: (١)

(١) أعماله (٢) إنجيله الثاني (٣) كتاب سفره (٤) حديثه (٥) رسالته إلى

(١) ألفه حكيم بروتستاني، وما نقلناه في ب ٥ من تنمة كتابه المطبوع في سنة ١٨١٣ في لندن.
(فخر الإسلام في كتابه: انيس الأعلام ج ١ ص ٢٨٨).

حيدرويك (٦) كتاب وفات مريم (٧) تذكرة المسيح ونزوله من الصليب (٨)
المشاهدات الثانية ليوحنا (٩) آداب صلواته.

إثنان منسوبان إلى أندرياه الحواري:

(١) إنجيله (٢) أعماله.

إثنان ينسبان إلى متى الحواري:

(١) إنجيل الطفولة (٢) آداب صلاة متى.

إثنان لفيليب الحواري:

(١) إنجيله (٢) أعماله.

واحد لبورتولما - هو إنجيله.

خمسة لتوما الحواري:

(١) إنجيل توما (٢) أعماله (٣) إنجيل طفولة المسيح (٤) مشاهدات توما

(٥) سفره.

ثلاثة ليعقوب الحواري:

(١) إنجيله (٢) آداب صلواته (٣) كتاب وفات مريم.

ثلاثة منسوبة إلى متياه الذي التصق بالحواريين بعد المسيح ﷺ:

(١) إنجيل متياه (٢) حديثه (٣) أعماله.

ثلاثة منسوبة إلى مرقس:

(١) إنجيل المصريين (٢) آداب صلواته (٣) كتاب بيشن هاز.

اثنان ينسبان إلى برنياه:

(١) إنجيله (٢) رسالته.

واحد لتهيودوشن: هو إنجيل تهيد يوس:

خمسة عشر منسوبة إلى بولس:

(١) أعماله (٢) أعمال تهكله (٣) رسالته إلى لادوقين (٤) رسالته الثالثة إلى أهل تسالونيقي (٥) رسالته الثالثة إلى قورنثوس (٦) رسالته إليه وجوابه إليهم (٧) رسالته إلى سنيكا وجوابه إليه (٨) مشاهدات بولس (٩) مشاهداته الثانية (١٠) وزنه (١١) أنابي كشن بولس (١٢) إنجيله (١٣) وعظه (١٤) بريست لبطرس وبولس (١٥) كتاب رُقية الحية».

ثم يقول بعد نقل هذه الكتب:

«لما ظهر طغيان الأناجيل والمشاهدات والرسائل التي أكثرها ثابتة عند معظم المسيحيين إلى هذا الحين، فكيف يعرف أن الكتب الإلهامية هي كتب تؤمن بها فرقة پروتستنت؟ وإذا لاحظنا أن الكتب المذكورة أيضاً قبل إيجاد المطابع كانت قابلة للإلحاق والتبديل، يقع الإشكال».

... أيها المدير! إنني لأظن: أن كثرة الكتب المؤلفة في القرون المسيحية باسم الإنجيل هو السبب الرئيسي لسحق إنجيل المسيح عليه السلام بحيث لا أثر عنه الآن إطلاقاً فقد اكتفوا عنه بمختلف آرائهم ومختلف تفكيراتهم...!

إنجيل المسيح:

في مناوئات كتبه الأناجيل!!!

هذه شهادة بولس الصريحة أن هناك من كان يريد الانتقال عن إنجيله قائلاً:
«إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً من الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى
إنجيل آخر غير أنه يوجد قوم يزعمونكم * ويريدون أن يحولوا إنجيل
المسيح»^(١).

فقد يشهد هنا ويشير إلى إنجيل المسيح عليه السلام باديء بدءٍ وأن نفرأ من كتبة
الأناجيل كانوا يقصدون بكتاباتهم الإنجيلية تحريف الإنجيل الأول.
ويقول: «لكنني سوف أستمر فيما أفعل - كي أقطع الفرص عنم ويتغيبه -
لكي يوجد أمثالنا فيمن يفتخر ويتكاثر - حيث إن هؤلاء الرسل الكذبة الماكرين -
يخيّلون إلى الناس أنهم رسل المسيح»^(٢).

ويمهد لذلك الرأي ويرشّح له: أننا وجدنا من مؤرخي المسيحية الأحرار،
الذين لم يقيدهم في بحثهم إلا العلم والحقائق التاريخية، من يصرحون بأنه كانت في
القرن الأول رسالة تعتبر أصلاً لهذه الأناجيل، فيها ما جاء به المسيح وخلاصة
أحواله.

يقول نارتن: «قال إكهارن في كتابه: إنه كان في ابتداء الملة المسيحية في بيان
أحوال المسيح، رسالة مختصرة يجوز أن يقال إنها الإنجيل الأصلي، والغالب أن هذا

(١) رسالته الثانية إلى أهالي قرنتس ١٢ - ١٣.

(٢) رسالته الثانية إلى أهالي قرنتس ١٢ - ١٣.

الإنجيل كان للمريدين الذين لم يسمعو أقوال المسيح ﷺ بأذانهم، ولم يروا أحواله بأعينهم، وكان هذا الإنجيل بمنزلة القلب، وما كانت الأوضاع المسيحية مكتوبة فيه على الترتيب».

... هاه! فليت كان هذا الإنجيل قائماً عبر القرون، وحرصت الكنيسة على إبقائه وقامت بالحفاظ عليه، بدلاً عن سائر الأناجيل، كي يكون فيصلاً بين المختلفين، وحكماً بين الفرق والمفترقين، وليكون قسطاس الجامع القديمة والحديثة، التي حكمت حين الإنشقاق بانشقاق الأحكام، وليكون مصدراً علمياً لمن يكتب في المسيحية الأولى، ويتبعها في مدارجها في أدوار الزمن وملابسات التاريخ!

كما أن القرآن معيار لشتات ما ينقل من السنة عن الرسول ﷺ وعن أئمة الدين ﷺ، ترد عليه - فيقبل ما يوافقه وي طرح أو يوجه ما لا يوافقه - .

وتذكر دائرة المعارف الانجليزية أيضاً^(١) خمسة وعشرين من الأناجيل القديمة ومنها إنجيل المسيح كما يلي:

- (١) إنجيل المصريين ق ٢ الميلادي (٢) إنجيل العبرانيين، القرون الأولى (٣)
- إنجيل الإثني عشر م٢ (٤) إنجيل أندريو (٥) إنجيل برنابا (٦) إنجيل بطرس م٢ (٧)
- إنجيل برتولوماس (٨) إنجيل جيمس (٩) إنجيل تديوس (١٠) إنجيل ابلس (١١)
- إنجيل باسيليدس (١٢) إنجيل كرنيتوس (١٣) إنجيل أبيونتس (١٤) إنجيل حوّا (١٥)
- إنجيل يهوذا الأسخر يوطي (١٦) إنجيل الحياة (١٧) إنجيل مريم (١٨) إنجيل الكمال

(١) في المطبوعة ١٣ ص ١٧٩ - ١٨٠ تحت عنوان خرافات الأدبيات - أبو كريفل لتريجر.

(١٩) إنجيل متياس (٢٠) إنجيل فيليب (٢١) إنجيل توماس (٢٢) إنجيل الصدق، وكان متداولاً بين الوالنتين (٢٣) إنجيل الماركيين (٢٤) إنجيل نيقوديمس و (٢٥) إنجيل المسيح عليه السلام.

ثم يستمر قائلاً:

إن هذه الأناجيل كانت متشرة متداولة في القرون الأولى المسيحية - إلا أن الأساقفة وجمهرة علماء الإنجيل - عبر القرون - قضوا على عدد منها، منعاً عن الاستناد والرجوع إليها».

وقد يذكر كثير من علماء الإنجيل ذكريات عن تعدد الأناجيل، كمثلاً: أورشين، أذيب، القديس شيروم وغيرهم -.

ومنهم جرجس زوين الفتوحى اللبناني: أحد تلاميذ الرهبان اليسوعية^(١) قائلاً:

«فأوغسطينوس^(٢) أخبر عن الأحد عشر رئيساً المبشرين الآخرين، أنهم كانوا أصحاب أناجيل، إتبعوا المسيح باعتقادهم به: إنساناً ليس لاهوتياً، وأخبروا بإنجيلهم عن أعمال المسيح بحال حياته».

وآدم كلارك في ج ٦ من تفسيره قائلاً: «هذا الأمر محقق: أن الأناجيل الكثيرة الكاذبة، كانت رائجة في أوليات القرون المسيحية، وكثرة هذه الأحوال

(١) في ترجمته العربية المطبوعة في بيروت ١٨٧٣.

(٢) احد آباء الكنيسة وهم الكتبة الكنيسيون الذين عاشوا في القرون الثمانية الأولى للميلاد فأصبحوا بتعاليمهم ومؤلفاتهم شهوداً على إيمان الكنيسة (منجد الآداب والعلوم).

هيّجت لوقا على تحرير الإنجيل - ويوجد ذكر أكثر من سبعين من هذه الأناجيل الكاذبة، وكان «فابري سيوس» جمع هذه الأناجيل الكاذبة وطبعها في ثلاث مجلدات...

فلما سمع المدير والطالبان هذه الكثرة المتوفرة من الأناجيل، إصفرّت وجوههم ذعرين، وظل المدير صاغراً يقول:
أي مولاي العلامة المتضلع الجليل! سوف تعذرني - كرامة منك - فيما بدأت به من سوء مقابلي، أرجوك...

وأما البيئة الإنجيلية منذ القرون الأولى، فكما أمرتم، إلا أن غير الأربعة منها وما يلحقها، قد أسقطت عن الحجية، حيث كانت مليئة من أضغاث أحلام وخرافات أوهام، كما يشير إلى ذلك: القديس بولس - بما أسلفتم - .
فلقد كانت خليطة بالوحي الإنجيلي - فظلت تُضل قوماً وتخيّر آخرين، لذلك إن الأئمة الروحانيين الإنجيليين، إصطفوا منها: هذه الأربعة المقبولة ولواحقها، رفضاً لغيرها عن الاعتبار...

فلا تجد عالماً أو طالباً إنجيلياً منصفاً - يستبدل بهذه الأربعة غيرها من الأناجيل» فإنما هي المرجع القانوني الديني للأقطار المسيحية - لا غيرها...

«إن إنجيل المسيح وبرنابا القديس؟»

قلت: إنجيل المسيح وإنجيل برنابا القديس - و... كيف ظلا من أضغاث أحلام وخرافات أوهام، في حين يُحكم على الأربعة المتخالفة المجهولة بالصحة!!!

وهناك أدلة متوفرة - كما سلفت وتأتي - : على أن إنجيل المسيح كان في العهد الأول، في متناول الأيدي، وكما في تصريح دائرة المعارف الأنجلزية، وكتاب إكسبوموا^(١).

وهو الذي اختاره الفاضل «اكهارن» وكثير من المتأخرين من علماء النمسا، ومال إليه المحققون: - ليكلرك - كوب - ميكايلس - ليسنك - نيميروماش - .
ويؤيده صريح القرآن وأخبارنا، ومنها ما قاله الإمام الرضا عليه السلام للجاثليق في مناظرته القيمة الهامة:

«لما افتقد الإنجيل الأول، اجتمعت النصارى إلى علمائهم قائلين: إن المسيح قد قتل، وافتقدنا نحن إنجيله، وأنتم علمائنا، فماذا نصنع؟ هل عندكم شيء منه؟ فقال لوقا ومرقس: إنه في صدورنا، نخرجه إليكم شيئاً فشيئاً حتى يكمل، فكتب لوقا ومرقس ويوحنا ومتى: أناجيلهم، بعد افتقاد الإنجيل الأول».

ومن ظفر بهذا الإنجيل المقدس: مترجم إنجيل برنابا بالفارسية - المغفور له حيدر قليخان قزلباش المعروف ب: السردار كابلي^(٢) ومن المؤسف جداً: أن بروفيسور «كربن» الفرنسي: مندوب الأدباء الفرنسيين في إيران - اشترى هذا الإنجيل من مكتبة الكابلي ب ٥٠٠٠٠٠٠٠ ريالاً إيرانياً، وأرسله إلى باريس^(٣) ولعل ذلك: لكي لا يظفر المسلمون عليه ويحتجوا به، وكما يحتجون بإنجيل برنابا القديس!

(١) كما يأتي من قريب.

(٢) ذكر ذلك في مقدمته على إنجيل برنابا.

(٣) ذكر ذلك العلامة الأميني صاحب الغدير.

«نظرة شاملة إلى الأناجيل: من أئمة الإنجيل وعلمائه»

آدم كلارك^(١) «... هذه سنة سيئة قديمة: أن مؤرخي الإنجيل كانوا كثيرين، إلا أن أكثر منقولاتهم مفتعلة لا توافق الحق، إنهم غلطوا على عمد أو سهو فيما نقلوا، ولا سيما من كانوا في أرض كتب لوقا إنجيله فيها، لذلك إن روح القدس استحسّن أن يلقي عامة الوقائع على لوقا - كما وقعت - لكي يطلع أهل الإنجيل على الصحيح - . ويقول أيضاً: إن نفراً كذا بين مدعين أنهم رسل المسيح - أخذوا يعظون ويجهدون، ولم يكونوا يهدفون إلا اجتلاب النفع.

ويوحنا اللاهوتي (كاتب الإنجيل) يصرح: أيها الأحباء! لا تصدقوا كل روح وتبشير، ألا فامتنحوها ومحصوها، كي تعلموا أنها من عند الله، حيث الأنبياء الكذبة توفروا فيما بينكم / ١:٤ / .

وآدم كلارك يصرح في شرحه: أن المعلمين الإنجيليين في العهد الأول كانوا يدعون الإستیحاء من روح القدس في تعاليمهم، لذلك: إن يوحنا الرسول يؤكد على الناس: أن يختبروهم كيلا يضلوا.

و - وثيتكر يقول: إن جميع الكنائس الإنجيلية بعد عروج المسيح ونزول الروح، ضلت ووقعت في شتى الأغلاط.

لا العوام السذج فحسب، بل الخواص والحواريون أيضاً، حيث انخرفوا في الدعوات الإنجيلية وكتاباتهما عن نجد الصواب».

والمؤرخ الكبير «موشيم»^(٢) ينطق عن بيئة العلماء في القرن الثاني قائلاً:

(١) في ص ٣٦٩ ج ٥ من تفسيره: [الأعلام ج ١ ص ٢٧٨].

(٢) في ص ٦٥ ج ١ من تاريخه المطبوع ١٨٣٢: [انيس الاعلام ج ١ ص ٣٧٩].

هل الغاية تبرر الوسيلة؟!

«قد اشتهرت بين أتباع أفلاطون وفيساغورث مقالة هي: إن الكذب والخديعة لغرض حمل الناس على الصدق والعبادة ليس جائزاً فحسب، بل إن ذلك حسن راجح، فتبعهم يهود مصر في هذه المقالة قبل المسيح عليه السلام، كما يظهر من الكتب القديمة، ثم دخلت من جرّائه في أهل الإنجيل، فظلموا يتقربون بالكذب في أسفارهم، وكما يشهد بذلك المؤلفات المتوفرة التي نسبوها إلى أئمتهم كذباً».

ومن مقالات لاردنر^(١) «إن سلطان قسطنطين «أسطثيوس» أصدر حكماً حاسماً على الأناجيل في زمانه، لجهالة النسبة إلى مصنفها قائلاً: إنها ساقطة عن الإعتبار».

ويقول آدم كلارك^(٢) «إن هناك تراجم مختلفة من مؤلفين مختلفين قبل جيروم، وبعضها محرّفة إلى حدّ التناقض، كما ويستغيث جيروم من ذلك -».

ويقول أيضاً^(٣): مرت على الزمن تراجم لاتينية قبل جيروم، بعضها محرّفة إلى حدّ التناقض، إلى حيث يستغيث جيروم من ذياك التحريفات البشعة.

فمن مقالات جيروم^(٤): لما عزمت على ترجمة العهد الجديد، قابلت بين مختلف النسخ التي كانت عندي، فوجدت فيها إختلافات عظيمة.

(١) LARDNER في ص ١٣٤ ج ٥ من تفسيره (عن أنيس الاعلام ٢٨٠).

(٢) في مقدمة المجلد الأول من تفسيره (عن أنيس الاعلام ٢٨٤).

(٣) في مقدمة المجلد الأول من تفسيره.

(٤) أنيس الأعلام ج ١ ص ٢٨٤ نقلاً عن وارد كاتلك - جيروم: DJIRUM.

ويقول مستر كارليل^(١): إن المترجمين الإنجيليين قد أفسدوا الإنجيل في تراجمهم فستروا الحق وخدعوا الجهلة السذج، واستبدلوا الضلام بالنور، حيث يجبون الفرية والزور.

«وجهة النظر إلى أسباب وأساليب التحريف»

المفسر الشهير الإنجيلي هورن يقول^(٢): الأسباب الرئيسية للتحريف اربعة:

الأول:

غفلة الكاتب وسهوه كما يلي:

- ١ - المملي كان يلقي على الكاتب ما يريد، أو يكتب الكاتب ما لم يفهم.
- ٢ - تشابه الحروف العبرية واليونانية، كان يخلط الأمر على الكاتب.
- ٣ - إن الكاتب كان يظن الإعراب كلمة، أو لم يفهم الكلام فكتبه كما يظن.
- ٤ - ينتقل الكاتب من موضع إلى آخر، وبعد الإنتباه لم يرض بمحوه، فأخذ يكرر ما ترك.
- ٥ - ترك شيئاً غفلةً منه، ثم بعد أن كتب موضعه غيره، انتبه وكتب المتروك بعده.

(١) CARLYLE كارليل: مستشرق انجليزي أخذ العربية عن رجل في بغداد - أستاذ العربية في كمبريج (١٧٩٥) كتب على آداب العرب.
(٢) باب ٨ ج ٢ من تفسيره في بيان اسباب ويريوس رديك.

- ٦- أخطأ في الكتابة فأسقط سطرًا.
- ٧- إشتبه في فهم بعض الفقرات فكتبها كما يظن.
- ٨- كانوا أحياناً يمزجون الهوامش والشروح بالمتون، فكانت تعتبر متوناً.

الثاني:

نقصان النسخة المنقول عنها كما يلي:

- ١- محو الإعراب والحروف.
- ٢- إختلاط الإعرابات من صحيفة إلى أخرى.
- ٣- قد كانت العبائر المتروكة تكتب في الهوامش دون علامة - ثم الكاتب الثاني لم يدر أين يضعها!

الثاني:

- ١- محو الإعراب والحروف.
- ٢- إختلاط الإعرابات من صحيفة إلى أخرى.
- ٣- قد كانت العبائر المتروكة تكتب في الهوامش دون علامة - ثم الكاتب الثاني لم يدر أين يضعها!

الثالث:

التصحیحات الخیالیة والإصلاحات الوهمیة كما یلی:

- ١- إعتبر الصحيح سقياً لسقم الفهم أو اخطأ في فهمه.
- ٢- بعض المؤلفين لم يقنعوا بتبديل غير الفصيح بالفصيح، فأسقطوا ما زعموه فضولاً أو ترادفاً زائداً.
- ٣- تطبيق العهد الجديد مع الترجمة اللاتينية.
- ٤- التحريفات العمدية لغرض إثبات ما يراه الكاتب الشارح، وأكثرهم تحريفاً: مارسيون، أجل وإنها صدرت حتى من المتدينين، لما يرجحونه في زعمهم من دفع الاعتراضات التي ربما ترد على الأصل..
ومن ذلك ما في كتاب: قاق، كما يلي:
 - ١- تركت الآية (٤٣ ب ٢٢ لوقا) حيث زعم أنها تنافي وألوهية المسيح، لأن فيها: أن الملك قوئى وأيد المسيح.
 - ٢- تركت هذه الجملات: قبل اجتماع يوسف بمریم (من الآية ١٨) وولدها الأكبر (من الآية - ٢٥) كيلا يشك في بكورة مريم - الدائمة.
 - ٣- بدلت العدد ١١ - الى - ١٢ - من باب ١٥ من الرسالة الأولى لبولس إلى أهالي قرنتس، كيلا يلزم منها كذب على بولس - لأن يهوذا الأسخر يوطي مات قبل ذلك.
 - ٤- تركت بعض الألفاظ من الآية (٣٢ ب ١٣ مرقس) حيث خيّل إليهم: أن فيها بعض التأييد لفرقة إيرين.
 - ٥- زيدت أشياء في الآية (٣٥ ب ١ - لوقا) في التراجم: السريانية والعربية والفارسية وإتهوبك وغيرها، وفي كثير من نقل المعلمين المرشدين، ضدّاً على فرقة:

يوقى كنيس، حيث كانوا ينكرون وصفي: الربوبية والعبودية للمسيح...

فهذه نماذج من النظرات العامة على العهد الجديد!

المدير: مهما يكن من شيء - بعد اللتيا والتي - فالميزان الوحيد لنا إنما هي
الأنجيل الأربعة المشهورة وما يلحق بها، بعد افتقاد الإنجيل الأول وإسقاط سائر
الأنجيل المزورة المفتعلة المحرفة، ولا تتجذّر ذياك التدخلات إليها إطلاقاً!

العهد الجديد في الجديد:

قلت إنها كأخواتها على سواء - حيث إنها تناقض نفسها بنفسها كما وأن كلاً
منها تناقض الأنجيل الأخرى - وهناك - مضافاً إلى الشواهد الداخلية - شهود
صدق من علماء الإنجيل تقضي عليها كما قضت على غابرها «وسياًتكم نبأها بعد
حين».

تصفية الأنجيل في المجامع المسيحية طيلة عهودها:

محرومية الكنائس في القرون المسيحية قبل مجمع نيقية:

هذه الأنجيل والرسائل لم تكن مقبولة ومصدّقة لدى الكنيسة وجميع العالم
العیسوي، قبل (٣٢٥ - م) ثم جاء من الجماعات الروحية من شتى الأقطار
المسيحية، من يزيد على ألف مبعوث، يشكلون المجمع العام، بمئات من الأنجيل
والرسائل المختلفة، كلُّ منهم يحمل نسخة أو رسالة إلى نيقية، لأجل التدقيق، وهناك
تم انتخاب الأربعة الأنجيل، بين ما يربوا على الخمسين إنجيلاً، فانتخبت: هذه

الأربعة، مع إحدى وعشرين رسالة من رسائل لا تُعدُّ ولا تحصى، فصودق عليها، ولقد كان الناخبون في مجلس نيقية «٣١٨» شخصاً: من القائلين بالوهية المسيح، وهم زهاء ثلث عدد أعضاء المجمع -.

والناظر في الرسائل يعلم علم اليقين: أن مؤلفي الرسائل لم يكونوا مطلعين على هذه الأناجيل الأربعة، بل وإنها لم تكن مؤلفة حينذاك.

وهناك يجب التفكير في دين، بقي من تاريخ نشأته إلى «٣٢٥» عاماً بغير كتاب، كم يتأثر بالعقائد المتولدة من المنايع الخارجية! وكيف يخلت نظامه، بما تكدر صفائه الأصلي، بالخرافات والروايات الكاذبة!

ثم إن مجمع نيقية لم يكن نقياً عن الخط تماماً - لذلك: إن الراهب الشاب «اثناثيوس»: من نصارى الإسكندرية «وكان شماساً»^(١)، من حضور هذا المجمع، جعل تاريخ الأديان السماوية شذر مذر.

معارضة الموحدين والمثلثين الأقدمين:

قد اجتهد «آريوس» رئيس الموحدين، بالبرهنة: على أن المسيح مخلوق، وأنه عبد الله، مستدلاً بما لديه من الآيات الإنجيلية، وبتفسير الأعره والآباء من ايقليسيا، واعترف بهذه الحقيقة: الثلثان الباقون من الألف: أعضاء المجمع، وهم الموحدون الذين كانت تتألف منهم الأكثرية العظيمة.

(١) اثناسيوس الاسكندري من آباء الكنيسة في القرون الثمانية الأولى المسيحية وقد بلغ من مراتب الكهنوت والرهبانية إلى الرتبة الأولى وهي الشماس.

ومن ناحية أخرى قام رؤساء الثالوثيين - وعلى رأسهم اثناسيوس - للبرهنة: على أن المسيح إله تام، وأنه متحد الجوهر مع الله، مستندين إلى آيات انجيلية أخرى وإلى تفاسير الآباء من إقليسيا - .

وبالآخر ترجح رأي المثلثين - الذين هم ثلث اعضاء المجمع - لما سيطرت على الباقيين السلطة الجبارة من قسطنطين - قونستنتينوس - تحت ستار ايجاد الأمن بين المتخالفين - وأن قسطنطين^(١) يرجح رأي صديقه: البابا - كاهن رومية الأعظم، وهو من الأقلية الثالوثية في النيقية، ويامر بإخراج أكثر من سبعمائة من الرؤساء الروحيين الباقيين الموحدين من المجمع ويقتل آريوس: رئيس الموحدين، لكي يصفي جو المجمع: (٣١٨) الباقيين المثلثين.

كما ويصرح المسيح ﷺ بهذه الحادثة العظيم بقوله: «سيخرجونكم من المجمع بل تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله وسيفعلون بكم لأنهم لم يعرفوا الآب ولا عرفوني / يو ١٦ - ٢ / ٣ / ١٣ : ٩ / .».

لم يعرفوا الآب: الخالق - بالألوهية - ولا عرفوني بالعبودية - ولذلك يقتلون ويشردون من يعرفه وأياي.

وهؤلاء المثلثون أيضاً، إفترقوا إلى ثلاث فرق، ولقد كان إعتراض فرقتين منهم على تعبير: أثناسيوس «هو موسيون» أي: من جوهر واحد، وأحدي الجوهر، عيني الجوهر!

(١) قسطنطين الكبير (٢٧٤ - ٣٣٧) امبراطور روما، (٣٠٦) رسم الصليب في السماء مع هذه الآية بهذه العلامة لك النصر - نقل عاصمة الإمبراطورية من روما إلى بيزنطة فسميت القسطنطينية - أعلن حرية الدين المسيحي في قرار ميلانوا (٣١٣) - (منجد الادب والعلوم).

وأخيراً تمكن المعارضون: الخائفون من جند الامبراطور وجلّادّه من النجاة،
بوضع إمضائاتهم مع نواب البابا، وفرقة أثناسيوس، على الوثيقة المشهودة بعنوان:
عقيدة نيقية - المصرحة بالثلث، وألوهية المسيح!
عند ذلك قد تقرر تعيين وتصديق كتب العهد الجديد، على أساس رفض
الكتب المسيحية الكثيرة، المشتمة على تعاليم غير موافقة لعقيدة نيقية، وإحراقها
كلها - .

وبالأخير - وبعد اللتيا والتي - لم يكن مؤسس مجلس نيقية إلا الإمبراطور
قسطنطين - ولقد كان وثيقاً.

قسطنطين الوثني مؤسس المسيحية الحالية:

و«أبوسسيوس»: بسقيوس قيصرية - الذي تقدسة الكنيسة، وتمنحه لقب
«سلطان المؤرخين» - كان صديق الأمبراطور، وهو يصرح: أن الأمبراطور إعتد
وتنصّر، حين كان أسير الفرائش قبيل وفاته، بناءً على ذلك، علينا أن نعرف أن
النصرانية الموجودة ما هي إلا من سلطان وثني ملحد!

«الأناجيل المعتبرة عند المسيحيين»

والكتاب المقدس:

الكتاب المقدس لدى النصارى يشمل التوراة والأناجيل ورسائل الرسل، والتورات بأسفارها الموسوية وغيرها، تسمى كتب العهد القديم، والأناجيل ورسائل الرسل هي العهد الجديد.

الأناجيل الاربعة

الأناجيل المعتبرة الآن - منذ قرون وبعد التحولات الكثيرة في التراخيص بينها بصورة كلية عبر القرون - هذه الأناجيل أربعة: إنجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا - وقد أصبحت كالقطب من رحي المسيحية، وتعترف بها الكنائس كلها، وتقرها الفرق، وتأخذ بها، رغم أن التأريخ سجل لنا: أنه كانت في العصور الغابرة أناجيل أخرى، قد اخذت بها فرق قديمة، وراجت عندها، ولم تعتق كل فرقة إلا إنجيلها. فعند كل من أصحاب «مريقيون» وأصحاب «ديسان»^(١) إنجيل يخالف بعضه،

(١) (١٥٤ - ٢٢٢) فيلسوف سرياني من اصل فرقي - ولد في الرها - يعرف باسمه السرياني برديسان - BARDESANE - درس الفلك والتنجيم.. (منجد الادب والعلوم).

هذه الأربعة - ولاصحاب ما ني إنجيل يخالفها، وهو الصحيح في زعمهم، وهناك أيضاً إنجيل يقال له: السبعين - ينسب إلى «تلامس» والنصارى ينكرونه، وهناك إنجيل برنابا وسوف يأتيكم نبأه الفصل، وإنجيل إشتهر باسم التذكرة، وإنجيل: سرن تهمس.

ولقد كثرت الأناجيل - كما أسلفنا من ذكرياتها - كثرة عظيمة، باجماع مؤرخي النصرانية، ثم أرادت الكنيسة في آخر القرن الثاني للميلاد، أوائل القرن الثالث، أن تحافظ على الأناجيل الصادقة في زعمها فاخترت هذه الأربعة إبان ذلك، ولم يكن ذكر ولا أثر منها قبل آخر القرن الثاني، فأول من يذكرها: أرينيوس (في ٢٠٩ - م) ثم: اكليمنضس - اسكندريانوس (في ٢١٦) -.

وبعد اللتيا والتي، فلا نجد هذه الأربعة المنتخبة المصفاة - أيضاً - إلا متناقضة: كل بالنسبة لنفسها ولغيرها عن الأربعة. كما ويصرح به كليمش قائلاً: كثيراً ما تختلف تحريرات متى ومرقس، وفيما يتفقان يرجح قولهما على ما كتبه لوقا، وكما تأتي على ذلك تفصيلاً عند المقارنات، إذاً فليست هي وحياً كلها، وما هي عين ما أوحى إلى المسيح عليه أفضل الصلاة والسلام!

«من هم هؤلاء الأربعة المنسوبة إليهم الأناجيل الأربعة

وكيف ألفوها ومتى؟» أكلهم حواريون! أم لا؟

مرقس:

هنا تشهد مكاتيب الرسل أن مرقس كان من أقرباء وتلامذة برنابا الحواري

/ كو ٤: ١٠ / -.

وأنه كان يسمى ب: يوحنا أيضاً / ع ١٢: ١٢ و ٢٥ و ١٣ و ٥ و ١٣ / .
وكان أحياناً يصاحب بولس / كو ٤: ١١ - ٢ تيمو ٤: ١١ فل ٢٤ / .
ويخاطبه بطرس: إيني / ١ بطر ٥: ١٣ - مع ١ - تيمو ١: ٢ و ٢ تيمو ١: ٢ / .
ويذكر المصنفون الأسلاف: أن مرقس وإن لم يكن حوارياً، إلا أنه ألف إنجيله
على رأى بطرس الرسول في: رومية، ثم انتشر مؤلفه ذاك بعد بطرس وبولس^(١).
... وإن طبيعة الحال من البيئة التربوية لمرقس - بين هؤلاء الأساتذة المختلفين
- تقتضي: تسرب مختلف ألوان التعليم في إنجيله، كما نجدها فيه.
على أن هناك شبهات عريقة في نسبة هذا الإنجيل إليه، فهو زور على زور كما
يلي:

في تاريخ ابن بطريق^(٢) أن في عصر «نارون» قيصر، كتب بطرس رئيس
الحواريين: إنجيل مرقس عن مرقس في مدينة رومية ونسبه إليه». .
وليت شعري! كيف يؤلف رئيس الحواريين إنجيلاً وينسبه إلى من ليس
حوارياً! إن هذا لأمر مريب! وقد يكشف هذا عن السلطة البولسية حينذاك: أن
حوارياً مثل بطرس لا يقدر أن يكتب إنجيلاً، إلا أن ينسبه إلى من يرتضيه بولس،
أو يمزج به من عقائد بولس: الإلحادية!

(١) قاموس كتاب المقدس - للدكتور بوست.

(٢) هو من المؤرخين المسيحيين الشرقيين.

لوقا:

كان يكثر المصاحبة لبولس - حتى نهاية الحبس الأول لبولس / ع ١٧: - او
٢٠: ٥ و ٦ و ١٣ - ١٦ و ٢١: ١ - ٢٨ فل ٢٤: ٢ تيمو ٤: ١١ / ولا يعلم حاله قبل ولا
بعد مصاحبته له .

وانما هي مبتنية على الروايات المجهولة، وهو الذي صنف كتاب اعمال
الحواريين - .

ويقال إنه صنف إنجيله على رعاية ودلالة بولس^(١).

... فإنجيل لوقا وكذلك أعمال الرسل: مؤلفات بولسية - وقد توفرت فيها:
المظاهر التعليمية البولسية كما تعلمون... فمضافاً إلى أنه ما كان من الحواريين، لم يكن
تلميذاً لأحد منهم أيضاً إلا بولس المعلوم حاله - ذلك القديس! الذي قضى على
الشريعة المقدسة من جديدها المسيحية وعتيقها الموسوية - وهناك شهود آخر
تصدقنا كما يلي:

يقول بولس: / ٢ تيمو / لوقا وحده معي.

ويقول: / في فيلمون / مرقس وارسترخس - وديماس - ولوقا، العاملون
معى».

ثم هناك إختلاف هام في من كتب هذا الإنجيل: فمن قائل إنه لوقا الإنطاكي -
ذهب إليه كثيرون - والدكتور بوست يقول: إن ذلك من توهم بلوكيوس - مع أنه
رجل روماني.

(١) قاموس كتاب المقدس للدكتور بوست.

واختلاف آخر: هل إنه كان طيباً كما ذهب إليه جمهورهم - أو مصوراً؟
والكل متفقون على أنه من تلاميذ بولس وأصحابه - لا من حوارى المسيح ولا من
تلاميذهم.

ومهما يكن من شيء فإنجيل لوقا اختلف في شخصية كاتبه، وفي صناعته، وفي
القوم الذين كتب لهم، وفي تاريخ تأليفه، ولم يتفقوا إلا على أنه ليس من الحواريين
ولا من أصحابهم بل هو من تلاميذ بولس.

إلهامي أم لا؟

ثم لو اعتبرنا: أن كاتبه لوقا، يبقى سؤال: هل إنه إلهامي أم قصة خيالية أو
إجتهادية؟

يقول الدكتور بنصن: مما يثبت أنه غير إلهامي: ما يصرح به لوقا في ديباجة
إنجيله قالاً:

إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا، كما سلمها إلينا
الذين كانوا منذ البدء معانين وخداماً للكلمة، رأيت أنا أيضاً - إذ تتبعت كل شيء
من الأول بتدقيق - أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز: «ثاوفيلس» - لتعرف
صحة الكلام الذي علمت به / لو: ١ - ٤ / .»

فهذه تصريح من لوقا: أنه كتب إنجيله حسب تتبعه الخاص، عبر كتابات
التاريخ الإنجيلي، لا بإلهام فذُّيلهم به فيما كتب.

وكذلك يعتقد العلماء الأقدمون الإنجيليون كمن يلي:

ارينيوس: «إن لوقا بلغ إلينا ما تعلمه من الحواريين».
جيروم: «لا ينحصر تعلم لوقا ببولس - الذي لم تكن له صحبة جسمانية مع المسيح - بل إنه تعلم إنجيله من بولس، وسائر الحواريين».

يوحنا:

يقول الدكتور بست^(١): إنه كان من الحواريين المخلصين، وكنيسة القرن الأول تعتقده مؤلفاً للإنجيل المنسوب إليه، والكاتبون الإنجيليون الأقدمون يعتبرونه آخر الأربعة تأليفاً.

يقول ايرينيوس: تلميذ بليكارب وهو تلميذ يوحنا الرسول: «إنه ألف ونشر إنجيله، بعدما انتشرت بقية الأربعة - في افسس -

وأكثر النقادين يعتبرون تأليفه: أواخر القرن الأول، وبعض المتأخرين: أوائل القرن الثاني، وأنه ليس من مصنفات يوحنا الرسول، بل يوحنا الشيخ، وهو قول بعض المحققين الإنجيليين».

والقول الفصل هنا: إن يوحنا هذا لا يمتُّ إلى يوحنا الرسول بصلة روحية. وهذا القول لم يكن من ثمرات هذه الأجيال، كي يعتبر خروجاً عن شهرة محققة، فقد ابتداءً (في ق ٢) حيث إن علماء الإنجيل في آخر القرن الثاني، أنكروا نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الحوارى، وكان «ارينيوس» حينذاك بين ظهرانيمهم، ولم يردَّ عليهم: أنه سمع من أستاذه صحة تلك النسبة.

(١) في قاموس الكتاب المقدس.

... فإنجيل يوحنا غير محقق النسبة إلى يوحنا الرسول، مضافاً إلى تأخره عن الثلاثة الأخر، فهو خاضع لها من حيث التعاليم الخاطئة البولسية - لا محالة.

ثم لهذا الإنجيل - رغم الجهل في انتسابه إلى يوحنا - خطر عظيم بين الأناجيل لأنه يتضمن ذكراً لألوهية المسيح عليه السلام - كما يزعمون - وهذه الألوهية تعتبر سنداً لإثباتها، وركن الاستدلال فيها، لذلك لا بد لهم من العناية به أكثر من الأناجيل الأخرى - إذ كان التثليث شعار المسيحية، وهو موضع مخالفتها لديانات التوحيد، وأساس التباين بين هذه الديانة وتلك الديانات.

ويذهب بعض المؤرخين المتأخرين إلى أن يوحنا هذا لم يكن من الحواريين، وإنما هو من تلاميذ بولس، وتؤيده دائرة المعارف الفرنسية حيث لا تؤيد كونه من الحواريين.

وهناك شهود صدق على هذا الرأي السديد:

١ - مضامينه: تشهد أن كاتبه لم يكتب مشاهداته، بل ينقل عن غيره.

٢ - ليس فيه من أقوال المسيح وأحواله، إلا اليسير، ويذكر يوحنا بصيغة الغائب: أنه رأي كذا، وقال كذا، وهذا يدلنا: أن الكاتب ليس هو يوحنا الرسول، وإنما ينقل عنه أحياناً.

٣ - يقول كردتيس: إن هذا الإنجيل كان يضم ٢٠ باباً، ولما مات يوحنا أضافت إليه كنيسة افسس ٢١ باباً فصار ٤١ باباً كما هو الآن.

٤ - جمع من علماء الإنجيل لا يصدقون الآية - ١١ من الفصل (٨).

ومع هذا كله فالعجب كل العجب من الدكتور بوست كيف يستنصر لهذا الإنجيل قائلاً:

فبعض الكفار ينكر صحة هذا الإنجيل لكراهتم تعاليمه الروحية اللاهوتية،
إلا أن شهادة بطرس الرسول تكفينا حجة لصحته، حيث يشير في رسالته الثانية إلى
آية واحدة منها.

وكذلك اقتبس من روح هذا الإنجيل «أغناتْيُوس وُبُوليكْرُبُوس» وإذا فهو
من تأليف يوحنا الرسول!!!

فالدكتور بست لا يجد سنداً لصحة هذا الإنجيل إلا شهادة بطرس، في حين أن
بطرس كتب رسالته قبل يوحنا هذا بتلاثين سنة.

حيث إن يوحنا كتب إنجيله بين «٩٥ - ٩٨» كما صرح به بُست، ورسالة
بطرس كتبت في «٦٤ - ٦٨» كما صرح به مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين.

متى:

متى من الحوارين الكبار - حيث التزم صحبة المسيح ^{عليه السلام} منذ البعثة حتى
الصعود دون انفصال / ١٤: ٢١ - ٢٦ / ولا نعلم منه شيئاً بعد ذلك - ولا الزمان
الذي أُلّف فيه إنجيله - فهو بين: ٣٨ م و ٥٠ و ٦٠ - ويقال: إنه إنتشر قبل الثلاثة
الأخر^(١).

هل يوجد إنجيل متى الأصيل؟

أقدم الأناجيل: متى، وليس الموجود منه، حيث إنه حرّف وضيع منذ البداية،

(١) قاموس كتاب المقدس للدكتور بست.

ثم اختلق هذا الموجود باسمه وعزّي إليه.

ومن الشواهد على ذلك أنه ألف إنجيله ذاك بالعبرانية، ذهب إلى ذلك العلماء الأقدمون كافة وكثير من المتأخرين، فأما الموجود باليونانية حالياً فليس إلا ترجمته ولا يُعرف من ترجمه إلا شكوك وظنون لا حجة فيها، على أنه شاع بينهم: أن أقدم نسخة رائجة من متى كانت باليونانية، كما يقر بذلك «جيروم» - وأنه لا يعرف كاتب متى الحالي ولا اسمه.

والقول: إن متى هو الذي ترجم إنجيله عن العبرانية - كما يدعيه بعض القسيسين - لا أساس له سوى الدعوى.

ففي أنسيكلوبيديا بريتانیکا^(١): أن العهد الجديد ما ألفت باليونانية إلا متى ورسالة العبريين دونما ريب، وأن تأليفهما باللسان العبراني أمر يقيني بالدلائل. وقال «جيروم»: إن متى كتب الإنجيل باللسان العبري في أرض يهودية للمؤمنين من اليهود.

لاردتن^(٢) ينقل عن بي بيس: أن متى ألف الإنجيل بالعبرانية، ثم ترجمه كلُّ حسب مفهومه».

أجل: إنه لا مناص عن أن أصل متى كتب بالعبرانية، والثلاثة الأخر باللغّة اليونانية.

ذهب إلى هذا من يلي من القدماء والمتأخرين:

(١) دائرة المعارف البريطانية ج ١٩ - ENCYCLOPEDIA BRITANNICA.

(٢) في ص ١١٩ ج ٢ من كلياته.

بارمن - كروتيس - كسابن - والتن - تاملائن - وكيو - هميند - مل -
هارود - اودن - كنبيل - أي كلارك - سائمن - نليمنت - پرى تيس - دوين -
كامت - ميكابلس - اري نيس - ارجن - سرل - أبي فانيس - كريزاستم -
جيروم - كرى كرى - نارنيزن - ايدجسوا - تهيو - فلكت - لو تهى - فيس -
پوسي پيس - اتهاني شيس - اكستائن - اسيدور - وغيرهم^(١).

ويقول «لاردنر»^(٢) إن متى كتب إنجيله لليهود بلغتهم، في الأيام التي كان
بولس وبطرس معظمين في روما.

ثم ينقل عن «أرجن»^(٣) مقالات ثلاث في ذلك. ومنها: أنه كتب إنجيله
بالعبرانية للعبرانيين: الذين كانوا ينتظرون موعوداً من نسل إبراهيم وداود عليه السلام.
... ثم إذا انتقلنا إلى تاريخ تدوين إنجيل متى، رأينا ميدان الاختلاف فيه
فسيحاً مضطرباً.

فوجد ابن البطريق يذكر: أنه دوّن في عهد «قلوديوس»: قيصر الرومان، من
دون تعيين السنة التي كتب فيها - ويذكر: أن يوحنا هو الذي ترجمه - قائلاً: «في
عصر قلوديوس كتب متاوس: «متى» إنجيله بالعبرانية في بيت المقدس، وفسره إلى
اليونانية: يوحنا صاحب الإنجيل».

وقلوديوس هذا إنما ملك بعد غايوس، وهو بعد طيباريوس، وهذا الاخير

(١) لهؤلاء مكانتهم عند المسيحيين ولا سيما پرى بيس - اري نيس - ارجن پوسي بيس، جيروم

- وهم مقبولون عند الكل دون خلاف!

(٢) في ١٧٠ من كتابه نقلاً عن ارينوس.

(٣) في ص ٥٧٤.

كان معاصراً للمسيح عليه السلام، فقد تأخر تأليف إنجيل متى عشرات السنين من رفع المسيح عليه السلام!

ويقول صاحب ذخيره الألباب: إن القديس متى كتب إنجيله في السنة ٤١ باللغة العبرانية، أو السيروكلدانية... ثم ما عتم هذا الإنجيل أن ترجم إلى اليونانية، ثم تغلب استعمال الترجمة في الأصل الذي لعبت به أيدي المستنسخين: الأيونيين، ومسخته - بحيث أضحي ذلك الأصل مهملاً زائلاً، وذلك منذ القرن الحادي عشر. وبالتالي فلا مقالة لعلماء الإنجيل بالنسبة لإنجيل متى اليونانية إلا: أن المترجم لم يُعرف، ولم يُعلم متى ترجمه عن الأصل حتى الآن.

«وأما سبب فقد الأصل»!

ففي تفسير «هنيري وإسكات»: أن الفرقة الأيونية - الذين كانوا ينكرون ألوهية المسيح عليه السلام - حرّفوا هذه النسخة، وضعت بعد فتنة بروشالم - وقيل: إن الناصريين^(١) أو جماعة من اليهود: الذين تنصروا، حرفوها - وقد أسقطت الفرقة الأيونية منها فقرات كثيرة».

وحصيلة البحث: أن الموجود باليونانية ليس من تأليف متى، فلعله ترجمة عنه - على جهل من المترجم وكيفيتها، فلا حجة فيها إذا ذاك! أجل: إن هناك إنجيلاً لدى الفرقة الأيونية: التي كانت معاصرة لبولس، ومنكرة عليه - أشد الإنكار، تنسب ذلك الإنجيل إلى متى - غير أنه مخالف لهذا الموجود باسمه عند معتقدي بولس في كثير من مواضعه.

(١) نسية إلى مدينة الناصرة.

نظرات العلماء في نسبة الأناجيل الأربعة إلى الأربعة بصورة عامة:

من مقالات «لاردنر»^(١) نقلاً عن فاستس: «إن هذا الأمر محقق، أن هذا العهد الجديد لم يكن يصنفه المسيح، ولا الحواريون مطلقاً، بل صنفه رجل مجهول ونسبه إلى الحواريين، ليعتبره الناس - واذى المريدين لعيسى إيدائاً بليغاً - بأن ألف الكتب التي فيها الأغلاط والتناقضات».

وأعلن «سلوس» في القرن الثاني - كما ينقل عنه الأكهارن الألماني - أن المسيحيين بدولوا أناجيلهم ثلاثاً أو أربع مرات بل أكثر من هذا، تبديلاً بحيث تُحيى الشريعة العيسوية وقُضِيَ عليها.

وصرح «لاردنر»^(٢) قائلاً: هكذا حكم على الأناجيل المقدسة، لمجهولية مصنفها: بأنها غير حسنة، بأمر السلطان أنا سطيوس - في الأيام التي كان حاكماً في القسطنطينية، فصحت مرات عديدة.

(١) في ج ٣ من تفسيره فيما يذكر بياناً عن فرقة ماني كير - نقلاً عن: اكستائن قول: فاستس وهو من أعظم علماء الفرقة في القرن الرابع (انيس الأعلام ج ١ ص ٢٨٨ والفارق بين المخلوق والخالق لباحه جى ص ١٧).

(٢) المفسر الانجيلي في ج ٥ من تفسيره.

عديد الاختلافات في العهدين

ويقول الفاضل «ياركز»^(١) قالت ملة بروتستنت: إن المعجزات الأزلية والأبدية حفظت العهدين: العتيق والمجديد، من أن تتعرضها التحريفات الخفية، لكن هذه المسألة لا تقدر أن تقوم في مقابل عسكر اختلاف العبارات التي هي ثلاثون ألفاً!.

كما وأن الفاضل ياركز تبع في نقده تحقيق القسيس «ميل» ولو أمعن النظر، لوجد من الاختلاف ما يزيد على مائة وخمسين ألفاً، كما ذكره بعض الفضلاء من غير البروتستنت مثل: كريسباج.

أو أن عدد الاختلافات فيها لا تحصى، كما يقول آخر محققهم: شولز. وفي «انسيكلوپديا بريتانيكا»^(٢) - في بيان أسكر بجران وتيستن: أنه يوجد مثل هذه الاختلافات زهاء مليون! وقد اعترف الكثيرون من العلماء: أن هناك إختلافات كثيرة في الكتب المقدسة، مثل:

اكهارن - كيسر - هيس - ديوت - ويز - فرش...

وتذكر دائرة المعارف الفرنسية^(٣) عن بعض الأساقفة: أن نسبة إنجيلي مرقس

(١) هو من اشهر علماء الإنجيل.

(٢) دائرة المعارف البريطانية التي اجتمع في تأليفها خمسمائة من علماء الإنجيل من مختلف المجامع الإنجيلية.

(٣) ENCYCLOPEDIA PARIS انسيكلوپديا باريس التي الفهاريس بمعاونة جم غفير من علماء الإنجيل.

ويوحنا إليهما زور وافتراء، وإنما ألفها بولس الرسول^(١) ويقرب هذا المعنى مصاحبة مرقس لبولس، فقد تلوّن انجيله بألوان الاختلاقات البولسية، سواء أكان تأليفه أيضاً أم من تأليف مرقس.

ومن مقالات الأستاذ «لن» أن إنجيل يوحنا بكامله: تصنيف طالب من طلاب مدرسة الإسكندرية دوفاً تردد، ونسبه إلى يوحنا زوراً. ولقد كانت فرقة الوجين في ق ٢م، تنكر هذا الإنجيل وجميع ما أسند إلى يوحنا^(٢).

ويقول العلامة برت شنيدر: «مجموع الرسائل المنسوبة إلى يوحنا» إنما ألفها غيره في أوائل القرن الثاني المسيحي، وفرقة «الوجين» التي كانت في القرن الثاني، كانت تنكر هذا الإنجيل وجميع تصانيف يوحنا.

وقال المحقق المشهور: «كرويتس» إن هذا الإنجيل كان يضم عشرين باباً، فألحق به كنيسة «افساس» الباب ٢١ بعد موت يوحنا.

وفي دائرة المعارف البريطانية^(٣) «أما إنجيل يوحنا: فلا شك ولا مرأى أنه كتاب مزوّر، أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين - بعضها لبعض، وهما القديسان: يوحنا ومتى، وقد ادعى هذا الكاتب المزور فيه: أنه هو الحوارى الذي كان يحبه المسيح عليه السلام - فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها، وجزمت بأن

(١) السيد محمد رشيد رضا الحسيني في مقدمته على إنجيل برناباص ٢.

(٢) كاتلك هرلد ج ٧ - المطبوع ١٨٤٤ ص ٢٠٥ عن انيس الأعلام واطهار الحق ج ١ ص ٥٣.

(٣) انسيكلو پديا برتانيكا: ENCYCLOPEDIA-BRITANNICA وكذلك الفرنسية.

الكاتب هو يوحنا الحواري ووضعت إسمه على الكتاب نصّاً - مع أن صاحبه غير يوحنا يقيناً - ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التورات، التي لا علاقة بينها وبين من نسبت إليه - وإننا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون قصارى جهدهم، ليربطوا، ولو بأوهي رابطة: ذلك الرجل الفلسفي: الذي ألف هذا الكتاب في الجيل الثاني - بالحواري: يوحنا، الصياد الجليل، أن اعمالهم تذهب سدىً لخبطهم بغير هدى!»!

فمن العجيب أن يعتبر مثل هذا الاعتراف خروجاً عن الدين، رغم أن المعترفين به خمسمائة من علماء الإنجيل.

ومن ينكر ذلك عليهم، الدكتور بوست قائلاً: «وقد أنكر بعض الكفار قانونية هذا الإنجيل، لكراهم تعليمه الروحي، ولا سيما تصريحه الواضح بلاهوت المسيح».

ثم إن المؤرخين المسيحيين اختلفوا في تاريخ تدوين هذا الإنجيل.

فالدكتور بوست يرجح أنه كتب سنة (٩٥ - أو ٩٨) وقيل (٩٦) و«هورون» يتردد في تاريخه بين (٦٨ و ٦٩ و ٧٠ و ٨٩ و ٩٨).

إذن فليس هناك تاريخ محرّر لتدوينه، كأصل نسبته إلى يوحنا الرسول.

وكما أسلفنا: فإن الحنان البالغ إلى هذا الإنجيل ليس إلا لاختصاصه بين الأربعة بتصاريح التثليث وألوهية المسيح - التي اختلقها بولس وأتباعه فلم يكن المسيح قبل تدوين هذا الإنجيل إلهاً، وقد أصبح إلهاً أو آخر القرن الأول للميلاد - بعد صلبه! أو صعوده.

نظرة ثاقبة في الأناجيل بأسرها:

وأهم ما قيل هنا بالنسبة للأناجيل: مقالة المفسر الكبير الإنجيلي «هورن»^(١) حيث يقول: الحالات التي وصلت إلينا في باب زمان تأليف الأناجيل من قدماء مؤرخي الكنيسة منقطعة وغير معينة، لا توصلنا إلى أمر معين، وقد صدق المشائخ القدماء الأولون الروايات الواهية وكتبوها وأصبحت موضع القبول لمن خلفهم، تعظيماً لهم - وهذه الروايات الصادقة والكاذبة وصلت من كاتب إلى آخر، وتعذر نقدها بعد انتهاء هذه المدة^(٢).

ويقول وارد كاتلك في كتابه: صرح «جيروم» أن بعض العلماء من المتقدمين كانوا يشكون في الباب الأخير من إنجيل مرقس، وبعضهم كانوا يشكون في بعض الفقرات من الباب الثاني والعشرين من لوقا.

وعن المحقق «نورتن»^(٣): إن في إنجيل مرقس عبارة واحدة فحسب - قابلة للتحقيق، وهي: من الفقرة التاسعة من الباب الأخير إلى آخر الإنجيل.

(١) في ج ٤ من تفسيره ط ١٨٢٢ ينقله عن رحمة الله الهندي في ج ١ ص ٥٤ - إظهار الحق.

(٢) ويقول هورن في الباب الثاني من القسم الثاني من المجلد الرابع من تفسيره المطبوع ١٨٢٢م بعدما نقلناه عنه في المتن: الف الإنجيل الأول (متى) إما في سنة ٣٧ - أو ٣٨ أو ٣٩ أو ٤١ أو ٤٣، ٤٨، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، من الميلاد.

وإنجيل مرقس في: ٥٦ إلى ٦٥ والأغلب على أنه الف سنة ٦٠ إلى ٦٣.

وإنجيل لوقا: في - ٥٣، ٦٣، ٦٤ - .

وإنجيل يوحنا في: ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٨٩، ٩٨ ميلادية - انيس الأعلام - اظهار الحق ج ١ ص ٥٤.

(٣) في كتابه المطبوع في بلدة بوستن سنة ١٨٣٧ ص ٧٠.

وعن كلنل أنيكر صال الأمريكي^(١): «يعترف علماء الإنجيل أنهم ليسوا على يقين في نسبة الأناجيل الأربع إلى من تنسب إليهم، وأول ما يذكر هذه الأناجيل في التاريخ - ١٨٠ م».

ويصرح «كنت تilstوي»^(٢): «لا تحسبوا أنني أعتبر هذه الأناجيل الأربعة مقدسة ومعتمداً عليها، فإن ذلك محض الضلال بوضوح».

أجل إنه كتب عن تعاليم المسيح منذ القرن الأول للميلاد: كتابات كثيرة، وأما التي بقيت في أيدي الناس فليست سوى أضغاث أحلام وخرافات أوهام، لا يصح الاعتماد عليها.

ثم يستمر قائلاً: «ليعلم قارئوا كتابي هذا: أن أصل التعليم المسيحي مقدس، إلا أن هذه الكتابات الرائجة ليست مقدسة ولا من تعاليم المسيح عليه السلام».

ولم يوح روح القدس إلى الكنائس أي شيء من الإنجيل، رغم ما تدعيه الكنائس: أن كتاباتهم من وحيه - فليعلم القراء: أن العهد الجديد إنما ألف بعد أربعين سنة للميلاد، وقد اختلفوا في كيفية قراءته طيلة العهود الإنجيلية

(١) هو من أشهر المؤلفين المسيحيين في انكلترا - والمنقول هنا عن كتابه في ابطال التورات والإنجيل - ويقال بعدما انتشر هذا الكتاب - جاء مستر كلادستون وزير الخارجية في انكلترا يمنع المؤلف ولكنه لم يقبل منه (نقل عن كتاب هادي اليهود والنصارى تأليف العلامة المغفور له السيد هبة الدين الشهرستاني - كتبه بالفارسية عام ١٣٢٣ هـ شمسية).

(٢) من اكابر المؤلفين الأرثوذكسي ويكني في عظمته أنه جاء من مختلف الأقطار زهاء عشرين ألف برقية لتعزية اهله بعد موته وكان المعزون من كبار الشخصيات العالمية من السلاطين والوزراء وكبار الموظفين - والمنقول عنه هنا من مقدمة كتابه الموسوم بانجيل تilstوي (ينقله عنه العلامة المغفور له الشهرستاني في كتابه المذكور).

على / ٥٠٠٠٠٠ اختلافاً».

«فروع العهد الجديد غير الأربعة»

ثم إنَّ هناك أيضاً نظرات بالنسبة للكتب الفرعية من العهد الجديد، واليكم نماذج من نصوصها:

يقول «هورن»^(١) - ذلك المفسر الشهير الانجيلي - لا توجد في الترجمة السريانية: الرسالة الثانية لبطرس، ورسالة يهوذا والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا، ومشاهدات يوحنا - ومن الآية الثانية إلى الحادي عشر من ثامن يوحنا - والآية السابعة من الباب الخامس من رسالته الأولى.

وقال «وارد كاتلك»^(٢) عن «راجرس» - وهو من أعلم علماء بروتستنت - : إنه ذكر أسماء كثيرين من علماء فرقته: الذين أخرجوا الكتب المفصلة من الكتب المقدسة باعتقاد أنها كاذبة:

منها الرسالة العبرانية، ورسالة يعقوب، والثانية والثالثة ليوحنا، ورسالة يهوذا، ومشاهدات يوحنا.

وقال المحقق البروتستانتي: الدكتور بلس: إن جميع الكتب ما كانت واجبة القبول إلى عهد: يوى ييوس - ثم أصر على أن رسالة يعقوب ويهوذا، والثانية لبطرس، والثانية والثالثة ليوحنا، أنها ليست من تصنيفات الحواريين - ولقد كانت

(١) ج ٢ ص ٢٠٦ - ٢٠٧ ط ١٨٢٢ من تفسيره.

(٢) في كتابه المطبوع ١٨٤١ م ص ٣٧.

الرسالة العبرانية مردودة إلى مدة، والكنائس السريانية لم يعترفوا: أن الرسالة الثانية لبطرس - والثانية والثالثة ليوحنا - ورسالة يهوذا وكتاب المشاهدات، كانت واجبة القبول، وكذا حال سائر كنائس العرب.

وعن (الارذر)^(١): أن كنيسة أورشليم في عهده ما كانوا يصدقون كتاب المشاهدات، ولا يوجد في الفهرست القانوني، ثم قال^(٢): إن مشاهدات يوحنا لا توجد في الترجمة السريانية القديمة، ولم يكتب عليه: بارهي بوريوس، ولا يعقوب شرحاً، وترك (أي بدجسو) في فهرسته: الرسالة الثانية لبطرس، والثانية والثالثة ليوحنا، ورساله يهوذا ومشاهدات يوحنا، وهذا هو رأي السريانين الآخرين.

وأثبت (برويرايوالد) بشاهد قوى: أن إنجيل يوحنا ورسائله، وكتاب مشاهدات، لا يمكن أن تكون من مصنف واحد.

وعن (يوسى بيس)^(٣) أن (ديونيسيوس) قال: أخرج بعض القدماء كتاب المشاهدات: (مكاشفات) عن الكتب المقدسة، واجتهد في رده وقال: هذا كله لا معنى له، وأكبر حجب الجهالة وعدم العقل، ونسبته إلى يوحنا الحواري خطأً، ومصنفه ليس بحواري، ولا رجل صالح ولا مسيحي، بل نسبه (سرن تهنس) الملحد، إلى يوحنا، لكنني لا أقدر على إخراجه من الكتب المقدسة لأن كثيراً من الإخوة يعظمونه.

(١) في تفسيره - سرل - ج ٤ ص ١٧٥.

(٢) في ص ٣٢٣ من تفسيره.

(٣) في الباب ٣ من الكتاب ٣ من تاريخه.

وعنه أيضاً^(١): أن الرسالة الأولى لبطرس صادقة إلا أن الثانية له لم تكن داخلة في الكتب المقدسة في زمان ما، لكن كانت تقرأ رسائل بولس الأربعة عشر، إلا إن بعض الناس أخرج الرسالة العبرانية.

وعنه أيضاً^(٢)، قال: قال «ارجن»^(٣) في حق الرسالة العبرانية: إن بولس ما كتب شيئاً إلى جميع الكنائس، والذي كتبه إلى بعضها لم يزد عن سطرين أو أربعة سطور».

أجل إن هذه الكتب كانت مشكوكاً فيها منذ القرون الأولى، وبعدئذ حتم مجلس شورى الكنيسة الإنجيلية الاعتراف بها، ومن ذلك ما عن جيروم في مقدمته على كتاب اليهوديت:

أن سبعة كتب، وبعض الفقرات مما ادعي تواتره، قد كانت مشكوكاً فيها، فانعقد مجلس العلماء الإنجيليين لتحقيق أمرها، بأمر السلطان قسطنطين في بلدة نائس: (نيقية) سنة ٣٢٥م، فلم يتحقق، وهي: رساله العبرانيين، وبطرس الثانية، ويوحنا الثانية والثالثة، ويعقوب، ويهوذا، ورؤيا يوحنا.

قال: ثم انعقد مجلس لوديسا: «لاوديقية» سنة ٣٦٤م - فاوجب تصديق الكتب الستة الأولى وأبق السابع: رؤيا يوحنا، على الشك، إلى أن انعقد مجلس كارتيج: (قرطاجنة) سنة ٣٩٧م، فصدق رؤيا يوحنا.

(١) في الباب الثالث من الكتاب الثالث من تاريخه.

(٢) في الباب ٢٥ من هذا الكتاب.

(٣) في المجلد الخامس من شرح إنجيل يوحنا.

الكتاب المقدس بصورة عامة:

الدكتور بست يتكلم حول العهدين:

إن الكتاب المقدس هو مجمع الكتب الإلهامية، إلا أنه لم يصل إلينا شيء من النسخ الأصلية التي كتبها الملهم إليهم أو كتّابهم، بل إن الواصل إلينا ما هي إلا نسخ أخرى، مأخوذة عن الأصل.

أما العهد القديم العبراني: الذي بين أيدينا، فأخوذ عن النسخة المسورية، وهي ما جمعتها لجنة من اليهود في طبرية، وفي مسورة، في وادي الفرات، من القرن السادس، إلى الثاني عشر للميلاد...

والمسوريون حرّموا النسخ التي تخالف نسختهم، فلذلك لا توجد نسخة عبرانية قديمة وإن أقدمها لا يتقدم على القرن العاشر، أي: في أواسط حكومة الفاطميين.

أقول: وشاهداً على اختلاف التورات الموجودة، عن الأصل الذي كان قبل القرن الثاني عشر، ما ينقله: غريغوريوس: (المؤرخ الانجيلي الشهير) الذي كان في القرن نفسه - ينقل في بعض كتاباته عن كتاب دانيال: عبارات تختلف عن الموجود عندنا، اختلافاً كلياً، وهي ما يلي:

«وأما الحجر المنقطع من جبل، من غير يد قاطعة، فدليل ملك روحاني مبيد كل معبود، سوى الواحد الحق، يظهر في آخر الأيام، فخر بختنصر ساجداً لدانيال، وأعطاه الألفاظ والهدايا، ورأسه على جميع حكماء بابل».

ولكن الموجود حالياً كما يلي: «وفي أيام هؤلاء الملوك، يقيم إله السماوات

مملكة لن تنقرض أبداً، وملكها يتركب لشعب آخر، وتنسحق وتفتى كل هذه الممالك - وهي تثبت إلى الأبد، لأنك رأيت أنه قد قطع حجر من جبل (لا بيدين) فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب - الله العظيم قد عرف ما سيأتي بعد هذا الحلم حق، وتعبيره يقين (٤٦) (١).

أقول: لما كان عصر هذا المؤرخ قريباً جداً من جمعية الطبرية ومسورة - وقد حرمت سائر نسخ التورات - فالمؤرخ أخذ هذه العبارة من النسخة المحرّمة، وأنت ترى: أن جمعية طبرية أسقطت أهم ما في العبارة المتقدمة وهي: «فدليل ملك روحاني مبيد كل معبود سوى الواحد الحق يظهر في آخر الأيام».

وما ذنبها - إذ حرفت وأسقطت - إلا دلالتها على انقطاع ملك إسرائيل بهذا الملك الروحاني، لأنه ينطبق على رسول الإسلام ﷺ.

وُلتر (٢): والكتاب المقدس: يقول في بعض اعتراضاته على الكتاب المقدس: «من أوضح العلوم العامة: التي لا بد أن يعرفها كل أحد، هو فن الحساب، ومع ذلك نرى الكتاب المقدس يخطأ في الحسابات البسيطة أقيح الأخطاء - ثم يعد من ذلك موارد عديدة».

(١) غريغوريوس هذا المشهور بابن العبري ولد في ١٢٢٦م يذكر ما نقلناه عنه في كتابه مختصر تاريخ الدول - وقد طبع في بيروت في المطبعة الكاثوليكية.

(٢) VOLTER الفيلسوف الشهير الفرنسي الديني وكلامه التالي في وجوب التمسك بالدين معروف: الدين ضروري وهو للألفة رباط مقدس وللشر لجام كالح وللخير وجاء صالح الخ. ان ما نقلناه من ديكسونر ولتر.

حصيلة البيئة الإنجيلية!

يا صاحبي الروحي المدير! فهذه البيئة المتدهورة القلقة التي مرت مع الزمن على الإنجيل! هي التي فسحت المجالات الواسعة لتدخل الخرافات الوثنية والإلحادية في التعاليم المقدسة الإنجيلية، فضيقت على المسيح تعاليمه النيرة عبر القرون، إلا من هداه الله!

ذلك - لا في القرون الأخيرة المتوسطة فحسب، بل أخذت البدع الهدامة، وشقى جوارف الأهواء، تقضي على إنجيل المسيح، وتهوي به إلى هوة النسيان - منذ القرن الأول - من حين رفع المسيح إلى السماء، فظل المسيح غير المسيح! وإنجيله غير إنجيله! اللهم إلا في الإسم.

ومن هذه الأحداث المخزية: افتعالات بولس القديس! الذي تعتبرونه من أمتكم الأولين، وهو ألد الخصام للمسيح عليه السلام!

حينذاك أخذت المدير والطالين، رعشة وضراوة، قائلين: فماذا يبقى بعد ذلك؟ إذا لا إنجيل ولا قديس...!

يا أستاذ! كيف تنال من ساحة القديس بولس! وهو الذي خدم المسيحية خدمة هامة ما لها من فواق، إنه: حياة أمتنا، وزهرة حياتنا وغاية عزنا - إنه: يمثل المسيح كما هو كأنه هو!

أجل: إن له شأنًا في المسيحية، فهي تنسب إليه أكثر مما تنسب لأحد سواه، فرسائله هي التي تشرح المسيحية، ولقد كان بنشاطه الجمّ، وتطوافه في الأقاليم مشرقاً ومغرباً، لا يستقر في مكان على نية الإقامة فيه، بل على قصد في الرحيل إلى

غيره - إنه أشد وأكبر دعائنا - وقد إقتفينا خطاه، وتعرّفنا أخباره وأقواله: ما دوّنه
منها في رسائله، وما ألقاه في الجموع وتناقلوه وإن لم يدونه هو، وتأثرنا بأعماله،
وحذونا حذوه، وسلكننا مسلكه، ونعتبره القدوة الأولى، إذا فكيف تندد به وتناول
منه يا أستاذ!!!

قلت: مهلاً يا أصحابي! فهذه اعمال الرسل تذكر القديس بذكريات سوء: فقد
بلغ به الفتق والحرق أن عجز عن رتقه الراقع...

«بولس ناقض الشريعة في اطار تاريخى مسيحي»

إنّ بولس كان يهودياً، فارتاض حسب القواعد «الفريسية» ارتياضاً شاقاً، فازداد بذلك عداوة وضاووة على المسيح، وعلى تعاليمه النيرة، ولم يؤمن به قبل صعوده (١ع ٨: ٣ و ٢٤: ٩-١١).

ثم بعد أن اهتدى وآمن بالمسيح بعد رفعه! عرّفه برنابا القديس للحواريين (١ع ٩: ٢٧).

ولما سافرا سفرتهما الثالثة إلى أورشليم، إختلفا وتنازعا، فأدى ذلك إلى مفارقتها (١ع ١٥: ٢١-٣٠).

لذلك: إن برنابا القديس - أول تلاميذ المسيح - يصرح في إنجيله بانحراف بولس الرسول! حيث يقول:

«بعد أن إنطلق يسوع، تفرقت التلاميذ في أنحاء إسرائيل والعالم المختلفة، أما الحق المكروه من الشيطان فقد اضطهده الباطل كما هي الحال دائماً، فإن فريقاً من الأشرار المدعين أنهم تلاميذ - بشروا بأن يسوع مات ولم يقيم - وآخرون بشروا بأنه مات في الحقيقة ثم قام - وآخرون بشروا ولا يزالون يبشرون بأن يسوع هو ابن الله وقد خدع في عدادهم بولس. أما نحن: فإنما نبشر بما كتب الذين يخافون الله

ليخلصوا في اليوم الأخير لدينونة الله - آمين» (٢٢٢: ١ - ٣ برنابا).

أجل: إن بولس هذا، كان في بادية حياته من ألد أعداء المسيحية وأشدهم كيداً عليها، وأكثرهم إمعاناً في أذى معتقياً، وقد يدل على ذلك تصاريح كثيرة في سفر الأعمال كما يلي:

«وحدث في ذلك اليوم اضطهادٌ عظيم على الكنيسة التي في أورشليم فتشتت الجميع في كور اليهودية والسامرة ما عدا الرسل، وحمل رجال أتقياء استفانوس، وعملوا عليه مناخة عظيمة.

وأما شاول: (بولس) فكان يسطوا على الكنيسة وهو يدخل البيوت، ويجر رجالاً ونساء ويسلمهم إلى السجن» / ٨٤١/.

وفي أول الأصحاح التاسع: «أما شاول: (بولس) فكان لم يزل ينفث تهديداً وقتلاً على تلاميذ الرب، فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق - إلى الجماعات، حتى إذا وجد أناساً من الطريق رجالاً أو نساءً - يسوقهم موثقين إلى أورشليم».

نفاق عارم في إيمان بولس:

هذا: وبالرغم منه، يقول سفر الأعمال: إن ذلك الرجل - الذي كاد للمسيحية هذا الكيد - وآذى أهلها ذلك الأيذاء، قد انتقل فجأةً بعد صلب المسيح: انتقل من الجبب والطاغوت إلى المسيحية من غير مقدمات ولا ممهديات مهدت له هذه السبيل:

بولس يشهد لنفسه بالرسالة!

ففي الاصحاح التاسع: «في ذهابه حدث: انه إقترَب إلى دمشق، فبغتةً أبرق حوله نور من السماء، فسقط على الأرض، وسمع صوتاً قائلاً له:

سأول! سأول! لماذا تضطهدني؟ فقال: من أنت يا سيد؟ فقال: أنا يسوع الذي أنت تضطهد، صعب عليك أن ترفض مناخس، فقال وهو مرتعد متحير: يا رب! ماذا تريد أن أفعل؟ فقال له الرب: قم وادخل المدينة، فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل».

إذاً فهل يطمئن عاقل منصف: أن بولس، هذا الذي لم يؤمن بالمسيح عيسى وقد رأى معجزاته وآياته البيّنات - أنه آمن به بعد صلبه! وهل هذا إيمان نفاق ليهدم به المسيحية كما هدم، ولينقض التورات ونواميس الأنبياء كما نقض؟ وبما أن اعمال الرسل - كما تقدم - من كتابات بولس نفسه - فلا سناد له في إيمانه كذلك إلا ادعائه نفسه، فإن يريد الإيمان بالمسيح فلماذا لم يؤمن به قبل صعوده؟ بل وكان يعانده ويعذب المؤمنين به! وإن كان يسوع يحبه، ولذلك دعاه هكذا للإيمان - وليبلغ درجة الرسالة - فلماذا أبطأ عن هذه الدعوة الصالحة إلى أن رفع المسيح؟ فهل هذا إلا ليكون سناده في إيمانه - المخارق للعادة - ادعائه نفسه فحسب؟!

بولس ينتصر للقضاء على المسيحية!

«دخل بولس إذا ذاك في المسيحية! وحاول أن يتصل بتلاميذ المسيح ولكنهم أوجسوا منه خيفة، ولم يصدقوا إيمانه، فاخذه برنابا وأحضره إلى الرسل»
/ الاصحاح التاسع / !!!

ثم إنه ليس هنا ذكر ما يدلنا أن بولس ممن تلقى مبادئ المسيحية؟ ولعلمهم يعتقدونه غير محتاج إلى التلقي! حيث انتقل من رتبة الكافر المناوئ، إلى مرتبة الرسل في المسيحية، وصار مُلهماً - ينطق بالوحي في زعمهم - فلم يكن بحاجة إلى التعلم والدراسة، لأن الوحي كفاه مؤنة الدرس ومتاعبه!

ذلك: بالرغم مما دله المسيح في تجليه له!؛ «ادخل المدينة - فيقال لك: ماذا ينبغي أن تفعل».

وظاهرة تعاليمه الصوفية العارمة المناقضة لشريعة العمل وناموس الأنبياء، إنها تدلنا أنه لم يطبق أمر المسيح في زعمه، وإنما اكتفى بما عنده من التصوف، وقد آمن بالمسيح للدعوه إلى التصوف العارم ليس إلا!

رمز السلطة البولسية:

لقد أخذ بولس في التطواف في الأقاليم: ينشيء الكنائس، ويقوم بالدعاية، ويلقى الخطب، ويكتب الرسائل، حتى أن رسائله كانت هي الرسائل التعليمية، بما اشتملت عليه من مبادئ: في الاعتقاد وبعض الشرائع العملية.

«والذي يستخلص من أحواله وأقواله التي دونت في رسائله في سفر أعمال الرسل: أنه إمتاز بصفات ثلاث جعلته في الذروة من الدعاة إلى المبادئ والعقائد:

- ١ - كان نشيطاً، دائم الحركة، ذا قوى لا تكلُّ وذات نفس لا تملُّ.
- ٢ - كان ألعياً، شديد الذكاء بارع الحيلة، قوى الفكر، يدبر الأمور لما يريد، بدهاء الألعى، وذكاء الأورعي، يسدد السهام لغاياته ومآربه فيصيبها.

٣- كان شديد التأثير في النفوس، قوي السيطرة على الأهواء، قديراً على انتزاع الثقة به ممن يتحدث إليه.

وبهذه الصفات الممتازة استطاع أن يجعل نفسه محور الدعاة للمسيحية وقطبهم، وأن يفرض ما ارتآه على المسيحيين: فيعتنقوه ديناً، ويتخذوا أقواله حجة، زاعمين: أنه رسالة أرسل بها.

وبها استطاع: إحتلال المنزلة الأولى بين التلاميذ، وقد كان بلائهم وكيد الشيطان بينهم!

وبها استطاع أن يحملهم على نسيان ماضيه، وأن يندغموا في شخصه، حتى يصير هو كل شيء، وهم لا يستطيعون رد قوله في الجاهير، وحتى لقد صارت المسيحية المحاضرة مطبوعة بطابعة منسوبة إليه^(١).

ظروف التصوف البولسي:

ولقد استفاد بولس من هذه الصفات، ومن حداثة عهد الناس بالمسيحية، ومن ميولهم الذاتية إلى ترك الأعمال الإيجابية الدينية، من كل ذلك: استفاد في نشر بدعه باسم المسيحية - واليكم نماذج من تعاليمه كما يلي:

معاركة بولس مع المسيح في التشرييع العملية:

... إن في تعاليم القديس! بولس ألواناً من التصوف العارم: حيث يقضي على

(١) بين الهالين من محاضرات الاستاذ أبو زهرة.

تعاليم المسيح وشريعة التوراة بكل صراحة قائلاً:

«تلكم الشرائع العملية التي تدعو إليها التورات، إنها نسخت بعد صعود المسيح (غلا ٣: ٢٤ - اف ٢: ١٥ عب ٩: ١٠ و ١: ٢٢ - ٢٢).

والشريعة الموسوية غير واجبة على أمة المسيح، حيث إنهم تحت التوفيق (روم ٤: ١٤ و ٧: ٤ و ٦ - غل ٣: ١٣ و ٢٥ و ٥: ١٨).

والإنسان يتبرّر بدون أعمال الناموس (روم ف ٢٨).

وأما الآن فقد تحررنا من الناموس، إذ مات الذي كنا ممسكين فيه، حتى نعبد بجدّة الروح لا بعنق الحرف / روم ف ٦ /».

ذلك: في حين يصرح المسيح عليه السلام: بدوام الشريعة وناموسها قائلاً: «لا تظنوا أنني جئت: لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض، بل لأكمل. فإني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل^(١)، فمن نقض هذه الوصايا الصغرى، وعلم الناس هكذا، يدعى أصغر في ملكوت السماء... / مت ٥: ١٧ - ١٩ /».

وفي: / ١ - يوحنا ٣: ٤ / من جاوز شريعة الله فقد اقترف اكبر المعاصي والمخازي».

فما أكرم المسيح وأعلمه بالأحداث المستقبلية! حيث يخبر في هذه الآيات

(١) رغم بعض التخيلات: لا يريد المسيح بـ «الكل» هذا خلود شريعة التوات - بل القصد من ذلك: أن يؤكد أنه ما جاء لنقض الناموس أي شريعة التورات - فبالإمكان أن تزول السماء والأرض في شريعة الإنجيل ولكن لا تزول شريعة التورات فيها قط.

المنيرة عما سوف يحدث من البدع الهدامة، من بولس القديس! وغيره - ثم ما أشبه المعني من اسم بولس: (الصغير)^(١) وعمله الأصغر في الملكوت!

بولس يهدد العاملين بشريعة الناموس!

إن هذا القديس! لا يقتنع بنسخ الشريعة العملية للتورات وأسفار الأنبياء فحسب، بل ويهدد العاملين بها، ألا خلاق لهم من المسيح قائلاً:
«أنا بولس - أقول بصراحة: لأن تختنوا لن ينفعكم المسيح حينذاك - وإنني لأشهد عليه أنه رهين عمل الشريعة (في رسالته إلى أهل غلاطية).
«فلا الختان يحسب بشيء في المسيح ولا عدمه، وإنما: الخلقه الجديدة (غلا - ٦: ١٥)».

يشير بذلك: «أن تفدية المسيح، وتضحيته الصليبية! إنما ترفع اللعنة عن تاركي الشريعة إذا لم يختنوا، في حين أن التورات تصرح: بأيديكم حكم الختان - وأنه عهد الله وآيته - في ذرية إبراهيم عليه السلام (لا ١٢: ٣).
وقد يصرح القديس!: أن المسيح لعن بعذاب الصليب - وعُذِّب بدلاً عن أمته - فلا تلحقهم لعنة ترك الشريعة، حيث حمل أوزارهم كاملة على عاتقه مع الأبد، لأنه قد كتب في التورات (تث ٢١ - ٢٣): كل من صلب فهو ملعون الرب (غل ٣: ١٣).

فهذا بولس! وذياك طرف يسير من مخازية وافتعالاته على المسيح

(١) بولس كلمة عبرانية معناها الصغير.

وتعاليمه عليه السلام، يأمر فيها بترك الناموس وشرائع الأنبياء! وليت شعري أي إيمان يكون إلا بالكتب السماوية، وتصديق أنبياء الله؟ وهل عرفنا الإيمان إلا بالناموس، الذي هو من أوامر الله تعالى؟

وبولس - ذلك العدو الضاري للمسيح والأنبياء - يؤكد في دعاياته الزور: أنه بعد أن غابت شمس المسيحية برفع المسيح عليه السلام، يرجع الناس لما كانوا عليه من الخطايا، فتغلب عليهم الشهوات، ويتركون الناموس الإلهي، ويكتفون باعتقاد القلب لا بقشر الأعمال الجسدانية، فلا الختان يحسب بشيء في المسيح ولا عدمه، ولعنة الناموس تشمل من يختن ويعمل بالناموس!!!

الصبغة البولسية في الأناجيل:

وقد نلمس من موقع القديس! عبر القرون المسيحية، في قلوب الأجيال، أن الأناجيل الأربع وغيرها - المنسوبة إلى الحواريين، ليست هي من تأليفهم، وإنما تصغت بالصبغة البولسية وألوانها، وكان حقاً عليهم أن يرتضوه إمامهم القديس الأول! حيث استراحوا على ضوء تعاليمه المريحة - عن كل عمل إيجابى بالنسبة للشريعة - إلا الإعتناق بأكذوبة الأقانيم وألوهية المسيح! حيث يعتقد:

«أن الله جمع الشريعة في اعتقاد الثالوث القدوس، والاعتقاد بنوّة المسيح وألوهيته وصلبه، وحب الجيران كما تحبون أنفسكم...!

وأن المسيح جمع الشريعة في حب الله والجيران (مت ٢٢: ٣٧ و ٤٠).

بولس في نظرات علماء الإنجيل:

وهناك يقول: «ارتست دي يونس» الألماني - في كتاب: «الإسلام» «إن روايات الصلب والفداء، من مخترعات بولس ومن شابهه من المنافقين».

ومضافاً إلى هذه التصريحة من ارتست دي يونس الألماني - في نفاق بولس - هناك نفر منهم يزيفون موقفه الديني وكما يلي:

«رونكليس» وغيره من علماء بروتستنت يعتقدون: أن مكاتيب بولس ليست كلها مقدسة، حيث وقع في الكثير منها أغلاط عارمة.

«ميكدي برجنس»: ينسب أغلاطاً كثيرة إلى الحوارين ولا سيما بولس.

ويقول أتباع «كالوين» في نقل «زنكيس»: لو أن بولساً أتانا في جينو ووعظنا أمام كالوين - لتركنا قوله وأخذنا بقول كالوين.

ومن مقالات بعض الكبار من العلماء التابعين للوطر: نتمكن أن نشك في بولس، ولكننا لا نشك في لوطر^(١).

فهذه وما إليها بدع مزقت شريعة الإنجيل والتورات - وهي البدع الفلسفية، والأخلاقية، والمتعلقة بطبيعتي المسيح، وبدع المجادلة، والبدع الصورية أو العادية.

فبدع الفلسفة:

ظهرت في عهد الحوارين وبولس، وأولها بدعة «الفنوسيين» وقد مزجت

(١) هذه الأقوال نقلها عن انيس الاعلام لفخر الإسلام - قسيس كبير مسيحي أسلم وحسن إسلامه وألف هذا الكتاب القيم رداً على المسيحية باللغة الفارسية.

هذه الطائفة: الفلسفة بأصول الدين - حتى جعلوها شيئاً واحداً، ورفضت شريعة موسى عليه السلام.

وأما بدع الأخلاق:

فن أصحابها «التقلاويون» الذين ظهوروا في القرن الأول بعد الميلاد، وكانوا يقربون الذبائح للأوثان، ويتمرغون في أقبح الفواحش، لأنهم زعموا: أن كل من عرف الله والمسيح نجي وفاز، كما مضى من بولس حيث قال: الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس.

ومن أصحاب هذه البدعة: فرقة المونتانيوسية: أصحاب «مونتانيوس» الزاعم أنه بعث ليكمل للناس الآداب التي جاء بها المسيح!

وأما البدع المتعلقة بطبعتي المسيح:

فقد كان منشؤها بين القدماء المسيحيين، وأهم مباحثهم في ذلك هو التثليث، كما اختلقه بولس وفقاً للعقائد الوثنية من قبل.

وأما بدع المجادلة:

فن أصحابها البيلاجيون: أصحاب بيلاجوس البريطاني - ورفيقه «سلستيوس الارلندي» وكانا راهبين في رومة... وما إلى ذلك من بدع تبدء من بولس وحزبه.

وقد يصرح بطرس رئيس الحواريين في آخر رسالته الثانية: أن بولس، حرر برسالته ألفاظاً عسرة الفهم وتحرفت بواسطته أناس غير ثابتين - كما حرفوا باقي الكتب، ومثله ما كتبه يهودا الحوارى.

أيها المدير! فهذه بيئة إجمالية من العهد الجديد، وتلوّنه بالألوان البولسية الإلحادية الكافرة، فما لكم إذ ذاك من كتاب تدرسونه من المسيح عليه السلام! إلا شكوكاً وأوهاماً متدخله خليطة بالوحي الإنجيلي!

والقرآن الكريم إذ يريد الذود عن ساحة الوحي، يزيّف المقالات الوثنية والإلحادية، المتدخلة في الكتب المقدسة، في حين أنه يصدق ما فيها من الوحي الإلهي قائلاً:

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ (٥: ٤٨).

يعني بذلك: أنه محيط على كتب الوحي، ذائداً حافظاً رقيباً عليها، فهو إمام عليها حفيظ، يصدق ما فيها، ويزيّف زيف ما ينال من ساحتها!

إنجيل برنابا القديس

اجل وإن هناك بين الأناجيل: ما يمثل إنجيل المسيح ويصدق القرآن تماماً وها هو إنجيل القديس برنابا الحوارى! بالرغم من خمول ذكره فيكم، لاشترائه مع إنجيل المسيح في ذنبه: أن جاء بالصدق وصدق المرسلين، وأن القديس! بولس واصحابه، لا يرضونه حاكماً على الأجيال المسيحية، لأنه لا ينسجم وتصوفه العارم!

ذنوب هذا الإنجيل!

- ١- لا يعتبر المسيح ابن الله ولا إلهاً.
- ٢- أن الذبيح الذي تقدم به إبراهيم الخليل عليه السلام للفداء، يعتبره أنه اسماعيل وليس باسحاق.
- ٣- أن مسيا المنتظر فيه، ليس هو المسيح، بل محمد عليه السلام، وقد ذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم باللفظ الصريح في تصاريح وفصول ضافية الذلول.
- ٤- هذا الإنجيل يبين: أن المسيح لم يصلب، ولكن شبهه لهم فألقى الله شبهه على من سلمه للصليب: يهوذا الأسخر يوطي.
- ٥- أنه لا يقضي على شريعة التورات وسائر التشريعات العملية، حاصراً لها بعقيدة التثليث! وأنها وحب المسيح هما المنجيان! كما هما من مختلقات بولس، وقد لونت الأناجيل الأربع بصوفيته العارمة الضالة!
- ولسوف نعلم أن إنجيل برنابا ولد صالح من إنجيل المسيح - قام من دفنه بعد قرون، وحقيق لكم أن تقيموا التعازي على فقد المسيح وإنجيله - لاله فحسب - بل وإنجيله - حيث إن كتاب كل نبي إستدامة لحياته بعد موته أو إنقطاعه عن أمته...

نوح دامي على المسيح وإنجيله:

- فإلينا لنشترك في النياحة والبكاء على المسيح وإنجيله:
- ... هاه أمها النبي الكريم! يا مسيح الرب وروح القدس!
- تالله إنك أول المظلومين، حيث قضت عليك الصهيونية الكافرة بالإبتعاد عن

أمتك، فرفعك ربك عنهم وطهرك منهم - .

ثم استدامت أمتك بما زعمت اليهود من قتلك وصلبك.

فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون!

هاه! أيها الإنجيل المقدس!.. ما ذنبك أن تركت وراء الأمة المسيحية ظهرياً؟!

يا هلال الوحي، ما كان أقصر عمرك! أقبيل البدر تنمحي! أقبيل الموت

تُدفن!

فقبحاً لمن دفنك! وبؤساً وبعداً لبولس قاتلك والقاضي عليك ولأمثاله!

يا روح القدس وقرّة عينه!

عميت عين الساخطين عليك، وشلّت أيدي المزيقين إياك، وخسرت اكف

المحرفين عليك...

إنجيل برنابا القديس:

أصحابي! رجاءً ان تعذروني في نوحى وأنيبي، أن بدّل حُلُولكم مُرّاً، فعما

قليل ستصبحن فرحين!

إن هناك برنابا القديس: أفضل تلاميذ المسيح - ينطق عليكم بالحق وإنجيله

لحقيق للمقارنة بينه وبين التورات والقرآن، وأنه الصلة المقربة بيننا وبينكم...

فهوذا برنابا يكتب الإنجيل بأمر المسيح قائلاً:

«يا برنابا! عليك أن تكتب إنجيلي حتماً وما حدث في شأني مدة وجودي في

العالم - واكتب أيضاً ما حل بيهوذا - ليزول إنخداع المؤمنين - ويصدق الحق كل أحد،

حينئذ أجب الذي يكتب:

إني لفاعل ذلك إنشاء الله يا معلم! ولكن لا أعلم ما حدث ليهودا لأنني لم أر كل شيء، أجب يسوع: ههنا يوحنا وبطرس - اللذان قد عاينا كل شيء، - فهما يخبرانك بكل ما حدث» / برنابا ٢٢١: ١ - ٥ /.

فما أعلم المسيح بما سوف يحدث من المعارك عليه في إنجيله - فاحتاط لذلك حفظاً على أمته، وأمر بعد رفعه أن يكتب برنابا كلما حدث - وضم إليه يوحنا وبطرس، يدلانه على ما ربما زوى عنه... فأحسن به وأجمل!
آنذاك نهض المدير قائلاً:

وي - كأني ما قرع سمعي لحد الآن - إنجيل برنابا - أجل إلا قريناً بالتزييف فكيف تعتبرونه الإنجيل الوحيد: الذي يحق نسبته إلى الوحي دون تدخّل - أم كيف تجتمع المسيحية على إبطال الحق وتحقيق الباطل وتصديقه على أنفسهم؟
فمن الآن أرجوكم أن تعذروني في التساؤل عنه وما إليه من البحوث الإنجيلية، حيث كلّ البصر واعتل النظر! فرجاء أن تشرفوا قسيسنا الكبير عميد الكنيسة الإنجيلية في هذا الشارع، ونحن ملتزمون بالخدمة - بكل تبجيل واحترام!^(١).

* * *

(١) تذكّار: جذور البحث في هذه الحفلات إنما جرت في المناظرة وهناك زيادات فرعية مما قيل أو يمكن أن يقال أضيفت إليها في هذا الكراس إتماماً للمناظرة لمريدي التحقيق.

الحفلة الثانية

الآراء حول إنجيل القديس برنابا:

... إلتقينا بعميد الكنيسة الإنجيلية، وكان يعرفني من بعيد، تلوما أرسلت إليه كتابي: بشارات العهدين^(١).

فاستعرض المدير نماذج مما جرى قبل ذلك بيننا في الحفلة الأولى، كي تكون الثانية ذات علاقة بالأولى، حتى إذا سمع العميد كلمة «برنابا» فأخذ يقول:
أستاذ! هذا خروج عن بيئة المناظرة إلى حالة التهكُّم، أن تحتجوا علينا بإنجيل: كأنه نسخة ثانية من القرآن! فهو إنجيل قرآني مفتعل، إختلقه رجل محمدي! ثم ألقاه على عواتقنا، وشاهدنا على ذلك، البشارات الصريحة المتوفرة فيه على محمد وإستنكار توحيد التثليث والصليب، وما إليها من الأصول العريقة الإنجيلية!

(١) هذا الكتاب القيم ألفته سنة ١٣٣٢ هجرية شمسية - جامعة للبشائر المودوعة في كتب الانبياء على نبينا محمد ﷺ - ونقلنا إلى العربية بزيادات في كتابنا «رسول الإسلام في الكتب السماوية».

هل إن إنجيل برنابا ألف قبل الإسلام أم بعده؟

قلت: وإن تعجب فعجب قولكم: إنه إنجيل محمدي! كيف وقد ألف قبل الإسلام بقرون! فمن المؤكد أنه لم يكن معروفاً عند المسلمين في غابرههم ولا حاضرهم، لأن شتى المناظرات بينهم وبين المسيحيين كانت قائمة عبر الأزمنة، ولم يُعرف حتى الآن: أن أحداً من المسلمين إحتج على مناظره المسيحي بهذا الإنجيل - مع أن فيه الحجّة الدامغة، التي تُفلج الخصوم! - فإن كان للمسلمين فيه يد فما بالهم لا يعرفونه؟ ولا منه أثر فيما ألقوه احتجاجاً عليكم! ولم يستوحوا منه ما كانوا يتطلبونه من بشاراته! بل تركوها ونسوها عبر القرون الخالية، حتى بلى جسمه ومحي رسمه، إلى أن نبشوا قبره بين المقابر الإنجيلية، في الأجواء المسيحية الخالصة! ثم إن كان كما تقولون ولن يكون! فإله يختلف عن تصاريح القرآن في جملة من مواضعه^(١) وآياته القويمة تشهد ليراعة ونبوغ مؤلفه؟ أفهل نابغة روعي من علماء الإسلام يجهل تلك التصاريح المخالفة لقرآنه!

بيئة إنجيل برنابا عبر القرون؟

متى ألف ومن ألفه ولماذا احتجب؟

(١) كما في الفصل ٣ - أن مريم ولدت المسيح دون الم - والقرآن يصرح: فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة وفي / ٣٥: ٦ - ١٤ / وأن الله أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم قبل أن ينفخ فيه الروح والقرآن يصرح: ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾، ومن ذلك إعجاز المسيح في تبديل الماء بالخمرا وما إليها من شذاذ تختلف عن تصاريح القرآن - ومع ذلك كله فهذه أغلاط قليلة قد يعنى عنها قبالة هامة الحقائق المودوعة فيه...

ذكريات وجوده قبل الإسلام:

١ - تذكر دائرة المعارف الانجليزية^(١) أن البابا «جلاسيوس» الأول^(٢) أصدر حكماً قاطعاً: أن ترك الأناجيل التالية سدىً في الأقطار المسيحية.
«إنجيل برنابا الحوارى، إنجيل تدويس، إنجيل جيمس، إنجيل برتولوماس، إنجيل أندريو».

والبابا جلاسيوس قد جلس على عرش البابوية في عام ٤٩٢م (اي ١١٨ سنة قبل الإسلام) فهل كان إذ ذاك إسلام ومسلم كي يؤلفه؟ فيؤمر بتركه لهذه الفرية: أنه مفتعل إسلامي! والبابا جلاسيوس إذ يحكم هكذا، فقد سار على سنة أسلافه البولسيين، وجرى على سنة من بعده من أخلاف! دوفا ذنب لهذا الإنجيل إلا اختلافه عن الصوفية الكافرة البولسية!
إذ ذاك فإنجيل برنابا كان معروفاً متداولاً قبل بعثة النبي ﷺ بأكثر من قرن.

٢ - نفس المصدر يذكر إنجيل برنابا وإنجيل المسيح في عداد الأناجيل التي كانت معمولة منتشرة في القرون الأولى للميلاد كما أسلفنا.
٣ - نص الماروني في ذخيرة الألباب: أن الأناجيل المعروفة المتداولة قبل هذه الأربعة كانت عشرين انجيلاً، ومنها إنجيل برنابا الحوارى.

(١) في: ط ١٣ ص ١٨٠ ج ٢ - تحت عنوان ابو كريفل لتريجر: APOCRIYPHL LITRATURE
(٢) GELASIUS جلاسيوس الاول / ٤٩٢ - ٤٩٦ / ولى بعد فيليكس الاول وامتنع عن العشاء الرباني لأوفيموس بطريك القسطنطينية... وعقد مجمعاً في رومية سنة ٤٩٤م / نظم فيه قانون الكتب المقدسة.. (بستاني).

برنابا وبطرس البستاني:

٤- ومن أهم ذكرياته ما يذكره «بطرس البستاني» في دائرة المعارف، في ترجمة برنابا الحواري، ومن ذلك ما يلي^(١):

برنابا^(٢) معلم مسيحي، اسمه الأصلي جوسي أو جوزف، ثم لقب برنابا وهي كلمة سريانية معناها ابن النبوة والإنذار وابن التعزية.

ولد في قبرص من أبوين يهوديين، وكان له ملك فباعه ودفع ثمنه لصندوق المسيحيين العمومي، وإذ كان ذاك بعد عيد العنصرة بزمن قليل جداً، يكون برنابا من أقدم المرتدين إلى الديانة المسيحية، وإنما لقبوه برنابا لفصاحته، كأنه هي نفسها في وعظه!

ومن جملة احواله أنه حاول التبشير في مجمع سلاميس، فجروه إلى الخارج ورموه حتى مات، وأنه حاول جماعة إحراق جسمه فحبط مسعاهم، وأن مرقس خلّص الجسد ودفنه في مغارة فثار اضطهاد تفرق به المسيحيون ففقد مكان دفنه.

والكنيسة الكاثوليكية تقوم باحتفال عيده في ١١ حزيران، وتدعي كنيسة «تولون» بأن جسده عندها، ويدعي ثمانية أو تسعة كنائس آخر: بان رأسه موجود فيها.

ثم يستمر قائلاً:

ورسالة برنابا يقال: إن كاتبها القديس برنابا وقد عرفت في أوائل الكنيسة

(١) دائرة المعارف للبستاني ج ٥ ص ٣٦٢ - ٣٦٤.

(٢) BARNABAS.

المسيحية واقتبس منها مراراً أكليمنضس الاسكندري، وأوريجانس، وذكرها أوسابيوس ويرونيوس^(١) وبقيت عدة قرون منسية - .

حتى كشفها «سرمند» في القرن السابع عشر - في آخر نسخة خط الرسالة من رسائل «بُوليكربوس» وفي الوقت نفسه كشف «هوغو ميزدوس» نسخة لاتينية منها في «دير كورفي» وطبعت في باريس سنة (١٦٤٥) وفي السنة السابقة كان رئيس الأساقفة «أوشه» قد حصل على نسخة منها، فإضافها إلى رسائل «اغناطيوس» إلا أنه حدثت حريقه في «اكسفورد» فأُتلفتها - إلا بعض أوجه منها - وهذه النسخة قد طبعت نسختها اليونانية واللاتينية تكراراً - وترجمها إلى الانكليزية «ويك» وترجمت مراراً إلى الألمانية.

وكل هذه الترجمات هي مأخوذة عن نسخة «سرمند» اليونانية، التي كانت ناقصة أربعة الفصول الأولى وقسمان من الفصل الخامس.

وعن نسخة «كورفي»: اللاتينية - التي كانت ناقصة: خمسة الفصول الأخيرة - . ولكن في سنة ١٨٥٩ أحضر «تيشندرف» من جبل سيناء نسخة يونانية كاملة، قد قسمت إلى ٢١ فصلاً - وأحسن نسخة لهذه الرسالة في نسخة هلجنفلد مع النسخة اللاتينية القديمة وحواش وتفسيره، وقد طبعت في «ليبسيك» سنة ١٨٦٥ - وطبعت ثانية في جرنال آمركاني سنة ١٨٦٤ - وكثير من العلماء المدققين ذهبوا إلى أن هذه الرسالة كتبها برنابا رفيق بولس، ولكن رأى المتأخرين أن نسبتها إليه غير صحيحة - ومن جملة براهينهم: أولاً، أنها تتكلم عن خراب أورشليم، ولذلك تكون

(١) هؤلاء من أساتذة القرن الأول المسيحي في كنيسة الإسكندرية.

قد كتبت لا محالة بعد سنة ٧٠ للميلاد، حال كون برنابا لم يكن في قيد الحياة سنة ٦٤ - وهي أبكر تاريخ لإستشهاد بولس...

والأرجح أن هذه الرسالة وجدت في كنيسة الإسكندرية في الأزمان الأولى من الديانة المسيحية... وما من أحد يذهب إلى أنه كان بعد سنة ١٢٠ للميلاد».

ثم يذكر البستاني: أن (فوتيليريوس) جعل إنجيل برنابا في قانونه الرسولي بين الكتب الأبوكريفية أي: الخرافية - وقد حرمه البابا جلاسيوس الثاني سنة ١١١٨م واستوحى من ذلك أن إنجيل برنابا يختلف عن رسالة قائلًا:

«ويوجد إنجيل مزور منسوب إلى برنابا في اللغة العربية وقد ترجم إلى اللغة الانكليزية والإسبانية والإيطالية والظاهر أن طائفة من الأراقة زورته!»^(١).

هذا - وقد عرفت أن الإنجيل المنسوب إليه كان بين الأناجيل - منتشرًا معمولًا منذ القرون الأولى^(٢)، فتوارد عليه النهي من بابوين جلاسيوسين رغم طول الزمن بينهما (٦٢٦ سنة)، وعكس البستاني قصة ترجمته! مع أن الأصل هو الإنجليزي والإيطالي - لا العكس - ولا يعرف التأريخ ترجمة عربية لهذا الإنجيل عبر القرون - وسوف ياتيكم نبأه بعد حين - وماذا علة النهي عنه وتركه!

ومهما يكن من شيء فإننا لا نتحمل نسبة هذا الإنجيل إلى برنابا القديس لحاجه منا إليه، وإنما ندود به عن ساحة المسيح مالا يناسب وقديسته، ونزود على

(١) بنوآرتق سلالة تركمانيه حكمت بلاد حصن كيفا وماردين وآرتق، أولهم حاكم أورشليم

١٠٨٦م.

(٢) كما سلف عن دائرة المعارف.

ضوئه لمعرفة كما يناسب ومحتده الرسولي - ونخدمكم أيها الأصحاب الروحانيون الإنجيليون، كي تعتبروه الإنجيل الأصيل رغم سائر الأناجيل، التي نسبتها إلى المسيح عليه السلام خطر على قدسه - عظيم - .

أجل: إن هذا الإنجيل الذي نعتبره نسخة قيّمة طبق الأصل - يشاركه أصله «إنجيل المسيح عليه السلام» في ذنوب: من أهمها أنه يختلف عن اختلاقات أئمة الضلال كأمثال بولس!

العميد: هب إن ذلك كما تأمرون! ولكن من أين ظفرتم بهذا الإنجيل باللغة العربية حيث تنقلون عنها - إن هذا لأمر مريب!

كيف ظفر المسلمون بهذا الإنجيل ومتى ظفروا؟

قلت: بعد النسخ التي وجدت في القرنين ١٦ و ١٧ - كما سلف عن البستاني، ظهرت أخرى باللغة الإيطالية في سنة ١٧٠٩م عثر عليها «كريم» أحد مستشاري ملك بروسيا - وقد انتقلت النسخة (مع بقية مكتبة ذلك المستشار في سنة ١٧٣٨) إلى البلاط الملكي بفيينا، وكانت تلك النسخة هي الأصل لكل نسخة هذا الإنجيل في اللغات التي ترجم إليها.

ثم إن أوائل القرن الثامن عشر - في زمن ما قرب لظهور النسخة الإيطالية - وجدت نسخة إسبانية في ٢٢٢ فصلاً و ٤٢٠ صحيفة، وقد عفت شيء من آثار خطوطها لما مضت عليها قرون طائلة.

أول من عثر على النسخة الإسبانية:

هو: الدكتور «هلم» من أهالي «هدلي» وهو من توابع همبشير ثم أعارها الدكتور «هلم» المستشرق المعروف «ساييل»^(١) - ثم وصلت إلى «منكهوس» وهو من موظفي كلية الملكة في «اسكفورد» فنقلها «منكهوس» إلى الإنجليزية - وسلمها مع أصلها إلى الدكتور «هويت» ذلك الأستاذ الشهير. وقد أشار هويت، في بعض محاضراته، إلى هذه النسخة النفيسة، وجمله من آياتها.

وقد يستفاد من الهامش الذي كتبه الدكتور «ساييل» على النسخة الإسبانية: أنها ترجمت عن الأصل الإيطالي.

أول من وجد الإيطالية:

ويظهر من المقدمة التي قدمها «ساييل» على ترجمته للقرآن، وما قدمه «منكهوس» على الترجمة الإنجليزية لهذا الإنجيل: أن أول من وجد النسخة الإيطالية هو الراهب «فرامينو»^(٢).

يقول الدكتور ساييل في مقدمته على ترجمة القرآن في كيفية هذه الموفقية:

(١) SALE: ولد في ١٦٩٧ - ١٧٣٦ محامي درس العربية ونقل القرآن إلى الإنجليزية ١٧٣٤م.
(٢) كريمر KREMER: ١٨٢٨ - ١٨٨٩ راهب لا تيني (ولد في فينا) ومستشرق نمساوي وقنصل النمسا في مصر وبيروت - نشر كتاب الاستبصار في عجائب الامصار، وألف كتاب الحضارة الإسلامية - نقله عن الالمانية مصطفى بدر.

فرامرينو وإنجيل برنابا:

«إن الراهب فرامرينو عثر على رسائل لـ «ايريانوس» ومنها رسالة تندد بما كتبه بولس الرسول! ويسند تنديده إلى إنجيل برنابا، فدفعه حب الإطلاع على الحق إلى البحث عن إنجيل برنابا - وقد توصل إلى مبتغاه: لما صار أحد المقربين إلى البابا «سكتس» الخامس.

مضت أيام على ذلك الإتصال وحينما كانا يتحادثان في مكتبة البابا الخاصة إذ غلب النوم البابا - فاغتنم «فرامرينو» هذه الفرصة المباركة، وظل يبحث عن مطلوبه: حتى ساعده التوفيق فظفر بما يبتغيه منذ القدم، ألا وهو إنجيل برنابا! وأنداك أخفاه عاجلاً - وعندما استيقظ البابا استأذنه فخرج نجياً بكل استعجال وسرور - فأكبَّ على مطالعته يدقق فيه النظر فاعتق الإسلام».

... بعدئذ وصل هذا الإنجيل إلى «كريم» أحد مستشاري ملك بروسيا، وكان يسكن حينذاك (امستردام).

كريم هذا إنما ظفر بهذا الإنجيل في مكتبة واحد من مشاهير الأعيان في (امستردام) ثم أهداه بعد أربعة سنين إلى: «ابو حين سافوى» ثم انتقلت هذه النسخة مع المكتبة المأخوذة هي عنها إلى مكتبة بلاط الملكي بفيينا.

إذاً فالنسخة الإيطالية أقدم نسخة عثر عليها في فجر القرن الثاني عشر، وهي تمتد إلى القرن الخامس عشر وأول السادس عشر - وقد وجدت في جو مسيحي خالص! لا مظنة لأن تكون مدخوله عليهم! فأول من عثر عليها في خزانة كتبه: زعيم ديني عظيم، وكاشفها راهب! ولما تداولتها الأيدي انتقلت إلى مستشار مسيحي من مستشاري الملك بروسيا ثم آلت إلى البلاط الملكي!

فلا مظنة لأن تكون مختلقة إسلامية أو غيرها - وهي منسوبة لقديس من القديسين، لم يعرف بهذا الاسم سواه - وله مكانته الدينية العليا -
 فهذا فرامرينو يقول: إنه إطلع على رسالة لإريانوس يستنكر ما كتب بولس مستشهداً في استنكاره بانجيل برنابا!

شماس الموصلي والقسيس يوسف:

هما أيضاً ممن اهتدى بهذا الإنجيل، كما في البياض الأحمر^(١) «أن الشماس الموصلي المدعو: محمد المهتدي: يقول: رأيت يوماً من الأيام أستاذي القسيس يوسف يذهب إلى مقابر المسلمين، فتبعته خفية - فإذا أخذ يصلي في ناحية كمسلم! فأريته نفسي - إذ ذاك تغير لونه وقال: إن لي حق التعليم عليك - فرجاء ان لا تكشف سري، قلت: أفأسلمت؟ حيث أراك تصلي صلاة المسلمين! قال: نعم - إنني طال ما فتشت عن إنجيل المسيح فلا أجده - حيث الأناجيل المتداولة تمس من كرامته، وفيها الشيء الكثير من الخرافات والاهوام - فر علي زمن حتى وجدت نسخة من إنجيل برنابا - وحقاً إنه من تعاليم المسيح المقدسة - وإنه يبشر بنبوه محمد نبي الإسلام ولذلك أسلمت!»!

أصحابي الإنجيليين! إنه لحرئ لمن يحب المسيح ﷺ أن يضع هذا الإنجيل على عينيه لأنه يزود عن ساحة قدسه كل ما يمس من كرامته كما ويذهب به إلى اعلى معارج النبوة الحقة.

(١) ينقله عنه العلامة المغفور له الشهرستاني في ص ١١٥ من كتابه.

أثر هذا الإنجيل: الروحي

أجل إن له أثراً عميقاً في القلوب، حيث تتفجر من آياته البينات ينابيع الحكمة والمعرفة!

حقاً أقول: إنه ليلمع من آياته القدسية الطاهرة: أنوار الحق وشواهد الصدق وقد امتاز برنابا بقوة التصوير - وسموا التفكير - والحكمة الواسعة - والدقة البارعة - والعبارة المحكمة - والمعنى المنسجم، ولا ذنب له إلاً اختلافه عن اختلافات بولس وأضرابه، ممن حرفوا تعاليم المسيح ﷺ - وزاده ذنباً - بعد الإسلام - على ذنبه قبله بشاراته النيرة على نبينا محمد ﷺ .

إذ لا إنجيل فماذا يصدقه القرآن؟

العميد: إنني لأعجب من ذلك كثيراً، بالرغم من شواهد الصادقة عجباً كيف تكذبون القرآن في تصديقه للإنجيل! فلو لم يكن هناك منذ البعثة المحمدية - إنجيل يحق نسبته إلى المسيح - فماذا يصدقه القرآن؟

فهل يصدق إذ ذاك إنجيل المسيح وبرنابا القديس، ولم يبق لهما أثر؟

وإنما يتجه تصديق القرآن حينذاك، لو كانت الأربعة المشهورة صادقة النسبة

إلى تعاليم المسيح!

قلت: أجل، إلا أن القرآن لا يصدق إلاً إنجيلاً واحداً: هو إنجيل المسيح ﷺ

قائلاً:

﴿وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ (٥: ٤٦) ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْمَسِيحَ﴾
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴿ (٣: ٤٨)...

فلا يعترف ويصدق القرآن إلا انجيلاً واحداً آتاه الله المسيح، لا الأناجيل
الأربعة وغيرها المتوفرة عبر القرون، التي ألفها رجال لا تعلم بياتهم، بل ولا نسبتها
إليهم!

العميد: فما معنى التصريح بأننا أهل الإنجيل، وأن نؤمر بالحكم بما أنزل الله فيه،
وبإقامته:

﴿وَلِيُحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ (٥: ٤٧) ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا﴾
التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ...﴿ (٥: ٦٦) ﴿... لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾
حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴿ (٥: ٦٨).

قلت: يكفي في هذه النسبة أن يكون إذ ذاك، الإنجيل الأصل عندكم، وإن
قليلاً نادراً، وأنكم تؤمنون بتعاليم المسيح، وهي إنجيله، وإن لم تجدوا منها إلا خليطاً،
زيد فيه ونقص عنه.

فإننا مهما يكن من شيء، لا ننكر وجود الشيء الكثير من إنجيل المسيح
منتشرة في هذه الأناجيل، وهي بينة الأثر وظاهرة الصدق، وإنما أمرتم بإقامتها
فحسب، لا واقامة ما دس فيها والتصق بها بدافع الجهل والعناد البولسي وغيره!
حيث إن تصديق القرآن للإنجيل، وكذا للتورات، قرين بأنه مهيمن عليهما
أيضاً، ذائد عن شتى التدخلات والإفترافات على ساحة الوحي الكائنة فيهما،
وتكفيكم تفسيراً لحدود تصديقه وكيفيته، آية الهيمنة:

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (٥: ٤٨).

والآيات التي تندد بأهل الكتاب لتحريفهم كتاب الله كثيراً...

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (٢: ٧٩). وسوف يأتيكم نبأ الفصل بعد حين.

اصحابي! إننا نعتبركم أهل الإنجيل، بالرغم من أنه لا يوجد عندكم تماماً، مع العلم أن البعض من آياته الشريفة موجودة في هذه الأناجيل على زيادة ونقصان. العميد: لا تثريب عليكم إذ تبغون المقارنة بين هذه الأناجيل المعتبرة عندنا مع العهد العتيق والقرآن.

ثم هذه بيئة الأناجيل، كما أسلفتم، لكنها لا تكفي للمقارنة، لأن الأصل القانوني في الأحكام هو العهد العتيق، فهل تستسيغونه للمقارنة - لكي تتم المقارنة بين القرآن والعهدين؟



بيئة العهد العتيق عبر القرون الإسرائيلية

قلت: كما كنا في البحث السالف، إنما نستدل بما تصدقون دون اقتراح فكذلك الآن، إذ نريد أن نتحسس عن البيئة العتيقة التي مرت على العهد العتيق، فإننا سوف لا نحتج عليكم إلا بما هو حجة عندكم، وإن إلزاماً عليكم بالحجة. والله المستعان. وإننا نعلم من الشواهد الداخلية الموجودة في العهد العتيق - تسرّب الشيء الكثير من التدخلات الجاهلة العمياء أو المعادية فيه، وسوف نتساءل عنها عند المقارنات.

شهادات علماء ومؤرخي أهل الكتاب

على تحريف العهد العتيق وعدم تواتره:

الزبانية التسعة عشر التي تزيّف موقف التورات:

١ - يقول: «يوسى بيس»^(١) إن الشهيد «جستن»^(٢) في مناظراته القيمة مع «طريفون» اليهودي، ادعى أن هناك كانت بشارات بالنسبة للمسيح في التورات،

(١) الباب ١٨ ج ٤ من تاريخه.

(٢) وهو من اجلة القدماء الإنجيليين.

أسقطتها أيدي التحريف.

ويقول «واتسن»^(١) في ذلك: إنني لا أشك في صدق دعوى جستن على طريفون - لأن تلکم البشارات المشار إليها كان على عهد جستن وارينوس في النسخة العبرانية واليونانية، ولكنها لا توجد فيها الآن - ولا سيما العبارة التي نسبها جستن إلى كتاب ارميا، وقد أثبتها سلبرجيس - في هامش جستن - والدكتور كريب - في هامش ارينوس.

ولقد كان بطرس الرسول يذكرها إذ كان يكتب الآية السادسة من الباب الرابع من رسالته.

ولقد صدق «جستن» جمع كثير - في أن اليهود أسقطوا هذه البشارات ومنهم: الدكتور ايكلارك - سلبرجيس - كريب - وائي بتكر.

... وبالأخير - إن كان جستن ومصدقوه صادقين في دعواهم هذه، تبين أنه قد أسقطت هذه البشارات عن التورات - فاللازم زيادتها في نسخة جستن وارينوس - والتحريف لازم الفرضين: إما بالزيادة أو النقصان.

٢ - يقول المفسر الشهير «هارسلي»^(٢)، لا شك في تحريف الكتاب المقدس في متنه وأصله، يدلنا على ذلك اختلاف النسخ، حيث الإختلاف آية الإختلاق، فقد أدخلت كلمات وقحة في المتون المطبوعة، مما لا يناسب ساحة الوحي، ولا يزيد التحريف في كتاب يوشع عن سائر الأجزاء من الكتاب المقدس.

(١) في ج ٣ ص ٣٢ من كتابه.

(٢) في ص ٢٨٢ ج ٣ من تفسيره في مقدمته على كتاب يوشع (ج ١ - انيس الأعلام).

ثمّ يستمر قائلاً^(١): القول الفصل هنا: أن الأصل العبراني قد حرف بعد بخت النصر، بل وقبله أيضاً - بأقبح تحريف وأشنعه - بعد ما صححه عزرا.

٣ - ينقل «وارد كاتلك»^(٢) عن الدكتور «همفري» أن: تدخل الأوهام في العهد العتيق بيّن لحد يتضح للقاري بأدنى تأمل - وأنهم قضاوا على البشارات المسيحية في العهد العتيق - .

ويذكر لي عالم من بروتستانت: أن الترجمة القديمة كانت على شاكلة تنافيا ما تقرئها اليهود الآن - والأرجح أن تنسب هذه التدخلات إلى منظمي هذه النسخ لا إلى المترجمين.

٤ - قال «ريس»^(٣) قال الدكتور كنيكات: إن العهد العتيق - الحالي - ألف قبل ألف أو يزيد أربعمائة، وجميع النسخ المؤلفة في القرنين (٧ و٨) خرجت عن الإعتبار بأمر من الشورى اليهودية لأنها كانت تختلف كثيراً عما كانوا عليه يعتمدون - لذلك إن النسخ المكتوبة في القرن الساس قليلة الوجود - والمكتوبة بين ٧ و٨ نادرة جداً».

... فهذا «كنيكات» معتمد الفرقة البروتستانية في تصحيح الكتب المدسة

يقول:

(١) ص ٢٧٥ ج ٣ (نفس المصدر).

(٢) ص ١٧ و١٨ عن كتاب همفري ط ١٨٤١ (نفس المصدر).

(٣) في كتابه انسيكلويديا باريس ج ٤ - وقد الفه بمؤازرة جمع من المحققين زهاء خمسمائة من علماء الإنجيل.

«إنه ما حصل على تلکم النسخ القديمة - إلا ما حرفته اليهود - وفقاً لما يرغبون - ما بين القرن العاشر والرابع عشر - وهذا بعد الهجرة بقرنين أو أزيد!

٥ - يقول: «فيليس كوادكولس» الراهب^(١) توجد تحريفات كثيرة في النسخة القضائية، ولا سيما كتاب سليمان، وقد جمعها ربّي اقبلا، المشتهر بأنكليس العهد العتيق.

ثم يقول: ويعدّ ربّي «يونتلن عزيال» وربّي «يوسف أعمى» الكتب التالية من المحرفات:

يوشع - قضاة - الملوك - اشعيا - زبور - راعوث - استير - سليمان - .

ويقول: إننا معاصر الإنجيليين إحتفظنا على هذه الكتب لكي نلزم اليهود بتحريفهم لها.

٦ - و«نورتن» في كتابه الضخم يثبت بأدلة كثيرة أن التورات الموجودة ليست من موسى الرسول ﷺ بل هي مختلفة مجهولة^(٢).

٧ - ويقول كريزاستم^(٣) - لقد اتمحق الكثير من كتب الأنبياء حيث حرفتها اليهود على غفلة وعلى عمد - فنزقوا البعض منها وحرقوا ما تبقى.

ويقول جستن في بحثه مع طريفون: إنهم إفتعلوا هذه الفعله الغاشمة الحاسمة كي

(١) في مؤلفه رداً على أحمد شريف - المسمى بالخيالات - ط ١٦٤٩ - الفصل ٦ - والراهب من علماء القرن ١٧م.

(٢) ج ١ ص ٢٧٤ - انيس الأعلام.

(٣) في تفسيره التاسع على إنجيل متى (نفس المصدر).

يخيلوا إلى الناس السذج: أن العهد الجديد يختلف عن العتيق لئلا يعتمدوا على البشارات التي يشير إليها في العتيق لعدم وجودها فيه!^(١).

٨- ومن مقالات اكستائن: إن العلماء الأقدمين يعتقدون أن اليهود حرفوا التورات لكي يقضي على الترجمة اليونانية - وضداً للمسيح وشريعته كان ذلك في (١٣٠ م).

٩- ويقول كنيكات: إن اليهود حرفوا التورات على عمد.

١٠ - وقد تبعه آدم كلارك قائلاً: إن اليهود كانوا يريدون - في عهد يوسيفس - أن يزينوا ويزخرفوا الكتب المقدسة، بزيادات من عندهم في كتاب استير، ومن ذلك حكاية الخمر والنساء، والصدقي الملحقة إلى كتاب عزراء ونحميا - وغناء الأطفال الثلاثة في دانيال^(٢).

١١ - ويقول هورن^(٣) «إن الترجمة اليونانية عن العهد العتيق قديمة جداً - وكانت معولاً عليها عند اليهود والإنجيليين القدماء، ومشايخ الإنجيل لم ينقلوا عن غيرها، والحق أن هذه النسخة ترجمت عام ٢٨٥ أو ٢٨٦ - ق. م - ومصنفوا العهد الجديد لم ينقلوا إلا عنها، والمشاريخ القدماء ما كانوا يعرفون اللغة العبرية، ولذلك اقتصروا على نقلهم من اليونانية، والكنيسة اليونانية كانت تعتبرها هي الكتاب المقدس بكل تعظيم واحترام، ومضى عليها الزمن إلى القرن الأول للميلاد، وقد إحتج بها أهل الإنجيل على اليهود.

(١) ج ١ ص ٢٧٥ - انيس الأعلام.

(٢) انيس الأعلام ج ١ ص ٢٨١.

(٣) المفسر الشهير في ج ٢ من تفسيره.

ولذلك إن اليهود اعتبروها أنها ليست بحجة، معذرين أنها لا توافق الأصل العبراني! فكانوا يسقطون منها - في القرن الثاني - عبارات كثيرة: إلى أن تركوها واعتمدوا على ترجمة ايكووثلا، فأكثروا النقل عنها، وأخذت الأغلاط والتحريفات تنشب فيما ينقلون كما يرغبون.

١٢ - وفي «تلمود» أشهر تفاسير التورات «أن تلميا الملك، الذي ملك بعد بخت النصر، تطلب التورات من أحبار اليهود فاضطربوا حينذاك، لأن الملك كان ينكر بعض ما فيها من الأحكام - فاجتمع سبعون من العلماء والأحبار الكبار - وحرّفوا ما كانوا يخافون منه، وينكرها تلميا»^(١).

فهذا اقرار، من اليهود على تحريفهم، فاقض ما أنت قاض!

١٣ - مستر «يروتن» يستدعي ترجمة جديدة من العهد العتيق من «أراكين كونسيل» قائلاً:

«إن الترجمة الإنجليزية الرائجة مليئة من الأغلاط، وكان يقول للقسيسين: إن هذه الترجمة محرّفة في ٨٤٥ موضعاً!، ومن جراء ذلك ارتد جمع كثير عن العهد الجديد، وضلوا السبيل»^(٢).

فاقض العجب من تلاحق التحريفات على الأصول والتراجم، ثم أقض ما أنت قاض!

(١) انيس الأعلام ج ١ ص ٢٨٣ نقلاً عن الرسالة التي ألفها حبر عظيم من احبارهم بعد ما اسلم، رداً على اليهود.

(٢) انيس الأعلام ج ١ ص ٢٨٤ نقلاً عن وارد كاتلك.

١٤- التورات الحالية بنفسها شاهدة على أنها ليست هي التي جاء بها موسى، وإنما الفت بعد سنين أو قرون بعد موته، كما في / تث ٣٤: ٥ - ٧ /:

«فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب، ودفنه في الجوّاء في أرض موآب مقابل بيت فغور، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم، وكان موسى ابن مائة وعشرين سنة حين مات، ولم تكل عينه ولا ذهبت نظارته».

ومن البديهي أن قبر موسى، ذلك النبي العظيم، كان معلوماً لبني إسرائيل طيلة قرون، ثم اندرس واختفى من جراء الحوادث الجلل التي حدثت، مع العلم أنه لم يكن هناك وجه لإخفاء أو اختفاء قبر موسى إلاّ مثل حادثة خراب بيت المقدس لأن بني إسرائيل كانوا يحترمون ويحافظون - بطبيعة الحال - على مرقد موسى عليه السلام وبناءً على ذلك نعلم بيقين: أن التورات الحالية مؤلفة بعد قرون من موت موسى، ألفه من لا نعرفه!

١٥- دكتور بُست^(١)... قبل قرنين تكرر البحث عن الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى، ما بن علماء الإنجيل، فذهبت جماعة منهم أنها ألفت بعد موسى، من نسخ عديدة بعضها منه والبعض الآخر من غيره من تواريخ مختلفة عديدة، حتى أصبحت على ما هي عليه الآن -

وذهب نفر منهم إلى أن هذه الأسفار من موسى نفسه دون شريك، وإن كانت عنده نسخة أخرى غيرها وقد عفت.

(١) في قاموس الكتاب المقدس ص ٢٢٥.

النقض والأبرام حول تحريف التورات:

ثم يأخذ في سرد براهين الطرفين قائلاً: يستدلون الأولون بما يلي:

١ - ظاهر بعض الفقرات أنها من مكتوبات موسى، لا غيره^(١) وأن المسيح والرسل يشهدون لكتاب موسى ويصدقونه^(٢).

... وليت شعري أن شهادة بعض الفقرات بأنها من موسى - كيف تتجاوز إلى الفقرات الآخري، التي لا شهادة فيها إلا على أنها ليست من موسى أو يُشك فيها! ثم كيف تقبل شهادة العهد الجديد - على تحرفه أيضاً - لبراءة العتيق عما اصطدم به!

فهب أنها تُقبل لكنها لا تتجه إلا إلى ما أوحى إلى موسى والنبیین بعده، لا كل ما تسمى بالتورات! ومهما يكن من شيء فما شهادة العهد الجديد إلا كشهادة القرآن لصدق ما أنزل على موسى والنبیین، لا أن الموجود وكل ما يتسمى بكتب الأنبياء، هو منهم، وإن كان في نسبته إليهم مسأ بكرامتهم!

٢ - «روايات علماء العهدين - من يهودي ومسيحي - تشهد ثانية على أن هذه الأسفار من موسى»!

... وقد عرفت كثرة النقل عنهم على الضد من ذلك، وعلى فرض إجماعهم فلا

(١) وهي: خر ١٧: ١٤ - عد ٣٣: ٢ - تثنيه ٣١: ١٩ و ٢٢ و ٣٠ - تثنيه ٣٢: ٤٤ - خر ١٥: ١ - ١٨ خر ٢٤: ٤ - تثنيه ٣١: ٩.

(٢) يوشع ١: ٧ و ٨ - عزراء ٦: ١٨ - هذه شهادة العتيق - واما الجديد: مرقس ١٠: ٣ - ٥ و ١٢: ٦٢.

حجة فيه ما لم يكن تواتر متصل لنسبة الأسفار إلى موسى - كيف! والشواهد الداخلية من التورات وكذا الشهرة العظيمة من علماء العهدين، تزيّف هذه النسبة إطلاقاً.

٣- عبقرية موسى - العلمية والتربوية - في مصر - تقتضي استعداداً أن يكتب هذه الأسفار، وكذا الإسرائيليون في ذلك العصر كانوا أهل الثقافة - قراءة وكتابة - وحينذاك يحتمل قريباً أن موسى هو الذي ألف هذه الأسفار».

... وهنا في الجواب عن الاستدلال الأخير نكتفي بالسكوت - إلا ما ينطق به التورات نفسه من تناقضات داخلية، وما يخالف قاطعة العلوم وسواها من حجج بيّنة فاقض ما أنت قاض!

وبعدئذ أخذ في سرد البراهين من الآخرين كما يلي:

١ - نفس هذه الأسفار - بمتونها - شهود صدق على أنها مؤلفة من نسخ عديدة، ومن جملتها: أن سفراً للاويين تذكر الشريعة بصورة وفي التثنية بصورة أخرى مكتوبة بعد الأولى بفصل بعيد.

٢ - كثير من آياتها تدلنا على أنها كتبت بعد موسى، كآيات: تك ٣٤: ٣١ - ٣٤ - و ١٤: ١٤ - ونث ١: ٣٤ - مقابل - يوشع ١٩: ٤٧ وتك ١٣: ١٨ و ٢٣: ٢ مقابل يوشع ١٤: ١٥ وقضاة ١: ١.

٣ - اختلاف العبارات والعقائد والنسخ - تدلنا: على أن هذه الأسفار لم يكتبها شخص واحد، ومضافاً إلى ذلك، فإن هناك آراء مختلفة بالنسبة للنسخ التي اقتبست الأسفار عنها، كما يقال: إن ما سوى الفقرات المنظومة، كالتكوين ٤: ٢٣، قد

كتبت في زمن الملوك (٨٥٠ ق م) فلم تكتب الأسفار حتى رجوع اليهود عن أسر اليباليين.

مناقضات بين نسخ التورات العبرانية واليونانية والسامرية:

١٦ - مما يقضي على جميع نسخ التورات في مختلف اللغات: أن المعتبر من العهد العتيق عند علماء العهدين لا يتعين في نسخة ولغة واحدة.

فهناك نسخ عبرانية وهي معتبرة عند اليهود وجمهور البروتستانت - وأخرى يونانية كانت معتبرة منذ القرن الأول للميلاد إلى الخامس عشر عند علماء الإنجيل، بحيث كانوا يعتبرون النسخة العبرانية محرفة! ثم عكس أمر النسختين لحد الآن - فانقلبت حالة النسخة المحرفة (العبرانية) إلى الصحة، والنسخة الصحيحة إلى السقم والسقوط!

ونسخة ثالثة هي السامرية وهي مثل العبرية بإسقاط ما في الأسفار الخمسة وكتاب يوشع والقضاة، وهذه النسخة يعتبرها السامريون - حيث ينكرون ما عدى السبعة - من كتابات العهد العتيق.

وهناك إختلافات بين السامرية والعبرية في ألفاظ و فقرات كثيرة توجد فيها دون العبرية.

وكثير من المحققين يوافقون السامريين في اعتبار السامرية - مثل: كنيكات - هيلز - هيوبي - كينت - وغيرهم من البروتستانت - فهم يصرحون: أن اليهود حرفوا العبرانية.

١١٢ المقارنات بين الكتب السماوية

وإليكم في الجدول التالي نماذج من الاختلافات بين النسخ الثلاث في أعمار المذكورين:

١

اليونانية	السامرية	النسخة العبرانية	الاسماء
٢٣٠	١٣٠	١٣٠	آدم <small>אָדָם</small>
٢٠٥	١٠٥	١٠٥	شيث <small>שֵׁת</small>
١٩٠	٩٠	٩٠	انوش
١٧٠	٧٠	٧٠	قينان
١٦٥	٦٥	٦٥	مهلائيل
١٦٢	٦٢	١٦٢	يازد
١٦٥	٦٥	٦٥	اخنوخ
١٨٧	٦٧	١٨٧	متوشلخ
١٨٨	٥٣	١٨٢	ملك

٢ - بين خلق آدم وطوفان نوح عليه السلام:

فالعبرانية تعتبره (١٦٥٦) واليونانية (٢٢٦٢) والسامرية (١٣٠٧) كما في تفسير هنيري وإسكات، حيث يذكر هذا الجدول، وهذا مما يستحيل صدقه كما يلي: كان نوح عند الطوفان ابن ٦٠٠ سنة كما في النسخ الثلاث، ولقد عمر آدم عليه السلام ٩٣٠ سنة كما في / تك ٥: ٢ / ولازم النسخة السامرية أن نوحاً حين

وفات آدم كان له ٢٢٣ سنة وهذا باطل بإجماع المؤرخين، والنسخة العبرانية واليونانية أيضاً تكذبانه، حيث الأولى تقول: ولد نوح ١٢٦ سنة بعد وفات آدم، والثانية: ٧٣٣ بعده.

وبهذا الاختلاف البين يضطر «يوسيفس» المؤرخ الشهير اليهودي، ألا يعتمد على شيء من هذه النسخ الثلاث ويختار: أن ما بين آدم ونوح عليه السلام ٢٢٥٦ عاماً.

٣- ما بين الطوفان إلى ولادة إبراهيم عليه السلام:

فالعبرانية تعتبره (٢٩٢) سنة واليونانية (١٠٧٢) والسامرية (٩٤٢) وهذا أيضاً إختلاف بين فاحش يحار فيه الإنسان ولا يمكن تصديقه:

فإن إبراهيم عليه السلام ولد سنة ٢٩٢ بعد الطوفان وفقاً للعبرانية، وقد بقى ٣٥٠ سنة بعد الطوفان كما في: / تك ٩: ٨ و ٢٠ / ونتيجة هاتين التصريحتين: أن إبراهيم كان عند وفات نوح ابن ٥٨ سنة، وهذا باطل بإجماع المؤرخين! ولتصريح النسخة اليونانية: أن إبراهيم عليه السلام ولد لسنة ٧٢٢ بعد وفات نوح عليه السلام والسامرية: ٥٩٢ سنة بعده والمؤرخ الشهير اليهودي: يوسيفس، يترك النسخ الثلاث هناك، ويعتبر الفصل بين الطوفان إلى ولادة إبراهيم (٣٩٩) سنة كما في تفسير هنيري واسكات.

ولقد رجح اكستائن^(١) وهارسلي^(٢) وكثيرون من القدماء: النسخة اليونانية - وهيلز وهورون يرجحان السامرية.

(١) من اعلم العلماء المسيحية في ق ع م.

(٢) المفسر الشهير في تفسيره ذيل الآية ١١ من ب ١١ تك.

وفي تفسير هنيري وإسكات نقلًا عن أكستائن: أن اليهود حرفوا النسخة العبرانية.

٤- هل إن موسى عليه السلام أمر ببناء المسجد في جبل عيبال أو جرزيم؟

ففي / تث ٢٧: ٤ / من العبرانية، يصرح بالأول، وفي السامرية بالثاني، وهذا الجبلان يتقابلان كما في / تث ٢٧: ١٢-١٣ و ١١: ٢٩ /.

وجماعة اليهود مختلفون في الصحيح من النصين حتى الآن، وكل يدعي أن الآخرين حرفوا هذا الموضوع عن التورات، وكذلك الخلاف بين علماء بروتستنت: فآدم كلارك^(١) ينقل عن المحقق «كنيكات» أنه يدعي صحة السامرية.

والمحققان: پاري - درشيور: يدعيان صحة العبرانية.

ومن المرجح للسامرية: أن جبل جرزيم ذات عيون وحدائق، وعيبال قفر يابس، فكيف يأمر موسى ببناء المسجد في جبل قفر عطشان، هل ليعبد فيه الله دون طهارة وعلى عطش؟

... وإلى غير ذلك من الاختلافات العجيبة التي تأتيكم للظروف المناسبة

انشاء الله.

(١) في تفسيره ج ١ ص ٨١٧.

حرق التورات وتأليفها من جديد:

١٧ - يعترف كبار علماء العهدين: أن التورات أحرقت وضيعت ثم ألفت وكتبت من جديد:

منهم «أكليمنضس» الإسكندري، وترتولين، وتهيو فلكت، وجانمل ونركاتلك^(١).

وهذا الأخير يدعي إجماع أهل العلم على أن نسخة التورات الأصلية، وسائر كتابات العهد العتيق، هذه ضيعت في هجمة بخت النصر، ثم ألفتها عزرا من جديد، وضيعت مرة أخرى في حادثة انتيوكس.

وهنا إقرار من (جانمل نر): أن التوراة الحالية ليست من موسى ولا من عزرا، وإن كان يكفيه شاهداً وجود الأغلاط والاختلافات والمناقضات الكثيرة في نسخها الثلاثة الأصلية، وفي كل نسخة لنفسها.

١٨ - إستخراج ثمانية من كتابات العهد العتيق من قبورها بعد قرون وتصديقها واحدة بعد أخرى في الشورئات المتوالية:

هذه الثمانية كتب هي: الكتاب الأول من استير - كتاب باروخ طوبيا - يهوديت - وزدم - ايكليز - باستكس - الكتاب الأول للمقايين - الكتاب الثاني منه:

وهذه لم تكن واجبة التسليم، بل كانت مشكوكة مردودة عند المسيحيين حتى السنة (٣٢٤م) إلى أن انعقد مجلس التحقيق في بلدة نائس لسنة ٣٢٥م - بأمر

(١) في ص ١١٥ من كتابه المطبوع في دربي سنة ١٨٤٣.

القسطنطين، فصدر الحكم: أن كتاب يهوديت واجب التسليم، كما في مقدمة جيروم على يهوديت.

ثم انعقد مجلس لوديسيا - ٣٦٤ - فاكادوا حكم المجلس الأول، وزادوا عليه كتاب استير -

ثم في مجلس كارتيج - ٣٩٧ - حيث اجتمع فيه (١٢٧) شخصاً من أشهر علماءهم، مثل الفاضل الشهير «اكستائن»، فزادوا في حكمهم تصديق الكتابات السنة الباقية.

ثم المجالس الثلاثة: ترلو، فلونرلس، ترنت، فاكادوا فيها احكام الثلاثة الأول، واستمر الحكم بتصديق هذه الثمانية إلى (١٢٠٠) عاماً، حتى ظهرت فرقة پروتستانت - فنقضت هذا الحكم في هذه الثمانية إلا استير - فأكدت الإنكار عليها وفي إستير أيضاً: حيث صدقوا تسعة أبواب من الستة عشر باباً منه، وآيات ثلاث من الباب العاشر.

وقد يصرح يوسي بيس المؤرخ^(١) أن هذه الكتب محرقة ولا سيما الثاني من المقايين.

١٩ - ملحقات بينة في التورات ليست من موسى:

في: درد كشبزي بيبل^(٢) يوجد في كتاب موسى ما تنادي بالصراحة أنها

(١) في ب ٢٢ من ج ٤ كتابه.

(٢) كتاب لغة العهد العتيق والجديد المطبوع في امريكا تأليف كالمنت وزابت وتيلر.

ليست من كلام موسى، كآية (٤٠ ب ٢ عد) والآية (١٤ ب ٣ تث) وكذلك عبارات أخرى كمثلها، حيث لا توافق محاورات موسى عليه السلام ولا ندرى من الذي الحقها إليه؟ ودليلاً على هذه الاحاقات (الباب ٩ و ١٠) من كتاب عزرا و (٨) من نحماً.

ويقول آدم كلارك^(١): إن الآية (٣ ب ٢١ عد) ملحق، حيث تقول: «فاستجاب الله دعاء إسرائيل وسلم الكنعانيين - فخر بهم وبلادهم تماماً وسموا هذا المكان حرماه».

يقول: «إن هذه الآية ألحقت بعد وفات يوشع، فإن الكنعانيين لم يهلكوا أجمع في زمن موسى عليه السلام، بل بعد وفاته».

فهذه التسعة عشر زبانية - تحرق العهد العتيق - فلا تبقى لها أصالة ولا تذر، فاقض ما أنت قاض!

نظرة شاملة في العهدين:

في دائرة المعارف الكبرى الفرنسية^(٢) يقول «الموسيو موريس فورن»^(٣) «لو سألنا: متى جمع كل كتاب من كتب التورات، وفي أي ظرف من الظروف، أو حال

(١) في ج ١ ص ٦٩٧ من تفسيره.

(٢) وهي التي اجتمع على تأليفها ما ينوف على خمسمائة عالم من اعظم علماء فرنسا واشتركت فيه كافة المجالس المهمة والنظارات الفرنسية والأجنبية واعتبرها العلماء انها خلاصة الرأي العام في عالم النصرانية لمهارة مؤلفيها وعلو منزلتهم في العلوم والمعارف.

(٣) ناظر مدرسة العلوم العليا في باريس والمدرس في القسم الديني منها.

من الأحوال؟ وأي قلم كتبها؟ لا نجد أحد يجيبنا عن تلكم الأسئلة وما شابهها، إلا بأجوبة متباينة جداً.

ثم افاض في شرح الموضوع بصورة علمية تبيّن: «أن كافة ما كتب مشكوك في كاتبها، وأن كل ما في التورات ما هي إلا عبارة عن مخالطات من كتابات عديدة جداً، جمعت في أجيال متباينة، إلى أن قال:

والمخلص: أن المذاهب العلمية الجديدة ترفض أغلب أقوال علماء النقل، التي هي أساس إعتقاد النصارى واليهود، وتقوّض ببيان إدعاء السابقين، وتبريء الأنبياء من تلكم الكتابات!

ثم أخذ يتكلم على الكتب المشتملة عليها التورات واحداً بعد آخر مبيناً أن تصحيح هذه الكتب كالنقش في الماء أو البناء على الهواء - إلى أن قال:

ولكن ما الحيلة ونحن من نحو مائة سنة حيارى بين أسانيد يحو بعضها بعضاً، فالحديث (أي العهد الجديد) يناقض سابقه، والسابق يناقض الأسبق، وقد تتناقض أجزاء الدليل الواحد، إلى أن قال:

وأيسنا من الوصول إلى معرفة صاحب الكتاب الحقيقي.

ثم يتكلم عن الأناجيل بعد أن يحكي شكه في صحة نسبة الأناجيل الثلاثة الأولى - (متى، مرقس، لوقا) إلى من عزيت اليهم من الحواريين لدرجة تعادل الرفض تماماً.

ثم قال في حق إنجيل يوحنا: ما قدمناه عن دائرة المعارف البريطانية^(١) وفي

(١) في ص ٥١ من هذا الكتاب.

دائرة المعارف الفرنسية أيضاً، في بيان يبيل - قال الدكتور كنى كات^(١):
إن نسخ العهد العتيق التي هي موجودة، كتب ما بين الف والـف وأربعمائة م،
واستدل من هذا وقال: إن جميع النسخ التي كتبت في المائة السابعة أو الثامنة، هذه
النسخ ألغيت بأمر محفل الشورى لليهود، لا ختلافها عن النسخ التي كانت معتمدة
عندهم.

ونظراً لذلك قال «والتن»: إن النسخ التي مضت على كتابتها ستمائة سنة، قلما
ما توجد، والتي مضت على كتابتها سبعمائة سنة أو ثمانمائة سنة في غاية الندرة.

(١) الدكتور كنى كات هو المعتمد بين بروتستنت في تصحيح كتب العهد العتيق.

نظرات حول أجزاء العهد العتيق

١- التورات

يقول نورتن: لا يوجد فَرْق معنًى به في محاورات التورات ومحاورات سائر الكتب من العهد العتيق التي كتبت في زمان أطلق فيه بنو إسرائيل من أسرهم في بابل، مع أن بين هذين الزمانين ٩٠٠ عاماً، ويحسب الفاضل «ليئوسلن»: أن هذه الكتب صُنفت في زمان واحد.

٢- راعوث ويونس

في مقدمة بايبل^(١) أن كتاب راعوث قصة بيتّ، وكتاب يونس حكاية.

٣- ايوب

أيوب إسم فرضي وكتابه حكاية باطلة وقصة كاذبة، ذهب إلى ذلك: ربّي مماني ديز - من علماء اليهود - و: ميكائيلس، ليكلر، سَمَلِر، اشتاك، تهيو، لوطر، وغيرهم من علماء الإنجيل.

(١) المطبوعة ١٨١٩ في اشتار برك.

ويقول لوطر، مقتدى فرقة بروتستانت: إن هذا الكتاب حكاية محضة، ويقال: إنه من تصانيف «البهيم» أو من لا يعلم.

٤- زبور داود ومصنفوه!

اختلف فيه المسيحيون القدماء، فمنهم من يذهب إلى أنه من تصانيف داود النبي ﷺ كمن يلي:

ارجن - كريزاسم - اكستائن - انيروس - بوتهى ميس.

وأنكر عليهم هذه المقالة: هليرى - اتهانينشن - جيروم - يوسى بيس وغيرهم.

وقال هورون: إن القول الأول غلط محض - والمختار عند المتأخرين من علماء اليهود، وكذا عند جميع المفسرين الإنجيليين، أنه تصنيف:

موسى، وداود، وسليمان، واساف، وهمان، واتهان، وجدوتهن، وثلاثة أبناء قورح.

قال هورن: هؤلاء يذكرون كيفية تصنيف الزبور، ونسبة أجزائه إلى مؤلفيه كما يلي:

إنه لم يُعلم اسم مصنفٍ أزيد من ٣٠٠ زبوراً: ١٠ من موسى: من ٩٠-٩٩- و ٧١ من داود و ٩٨ من همان و ٨٩ من اتهان، والزبورين: ٧٢ و ١٠٧ من سليمان، وثلاثة زبورات من جدوتهن، والزبور: ١٢ من اساف و ١١ زبوراً من ثلاثة أبناء قورح. ويقول «كامت» إن داود صنف ٤٥ زبوراً فقط، والباقية من كتاب آخرين.

وقال المتقدمون من علماء اليهود: إن هذه الزبر لهؤلاء:
 آدم، إبراهيم، موسى، اساف، همان، جدوتهن، وثلاثة أبناء قورح.
 واما داود فقد جمعها في مجلد واحد، فهو جامع الزبورات.

٥- أمثال سليمان

خمسة أبواب من امثال سليمان جمعها حزقيا، تدل عليه الآية ا- ب ٢٥ قائلة:
 فهذه أيضاً من أمثال سليمان التي استكتبها أصدقاء حزقيا ملك يهوداً». ولقد كان هذا الجمع في عام ٢٧٠ بعد وفات سليمان، وقال بعض: إن تسعة أبواب من أوله ليست من سليمان، والباب ٣٠ من «آجو» و ٣١ من لموئيل، ولم يتحقق للمفسرين: أنهما من كانا؟ ولا نبوتها على جهلها إلا وهماً!
 ويقول: آدم كلارك^(١) إن الباب ٣١ ليس من تصنيف سليمان قطعاً.
 وفي التلمود: أن الباب (٣٠ - ٣١) منه ليسا إلهاميين.

٦- الجامعة

قيل إنها من سليمان، وقال ربي «قمحي»، العالم الشهير اليهودي: إنه تصنيف أشعيا، وقال علماء، تالميودي: إنه تصنيف حزقيا، وقال كروتيس إن «زروبابل» صنفه لأجل تعليم ابنه: أبيهود، وقال «جهان» المسيحي وبعض علماء الألمان: إنه

(١) في ج ٣ من تفسيره ص ١٢ و ٢٥.

صنف بعد ما أطلق بنوا اسرائيل من أسرهم في بابل، وقال «زرقيل» إنه صنف في زمان «انتيوخس ايبي فانس».

غير أن اليهود بعد ما أطلقوا من الأسر في بابل ألغوها من الكتب الإلهامية إلا أنها بعد ذلك أعيدت إليها مرة أخرى.

٧ - نشيد الأنشاد

قال بعضهم: إنه من سليمان أو أحد معاصريه.

وقال الدكتور كني كات وبعض المتأخرين: إن نسبته إلى سليمان غلط محض، بل صنف بعده بزمن.

والقس تهيودور (ق ٥) يذم هذا الكتاب وكتاب أيوب.

وكان سيمن وليكرك، لا يعتقدان بصداقته.

وقال وشتن: إنه غناء فسق، فليخرج من الكتب المقدسة.

وقال سملر: الظاهر أن هذا الكتاب مخلوق.

وقال وارد كاتلك: حكم «كاسيليو» بإخراج هذا الكتاب من كتب العهد

العتيق لأنه غناء نجس.

وقد اتفق: تهيود، روسيمن، لكرك، وتسن، سملر، كاستيليو: على أنه غير

إلهامي.

٨- دانيال

فيه خلاف هام بين فرقتي كاتلك وپروتستانت رداً وقبولاً.

٩- استير

اختلفوا في مصنفه: بين أنه من علماء المعبد، الذين كانوا من عهد «عزرا» إلى زمان سيمن.

وقال «فلويهودى» -: إنه من يهوكين، ابن يسوع، الذي جاء بعد ما أطلق من أسرهم في بابل.

وقال اكستائن: إنه من عزرا، وقال بعض: إنه من «مردكي»، مردخاي و«استير».

١٠- أرميا

من المعلوم أن الباب ٥٢ ليس منه، حيث يقول في ٥١: حتى إلى الآن كلام ارميا.

وقال هورن^(١) والقس «ونما»: الآية ١١ من الباب: ١٠ - ليست منه، لأنها بلسان الكسدى، والبعض الآخر بلسان العبري.

وقال كاركرن: إن الفاضل الشهير «استاهلن» الجرمني، قال: إنه لا يمكن أن يكون الباب ٤٠-٦٦ من كتاب ارميا من تصنيفه.

(١) في ج ٤ ص ١٩٥ من تفسيره.

نظرة جامعة إلى تحريف التورات

في / ارميا ٣: ٣٦ / «أما وحي الرب فلا تذكره بعد، لأن كلمة كل إنسان تكون وحيه، إذ قد حرفتم كلام الإله الحي رب الجنود إلهنا».

وفي / ارميا ٨: ٨ / «كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا. حقاً إلى الكذب حوّلها قلم الكتبة الكاذب»!

فأكرم بما ذكرناه شهود صدق تدود شتى الأوهام الوثنية والأحكام الإلحادية عن ساحة الوحي الموسوي، وتزيّف الشهود الأولى، على سقوطها في أنفسها، فأجمل بها وأكرم!

فماذا تصنعون إذ لا كتاب في البين؟

أصحابي الروحيين الإنجيليين، واليهود! هذه هي البيئات المنحطة التي مرت مع الزمن، على الكتب المقدسة! فكيف يمكن الاحتجاج بها، والإعتقاد عليها، في أصول الشريعة وفروعها؟

أجل إنها ساقطة بحدّ ذاتها، فكيف يقارن بينها وبين القرآن الحكيم، إلا ذوداً عن ساحة الوحي والأنبياء، أن تنسب هذه إليهم، وقد تولّى القرآن هذا الأمر الخطير الهام قائلاً:

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ (٥: ٤٨).

الشهادة المزدوجة على تحريف العهدين:

حقاً أقول: إنه لو تكن هناك شواهد داخلية قاطعة على تحريف العهدين،

وعدم نسبتها تماماً إلى المنسوب إليهم، حينذاك لم نكن ممن يعبأ بأولئك الشهود مهما كثروا، كما لا نصغي إلى شذاذ الآراء العلييلة في تحريف القرآن لأنه يدل بنفسه على صيانتة عن تلاعب الأيدي، مضافاً إلى التواتر القاطع عبر القرون الإسلامية بالنسبة لهذا الموجود، أنه هو الذي نزل باديء بدءٍ -

حال أن هناك بوناً شاسعاً بين التحريف بالنقيصة! كما يدعى بالنسبة للقرآن - (وحاشاه)، وبين التحريف بكل ما له من معنى، كما ثبت في العهدين، فاقض ما أنت قاض!

أصحابي! فحينذاك تُغلق على الناس، من بعد الرسولين الكريمين: موسى وعيسى بن مريم عليهما السلام، ومَن بينهما من النبيين، تغلق على البشرية أبواب معارفهم، بالنسبة لرسالتهم وما جئوا به... حيث مضت معجزاتهم عندما قضوا نحبهم، فلم تبق بعدهم حججهم الأولى لدعواهم الحقّة، ولم تبق بعدهم إلا أسفار لعبت بها الأيدي بدافع الجهل أو التعمد، فهي أيضاً أصبحت منقبرة معهم - إلى الأبد.

حينذاك - فماذا يستدل متحرّي الحق لرسالتهم ولما أرسلوا به؟ فهل نقنّي أثر التقاليد السالفة العمياء؟: نقل الأسلاف والآباء، لا لشيءٍ إلا لأنهم الآباء الأقدمون! أم نبقّ متحلّلين عن الشرائع الإلهية إطلاقاً، دونما أية عقيدة أو عمل ديني؟

أم بالأخير نسلك - بين هذا وذاك - سبيلاً إلى الله، لا مختلقاً ولا خليطاً، وليس ذلك إلا بالتحرر عن إختصاص الشريعة بموسى وعيسى بن مريم عليهما السلام والتحري عن الدين الحق: غير المحرّف ولا المختلق، حيث إن الله لا يرضي للبشرية الضلال الدائم، بلا هادٍ يهديهم: «فيذرهم في طغيانهم يعمهون» وفي غيهم وغيهم يترددون!

أجل إن ذلك بعيد عن ساحة قدسه كل البعد، لعدله وفضله، وأن الأدلة المثبتة للنبوة العامة، كما تدلنا على وجوب ارسال الرسل طيلة زمن التكليف، كذلك وبالأحرى: تملي فرضاً محتمماً أن هناك في هذه المعمورة بعد الرسولين الكريمين موسى وعيسى عليهما السلام وبعد اغتراب شمس النبوات، وبعد اسفارهم الغابرة الغاربة، - بعد اللتيا والتي - قد أرسل الله رسولاً يدعو إلى الحق بكتاب منير، كتاب خالد مع الأبد دون أي تحريف وتزييف، يجمع البشرية على شريعة واحدة، ويقضي على التفكيرات الإلحادية للادينية، التي حلت بأضواء الوحي، المشرقة المشرقة، مهيمناً على الكتب المقدسة، مبيناً دخيلها عن أصيلها، مصداقاً للأصل السابق ومكذباً للفرع اللاحق:

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (٥: ٤٨).

مقارنات في الرسل والرسالات

في العهدين تناقضات داخلية وبالنسبة للقرآن في كيان الرسل والرسالات تختصرها فيما يلي:

نوح عليه السلام في التكوين (٩: ٢٠-٢٤) أنه شرب الخمر! وتعرى في خيمته!
يعقوب عليه السلام في التكوين (٢٧: ١-٤٦) يعقوب يستلب خلافة الرسالة عن اسحاق - حيث كان يخلف عيسو - بخديعة نكراء، ويصارع الله بعدها فيصرعه تثبيناً لهذه الخلافة (هوشيع ١٢: ٣) لذلك سمي إسرائيل إذ غلب الله في مصرعه ففي

(تكوين ٣٥: ٩ و ١٠) و(٣٢: ٣٠) وفي (٣٢: ٢٤-٣٢)، أن شخصاً صارعه منذ الفجر إلى الصّباح، فلما رأى أنّ يعقوب يغلبه لأنّه أخذ بعقب رجله، قال خلّ عني، قال لا أخليّك حتّى تعطيني بركة النّبوة. والقرآن يمدح يعقوب في آيات عدّة بعصمة وطهارة ونبوة سامية.

موسى و هارون عليهما السلام في (الاعداد ٢٠: ١٢ و ٢٧: ١٤) أنّهما ما آمنّا بالله وخالفا أمره، وما قدّسناه عند بني إسرائيل.

هارون عليه السلام في الخروج (٣٢: ١-٥) أن هارون صنع صنماً ذهبياً عند تغيب موسى - حسب تطلّب بني إسرائيل - بالرّغم من أنّه فيه ٢٨ و ٢٩ يقول: إنّ الله كرم هارون بالكهانة والإمامة، يقوله في الطّور لموسى عليه السلام لكن القرآن يعظمه - فقط - في آيات ك: (٢٠: ٩٢-٩٣ و ٧: ١٩٤).

داوود عليه السلام في سموئيل (١٢: ١٠-٢٠) يُوبّخه الله في إمارة اورياهو حتّى، لماذا أرسلته إلى مقدّمة الجيش ليقتل فاغتصب زوجته، لذلك سوف يستمر سيف الظلم في أهلك وتبتلى ببلاء ومحن.

سليمان عليه السلام في (تواريخ ٢: ٧: ١١-٢٢) أنّه تكبّر وتساهل ونسي الله وتزوّج بنساء نهى الله عن تزويجهن! تزوج منهن سبعائة دواماً وثلاثمائة انقطاعاً، فأضلنه عند كبره وبنى لكل واحدة منهنّ معبداً للأوثان.

وفي (ملوك الأوّل ١١: ١-٨ ونحميا ١٣: ٢٦) وقد ظلم رعيته في ملكه بخدمات اجبارية وماليات ظالمة لحدّ تظلموا عليه في جلوس يربعام (ملوك الأوّل ١٢: ٣-٢٠) (سموئيل الأوّل ٨: ١٠-١١)

لوط في (التكوين ١٩: ٣٠-٣٨) أنه شرب الخمر وزنى ببنتيه فاولدت
الكبيرة موآب، والصغيرة بن عمي، جد المسيح ﷺ.

وهناك نقضى العجائب من حالات مزرية لرسل الله في (أشعيا ٢٠: ١-٤)
و(حزقيال ٤: ١٢-١٦ و ٥: ١-٥) و(هوشع ١: ٢ و ٢: ٢-٦ و ٣: ١) ما يستحي القلم
عن ذكره.

ثم نرى عشرات وعشرات من الآيات القرآنية تذود عنهم وصمات،
وتبجلهم بعصم وطهارات، ما لا مزيد عليه، ذكرناها في تفسير «الفرقان» بطيات
آيات في ذكرياتهم ﷺ.

وها هو القرآن:

وهذا هو القرآن الحق المبين: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ
أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٧: ٧٦ -
٧٧).

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ
مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ
اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ
وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٥: ١٥-١٦).

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرَّسُلِ أَنْ
تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٥: ١٩).

﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى
وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٦: ٦٤).

﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * أَنْ
تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَي طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ
لِعَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْ عَلَيْنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ
بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ... ﴾ (٦: ١٥٥ - ١٥٧).

﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا
أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ
أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (٤٢: ١٥).

* * *

فانظروا أيها الأصحاب! إلى هذه الآيات المنيرة كيف تندد بالخلافات
الهدامة والإختلافات العاشمة القاضية على وحدة الدين، وتحصر هامة الأهداف
المحمدية ﷺ في قرآنه في بيان جذور الخلاف بين الكتائبين، وتوطيد أركان
الوحدة العقائدية والعملية على محض الحق وخالصه، ورفض الباطل بخيله ورجله!

لو لم ينزل القرآن قضي على الوحي كله!

أقول كلمة واحدة يصدقها العقل والدين والذوق السليم:

لو أن القرآن لم ينزل على البشرية، لم تجد مع الأبد محيصاً ومخلصاً عن تلکم
الخلافات العارمة، فلم تعرف الله ولا رسله ولا أحكامه من العهدين! إلا:

إلهًا: جاهلاً! عاجزاً! كذاباً كصورة الإنسان! خائفاً عنه! آسفاً من خلقه!
يصارع إسرائيله فيُصرع! وهو جسم له شركاء متشاكسون! يرف روحه على وجه
الماء! وينزل إلى الأرض لكي يرى خليقته الأولى: آدم وحواء وأشباههما! «كما في
العهد العتيق».

إلهًا: مثلت الأقانيم! يعذب بالصليب، ويضحى بنفسه دون عباده كي يخلصهم
عن عقوبات الذنوب! ويدوق بجسمه وبال أمرهم في حرّ الجحيم ذوداً لها عن عبادة
العاصين وأمثالها «كما في العهد الجديد».

و: أنبياء: عصاة، جهلة! كذبة! خونة! مفترين: يدعون إلى آلهة متفرقة!
وينسبون إلى الله الظلم والزور! ويشربون الخمر! ويرتكبون من الفواحش
والفجور وما أشبه! «كما فيهما جميعاً».

و: احكاماً تخالف العقل وتختلف عن الدين والفطرة، وتتناقض في ذوات
انفسها!

وبالآخر لم تجد في العهدين إلا:

تناقضات وخلافات، بصورة كتب تعزى إلى الوحي وحاشاه عن ذلك:

أجل: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾!

أجل: لو لم ينزل القرآن، فكأنما لم ينزل من قبله من كتاب: يدلنا إلى الحق،
ويهدي إلى صراط مستقيم...

كنا ولم نزل نتحدث من هنا وهناك، والحاضرون سكوت لا ينطقون،
ولا يحرون جواباً، فإذا بالكنيسة الإنجيلية ارتجت بمن فيها، إذا نحن برجل رفيع

المنزلة: أسقف كبير من علماء الإنجيل، وهو من اللجنة العليا لانتخاب البابا...
فظل المدير والعميد و... يذكرونه بما جرى من المحادثات الدينية وهو يحمّر
تارة ويصفرّ أخرى، فأخذ يقول:
أيها الأخ عندنا أسئلة فأتت عن المحاضرين سنوجهها إلى سماحتكم، حيث
أجدهم ذعرين! وقد أرسلني الله لتعزيهم عزة للحق، وإني لأنطق بروح المسيح:
إلهنا ومخلصنا!

قلت: أجل، وإنما لا نتحسس إلاّ عن الحق: دين الله الذي ارتضاه لعباده،
ليس إلاّ، وإني أذن خير لكم، أو من بالله وصاغ لكم ومستمع إليكم لما فأتت عن
المحاضرين بكل رحابة صدر واحترام، فإننا أواياكم لعلي هدي أو في ضلال مبين،
عسى أن يهدينا ربنا إلى صراطه المستقيم!

علل الإختلاف في الدين

هل هي ألّهية أم بشرية أم...؟

الأسقف: أولى الاسئلة، أن الاختلاف في الدين ليس على عاتق أهل الدين فحسب، وإنما الله هو الذي يريد الإختلاف! وإلّا، فلماذا أرسل رسلاً مختلفين في شرايعهم وأحكامهم، فلم تلبث وتأنس أمة بشريعة إلّا أنها نُسخت وبدلت بعد زمن، أن جاءهم رسول غير رسوهم: بكتاب يختلف عما فرض الله لهم من ذي قبل! فما أراكم إلّا في فكرة ضئيلة تخالف ارادة الله تعالى! فأنتم تريدون توحيد الدين، في حين أن الله لا يريد إلّا الإختلاف في الدين، ولذلك خلقنا، كما ينطق به كتابكم:

﴿ وَ لَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ لَآ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إَلَآ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَ لِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَآنَ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (١١: ١١٨-١١٩).

اختلاف في الشرايع وعللها:

المناظر: مهلاً يا صاحبي! إن هذه إلّا فرية بينة على الله، دون أي برهان! وأما الآية: فهي كعدد من اضراها: تنفي الجبر في الحمل على الإيمان، عن ساحة الربوبية، وأن الله لا يريد أن يُعبد إلّا على خيرة من عباده:

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا... ﴾ (١٨: ٢٩).

إذاً - وحيث لا يجبرهم على الإيمان - فطبيعة الحال تقضي: أن تختلف البشرية في الحق: «ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك» بتوفيق منه لمن يريد وبتنغيه - «ولذلك»: للرحم، لا للاختلاف^(١) «خلقهم» كما تقدم ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾
أجل:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ (٥١: ٥٦-٥٨).

فإن الله لم يخلقنا إلا للتجمع على الحق: في عبادته ودعوته، ليس إلا - وكما يقول:

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٢: ٢١٣).

﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِي مَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (١٠: ١٩).

(١) ذلك اشارة إلى الرحم المستفاد من «رحم» لا لإختلاف، والوجه في الاشارة إلى البعيد بـ ذلك - بعد الرحمة منزلة ومحتداً - وكذلك وجوداً في الخارج - لكثرة بغى الناس ولو لم يكن الهدف الاصيل من الخلقة الرحمة - لم يقل: إلا من رحم ربك - تأمل.

فهناك اختلافان:

١ - اختلاف ناشئ عن الاختلاف في الدين، وقد تُندد به هذه الآيات وما

إليها: ...

﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اٰخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ (٢: ١٧٦).

﴿ وَلٰكِن اٰخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ ﴾ (٢: ٢٥٣).

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاٰخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ (٣: ١٠٥).

﴿ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اٰخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ﴾ (١٠: ٩٣).

وإنما تأتي الرسل بالبينات والزبر والكتاب المنير، ليقضوا على هذه الخلافات، توحيداً للبشرية وتوطيداً في توحيد الله وطاعته، فليس لهم الاختلاف عن الحق، ولا فيه، بعد إذ جاء - حيث: انزل الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه - عن الحق او فيه، أو هما معاً - وما اختلف في الكتاب: القاضي على الاختلاف، إلا الذين أوتوه بغياً بينهم! فهذا اختلاف منشأه بغى الأمم.

٢ - ثم هناك اختلاف آخر يختلف عن الأول، وهو اختلاف الشرايع والطرق

إلى الدين، رغم أن الدين وهو الطاعة والإخلاص لله، في نفسه واحد:

الدين واحد وهو الإسلام:

والشرايع مختلفة اختلافاً يسيراً ظاهرياً في بعض الفروع

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اٰخْتَلَفَ الَّذِينَ اٰتُوا الْكِتَابَ اِلَّا مِنْ

بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِبَيِّنَاتِ اللَّهِ فَاِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ

﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَّمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسَلَّمْتُمْ فَإِنْ أَسَلَّمُوا فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (٣: ١٩ - ٢٠).

﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٣: ٨٥).

فما الدين^(١) أي: الطاعة، عند الله إلا واحداً، وهو التسليم لله رب العالمين، ولم يؤمر النبيون ولا اممهم طيلة زمن البعثة والتكليف، إلا أن يدينوا الله ويسلموا له كما يريد:

﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (٣: ٨٣).

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ (٦: ١٢٥).

﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾ (٢: ١١٢).

﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ (٣١: ٢٢).

﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ﴾ (٦: ١٤).

أي: من أسلم في المرتبة دون الزمان وان كان آخر النبيين مبعثاً.

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ

(١) الدين بمعنى الطاعة واطلاقه على يوم الجزاء إعتباراً بأنه يوم ظهور الطاعة بحقيقتها وأثرها جزءاً وفاقاً.

مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣: ٦٧﴾.

وقد يلتمس هو من ربه: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ (٢: ١٢٨).

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَأَمَنَا
وَأَشْهَدُ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ (٥: ١١١).

فإنما الدين - أي الطاعة - واحد، وهو التسليم لله رب العالمين، وإن كانت
الشرايع إليه مختلفة، إختلافاً لا في الجوهر، بل في الشاكلة.

إنما الدين هو أمر الله

وكل من الشرايع شريعة من هذا الأمر:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ
الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ * وَءَاتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا
إِلَّا مَن بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْثًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا
كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ
أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٥: ١٦ - ١٨).

الدين واحد والشرايع إليه خمسة:

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا
وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ

عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ * وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ وَلَا كَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ * فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَأَمِنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴿٤٢: ١٣ - ١٥﴾.

ولذلك كله فنحن الآن نعتقد: أن الشرايع الآلهية كلها من ينبوع الوحي، تنحوا منحى دين واحد، أي طاعة واحدة لآله واحد، والشرايع وإن اختلفت في بعض فروعها من حيث الشاكلة، إلا أنها متحدة في الأهداف الكلية الربانية، متسقة بسياق واحد، تنحوا جميعاً منحى الحق والعدل، وطاعة واحدة.

ف: ﴿لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ (٢: ١٣٤) في أصول الدعوة وأهدافها. فالشرايع متقاربة تقارباً في الجذور والأهداف، دون أي اختلاف في ذلك، متدانية في الدعوة إلى التوحيد وصالح الأعمال، والمنع عن الشرك وطالح الأعمال، متلائمة في فرض ما يجب، عقائدياً وعملياً، إيجابياً أو سلبياً، وإن اختلفت في بعض صورها وشواكلها.

الأسقف: اجل - فما هي علة اختلافها في الصورة، التي اوجبت اختلاف الأمم؟!

المناظر: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا ءَاتَاكُمْ﴾ من الشرايع، كما وأن اصل التكليف أيضاً ابتلاءً وامتحان، فما دار التكليف إلا دار بلاءٍ لكي يستكمل العباد ويُحَصَّوا ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾، وعداً غير مكذوب:

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَاوِزًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (٥: ٤٨).

الاسقف: فقد جاء الاختلاف من الله فما علينا إذ اختلفنا؟!

المناظر: ليس الاختلاف عن الدين الحق ولا فيه من الله، وإنما ذلك في الشرايع ليلونا ويمحصنا، كما يبلونا بكل شريعة في نفسها.

فإن كان مبتغي الحق ومتحرية مسلماً لله حنيفاً، لا يبتغي غير الإسلام لله ديناً، فعليه التسليم لأمره كيفما كان ومهما بلغ به اختلاف الصور، وإنما مثله كمثل عبد يأمره مولاه بأوامر مختلفة يختبر مستوى إخلاصه.

فالشرايع متحدة متسقة بسياق واحد في أصول الدين وفروعه الأصلية الثابتة، كوجوب العدل وطاعة الله وحرمة الظلم ومعصية الله، وحرمة القتل والزنا والخمر وما إليها من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، فهناك الأحكام كما يلي:

نوعية الاختلاف في الشرايع:

١ - فن شرايع الدين ما لا يتغير منذ البدء حتى الأبد، كأصول الدين، وأصول الأحكام، وكالإخبار عما مضى ويأتي، فلا نسخ في شيء من ذلك إطلاقاً.

تحويل القبلة:

٢ - ما يتغير نسخناً وتبديلاً وإن في شريعة واحدة، يتغير لغرض الإبتلاء، كتحويل القبلة من الكعبة المكرمة في فترة من المدينة ثم إلى الكعبة كما كانت من ذي قبل، لكي يظهر لهم المخلص منهم والمنافق:

﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٢: ١٤٣).

فحيث كان استقبال بيت المقدس لأهل مكة - يختلف عما يهونه قاطعاً من الكعبة المكرمة: بيت عزهم وجلالهم، ما حولت القبلة عنها في مكة المكرمة، وإنما حولت بعد الهجرة «النَّعْلَمَ»: علامة^(١) من يتبع الرسول على صدق - يتبعه مخالفاً لهواه - علامة لهم وميزة، ممن ينقلب على عقبيه: إلى الجاهلية الأولى، فيثبت مكانه لا يستقبل بيت المقدس.

وبالعكس من ذلك هو أهل المدينة، حيث كانوا يهونون القدس، لأن جلهم كانوا من أهل الكتابين وقد أنسوه قبلة لهم، فلذلك بدلت القبلة إلى ما لا يهونه: إلى الكعبة المشرفة على طول الخط كما كانت من ذي قبل.

كل ذلك - على أن القبلة الأصلية للمسلمين كانت هي الكعبة. بدايةً ونهايةً، وفي ما بينهما قبلة القدس إبتلاءً. خلافاً للمعروف: أن القدس هي القبلة الأولى!

(١) «نعلم» هناك وفي عشر مواضع أخرى من العلامة وهو من عَلَّمَ يعلم علماً يعني جعل علامة - لسان العرب - لا العلم بالكسر حتى يستلزم جهله تعالى، تأمل.

﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ في جعل قبلة فرعية منذ الهجرة ثم تحويلها إلى الأصل، إن في ذلك تحييين للمسلمين الأولين من المهاجرين والأنصار.

وتحييص آخر ما أتلى به المسلمون من دعايات اليهود الباطلة المضلة حيث كانوا يوبخون المسلمين بأن شريعة القرآن لا تستطيع القيام على سوقها لذلك أصبحت تستفيد من شريعة التورات في قبلتها وهي بيت المقدس بداية الهجرة.

وقد رد الله كيدهم اليهم ودحض حجتهم عليهم وكما يقول:

١- ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٢: ١٤٢).
و«قبلتهم» هي الكعبة المباركة في العهد المكي، ف﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٣: ٩٦). فهي الأولى والأخيرة ولا سيما للمسلمين.

٢- ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنَءَ أَمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (٢: ١٧٧).

فإن تولية الوجوه إلى هنا وهناك تعبدية وقتية إبتلائية، وإنما الأصل توليها إلى الله كما أمر

٣- ﴿وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللّهِ إِنَّ اللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢: ١١٥).

٤- ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ (٢: ١٤٩).

لكل من التشرعين بشرائع الله وجهة ظاهرية كلها متجهة إلى الله معنوياً.
 ... هذا وذاك لينبهم أن الجهة في الصلاة ليست لها أصالة وإنما الأصل هو
 الاتجاه إلى الله تعالى كما يأمر، وإلى أية جهة يأمر، فكل من اتجه إلى الله من الجهة
 التي أمر بها فقد طبق واجبه. فليس لنا ان نستبد بجهة دون أخرى إلا بأمر الله تعالى،
 فللكل من الأمم وجهة في التشريع الفرعية الإبتلائية والله هو المولي لها.
 أجل إن إله الأمم واحد وهو الذي يولي الوجهات المختلفة التي يتجهون إليها،
 وليس لأية أمة إلا أن تستبق الخيرات دون أن تنجمد على الجهات الصورية في
 التشريع الفرعية فلا تنعزل عنها، ثم يعتبر غيرها من الوجهات الإلهية أنها ليست
 بشيء.

كلاً: وإنما البر - هنا وهناك - الإستسلام لله تعالى والإيمان به وبتشريعه، مهما
 اختلفت وتبدلت...

فهذه الطائفة من الأحكام التي تتبدل في شريعة واحدة أو بعد تبدلها إلى
 غيرها، هذه إنما تختلف عن غايرها في شاكلتها، لا في الأهداف الأصلية ليعلم الله
 علماً وعلامةً، المؤمن المخلص من المنافق، وليبلوهم فيما آتاهم.

فهذا القسم من التبديل، ليس نسخاً جوهرياً، ينافي وحدة الدين والطاعة،
 فليس منه تحليل المحرمات الأصلية مثل قتل النفس التي حرم الله والزنا، والسرقه،
 وما إليها من الفاحشة التي تضيع الأمور الصالحة على الأفراد والجماعات... ولا
 الترخيص في ترك الواجبات الأصلية مثل الصلوة والصيام والزكاة والأمر
 بالمعروف والنهي عن المنكر وما شاكلها.

فمن المستحيل تحليل الزنا في شريعة إبراهيم حتى يرتكها لوط النبي ﷺ! وحاشاه، كما في التورات، أو تحليل صياغة الصنم والدعوة إلى عبادته بالنسبة لهارون النبي في غيبة موسى ﷺ، كما فيها أيضاً، وما إلى ذلك كما نأتي بها عند المقارنات.

٣- ما يحرم أو يفرض عقوبة على قوم، حال أن المصلحة الذاتية أو التمييزية لا تملئ ولا تستسيغ ذلك، ومنه: ما حرمه الله على اليهود بظلمهم وعتوهم وصددهم عن سبيل الله كثيراً، فصد الله عنهم وحرّم عليهم طيبات أحلت لهم أصالة:

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخَذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٤: ١٦٠ - ١٦١).

فمن هذه الطيبات صيد الحيتان يوم سبتهم: ﴿وَسَأَلْتُهُم عَنِ الْفَرِيحَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (٧: ١٦٣).
ومنها كل ذي ظفر، وشحوم البقر والغنم إلا مستثنيات:

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (٦: ١٤٦).

ولقد عوقبوا بهذه التضييقات مدى دهر طويل حتى جاء المسيح ﷺ، ولم يأت بأحكام وتشاريع جدد، إلا واحدة: هي تحليل ما حرم على اليهود عقوبة

عليهم، قائلاً:

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ * وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ - .

شريعة الإنجيل تابعة لشريعة التورات:

﴿وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (٣: ٤٩ - ٥٠).

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ليقومهم ويشبهم على شريعة التورات، وبين لهم ما اختلفوا فيه وما اختلفوا، لا لنسخ التورات، إلا جزئيات مثل: تحليل بعض ما حرمه الله عليهم من ذي قبل، عقوبة، حيث كان تحريمه عليهم لا لهم^(١) مع أن التحريم في المحرمات الأصلية وكذا التخصيصية، يرجع نفعه إلى من حرم عليه، فما حرم عليهم، ضرراً وعقوبة لهم، لم يكن إلا من الفريق الأخير.

(١) أي كان هذا التحريم ضرراً عليهم حيث منعوا عن طيبات أحلت لهم، لا «لهم» بان يرجع هذه الأشياء بالنفع اليهم في جهة من الجهات، وشاهداً على ذلك قوله تعالى فبظلم... والظلم لا يأتي إلا بالعقوبة وهي هنا تحريم قسم من الطيبات النافعة لهم.

فقد تتركز دعوة المسيح في ناحيتين:

الأولى: هي الأنظمة الخلقية والتربوية العالية تعديلاً لخلق اليهود المادي، الذي تسرب وترسب في أعماق قلوبهم وظواهر أعمالهم.
والثانية: تحليل بعض ما حرم عليهم من ذي قبل: وهي المحرمات العقابية كما ذكرت.

... ثم بعد ذلك لا تكون بقية الاختلافات التشريعية الإنجيلية عن شريعة التورات إلا من جراء اختلافات المفترين المغترين، كأمثال بولص حيث قضى على الشريعة العملية التوراتية!

فهذه ظاهرة هامة من الاختلاف في الدين، بغياً من أهله، وإلا فلا اختلاف بين العهدين النازلين على هذين الرسولين الكريمين، إلا يسيراً نبهنا عليه.

شريعة الأنجيل لا تستقل عن التورات:

ولذلك إن القرآن لا يعتبر الإنجيل كتاب شريعة جديدة كما ويقول: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمِمْ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٤٦: ٢٩ - ٣٠).
فلقد كانت تبعية الإنجيل لشريعة التورات لحد يعتبر الجن المؤمنون بالقرآن، نزوله بعد التورات، لا بعد الإنجيل، حيث كانوا يقصدون منه البعديّة التشريعية لا الكتابية.

فاليئة الإنجيلية أمام التوراة - في نظر المسيح ومحمد عليهما الصلاة والسلام - ليست بيئة تشريع من جديد، ولقد يكفي المسيح في أنه من أولى العزم من الرسل، يكفيه نسخه لما قبله وإن في حكم واحد، فكيف وإنه قد نسخ عديداً من المحرمات العقابية.

فهذا توحيد لأهل الكتابين على دين واحد بل وشريعة واحدة، وإنما الإختلاف ناشئ من أهل الكتاب أنفسهم.

مواضيع الإختلاف بين شريعتي القرآن والتورات:

وأما شريعة القرآن: فلا تختلف عن شريعة التورات إلا يسيراً، لا كثيراً حيث الأسس التشريعية القرآنية مترامية الأطراف، متسعة متسقة، متلائمة مع الزمن حتى الأبد، ولم تكن شريعة التورات إلا لقرون محدودة إلى نزول القرآن: ذلك الكتاب الخالد في تشاريعه، وقوانينه.

فلا إختلاف بينهما إلا إختلاف الخالد عن الموقت في بعض الأنظمة الفردية والجماعية!

وطبيعة الحال تقضي بإختلاف ما، بين بناية بنيت لغرض السكنى في زمان ما، وما تبني لقرون خالدة.

هكذا شريعة التورات لم تشرع إلا كمقدمة من قوانين مترامية النواحي، محدودة بزمن قليلة، تقدمت لقوانين خالدة مدى الأعصار حتى النهاية.

فهذا إختلاف من ناحية.

ثم الاختلاف في شاكلة واتجاه وحدود بعض الأحكام - تمحصياً - مضافاً إلى التكامل الذي يقتضيه خلود الشريعة.

ثم وبالأخير، تختلف شريعة القرآن عن التورات، في أنها شريعة سهلة سمحاء، كما نأني عليها جمعاء.

إلا أن هذه كلها لا تقتضي نسخاً في الأحكام الأصلية، ولا الأصول العقائدية، ولا القصص المسرودة فيها، ولا الأحكام العقلية، ولا الأصول الخلقية ولا تبديلاً في البيئات الكونية المذكورة فيها، ولا ما إليها من الثابتات، عقلياً، أو فطرياً، أو نقلياً...

وبناءً على ذلك نعلم بيقين وإتقان: أن هذه الاختلافات الكثيرة بين القرآن والعهدين، لا تكون في هذه الثابتات العقلية أو الكونية التي لا تغير ولا تتبدل، فهذه الاختلافات هي التي اختلقها أيدي الجهل والمجمل الإسرائيلي: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ (٢: ٢١٣).

كيف لا! والقرآن يعتبر إظهار هذه الاختلافات العارمة: من الأهداف الرئيسية لنزوله:

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ وزيادة هي: ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١٦: ٦٤)... ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ...﴾ (٤٢: ١٥) أي: ما اعوج منكم وتدخّل فيكم. تجعل جذور الاتجاهات القرآنية في ناحيتين:

١ - بيان الاختلافات الباغية بين أهل الكتاب..

٢ - الهداية والرحمة الخالدة التي تضمها تشاريعه المنيرة، فشرية القرآن لا تكون إلا سلباً للإختلافات والإختلافات الكتابية، ثم إيجاباً لتشاريع جدد من المكانة حيث الكمال والخلود!

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ من أحكامه وحقائقه ﴿ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ لا زاهداً عن بيان الحق، بل رعاية لكم، حيث لا يجابهكم تصريحاً بما أخفيتم، وان كان يبينه بيان لاحب، دونما تصريح بالأصل الدخيل في الكتابين - إلا احياناً^(١) ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ... ﴾ (٥: ١٥-١٦).

القرآن رمز الوحدة الدينية:

... ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ لتوحيد الدين، وتركيز مختلف الشعوب على ركيزة وحيدة من الدين الحنيف ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ (٤٢: ١٥).
فيا أصحابي الروحيين الكتابيين هيا لتتفق على شريعة واحدة في واقعنا المرير المتناقض، كما أن الدين واحد، لأن الله لا يرضى في عصر واحد، إلا شريعة واحدة، للبشرية جمعاء، كما لا يرتضي لهم - في زمن التكليف ككل - إلا ديناً واحداً هو التسليم لله تعالى بمختلف العصور.

(١) كمثل نسبة الزنا إلى الأنبياء وشرب الخمر واصطناع الاوتان، فلا ينقل القرآن مثل ذلك ولو لتزييفها، ذوداً عن كرامتهم لكيلا يذكروا بسوء ولو للتزييف، وانما يلقي نظرة عامة شاملة تشمل قداسة الأنبياء وطهارتهم عما ينسب اليهم من السوء والفحشاء!

﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٥١: ٥٠) ففروا إليه، من التقاليد والعصبيات القومية والطائفية، وما إليها من المسالك العمياء، ألا فتحرروا عنها وتحلوا، ثم ففروا إلى الله ليهدينا أجمعين إلى ما يرتضيه من الدين ف﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٣٤: ٢٤).

فلا الحق بخارج عنا! ولا كلنا على الحق حالياً، ولو لم يمس ساحة الكتب المقدسة إطلاقاً أي اختلاق واختلاف وتحريف، حيث لا يحكم علينا في دور واحد إلا حكم واحد - وليس هامة الاختلافات الشرعية إلا من المحرفين الطغات!

تحرف العهدين يفرض نزول كتاب بعدهما لم يحرف ولن يحرف

ومحال أن يذرنا ربنا اللطيف في طغياننا نعمه، وفي غينا وعيِّنا نتردد طيلة العصور، والأمر يدور مدار هذه الكتب الثلاثة - لا - بل وبين العهدين (حيث هما واحد) وبين القرآن.

ومحال أن يكونا جميعاً محرفين، لأن النبوة انقضت، وعلى الله قصد السبيل، فإما هما جميعاً كما أنزلا لحد الآن أو احدهما دون الآخر، فإن ثبت - كما مضى وناتي عليه - أن العهدين محرفان، فقد يكفي ذلك موحياً لأمرين:

١ - أن القرآن كتاب الوحي الأخير.

٢ - وأنه لم يحرف.

وإن كنا نحن المسلمين لا نحتاج إلى ذلك لأن القرآن يكفيننا بنفسه شاهد صدق ما أصدقاه! على صيانتته عن التحريف.

تصديق القرآن للكتابين وحدوده:

الأسقف: أستاذ! ما هذه التهكمات على العهدين، والقرآن يصدقهما ويقرهما في آيات متعددة!

المناظر: تصديق فحسب؟ أم وتقرير وتثبيت للبشرية على شريعة التورات، حتى يصبح القرآن ناقضاً لنفسه؟ أم...

الأسقف: كل ذلك بل وأكثر، حيث إن القرآن يعتبر نفسه ترجمة للكتاب الإمام: التورات، فهو نسخة عربية عن العهدين...!

المناظر: علينا أن ننظم ذلك في فصول: أخذاً من الأخير فما قبله من مواضع إعتباراً بما فيه من بحوث، أو دلالة لما به من آيات.



هل القرآن نسخة عربية عن العهدين؟!

الحفلة الثالثة:

حفلة كتيبة - نستعرض فيها أنظار الباحثين من ربيين وقسيسين فيما ألفوه رداً على القرآن! أو وضعوا أسئلة عليه.

... إن السؤال الأخير للأسقف لم يكن بدعاً منه، فقد سبقه مؤلفون كثير^(١) وقد ظهر من جديد كتاب ضخيم في أربعة عشر مجلداً للأستاذ حداد: القرآن والكتاب^(٢)، بعنوان دروس قرآنية، وقد اتخذ مؤلفه في مختلف بحوثه، صورة جميلة، وشاكلةً ظاهرها بادية بدءاً أنه يريد توحيد الدين، يحترم القرآن ونبيه، دون تعددٍ وقحٍ ظاهر عن طور البحث، غير أنه يبتغي من وراء ذلك، القضاء على القرآن ووحيه، بزعم إستدلاله بايات من القرآن على نقضه ونقصه، «ظاهرة فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب»!

(١) مثل الدكتور فندر الالماني في ميزان الحق، ويوحنا الغيور في الباكورة الشتية في الروايات

الدينية، وعبدالمسيح في ينابيع الإسلام.

(٢) وقد رديت عليه في كتب ثلاثة: ١ - هذا الكتاب، ٢ - عقائدنا، ورسول الإسلام في الكتب

الساوية.

وإنني بصفتي طالباً روحياً من المسلمين، أسير سيراً رويداً في هذا الكراس المتواضع، مع المرتابين المتحاملين على الذكر الحكيم، أسير معهم سيراً برفق، استعراضاً لنظرات المؤلفين الإنجيليين واليهود - قديماً وحديثاً - بالنسبة للقرآن والعهدين، ثم مجادلة لهم بالتي هي أحسن، داعياً لهم بالحكمة والموعظة الحسنة، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

الأستاذ حداد يتكلم عن الجذور القرآنية:

هل بين القرآن والعهدين إتصال ونسب؟

حداد: هنالك تصاريح من القرآن: أن بينه وبين العهدين اتصال ونسب حيث: (١) التوراة إمامه (٢) وهو في زير الأولين (٣) وهو تفصيل وتعريب للكتاب المقدس (٤) وهو آيات بينات في صدور الذين اتوا العلم وهم علماء أهل الكتاب (٥) ويجب أن يقتدي محمد في قرآنه، بالكتاب واهله (٦) وإذا شك فيه فليسأل أهل الكتاب ليعلموه» وإلى ما أشبه من أقاويله^(١).

إن الحداد يفتح هنالك أبواباً ستة يمس فيها من كرامة القرآن ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾!

وإليكم إحتجاجاته بما يزعم من آيات كما يلي:

١ - ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً...﴾ (١١: ١٧، ٤٦، ١٢)

(١) إنما ننقل هنا خلاصة مما كرره حداد - بمعناه - ونزيده إستدلالاً على ما ذكر كي لا يبقى شيء إلا ونأتي عليه في الإشكال والجواب.

حيث يعتبر القرآن كتاب موسى إماماً عليه ورحمة - فالقرآن مأوم يقتدي بإمامه
فيما إليه، اللهم إلا في اللغة والتعبير!

المناظر: إنني أجد هذه الجملة التي تستندون إليها فيما تزعمون، عشرات
المرات في كتابكم الضخم! فليتكم إستعرضتم الآيتين تماماً لتكونا صالحتين للإستناد
إما لكم أو عليكم، وهما كما يلي

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ
مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ
مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِّن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١١: ١٧).

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ
يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكُ قَدِيمٌ * وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا
وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ
لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ (٤٦: ١١ - ١٢).

كتاب موسى شاهد صدق للقرآن:

فالآية الأولى تصرح أن محمداً ﷺ على آية بينة من ربه تدل على صدقه
في دعواه، وهذه البينة هي الصفات المحمدية ﷺ: من أقواله وأفعاله وأخلاقه
وسيرته.

ويتلوه ملتصقاً به شاهد منه، شاهد كتابي هو القرآن، وبشري هو الإمام علي
عليه أفضل الصلاة والسلام، حيث هو ممثل الرسول ووليد الروحي، لآية أنفسنا،

ومن قبل محمد كتاب موسى الذي أنزل عليه، لا كل كتاب، ولا كل ما يتسمى بالتورات، لأن القرآن يزيّف شيئاً كثيراً من هذه التورات، فكتاب موسى الذي أنزل من قبل، شاهد ثالث يشهد بصدقه في دعواه، إعتباراً بالبشارات التي تضمها التورات وقد ذكرنا ستين بشارة بمختلف اللغات - في كتابنا: «رسول الإسلام في الكتب السماوية».

إحتفاف محمد ﷺ بشهود ثلاث:

فقد حف النبي محمد ﷺ بشهود ثلاث، معه وقبله وتلوه، وهؤلاء شهود صدقه في نبوته ودعوته، وما خلا كتاب موسى ﷺ يشترك فيه الكتائبون وغيرهم برهاناً لرسالته، والكتابي يختص ويمتاز في هذا الثالث (التورات) حيث يمي عليه الإيمان بمحمد، لأن موسى إمامه وكتاب موسى إمامه، فاقتداء الكتابي بتورات موسى، يلزمه على الإقتداء والإيمان بمن بشر بنبوته، فمن قبل محمد شاهد صدق، هو كتاب موسى حجة على الكتابي، حال كونه إماماً للكتابي كما أن موسى إمامه، فاوئلك الكتائبون، أحرى لهم أن يؤمنوا بمحمد ﷺ، إعتباراً بشهادة موسى وكتابه: الإمامين، مضافاً إلى الشاهدين الأخيرين: معه وتلوه، ومن يكفر به من الأحزاب من الكتائبين وغيرهم، بعد تكملة الشهود، فالنار موعده وموئله، فلا تك يا محمد في مرية^(١): جدل، من نبوتك وكتابك، فبعد هؤلاء الشهود لا تضطر إلى جدل ومرية لنصرتك فإنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يعلمون، هم يجهلونك، لجهلهم وعقم عقولهم من إستيعاب مفهوم برهانك.

(١) المرية ليست بمعنى الشك بل هي المرء أي الجدل.

والآية الثانية: تذكر إفتراء الكافرين ودعائياتهم السيئة ضد رسول الله محمد ﷺ من حيث إرباك المؤمنين، ومنها: أن لو كانت شريعة القرآن أو نبيه خيراً، ما سبقتونا إليه، بما أنتم غير الكتائبين، أناس بسطاء جهال! حيث إننا السابقون في كل خير، لتقدمنا في العلم والمال والمحتد. فإذ لم يهتدوا بالهدى، فسيقولون هذا إفك قديم، له سابقه و جذور مختلفة زور.

وهذه الإدعاء لا تناسب وبيئة الكتائبين أن يتقولوها، لأن كتاب موسى النازل قبل القرآن هو إمامهم ومقتداهم في كل شيء، وهو يدلهم على صدق القرآن ومن جاء به ببشاراته وسائر دلالاته، فليقتدوا بإمامهم، وليؤمنوا بمحمد ﷺ وكتابه بالأحرى، لا أن يكفروا به ويتقولوا مقالتهم الزور: إنه إفك قديم، فهذه مقالة من لم يأنس بكتاب ولم يسبق له الإيمان بمثل موسى وكتابه: إماماً ورحمة.

ثم إن القرآن أيضاً كتاب يصدق موسى بلسان عربي مبين، فهناك تصادق وتناصر من الجانيين، فما بال أهل الكتاب لا يؤمنون، ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ (٤٥: ٦)!

فعجب من الحداد، كيف لا يحدّ نظره إلى هذه الآيات البينات، فيستدل بما هو حجة عليه، ولا يرجع عند ذوي الحجى إلا بفضيحته!
ولنسأله هناك:

أين إمامة التورات للقرآن في الآتين؟ ولم يسبق للقرآن ذكر فيها حيث الأولى تذكر رسولنا الأعظم محمداً ﷺ أنه على بينة من ربه، والثانية الإيمان به، ف«من قبله» أي قبل الرسول محمد ﷺ لا قبل القرآن!

ولو كان هناك ذكر صريح للقرآن أيضاً لم تمت الآية بصلة لإمامة التورات للقرآن، لأن إمامة موسى وكتابه لا علاقة لها إلا بالأمة الإسرائيلية، فسواء أكان كتاب موسى إماماً روحية من قبل محمد ﷺ أو قبل قرآنه، لم تمت هذه الإمامة (كيفما كانت) بصلة؛ لا لمحمد ﷺ ولا لكتابه، وإنما الصلة الوثيقة هنا وهناك، وجوب إيمانهم بمحمد ﷺ للشهادة السالفة من كتاب موسى، إماماً لهم ورحمة وحجة عليهم.

فإن كل كتاب إنما هو إمام لأمته، لا يدعوهم إلى من قبلهم ولا من بعدهم، فضلاً عن كتاب يتلوه مثل القرآن، مهيمناً عليه ومستكماً آياه؛ فالمهيمن هو الإمام للمهيمن عليه دون العكس، رغم ما يهواه الحداد!

محمد ﷺ شهيد الشهداء:

وبعدئذ فإن القرآن يدلنا من ناحية أخرى بينة، أنه إمام لمن سبق ومن سوف يلحق، وكذلك رسوله رسول للمكلفين كافة، لا فحسب، بل وإلى رسلم السالفين أيضاً، فهو رسول للرسول وشهيد على الشهداء:

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (٤: ٤١).
 ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾ (١٦: ٨٩).

فإذا كان الرسول الأعظم محمد ﷺ شهيداً على الرسل بأممهم، يوم يقوم الأشهاد، فبالأحرى هو شهيد الشهداء في الدنيا.

محمد ﷺ رسول إلى الرسل:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَيَّ ذَالِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّائِي قَائِلِينَ قَالَ أَفَرَأَيْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٣: ٨١).

فهذه الآية وأضرابها تعتبر رسالة محمد ﷺ، رسالة إلى الرسل كافة وإن كانوا قبله ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾ فهو إمام على النبيين أجمعين، وعليهم أن يؤمنوا به إيمان الأمم برسولهم، وأن ينصروه نصرته الأنصار لأنبيائهم: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾.

ولا يضاهاه ويداني الرسول الأعظم محمد ﷺ رسول، وإن كان من أولى العزم من الرسل، حيث لم يؤمر أي رسول أن يؤمن برسول آخر، وإن كان أكبر منه وإنما أمروا بتصديق أضرابهم وهو غير الإيمان بهم، ولا أن رسولاً صاحب شريعة فذة أرسل إليه رسول، إلا رسول الإسلام محمد ﷺ، فقد أمر النبيون أن يؤمنوا به من ذي قبل - حيث أرسل إليهم - وأن ينصروه بما يبشرون من البشارات به في أممهم.

فمحمد رسول إلى الرسل وشهيد عليهم، وهو إمام الأئمة، وكذلك قرآنه مسيطر على كتبهم ومهيمن عليهم، هيمنة الأمام للمومنه، وسيطرة الزعيم على كواهل رعيته.

٢ - الحداد: كيف لا والقرآن في زبر الأولين وفي الصحف الأولى^(١) فليس

(١) هذا الاعتراض مذكور أيضاً في كتاب الهداية المطبوع بمعرفة المرسلين الأمريكين بمصر سنة

كتاباً مستقلاً عنها بل إنما هو نسخة مجموعة من زبر الأولين: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبْرِ
الْأَوَّلِينَ﴾ (٢٦: ١٩٦) ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَى﴾ (٨٧: ١٨ - ١٩).

فكيف يتلائم أنه نزل به الروح الأمين، بنزول مستقل، مع أنه في زبر الأولين!
هل هذا إلا تحصيلاً للحاصل من ذي قبل؟

المناظر: هنالك أجذك يا حداد لا تمنع النظر إلى الآية في مغزاها ومرامها،
وإنما تنظر بنظرة خاطئة، تحول ببصرك إلى نقطة تريدها، دون أن تعدوها إلى
غيرها، وإن في الآية نفسها، أجذك خارجاً عن طورك، ترمي غير مرمك، وتنحو
غير منحك، فقف عند حدك، وخفف عن جزرك ومدك، فليس كتاب الله لعبة تلعب
به كيفما تريد!

وإليك الآيات فافهمها، كي تكون أنت ومن معك على بصيرة من أمركم:
﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ
لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ * وَإِنَّهُ لَفِي زُبْرِ الْأَوَّلِينَ * أَوْلَمَ
يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (٢٦: ١٩٢ - ١٩٧).

البشارة بنزول القرآن في زبر الأولين:

«وانه»: أي كون القرآن تنزيلاً من رب العالمين بلسان عربي مبين، ذلك:
مبشر به في زبر الأولين: أنه سوف ينزل كتاب بلسان عربي لا عبري^(١) بالرغم مما

→ ١٨٩٨ - في ص ٤ ج ٢.

(١) ولا يرجع الضمير في انه إلى ما يرجع إليه، «وانه لتنزيل» لما يلي:

يزعمه شردمة من أهل الكتاب: أن الوحي والنبوة خالداً في بيت إسرائيل، لا يعدوانه إلى بيت آخر، فرغم ذلك: إن بشارته نزول كتاب مهيمن بلسان آخر على نبي غير اسرائيلي، ذلك مبشر به في زبر الأولين، لا أن هذا القرآن بنفسه في زبر الأولين، بلغته ومعناه، ولا بمعناه دون لغته، لأنه ينسخ زبر الأولين، ويبين ما حرف منها، وبكل تشاريعها غير المنسوخة... فكيف يعقل أن يكون القرآن بنفسه في زبر الأولين، إلا من حيث البشارة بكيانه ولسانه، وإليكم نموذجاً من ذلك نقلاً عن الأصل العبراني:

(اشعيا ٢٨: ٩ - ١٤) **إِت مِي يُورِه دِعاهِ وَات مِي يابِين شِمُوعاهِ
غِمْوَلِي مِحالابْ عِثِمِي مِشادايِم (٩) كِي صَوْلَا صَاوْ صَوْلَا صَاوْ - قَوْلَا قَاوْ
قَوْلَا قَاوْ زَعِير شامْ زَعِير شامْ (١٠) كِي بِلَعَجِي شافاهِ وَبِلاشُونْ احِرْتْ يَدَبَّر
إِل هاعام هَذَه (١١) أَشِيرْ آمَزْ إِلِيهِمْ زِنْتْ هَمَّنُوحاهِ هانِيحُو لِعايفْ هَمَّرَجَعاهِ
وَلا آبُوءْ شِمُوعْ (١٢) وَهاياَهْ لاهِمْ دَبَزْ يَهُواَهْ صَوْلَا صَاوْ صَوْلَا صَاوْ قَوْلَا
قَاوْ قَوْلَا قَاوْ زَعِير شامْ زَعِير شامْ لِمَعْنْ يَلْحُوْ وَخاشَلُواْ حُوزْ وَنِشْبَارُوْ**

→ ١ - مرجع الثاني غير مذكور قبل ذلك وقد يفهم من فحوى الكلام أنه القرآن، مع أن قوله تعالى: ﴿ بلسان عربي مبين ﴾ وما قبله إلى: التنزيل... يصلح مرجعاً منصوحاً قريباً للضمير في: وانه لفي زبر الاولين، فليرجع إليه لهذين السببين.

٢ - «نزل به الروح الأمين» شاهد على أن القرآن وحي مستقل وانه ليس مأخوذاً عن زبر الأولين، بل هو كتاب وحي فذ.

٣ - «أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل»: شاهد آخر، يعتبر خبرة علماء بني إسرائيل آية على وحي القرآن، لا على كونه متخذاً من زبر الأولين، وإلا لانتقل شاهداً ضد الوحي القرآني!

وَنُوقِشُوا وَنَلْكَادُوا (١٣) لَاحِنٌ سَمِعُوا دَبْرَ يَهُوَاهُ أَنْشَبِي لَأُصُونُ مِثْلِي -
هَاعَامُ هَذِهِ أَشْرِيئِرُ وَشَالَامُ (١٤) عن الأصل العبراني.

النبى الأمى محمد ﷺ يكلم شعب إسرائيل بغير لسانهم:

فهذه الآيات المنيرة في زبور من زبر الأولين: كتاب أشعياء النبي ﷺ تبشر
الأجيال البشرية، وبالأخص تبشر بني إسرائيل: أنه سوف يأتيهم كتاب من الله،
وإليكم تفسيرها:

... لمن يعلم معرفة ولمن يفهم تعليماً؟ ألمفطومين عن اللب. للمفصولين عن

التدي؟ (٩)

لأنه أمر على أمر. فرض على فرض، فرض على فرض، هنا قليل هناك قليل

(١٠) إنه بشفه لكنا: بلسان آخر، يكلم هذا الشعب (١١)

الذين قال لهم: هذه الراحة أريجوا الرازح، وهذا هو السكون، ولكن لم يشاؤا

أن يسمعوا (١٢).

فكان لهم قول الرب أمراً على أمر، أمراً على أمر، فرضاً على فرض، فرضاً

على فرض، هنا قليلاً هناك قليلاً، لكي يذهبوا ويسقطوا إلى الورا، وينكسروا

ويصادوا فيؤخذوا (١٣).

لذلك إسمعوا كلام الرب، يا رجال الهزاء! ولالة هذا الشعب! الذي في

أورشليم (١٤)!!!

فهذه الآيات البيئات، بالرغم من تأويل الحداد ومن إليه، تفسر الآية:

﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ بأن القرآن بُشِّر به في زُبُرِ الأولين، ومنها كتاب اشعيا: من أعظم انبياء بني اسرائيل، ولقد احتفظ فيه على بشارات متوفرة ذكرناها في كتاب رسول الإسلام في الكتب السماوية.

فقد صرحت هذه الآيات وقرعت اسماع بني إسرائيل قائلة:

«كِي بِلْعَجِي شَافَاهُ وَبِلَا شُونَ أَحْرِت يَدِّ بِرِالِ هَاعَامِ هَذِهِ!»

لأنه بلهجة، شفه لكنا، بلسان آخر لسان غير لسانهم، يكلم هذا الشعب.

فكما أن غير العربي من الألسنة، يعتبر عند العرب أعجماً حيث لا يفقهونه،

كذلك غير العربي: عربياً أم غيره، يعتبره العبريون أعجماً لكنا.

فقد صرحت الآية: أنه سوف يكلمهم، نبي غير إسرائيلي، يكلم شعب

إسرائيل بغير لسانهم.

أجل: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَيَّ

قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ * وَإِنَّهُ﴾ يعني نزول هذا

الكتاب بعربي مبين، ﴿لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾:

«كي بلعجي شافاه، .. - إنه يكلمهم بغير لسانهم، رغم أنهم يسمونه أعجماً

لكنا، حيث يختلف عن عبريتهم، فرغم ذلك، إنه: يكلمهم بلسان عربي مبين.

«أو لم يكن لهم» بني إسرائيل «آية» على أن القرآن نازل من عند الله «أن

يعلمه» كذلك «علماء بني إسرائيل» اعتباراً بمثل هذه التصاريح القيمة؟!

فلئن أضربوا صفحاً عن ذكريات صدق محمد ﷺ، التي هي معه ويتلوه:

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ حينذاك فليأتوا بالكتاب

الإمام: كتاب موسى وما يلحقه ويتبعه من كتاب، حتى يدلهم على صدق محمد ﷺ وقرآنه!

«ومن قبله كتاب موسى إماماً» لبني إسرائيل «ورحمة» لهم: شاهد صدق على رسالة محمد ﷺ وصدق الوحي في كتابه.

فهذا هو النبي الأمي الذي يكلمهم بغير لسانهم، وهو من غير بيتهم، نبي إسماعيلي، لا اسرائيلي! وهو أمي: «مفطوم عن اللبن ومفصول عن الثدي» اشعيا ٢٨: ٩.

ولقد كان الرسول الأعظم محمد ﷺ مفطوماً عن لبن أمه مفصلاً عن تديها بمعنيين:

١ - فطم بادي بدءٍ عن لبنها إلى غير لبنها، ٢ - ثم هو مفطوم الرضاعة من تدي أمهات العلوم البشرية، إلا عن تدي الوحي: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ (٥٣: ٣ - ٥)، ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٠: ١٦) أجل إنه يرتضع من تدي الوحي، لا دفعة شاملة... بل هو:

«أمر على أمر، أمر على أمر، فرض على فرض، فرض على فرض» اشعيا ٢٨: ١٠.

تنزل عليه قطرات لبن الوحي نجوماً، كما نزلت آياته عبر الدعوة وطوال البعثة، حسب الظروف والبيات المناسبة!

* * *

إنه يقول لشعب إسرائيل: «هذه الراحة أريحوا الرايح، وهذا هو السكون».. / ١٢ /

أجل: ﴿وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ (١٨: ٢٧) أريحوا أنفسكم من تلكم الشتات المختلفة، تحللوا عن العصبيات العنصرية المركزة في قلوبكم، ففي كتابي هذا المجد والراحة، والروح والرضوان!

... «ولكن لم يشاءوا أن يسمعوا (١٢) فكان لهم قول الرب أمراً على أمر أمراً، فرضاً على فرض فرضاً على فرض، هنا قليلاً وهناك قليلاً، لكي: يذهبوا» هؤلاء الذين في آذانهم وقر «ويسقطوا إلى الوراى وينكسروا ويطادوا فيؤخذوا» (١٣):

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تَقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءٌ وَبِغَضٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٣: ١١٢).

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءٌ وَبِغَضٍ مِّنَ اللَّهِ...﴾ (٢: ٦١)^(١).

«يا رجال وولاة اورشليم!»

لذلك: لكي لا تذلووا وتظلووا منكسرين «اسمعوا كلام الرب» في قرآنه الناطق

(١) سوف نأتي على حدود وبيئات الذلة والمسكنة لليهود ومن إليهم، فيما يناسبه من بحوثنا في هذا الكتاب.

عليكم بالصدق، «يا رجال الهزء! ولاة هذا الشعب الذي في أورشليم» (١٤) حيث يقول:

... ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلُّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ (١١: ١١٢).

وهذه الصرخة الحمديّة ﷺ مدوية مع الأبد بين الشعوب، إلى أن يظهر الله به دينه على الدين كله، ولذلك أرسله:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا * مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٤٨: ٢٨-٢٩).

عود على بدء:

﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ هكذا يا حداد! لا كما تزعمه أنت.

وكذلك: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾

هكذا! لا كما تهواه.

فإن المشار إليه بهذا إنما هو قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ * وَذَكَرَ اسْمَ

رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿ فقد يربط الفلاح لكل أحد بأن يتزكى هو لا غيره:
 ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿ أَلَّا تَزِرُ
 وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿
 ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴿ (٥٣: ٣٦ - ٤٢).

فالمذكور في الصحف الاولى، المشار إليه في الآيتين، إنما هو اشتراط الفلاح
 بالتزكي وذكر اسم الرب والصلاة ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾.

وهذا تزييف لما تعتبرونه أصلاً من أصول التعاليم الإنجيلية: أن المسيح ضحى
 بنفسه عن أمته بعذاب الصليب، فلا يعذبون مهما كانت أعمالهم فاسدة! بل ويثابون
 بعمل المسيح!

هكذا - لا كما تزعمه أنت! من أن القرآن مجموعة عن زبر الأولين، ونسخة
 عربيه منها!!!

أجل وإن زبر الاولين شهود صدق على وحي القرآن، وعلى تزييف
 اختلافاتكم كمثل خرافة لعنة الناموس، القائلة: إن المسيح عليه السلام ضحى بصليبه عن
 أمته، فهم مفلحون بعمل المسيح، وقد حمل أوزارهم كاملة بما فعل...!

تناقض بين:

وبعدئذ، كيف تستيغ ذاك التقول البارد: أن القرآن مجموعة مما في زبر
 الاولين؟

أفلا يلزم حينذاك تناقضاً وتناسخاً في زبر الاولين؟ لأن القرآن تكذب طرفاً

من آياتها المتدخلة، وتنسخ منها أخرى، وتكمل ثلاثة نزلت على انبيائها من ذي قبل:

فإنها تزيف كثيراً مما فيها من الدخيل المفتعل، إلى حيث تعتبر نسخاً من التورات مكتوبة بأيدي علمائها العملاء، افتراء على الله:

﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (٢: ٧٩).

وكذلك تعتبر كثيراً من أحكامها وقصصها زوراً تدخلت في كتب الوحي: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٢٧: ٧٦). وبعدئذ تلتقي نظرة عامة قاسطة إلى زبر الأولين، النازلة على انبيائها، تنسخ شيئاً من أحكامها تارة، ويكمل آخر منها أخرى.

وأخيراً نجد فيها تصاريح قيمة، أن اسم محمد ﷺ مكتوب في التورات والأنجيل:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ... فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٧: ١٥٧).

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَ مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (٦: ٦١).

ذلك، وقد استخرجنا بشارات بحق الرسول الأعظم ﷺ في «رسول الإسلام في الكتب السماوية».

فيا صاحبي الحداد! لو فكرت بحديد النظر! ليتك اتعظت بزدياك العبر! وشعرت أنك تحفر لنفسك وذويك الحفر، تريد تقضي على القرآن بآياته الكريمة، رغم أنها تقضي عليك هكذا، كما مر، وسوف تأتي عليك فيما نتلوه عليك من العزر.

هل إن القرآن تفصيل للتورات أم لأم الكتاب لدى الله علي حكيم؟

٣ - حداد: مهما يكن من شيء فلا شك «أن القرآن تفصيل للكتاب المقدس، للقول المكرر بأنه تفصيل الكتاب وتصديقه، فهل يفصل النبي كتاباً لا يعرفه»^(١) -
«يؤكد القرآن منذ البداية حتى النهاية صلته وتضامنه مع الكتاب حتى ليرشح في ذهنك أن القرآن نسخة عربية عن الكتاب المقدس الإمام حسب ظروف البيئة، وظل يردد طيلة العهد بمكة أن القرآن من الكتاب:

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ (٣٥: ٣١).

فالقرآن من الكتاب وهو تصديق للكتاب^(٢).

وقد قرن شهادة علماء الكتاب له بشهادة الله، وعلماء الكتاب لا يمكنهم أن يشهدوا إلا للكتاب الذي بين أيديهم، لا لكتاب في السماء لا يطالعونه... فالقرآن

(١) ص ٦٢٢ من القرآن والكتاب بعين عبارته.

(٢) ص ٧٨.

تعريب الكتاب على طريقته وتفصيله للعرب، وتصديقه بينهم كما تستسيغه بيئتهم
﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾^(١).

وللتصريح المكرر، كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً ١: ٤١: ٣ يجعل القرآن ترجمة
للكتاب، أو كما يقول: تفصيلاً له -...^(٢) وهذا ما يرشح من السور كلها^(٣).

القرآن تفصيل لأم الكتاب ومهيمن على ما قبله من كتاب:

مختلف مصاديق الكتاب في القرآن

المناظر: إنما النقطة الهامة التي بنيت عليها تلكم البناية الفاشلة، إعتباركم لفظة
الكتاب: أنه الكتاب المقدس فحسب! وهي نقطة جاهلة سوداء، ولستم في هذه
الدعوى إلا كمن انس بكتاب يدرسه طيلة حياته دون أن يعدوه إلى غيره، فكلما
يسمع لفظة الكتاب يحسبه كتابه ليس إلا، فهل هذه إلا مشية عشواء عمياء!

﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ
مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٦٧: ٢٣).

كلا! فكل مقال مجال، فاليك تصارح في القرآن، بالنسبة لمختلف مصاديق
الكتاب لتقوم عن نومتك:

(١) ج ١ ص ١٨٧ - ١٨٨ المصدر.

(٢) ج ٢ ص ٦٦٣ - وغيره ذلك من هذه الاستشهادات المكرره بالعشرات وهي التي ضخمت
كتابه!

(٣) ج ٢ ص ٨٢١.

فقد يراد بالكتاب كل ما نزله الله من كتاب: ﴿... وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ...﴾ (٢: ٢١٣).

وأخرى كتاب موسى عليه السلام أو غيره من انبياء الله: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ...﴾ (٢: ٥٣).

وثالثه: ما يفرضه الله على الناس: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ (٤: ٢٤)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ (٢: ١٨٣)، ﴿وَلَا تَعْرَمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ (٢: ٢٣٥).

فهل الكتاب هنا أيضاً التورات فلا يجوز النكاح للمعتدات حتى تبلغ التورات أجله؟! أو الصيام، وتحريم المحصنات وأمثالهن هما التورات!!

ورابعة: يراد هذا القرآن الكريم: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ...﴾ (٢: ٨٩). ﴿... يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ (٢: ١٢٩)، ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ (٣: ٣)، ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ (٣: ٧)، ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ (٤: ١١٣).

إلى عشرات وعشرات من هذه التصاريح أن القرآن هو الكتاب الأخير الخالد، بل هو الأصل الأصيل في كتابات الوحي كما في آيات عدة.

يا صاحبي! فما هذا التأويل العليل، أن الكتاب إنما هو الكتاب المقدس «العهدان»! فهل تستسيغ للملة الإبراهيمية أن تحمل لفظة الكتاب في التورات على

ما أنزل على إبراهيم من الصحف فحسب، ثم تعتبر أن التورات ترجمة عن صحف إبراهيم؟

أم كيف تستسيغ، دوفا أية حجة إلا عليك، أن الكتاب في مثل تلکم التصاريح إنما هو الكتاب المقدس، كما تكرر قوله تعالى:

﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (١١: ٤١) .. ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ (١١: ١). ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْءَانُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٠: ٢٧).

فلا ترضى إلا أن الكتاب في هذه التصاريح هو الكتاب المقدس، والقرآن تفصيله، رغم أن القرآن يدعى نزوله على محمد ﷺ، فذاً:

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (٢٦: ١٩٢ - ١٩٤).

فهل إن ذلك إلا فرية على الله، إذا كان القرآن نسخة عريبه - كما تشتهي - من الكتاب المقدس، دوفا نزول له بالوحي أخيراً؟ وأنه تفصيل له حال أنه يحصر في تصاريح أن نزوله بواسطة الروح الأمين على قلب النبي محمد ﷺ، لا بواسطة تعليم علماء العهدين قرائة على سمع الرسول ﷺ.

وكذلك هناك تصاريح تنفي فرية الإختلاق وكل نسبة كهذه إلى ساحة القرآن سوى الوحي، في آيات تفصيل الكتاب:

﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْءَانُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي

بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ
قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ... ﴿ (١٠: ٣٧-٣٨).

فلو كان نسخة عربية من العهدين على تبديل في النظم، رغم أنه ينسبه إلى
الوحي، أفلم يكن ذلك فرية على الله؟ فالقرآن إذاً تفصيل لأي كتاب؟
ثم هناك قول فصل بالنسبة لمدارج القرآن في شواكله وبيئاته، من الأحكام
والتفصيل كما يلي:

منازل القرآن:

فاول منازل القرآن هو علم الله وحكمته: ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمَّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا
لَعَلِّي حَكِيمٌ ﴾ (٤٣: ٤) ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ
الْكِتَابِ ﴾ (١٣: ٣٩).

فأم القرآن وأصله وكذلك غيره من كتب الوحي إنما هو لدى الله، فيمحوا ما
يشاء منه نسخاً، ويثبت ما يشاء، وما دام الكتاب في علم الله فإنه حينئذ لديه لعلي:
عن أن تناله الأفهام، وحكيم: من أن يتدخل إليه الأوهام، هو لديه بصورة محكمة
دونما تفصيل، ثم يفصله كما يريد، إما كتفصيل التورات لمحكمة، وإما القرآن كذلك،
فأصل الكتب كأصل الدين واحد، وإن كانت شاكلة التفصيل قد تختلف لمكان المحو
والإثبات.

ثم للقرآن صورة محكمة مجمله ثانية، وهي النازلة على قلب الرسول الأعظم
محمد ﷺ في ليلة مباركة: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ *

فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤٤: ٣ - ٤﴾ وهي ليلة القدر: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (٩٧: ١) وهي في شهر رمضان: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ (٩٧: ١).

ثم شاكلته الأخيرة مفصلة بينة تنزل آياته الكريمة نجومًا، طيلة البعثة عبر الحوادث: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ دفعة واحدة، ليلة القدر «ثم فصلت» عن هذا الإحكام ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (١١: ١).

فالحكيم الذي أنزله محكمًا في ليلة القدر، هو الذي فصله نجومًا على خبره وعلمه: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ (٤: ١٦٦).

فما القرآن المفصل إلا تفصيلًا عن محكم هو هو، إلا في الشاكلة والمنزلة، بلسان عربي مبين، ولم يكن حال الإحكام بأي لسان ولا بينًا أي: عربيًا، لأي أحد، إلا للرسول النازل عليه في الإحكام الثاني، فهو في الأول ﴿لدى الله علي حكيم﴾ ما كان يعلمه حتى الرسول: ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ (١١: ٤٩) ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِأَرْتَابِ الْمُبِطِلُونَ﴾ (٢٩: ٤٨).

فالكتاب المبين الذي يقسم به القرآن: ﴿حَمَّ * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٤٣: ١ - ٣)، هو ذلك الكتاب الذي كان في علم الله عليًا حكميًا، ثم في قلب الرسول محكمًا دونما تفصيل لا مقروا على أحد ولا عربيًا؛ واضحًا، ثم جعله الله مقروا بلسان عربي، يبين بأوضح بيان، وكذلك الكتاب الذي: ﴿فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (١: ٣) فصلت بعدما أحكمت: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (١١: ١)

فصلت بشاكلتها عربية بيّنة، تُقرأ على السامعين.. بعد ما كانت جملة غير مقروءة بأي لسان .

بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم :

هذا - وأما المعنى من قوله تعالى ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ (٢٩: ٤٩) فليس كما يهواه الحداد، لكي يتلوه بمقالته الزور: وعلماء الكتاب لا يمكنهم ان يشهدوا إلا للكتاب الذي بين أيديهم، لا لكتاب في السماء ولا يطالعونه!

فمن اين لك يا حداد! أن الذين أوتوا العلم إنما هم علماء أهل الكتاب؟ حال أن القرآن يعتبر مثل آصف بن برخيا ممثل سليمان - الأول - الذي أتى بالعرش قبل أن يرتد إليه طرفه، يعتبره أنه علم شيئاً من علم الكتاب لا كله، ويعبر عنه: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ (٢٧: ٤٠).

فهل إن علماء الكتاب، على عيهم وغيهم في كثير من حقائق العهدين، بل وآياتها الفريدة المحرقة، أهولآء هم الذين أوتوا العلم جمّاً، وممثل سليمان لم يؤت إلا شيئاً من علم الكتاب؟!

إذا فما هم إلا رسول الله محمد ﷺ ومن ينحو منحاه من أهل بيت الوحي والتنزيل، لا يعدوهم إلى عباقرة علماء الإسلام فضلاً عن غيرهم .

ثم لو شملتهم الآية، فلا يعتبر علمهم بالقرآن، إلا من حيث كونه نازلاً من عند الله: آيات بينات النزول، لا بينات الحقائق والتأويلات لهم، وذلك للبشارات المتوفرة السالفة لنزولها بلسان عربي مبين، كما في كتاب أشعياء، فمن أبصر وتبصر

من علماء العهدين، هذه البشارة وما إليها بالنسبة للقرآن ونيبه، فهذه الآيات بينات النزول في صدره اقتضاءً بسابق علمه بنزوله هكذا، لا بينات الحقائق اطلاقاً إلا لمن نزل عليه .

ولذلك يقول: ﴿بَلْ هُوَ الْقُرْآنُ﴾ ﴿ءَايَاتُ بَيِّنَاتٍ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ من قبل، لتلكم البشارات وكذلك ﴿أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ كما أنزلنا إلى مَنْ قَبْلِكَ مِنَ النَّبِيِّينَ ﴿فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ للبشارات السالفة به ولأنسهم بالوحي الإلهي وتمييزهم إياه عن غيره ﴿وَمِنْ هَؤُلَاءِ﴾ غير الكتائبيين وبعض منهم ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ المستور قلوبهم عن نور الإيمان ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ كيفاً كان وإياً ما كان: من كتب الأنبياء وغيرها ﴿إِذَا﴾ لو كنت تتلوا من قبل القرآن شيئاً ﴿لَازْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ الذين يريدون إبطال دعوتك ونبوتك.

﴿بَلْ هُوَ الْقُرْآنُ﴾ ﴿ءَايَاتُ بَيِّنَاتٍ﴾ لا جملات مختلفات مختلفات ﴿فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ إما علماً بكونها نازلةً من عند الله لسالف البشارة به، كعلماء أهل الكتاب، أو علماً جماً بحقائقه كالنبي ومن ينحو منحاه من الراسخين في العلم ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ (٢٩: ٤٧: ٤٩).

فكل شهادة من علماء العهدين بالنسبة للقرآن، كلها متجهة إلى جهة واحدة، متركرة على ركيزة فارده، هي البشارات السالفة، أو زيادة: هي دلالة القرآن على كونه من عند الله، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (٤: ٨٢).

أما قولك: وللتصريح المكرر: ﴿كِتَابٌ فَصَّلَتْ ءَايَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ (٣: ٤١) فلا نجد هذه الآية في القرآن إلا واحدة من دون تكرار، على أن معنى الكتاب هنا

وهناك هو أم الكتاب المفصل نجومًا بهذه الشاكلة .

ومن أعجب ما في أقاويلك، وكلها عجب، أن الآية: ﴿ وَالَّذِي أُوحِيَنا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتابِ هُوَ الْحَقُّ ﴾ (٣٥: ٣١) توحى بأن القرآن من الكتاب: التورات! حال أنه يصرح: تصديقه لما بين يديه، فهل القرآن وما بين يديه، هما شيء واحد، فهو يصدق نفسه! أوه، فأفهم ماذا تقول!

أيطلع صحيح من سقيم ونور من ظلام؟

ثم كيف يستسيغ عاقل أن القرآن نسخة عربية من العهدين! وهناك بون شاسع بينه وبينهما؟

فما احتمال كون القرآن نسخة عربية من العهدين، هذا الموجود بين أظهرنا، إلا كاحتمال اصطناع بناية ذهبية مشيدة بألوان الجواهر، من اجزاء ترابية وخشبية وحجرية، أو تطلع نتيجة صالحة قيّمة متسقة من قضية متناقضة متهافته .

وما كونها نسخة عربية عمّا نزل على الأنبياء من قبل، إلا كتكوين وتأليف الكتاب الأخير في شتى العلوم الدراسية المكاملة، من أوليات مباديء الكتب المدرسية غير الناضجة، وسوف يأتيكم نبأه عند المقارنات .

فلو كانت هناك تصاريح في القرآن على كونه نسخة من العهدين، على أي الحالين، لا ضطرنا ذلك إلى تأويلها لغير صريحها، أو نسبة التحريف إليها، لكيلا تضطرنا إلى تصديق التناقض والتهافت، كيف وساحة القرآن بريئة من هذه التقلبات الباردة إلا بادرة سيئة ممن لا يجد إليه النظر، بعين النصفة والقسط! كالحداد، ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾!

هل يقتدي محمد بأهل الكتاب أم يهديهم؟

٤ - حداد: هناك تصرح يلي على محمد أن يقتدي بهدى الكتاب وأهله، في

كتابه:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ...﴾ (٦: ٩٠).

المناظر: من هم المشار إليهم بأولئك؟ أهم من تهواه نفسك من علماء الكتاب لكي تجعل الرسول الأعظم محمدًا ﷺ تلميذاً لهم، درس عندهم الكتاب، فقد خاب سعيك وخانك رأيك، حيث تصرح الآيات التي قبلها أن المشار إليهم هناك، هم الأنبياء أجمعون:

من نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، ومن إسحاق ويعقوب وداود وسليمان وأيوب ويوسف وهارون وزكريا ويحيى وإسماعيل واليسع ويونس ولوط - .

ثم يقول: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ *... أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرِي لِلْعَالَمِينَ﴾ (٦: ٨٨ و ٩٠).

المعني من إقتداء النبي بهدي النبيين:

هذه الآية تعتبر هدى الأنبياء هدى الله، فمن اتبع هداهم فقد اتبع هدى الله، حيث الهدى ليست لهم ولا من عندهم ذاتياً، وإنما هي من الله، فليقتد الرسول الأعظم محمد ﷺ بهداهم على أنه إمامهم والرسول إليهم وخاتمهم، ليقنتد بهداهم إقتداءً بهدى الله، لأن أن يهتدي بتشاريعهم الخاصة! وإلا أصبحت شريعة القرآن

متهافة متناسخة في نفسها، للعلم: أن التشاريح مختلفة، فإنما على الرسول أن يقتدي بهداهم في غير مختلف الصور التشريعية، يقتدي بهدى الله وسنته الوحيدة فيهم، غير المتغيرة، وقد نصت بها الآيات قائلة بالأخير ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾. فعدم سؤال الأجر عن الأمة سنة قائمة لن تبدل في أنبياء الله.

وكذلك سنة التوحيد، العريقة في أعراق وأعماق أهداف المرسلين، قائلة هناك ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فليقتد الرسول - على علو محتده - ليقند بسنة التوحيد الثابتة بين النبيين، إتباعاً لهدى الله في رسله ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ (١٧: ٧٧) وقد أمرنا من الناحية العقائدية أن نوحّد بين الرسل في هذه السنة وما إليها من المشترك بينهم: ... ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ (٢: ١٢٦) في حين أن هناك ميّزات بين الرسل في شتى الفضائل: ﴿تِلْكَ أَلْرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (٢: ٢٥٣). فلا تعتبر آية الاقتداء محمداً ﷺ، مقتدياً بعلماء الكتاب، ولا بمن قبله من المرسلين في تشاريعهم الخاصة، ولا بهم فيما يعمهم من السنن الثابتة بينهم، كالتوحيد وعدم سؤال الأجر وما شاكلها إلا اقتداءً بهدى الله - في هذا الأخير - فإن هداهم هدى الله.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَفْتَدِهِ﴾!

وبعدئذ فإن الآية تندد بكم ومن إليكم، يا حداد! حيث لم تؤمنوا بهدى محمد ﷺ بل ولا هدى من قبله من الرسل، في توحيد الله، حيث اختلقتم خرافة الثالث: ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا﴾ بهدى الله التي آتاها الله أنبيائه ﴿هَؤُلَاءِ﴾ الذين

يكذبونك ﴿ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ (٦: ٨٩).

وهؤلاء الأذكىاء الأذكىاء هم الذين اتبعوا هذا النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التورات والإنجيل فيتبعونه ويعزرونه، ويتبعون النور الذي أنزل معه فأولئك هم المفلحون!

هل درس محمد ﷺ الكتاب عند أهله ؟

٥- الحداد: إذا شك محمد ﷺ فليسأل علماء الكتاب، أليس هذا دليلاً على أنهم أساتذته ؟

أجل: فإحالة محمد ﷺ نفسه على أهل الكتاب ليزيل شكوكه عندهم دليل قاطع لا مرد له أنهم أساتذته ومدرسه^(١).

المناظر: يكرر الحداد هذا القول البارد: أن الرسول الأعظم ﷺ درس الكتاب عند أهله فأتى بالقرآن من جرّاء هذه الدراسات المتواصلة. يكرره مستشهداً بآيات ومؤولاً لأخرى:

هل شك محمد ﷺ فيما أوحى إليه ؟

من الأولى: ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَفْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَرِيدِينَ ﴾ (١٠: ٩٤).

(١) ج ١ ص ١٧٩ .

ولكن الآية لا تثبت شكاً للرسول محمد ﷺ على أية حال، لمكان ﴿إن﴾: الشرطية، حيث لا تأتي دالة على ثبوت مدخولها قط، وهذه الشرطية هنا إنما تضيف للنبي ﷺ إلى دليل الوحي، دلالة البشارات السالفة على وحي القرآن، لكي تنبه أهل الكتاب بما عندهم منها فيؤمنوا به على ضوء إيمانهم بكتبهم السماوية، فهذا التعبير التشكيكي بالنسبة لشكّه ﷺ ليس إلا من قبيل: إياك أعني واسمعي يا جارة، حيث الرسول الأعظم محمد ﷺ لم يشك في وحي القرآن:

﴿أَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ...﴾ (٢: ٢٨٤) ومهما يكن من شك، وحاشا! ففيم يشك؟

فيم يشك الرسول؟

أفي أن القرآن نسخة عربية من الكتاب الإمام! فيزيل شكّه حينذاك بسؤال علماء الكتاب الذين عندهم أصل الكتاب؟ أم في أنه نزل من عند الله وبعلمه، فعلماء الكتاب يزيلون شكّه عن كونه نازلاً بوحي فذ؟

فما لا يريبه شك أن هناك كان من يعلمه القرآن، إما هو الله وحيّاً إلى قلبه، أو علماء الكتاب! وطبيعة الحال قاضية أن الإنسان لا يشك ويتردد فيمن يعلمه، وإن طرئه شك أو نسيان فيما تعلّمه، فرسول الله محمد ﷺ وهو أعدل العقلاء وأحفظ الحفاظ عند الجميع، محال أن يشك في معلمه، بل ولا في علمه، فكيف يطرئه الشك فيما أنزله الله إليه؟ ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ (٨٧: ٦) خبراً، لا - ﴿فَلَا تَنْسَى﴾ نهياً، ممّا يضمن حفظه لقراءة الوحي القرآني دون شك أو نسيان.

آية الشك تزيدنا علماً أن القرآن نازل من عند الله

ثم مهما يكن هناك من شك فإنما هو في نزول القرآن بوحى الله لا في أي أمر آخر، فعلماء الكتاب يزيلون هذا الشك من أي شاك بما يشهدون أنه نازل بعلمه ووحيه تعالى لأمرين :

١- للبشارات الواردة في الكتب المقدسة في ذلك كما أسلفنا البعض منها وهي مجموعة في كتاب البشارات^(١).

٢- ولان الكتابي عارف بشاكله الكلام الإلهي - فإذا قارن بين القرآن وبين الكتاب الذي يعتبره وحياً من عند الله، أصبح لا يشك أن القرآن أيضاً وحى ومن أتقنه، وأصبح شهيداً على وحيه!

إذاً فقصه الشك، مهما كانت في الآية، هي محفوفة فيها بتصريحتين على أن القرآن وحى بنته دون ريب .

هذا هو ملتقى الشك والإثبات... لا ما يهواه الحداد: من كون القرآن نسخة عربية من الكتاب الإمام، وإلا كان حق التعبير هكذا: «وان كنت في شك من كون القرآن نسخة عربية من الكتاب الإمام...».

وحينئذ أصبحت الآية مناقضة لنفسها لو دلت من ناحية: أن القرآن وحى فذُّ أنزل على محمد ﷺ بعلم الله، ومن أخرى أنه إذا شك محمد ﷺ في القرآن فليسأل علماء الكتاب حتى يشهدوا له: أنه نسخة عربية من الكتاب الإمام، نسخة طبق الأصل إلا في اللغة، ولكن الآية تصرح أولاً وأخيراً: أن القرآن وحى مستقل : ﴿مَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ والتصاريح المتوفرة

(١) وهو: كتابنا «رسول الإسلام في الكتب السماوية في ستين بشارة» .

الأخرى كذلك: أن القرآن وحي فذ خالد ناسخ لما قبله من كتاب ومصدق له:
﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (٥: ٤٨).

ثم إن الآية لا تحتوي إلا على شرط حصول الشك لمكان ﴿إِنْ﴾. إلزاماً على المنكرين أن علمائهم لا يشكون في ذلك. وأن ذلك الكتاب لا ريب فيه، لا أنها تثبت شكاً للرسول محمد ﷺ وحاشاه .

ثم برهاناً آخر على أنه لم يدرس الكتاب قبل ذاك عند أهله لكي يزيل شكه بسؤالهم، قوله تعالى في الآية نفسها ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ لا من علماء الكتاب ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُكْفِرِينَ﴾ يعني من المجادلين مرأى لإثبات حقه، حيث الحجج البينة متوفرة لإثباته، من قبل ومعه وتلوه :

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ... فَلَا تُكْفِرُوا فِيهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١١: ١٩).

وبالأخير إن هذا السؤال عن أهل الكتاب - لو كان - فليس إستعلاماً بل إحتجاجاً عليهم وتنبيهاً لهم لكي يؤمنوا به بما يلي عليهم كتابهم .

ثم مهما يكن من ريب في معنى الآية، فاختلف القرآن عن العهدين - ولا سيما الموجودين - دليل قاطع لا مرد له على أنه ليس ناشئاً منها، فاقض ما أنت قاض! الحداد: ومنها وقوله: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ (٢: ١٤٦، ٦: ٢٠) فلقد كانت للقرآن سابقة في الكتاب المقدس وإلا فكيف كانوا يعرفونه^(١) .

(١) نقل بالمعنى عن شتات عباراته في مختلف مواضع الإستدلال .

أهل الكتاب يعرفون محمداً وقرآنه

بما عرفتهم به كتابات الوحي!

المناظر: أجل وإنما سابقة بشارة حيث إنهم كانوا يعرفون محمداً ﷺ وكتابه، للبشارات المدووعة في كتبهم ف: ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ في الآية الأولى، يعني محمداً ﷺ، اعتباراً بما قبلها، حيث لم يذكر هناك إلا إياه، لا القرآن^(١)، وفي الثانية يحتمله وقرآنه، اعتباراً بقوله تعالى:

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغ... الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٦: ٢٠) (٢).

أجل هب إنهم يعرفون كتابه ولكن بماذا؟ بما بشروا به في الكتاب المقدس: اشعياء^(٣) - كما تقدم - وبما فيه من بينات الصدق، ويعرفون محمداً كذلك كما يعرفون أبناءهم حيث إن القرآن بنفسه دليل على أنه وحي من الله وبالأحرى، دليل بمقارنته مع الكتاب المقدس!، لما بشروا به فيه أيضاً كالتص التالي من التورات عن الأصل العبري:

(١) ونصها: ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهوائهم من بعدما جائك من العلم إنك إذا لمن الظالمين.

الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه... ٢: ١٤١ - ١٤٢ .

(٢) والظاهر أنه هنا أيضاً هو الرسول بمناسبة معرفة الأبناء ولو كان المراد هو القرآن لكان الأنسب، كما يعرفون كتبهم .

(٣) ٢٨: ٩ - ١٤ .

يَدْعُو، ييسرائيل، حَنبِيَا، مُشُوكَاع، أَيَش، هَارُوحَ، عَلَ، رُوبَ عَوْنِيخَا،
وَرَبَاهُ، مَسْطِيْمَاهُ.

«بنو اسرائيل يعلمون ويعرفون: أن النبي الأمي المصروع! صاحب
روح إلهامي وصاحب وحي» ونص ثان من هو شيع النبي / ٩: ٥ - ٩:

«... مُوفَ تَقْبِرِمَ «محمد» لِكَسْفَامَ قِيْمُوْشَ يِيْرَاشِيْمَ حُوْحَ بِأَهَالِيْهِمْ (٧)
بَأُوْاِيْمِي هَفْقُوْدَاهُ بَأُوْاِيْمِي هَشْلُوْمَ يِدْعُو ييسرائيل أويل هَنَابِي مِشْكَاع
ايش هَارُوحَ عَلَ رَبِّ عَوْنِيخَا وَرَبَاهُ مَسْطِيْمَاهُ (٨) سُوْفَه اِفْرِيْمَ عَم الوهاي
نَابِيءَ فَحَ يَا قُوْشَ عَلَ كَالِ دِرَاخَايُو مَسْطِيْمَاهُ بِيُوْتِ اَلُوْهَايُو (٩) هَمِيْقُوْا
شِيْحَطْمُوْءَ كِيْمَ هَكِيْبِعَاهُ يِيْزْكُوْرَ عَوْنَامَ يِيْقُوْدَ هُطُوْتَامَ (٩).

يعني (٦) «لأنهم يذهبون للخراب، مصر تجمعهم، موف تقبرهم، محمد
ﷺ لفضتهم، يرثهم القريص، يكون العوسج في منازلهم (٧) تجيء أيام العقاب،
تجيء أيام الجزاء، ستعرف إسرائيل :

النبي الأمي المصروع! صاحب الروح، الذي صار مجنوناً بسبب عصيانك
وبغضك (٨) إفرائيم ينتظر إلى غير إلهي، النبي فح صياد على جميع طرقه، محقود يُعاندُ
في بيت ربه (٩) قد توغلوا في فسادهم كأيام جبعة، سيذكر إثمهم، سيعاقب
خطاياهم» .

فهذه الآيات تصارح بينة على: أن بني إسرائيل يعرفون النبي الأمي
محمد ﷺ كما يعرفون أبناءهم، ولم يُلقب أحد من النبيين بالأمي - كما يعلمه تاريخ
الأديان والشعوب - غير محمد ﷺ .

يعرفونه ويعلمون أنه صاحب روح إلهامي ووحى إلهي، وبالرغم من أن يؤموا به ويعزروه، يسمونه مصروعاً مجنوناً ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ * وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٦٨: ٥١ - ٥٢).

ولا يتهمونه بالجنون، لأية حجة، إلا لبغضهم إياه وعصيانهم الله، حيث إنه إسماعيلي يغلق على بيت إسرائيل أبواب النبوة والوحي!

وهذا النبي الأمي، فخر صياد، يصيد من ضل عن الطريق، من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم: في دينهم ودنياهم، وهو محقود في بيت ربه: مكة المكرمة، عند مختلف الشعوب المتخلفة .

وهذه التصاريح هي التي تضطر «ربي حليم ويطال» ذلك الحبر العظيم الإسرائيلي، في كتابه «عصحييم» إلى التصديق: بأنها تخبر عن النبي الموعود الذي بعث في عهد عبدالله السلام^(١).

ما هي شهادة الشاهد الإسرائيلي المؤمن للقرآن :

٦ - حداد: وقد يستشهد طيلة العهدين بيني إسرائيل: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمَّنَ وَاسْتَكْبَرُوا﴾ (٤٦: ١٠) وما شهادة من بني إسرائيل إلا لسابق علمه، للكتاب الإمام، حيث القرآن نسخة عربية منه فكيف لا يشهد للترجمة وفقاً للأصل؟

(١) بين القوسين منقول عن كتاب رد اليهود الموسوم بمنقول الرضائي، تأليف المغفور له محمد رضا جديد الإسلام وقد كان من أعظم علماء اليهود ثم استبصر فاسلم .

المنظر: كم لك يا حداد من مشية عشواء! تحتج بما هو حجة عليك، فليتك تحد النظر، واعتبرت بالعبر، فهذه الآية من آيات وحي القرآن فذاً عن الكتاب الذي تعتبره إمامه، وحاشاه، حيث تندد بمن يكفر به ويعظم موقف شاهد من بني إسرائيل أن آمن به وأسلم، للبشارات المتوفرة في الكتاب المقدس، كما سلف، على نبوة محمد ﷺ ووحى كتابه:

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٨/٤٦).

فساحة الوحي القرآني بريئة عن فرية الاختلاق أو الترجمة عن الكتب السالفة: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاءٍ مِّنَ الرُّسُلِ... إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٩:٤٦) أنا رسول الله من الله كمن جاء قبلي من رسل الله يوحى إلي كما أوحى إليهم.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨:٤٦ - ١٠).

النبى الأمى

٧ - حداد: محمد لم يكن أمياً بل تاجراً دولياً ومثقفاً مطلعاً... بحاشية دينياً، يسأل عن التوحيد الكتابي، وحنيفاً يتعاطى الرياضيات النسكية والإعتكافات

الروحية ذو ميل ظاهر إلى المسيحية^(١) ولا شك أن ورقة - بعد الله - وهو الذي حمل محمداً على الهداية^(٢).

المناظر: ذلك طرف هام من أقاويل حداد فيها يتهم الرسول الأعظم محمداً ﷺ أنه درس الكتاب عند أهله، ثم إنه هنا ينكر كونه أمياً بمعنى عدم درسه الكتاب، ويأول الآيات الصريحة في أميته إلى ما بهواه:

المعنى من أمية محمد ﷺ:

... فقد يعتبر الحداد وصفه بالأمي أنه من أم القرى مكة المكرمة، لا اعتباراً أنه لم يدرس ﴿لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (٧:٤٣) فإذا كانت مكة أم القرى، ومحمد ولد وبعث فيها، فهو أمي، اعتباراً بمولده ومبعثه!

القرآن يفسر الأمي بمن لم يدرس الكتاب

فياليت شعري، إذا كانت مكة أم القرى ولها أسماء أصيلة من مكة وبكة وما إليهما فكيف يقتضي ذلك: أن يكون كل أمي أمياً لهذه النسبة، في حين أن القرآن يعتبر كل من لم يدرس الكتاب أمياً: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (٢:٧٨) فلم يرد إلا الجهلة السذج من أهل الكتاب، لا أهل مكة فحسب لأن كلهم كانوا أميين بهذا المعنى لا منهم أي: بعضهم.

(١) ص - ٤١٠.

(٢) ص - ٤١٣.

مضافاً إلى الآية التالية لها: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (٢: ٧٩) حيث تندد بالمحرفين المعززين الذين لا يعلمون الكتاب إلا أمانى، أي: ظنوناً وأوهاماً تتلى عليهم على شاكلة الكتاب. وقد يعتبر المشركين من غير أهل الكتاب أيضاً من الأميين، حيث لم يكن لهم كتاب وحي يدرسونه: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ...﴾ (٣: ٢٠).

والرسول الأعظم محمد ﷺ كان أمياً، لم يدرس عند بشر، أجل إلا عند الله بالوحي عندما بعث، لا قبله وقد بعث في الأميين: الجهلة السذج، الذين لم ينزل لهم كتاب وحي يدرسونه، بعثه الله ليتلوا عليهم آياته، بوحي من ربه. وقد سلف وصف النبي بالأمي في كتاب أشعياء النبي ﷺ: المفطوم عن اللبن المفصول عن الثدي، ولم يربّه إلا ربه بالوحي، وكذلك في التورات.

لذلك إن القرآن يلقب محمداً ﷺ بالأمي إعتباراً بأنه لم يدرس لا من حيث مولده أم القرى فإن الله لا يلقب أحداً من أنبيائه باعتبار مولده ومبعثه، لأن حد الوطن في النسبة لا يناسب وساحة أولي العزم من المرسلين، الذين لا أحد لدعواتهم، إلا حد الهدى المتحللة عن مختلف الألوان والقوميات، والطائفيات والعنصريات، فهم دعاة البشرية إطلاقاً، دون أن يختصوا بأرض دون أخرى، فكيف يتخصّصون وينسبون إلى أرض الوطن!!! وإن في اللقب فحسب؟

على أنه لو أريد نسبته إلى بلده لكانت مكة وبكة وهما إسمان معروفان، لكانتا أولى بالنسبة، حيث لا يحتمل المكي، نسبة إلى غير مكة، دون الأمي فإنه يحتملها

والنسبة إلى الأم أيضاً، اعتباراً أنه لم يدرس، مع أن هذه النسبة لرسول الإسلام: أنه لم يدرس، وقد جاء بعلوم الأولين والآخريين، هذه لما يفخر به وهي من معجزاته الهامة، كما وأن التورات تذكره بهذه السمعة والنسبة: بنوا إسرائيل يعرفون النبي الأمي...

وأخيراً قولك: لا شك أن ورقة بعد الله هو الذي حمل محمداً على الهداية! فهل في ذلك القول الزور تصديق أو احتمال من ذي حجر؟ فإن كان معلمه وهاديه هو الله كما تدل عليه آياته البينات فما الحاجة إلى ورقة وغيره، فهل إن غير الله أعلم منه حتى يكمل تعليمه وهدايته بعده كلاً! ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ (٤: ٥٣) ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ (٢٦: ١٩٢-١٩٣) ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ (٢١: ٤٥) ...

يا حداد لو حصرت هذه الإهانة والمهانة الزور بالرسول محمد ﷺ ولم تعدوها إلى الله سبحانه وتعالى عما يصفون! فخذ حذرَكَ وخفف وزرك، إن الله لا يهدي القوم الظالمين! ثم من وراء ذلك هناك تصاريح متوفرة في الذكر الحكيم تدلنا دلالة بينة: أن محمداً ﷺ لم يدرس أي كتاب، سماعاً أو قراءة، قبل مبعثه، ثم أخذ ينذر بالوحي: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ (٢١: ٤٥) لا بالدراسة والمطالعة في المكتبات البشرية وحتى الكتابات الإلهامية.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ - أَعْتَابَرَأَ بِالْبَشَارَاتِ فِي الْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ - وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ * وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبْطِلُونَ * بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ

وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ (٤٩ - ٤٧).
﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ
وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نُّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي
إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٢﴾ (٥٢).

محمد ﷺ إلى أي كتاب اهتدى؟ :

٨- حداد.. جعلناه، يعني الكتاب المقدس... وإنك لتهدي، على صيغة المجهول،
فالهداية كانت إلى الكتاب الأول الذي نزل من قبل .

إنه ما درس الكتاب إلا عند الله :

المناظر: هذا عود على بدءٍ من اعتيادكم فهم الكتاب المقدس من لفظ الكتاب
- على أية حال - وقراءة المجهول خلاف القراءة المتواترة معلوماً، كل ذلك مضافاً إلى
لزوم التناقض في نفس الآية لو كان النور والكتاب هنا: هما الكتاب المقدس، وأنه
درسه فاتي بالقرآن، حيث ينفي عنه درس الكتاب، لا فحسب، بل ودرايته وإن
بالاستماع، بتأكيد بليغ .

﴿ مَا كُنْتُ ﴾ أي: ما كان في وسعك درس القرآن إلا في مدرسة الوحي،
ولا كنت ممن يدرس أي كتاب من قبل، كما يشهد بذلك مواطنوه الذين كانوا
يلازمونه ليل نهار: ﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ
فِيكُمْ عُمراً مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (١٠: ١٦).

أجل إن القرآن نازل بمشيئة الله وعلمه: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ (١٠:١٦) ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ فلم تكن تلاوته بمشيئتي أنا ﴿وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ﴾ إلا الله ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ﴾ مباشرة ليل نهار: ﴿عُمراً مِّن قَبْلِهِ﴾ أربعين سنة ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٠:١٦) فكيف أتمكن من الإتيان به دون أية دراسة؟ كلا! إنها لم تكن إلا بوحى من ربي.

.. ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾ (٤: ١١٣) لا أنت فحسب حيث لم تدرس ، بل والعباقرة الفطاحلة من النوابع أيضاً يعجزون أن يأتوا وإن بسورة من مثله، أجل : ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ (١١: ٤٩).

فلو كان النبي محمد ﷺ ، درس جميع الكتب أيضاً طيلة حياته ، ما كان يستطيع ان يأتي بمثل هذا القرآن ، كيف و : ﴿قُلْ لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (١٧: ٨٨) ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (٢٣-٢٤: ٢).

فهذه الآيات البينات تُحيل علم الكتاب أياً كان ، لمحمد ﷺ ، قبل نبوته: علم الكتاب ودرسه ودرايته ، إلى أن أوحى الله إليه روحاً ، كتاباً روحياً ، من أمره، أنزله بعلمه وعلمه ما لم يكن يعلم ...

سواءً في ذلك أكان يعلمه قبلئذ بتفكيره شخصياً أم بتعليم معلم بشري ، لا ذا

ولا ذاك ، ف ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ
الْقُوَىٰ ﴾ (٥٣ : ٤ - ٦) .

علمه الله بأن ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ
* بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ (٢ : ١٩٣ - ١٩٥) .

شاهد صدق إنجيلي أن محمداً ﷺ لم يدرس قبل مبعثه :

لقد بلغت أمية نبينا محمد ﷺ من الوضوح إلى حيث لا يكاد ينكرها من
سبقكم من الذين ألفوا كتاباً في زعمهم رداً على الإسلام ، ومنهم جرجس صال
الانجليزي^(١) حيث يعد أمية محمد ﷺ في عداد الظروف التي اعانه على بث
دعوته وتركيزها في القلوب :

يقول جرجس صال : ... «أما المعارف التحصيلية فن المقرر أنه «محمّد» لم
يكن منها على شيءٍ ألبته، وذلك أنه نشأ وتربى على ما ألفته قبيلته من عدم
الإكتراث بدراسة فنون البلاغة، بل الإستخفاف بها ، لزعمهم أن لسانهم أفضل
الألسنة، وهم إنما يُتقنون معرفته بالممارسة لا بالدراسة ، ويقتصرون في تزيينه على
حفظ قصائد من الشعر مما يرون أن فيه فائدة لهم في أحوال التقلب والمعاش .

على أن أمية محمّد هذه فضلاً عن أنها لم تعد عليه بالضرر ولا صدّته عما كان
شارعاً فيه . فإنه حوّلها إلى نفعه ، فزعم أن ما جاء به من القرآن إنما هو وحى من

(١) في كتابه مقالة في الإسلام نقله إلى العربي هاشم العربي ط ١٨٩١ م ، والمنقول هنا من ص ٨٢
إلى ٨٣ .

عند الله وأنه يستحيل أن يكون هو الذي اختلقه زوراً إذ لا يقوم في العقل أن أمياً يستطيع أن يصنف كتاباً، فيه ما في القرآن من البراعة لفظاً ومعنى، وبذلك دفع عن نفسه حجة دامغة من حجج خصومه، وصار أهل ملته يفخرون بأمية صاحبهم بدلاً من أن ينجحوا منها، واتخذوها برهاناً ميبناً يثبت أنه رسول الله.

هذا وان كان جرجس صال في خبط عشواء لتنديده بأمية رسولنا الأعظم ﷺ هذه الأمية السامية التي تفتخر بها الأمة الإسلامية، لأنها تأتي شاهدة على وحي القرآن، فلماذا نخجل من أمية رسولنا ولم تكن إلا بمعنى عدم تعلمه علوم البشر من ذي قبل، فلم يتكدر خاطره الشريف وخلده المنيف بخليط الظلام والنور، حتى أصبح في مصباح النبوة والوحي يتعلم من الله شديد القوى، تنقش نقوش الوحي في قلبه المنير، أن كان يسمع صرير قلم الوحي يكتب في ضميره ما يكتب ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيَّ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾!

يا حداد! ومهما يكن من شيء فكيف يستسيغ العقل أن يطلع مثل هذا القرآن من جراء دراسة هذين العهدين المحرفين، وهو يزيف مكانتها بالكثير الكثير حال أنه لم يأت موسى وعيسى ﷺ بمثله فيما أنزل عليها بادية بدء من خالص الوحي! أفهل يطلع حينذاك هذا القرآن المتلائم، المتناسق في لفظه ومعناه، يطلع من العهدين على تناقضهما، كما يتبين عند المقارنة؟! وحتى على آيات غير محرفة فيهما!

فرية تعلم الكتاب إلى محمد ﷺ الحداد وكفر!

يا حداد: لقد سبقكم قبلذاك ملحدون كثير، ألدوا إلى محمد ﷺ بفرية

تعلم الكتاب ، والقرآن يزيف مقالتهم الزور قائلاً: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (١٠٣:١٦).

هل درس محمد ﷺ الكتاب عند أهله؟

٩ - حداد: (١) هذه الآية تنفي جحود نزول الوحي ، لا تنفي اتصالاً ما بينه وبين أحد من أفراد الجالية الأجنبية ، كما هو ظاهر ، والمتبادر أن الجاحدين لم يكونوا ليقولوا ما قالوه لو لم يروا أو يعرفوا أن النبي كان يتردد على شخص من أفراد هذه الجالية في مكة ، هو أهل علم وتعليم ديني وله وقوف على الكتب الدينية السماوية ، وفي سورة الفرقان الآية ٤ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ يلهم: أن المنسوب إليهم أكثر من واحد وإن هذا كان قبل البعثة ثم امتد إلى ما بعدها ...

المناظر: اين ظهور الآية الأولى ، في نفيها جحود نزول الوحي فحسب ، وهي تصرّح التنديد بأن القرآن من تعليم البشر ، فليس كما يفترون ، لا في لفظه ولا في معناه ولا في أي شيء منه ، وحينذاك فماذا ينفعه ﷺ اتصاله بأحد من أفراد الجالية المثقفة ، إذا لم ينتفع منهم في شيء من علم الكتاب؟!

ولقد كان المنسوب إليه التعليم هناك رجلاً واحداً أعجمياً ﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾ وهو سلمان الفارسي ، فلم يكن عربياً ولا مثقفاً من أهل

الكتاب، ولا في مكة، فإنما لحق بالنبي في المدينة فكيف يعلم القرآن! ﴿وَهَذَا لِسَانُ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ يبين بعريته الفصحى ورتبه الأسمى في اللفظ والمعنى: أنه متعال من اختلاق الأعجمي بل وعن اختلاق أي عربي عبقرى. أجل وإنه يتعالى عن أن يكون من عند غير الله على أية حال: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (٤: ٨٢) اختلافاً عن الحقيقة والواقع الخارجى، واختلافاً بين ألفاظه، وبين معانيه .

ثم لو كان هذا المعلم! عربياً فكيف آمن بتلميذه بدل أن يدعي هو النبوة شخصياً فيدعوا محمداً ﷺ ومن إليه إلى الإيمان به!؟ .

ثم الآية الثانية بالرغم من دعواكم الزور، لا تنفي اعانة قوم آخرين، ودعوة الإستعانة فحسب، بل وتنفي: أن القرآن أفك افتراه على الله :

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ * وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً * قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٤: ٦٠).

وأنت يا حداد، بلغ بك الأمر في الاحتجاج ضد الحق، وأن تنحو منحى الظلم والزور من الكافرين، وتدعي أنه كان لمحمد ﷺ اتصال بعلماء أهل الكتاب قبل البعثة، وأنه استوحى منهم في هذه المجالات ما نفعه في صياغة قرآنه، ولكن الآية تكذبك، كما كذبت من قبلك من الظالمين، فكيف تستدل بها لما تهواه، هل استدلالاً بالنقيض على نقيضه، فما دأبك وما دوائك؟!؟

وأخيراً - إذا لم يستوح الرسول ﷺ من اتصاله وتردده إلى افراد الجالية

ما ينفعه في قرآنه ، كما في هذين التصريحين ، فكيف تفترى عليه : أنه صاغ كتابه بالإتصالات الكتابية ، أفهل يجوز في مذهبك اجتماع النقيضين؟! ثم لو كان القرآن ممن يعلمه عربياً أو أعجمياً فكيف لم يدع المعلم نفسه الرسالة؟ وكيف آمن به عباقرة العرب، وسواهم من الكتائيين؟ .

وختاماً للاحتجاج عليك في هذه الفرية البينة ، كيف يمكن صياغة القرآن من العهدين ، وهو يختلف عنها في شتى المواضيع ، بالنسبة لأصول الدين وفروعه ، والقصص السابقة والأنباء المستقبلية ، نقضاً لما حرف فيها وتدخّل. وإصلاحاً لما فسد منها وتبدل ، اعتباراً بخلطها بالأساطير ، أو بالأخير تكميلاً للحق فيها : كما هو شأن كل شريعة متأخرة ولا سيما الباقية الخالدة .

فهل العاقل يعتبر ما تفتريه إلا كصياغة الذهب الخالص من الرصاص ! واستنتاج نتاج صالح من قضايا متناقضة أو استخراج النور من الظلام !
أجل: إننا ولا أي عاقل ، لا ننكر اشتغال القرآن على شيءٍ كثيرٍ مما في زبر الأولين ، حيث الإله واحد ، والهدف من إرسال الرسالة الدعوة إلى دين واحد ، وإن كانت الشرائع مختلفة ، فقد ينقل القرآن ما ينقله ، تصديقاً لصدقه وتنديداً بدخيله وكذبه ، وتكميلاً لما أتى به أنبياء الله من قبل ، وهذه سنة حسنة مستمرة لكل كتاب إلهامي لاحق بالنسبة لسابقه ، لاقتضاء هيمنته عليه :

وإنما ننكر مقالة زور وغرور هي : أن القرآن نسخة عربية من التورات ، لا وحي فُذُّ على محمد خاتم النبيين ﷺ ، حيث التنديد بهذه الفرية البينة متوفرة هناك ، من شهود صدق أتقنها وأظهرها هو القرآن والعهدان إذا قارنت بينهما ، وقد نأتي على ذلك في المقارنات إن شاء الله تعالى .

هل إن القرآن يقر أهل الكتاب على كتبهم؟

عود على بدء في تسائلنا مع الأسقف

الأسقف: أجل - إنه كما تأمرون - فليس القرآن نسخة عربية من العهدين ،
ولا أن محمداً درس الكتاب عند أهله ولا ... بالرغم من أقاويل الحداد! -
إلا أن هناك تصاريح متوفرة أن القرآن يقر أهل الكتابين عليهما، ويرجعهم
إليهما ويأمرهم بإقامة التورات والإنجيل ، وهذا ينافي وتحريفها ، لا فحسب ، بل
ونسخها كذلك ، فلا علينا إذ ذاك أن نبقى على شريعة الكتاب المقدس إتباعاً
للقرآن، وإليك الآيات:

هل إن إقامة التورات والإنجيل تنافي ونسخهما وتحريفهما؟

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ
فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ *
... قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا
أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (٥ : ٦٦ و ٦٨).

يا أستاذ! فكيف يقوم القرآن على ساق - ولا سيما لأهل الكتاب - وهو يملئ
عليهم أن يقيموا التورات والإنجيل ، ويندد بهم لو لم يقيموها ، وأنهم حينذاك ليسوا
على شيء، ومعلوم أن إقامة التورات والإنجيل لا تلائم وتركها، ثم اتباع شريعة تخالفها.
فهل تأمرونا - بالرغم من قرآنكم - بإخفاض وإقعاد ما أمرنا قرآنكم برفعه
وإقامته ، كما أمرنا بذلك في كتابنا؟ إن هذا الأمر عجاب! وما رأيكم إلا تباب!

المناظر: إن تعجب فعجب صنعكم بهذه الآيات حيث تستدلون بما يلائم أهوائهم منها وتتركون ما يفسره ويندد بكم فيها!

يا أصحابي! هلا أضفتم المعنى مما أنزل إليكم من ربكم، إلى التورات والإنجيل، حيث قارنه الله تعالى بهما في إقامتها، ثم النظر في المعنى من إقامتها حينذاك، فأنتم في الإحتجاج بأي الذكر الحكيم، بين تارك للمعنى ك: ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ .. وهو القرآن! وبين تارك للفظ الآية ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٥: ٧٢).

فلم تؤمروا بإقامة الكتابين إلا مقارناً بإقامة القرآن النازل بعدهما، وحينئذٍ فليست الإقامة فيها وفي القرآن في سلك واحد ولشيء واحد: هو بقاء الشريعة إطلاقاً، وإلا كان أمراً بإقامة الناسخ والمنسوخ معاً - حيث إن الإختلاف قائم بينهما وبين القرآن في نواحي عديدة، فلتكن الإقامة في أحدهما إقامته إطلاقاً وفي الآخر ما يلائم وإقامة الأول، لكي تتوافق الإقامة فيها.

واعتباراً بأن شريعة القرآن لحقت شريعة العهدين - فهي القائمة إطلاقاً - ثم الإقامة فيها إقامة للتصاريح البينة القيمة المبشرة لشريعة القرآن ونبيه كما مضت وتأتي عند البشارات^(١)، وكذلك إقامة الأحكام غير المنسوخة بهذه الشريعة الأخيرة - وبالأخير إقامة التصاريح الكتابية الدالة على أن شريعة العهدين سوف تنسخ - إقامة عقائدية وعملية .

(١) كما في كتابنا: «رسول الإسلام في الكتب السماوية».

ودلالة ثانية - على ذلك : ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٥ : ٦٨).

حيث يوبخ كثيراً منكم يا أصحابي ، أن زادكم القرآن طغياناً على الحق ، بدل أن تقيموه وتؤمنوا به.

حينذاك لم تكن إقامة التورات والإنجيل إلا أتباع بشاراتها بالنبي الأُمِّي ﷺ فاقتفاء أثرهما - فاعتبار المنسوخ من العهدين منسوخاً بالقرآن ، ثم العمل بالناسخ في القرآن - ذلك إقامة للتورات والإنجيل وللقرآن معاً ، وعلى الضد من ذلك : استبقائكم شريعة التورات ولا سيما هذا الموجود ، فإنه رفض للعهدين والقرآن معاً - لأن الاعتناق بالحكم المنسوخ بعد نسخه ، انكاراً لنسخه وكفر بناسخه.

وها نحن المسلمون نقيم التورات والإنجيل من هذه الناحية ، وأخرى : إذا نحكم القرآن حكماً عدلاً مهيمناً عليهما ، يحافظ على ساحة الوحي فيها ، ويبين الدخيل من الأصيل في شتى النواحي ، فنقيم الكتابين بما فيها بالنسبة للأصول والفروع ، بعدما أقعدهما محرّفوهما ومزقوهما والله من وراء القصد .

ف ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ من الحق الصريح إلا الدخيل المشبوه ، ولا على شيءٍ من الحق الثابت غير المنسوخ ﴿حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ في أتباع القرآن : ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ ، حيث يدلّكم إلى خالص الحق وثابته ، صدق الله العلي العظيم!

أجل : ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ تقيم الكتاب المقدس بالرغم من التقاليد والتعصبات العارمة ، تقيم التورات والإنجيل والقرآن - هكذا ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ

مَا يَعْمَلُونَ ﴿٥ : ٦٦﴾ وهم الذين يقول عنهم : ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٥ : ٦٨).

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ من الحق - منكم ومن غيركم
 ﴿حَتَّىٰ تَقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ ... والقرآن معاً، فمن ترك القرآن واتجه إليهما
 فليس على شيء - وإن زعم ما زعم - كلا : ليس على شيء ولا تحسب أعماله بشيء .

توهم أبدية التورات بأية تمامها:

يوحنا الغيور^(١) : هناك آية بينة تدلنا على أبدية التورات قائلة : ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ (٦ : ١٥٤) .. فاذا بعد التمام إلا رجوعاً عن التقدم للأمام ، وماذا بعد تفصيل كل شيء ثم ماذا بعد الحق إلا الضلال ، فأني تؤفكون .

المناظر : إن بعد هذا التمام - كتاب مبارك خالد فوق التمام ، تلي عليكم إتباعه - الآية التالية للأولى دون فصل - قائلة : ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ * أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لِعَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَ كُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ (٦ : ١٥٥ - ١٥٧).

(١) ص ٨٥ و ١٩٢ و ١٩٨ و ٣٢٩ - الباكورة الشتية في الروايات الدينية.

٢٠٠ المقارنات بين الكتب السماوية

واعتباراً بهذه التصاريح القيمة وما تنحوا منحها ليس التمام وتفصيل كل شيء في التورات إلاّ تماماً محدوداً بقرون - قبل شريعة القرآن - وتفصيلاً كذلك - فإننا نعتقد التمام في كل شريعة إلهية على قيمها ولوقتها .
فيا يوحنا الغيور! لا تأخذناك الغيرة بحدود الحق والتخلف عنه!

هل إن تصديق القرآن للعهدين يلائم وتحريفهما؟

وهل إن القرآن تارة يصدق عدم تحريف التورات - وأخرى يصدق العهدين
إطلاقاً!

الأسقف : هناك تصريح : أن التورات محفوظة عن لعبة التحريف قائلاً : ﴿ إِنَّا
أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا
وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ
شُهَدَاءَ... ﴾ (٥ : ٤٤) .

أفلا تملّي عليكم هذه الآية البينة : الإعتناق بعدم التحريف ؟!

المنظر : كلا! فإنها تخص حفظ التورات بالنبيين المسلمين لشريعة التورات،
التابعين لموسى عليه السلام ، ولا شك أنهم كانوا حفاظ الكتاب ولم يبعثوا ويرسلوا إلا
لذلك دون أن يأتوا بما يزيد أو ينقص عن التورات، لا : إلا احتفاظاً على وحي
التورات من إصابات التدخلات الغادرة - أجل : إن أنبياء التورات يحكمون بما
استحفظوا منها وكانوا عليه شهداء ، والربانيون والأحبار أيضاً إنما استحفظوا من
كتاب الله أي بعضه لا كله، ثم إنهم استودعوه أياً كان لا أنهم حفظوه ! وذيل الآية

تمنع اليهود عن ان يشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَأَخْشَوْنَ
وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْكَافِرُونَ﴾ (٥ : ٤٤).

فلقد كانوا يخشون نفاق منافعهم وكساد سوقهم بين المترفين - ولذلك كانوا
يشترى بآيات الله ثمناً قليلاً - وكل ثمن في جنب أي الكتاب قليل .
ولقد أسلفنا اقرار التلمود بذلك، وأن سبعين من الأخبار الكبار حرفوا من
التورات ما كانوا يخافون وينكرها تلمياً للملك - وكذلك سائر التقارير على تحريف
التورات من أصلها وتراجها!

لذلك إن التورات تأمرهم أمراً إلزامياً بالاحتفاظ على ما فيها وألا يجر فوها
/ تث ١٣ : ٣٢ / ولكن أنى لهم أن يحافظوا عليها وكل شيء فعلوه في الزبر ، إجماعاً
من تصاريح القرآن والعهدين - ونفر كبير من علماء العهدين - كالذين ذكرناهم من
ذي قبل .

الدكتور فندر الألماني^(١) لو أنتم صدقتم القرآن ولم تنكروه فإنه يصدق
العهدين في تصاريح شتى : أنهما من عند الله ، فكيف يُفترى عليهما بالإختلاق
والتحريف ؟ ثم لو كانا محرفين فلماذا يعتبر القرآن اليهود والنصارى أنهم من أهل
الكتاب!

الحداد - يوحنا الغيور - عبدالمسيح^(٢) : أجل كما يقول الدكتور وزيادة!

(١) في ص ١٥ - ١٨ ميزان الحق الذي ألفه بزعمه رداً على القرآن .

(٢) على الترتيب - في : القرآن والكتاب والباكورة الشتيه وينايع الإسلام .

جس منرو^(١): «وقد برهن لنا قطعياً أنه لم يدع بالتحريف اللفظي لا محمد في قرآنه ولا فحول أئمة الدين القدماء - وإنما قد زعم البعض بوقوع التحريف أثناء القرون المتأخرة ، فالكتاب المقدس المتداول بين اليهود والمسيحيين في الزمان الحالي منزّه عن التحريف كما كان في أيام محمد .

وإنما القرآن أتى مثبتاً لهذا الكتاب ومصدقاً له - يملي على أهل الكتاب قبول الكتاب المقدس والعمل به وأن يعتبره المسلمون إعلاناً إلهياً ويقبلوه كذلك ، وإلا فيعاقبون بعقوبات مخيفة جزاءً لكفرهم .

وليس القرآن، ناسخاً للكتاب المقدس ، فلماذا يرفض الأتقياء من المسلمين الكتاب المقدس وهم برفضهم إياه يجلبون على نفوسهم العذابات^(٢) الموصوفة في القرآن وهي نصيب المكذبين بآيات الله^(٣) .

ماذا يصدقه القرآن وحدوده ؟

المناظر : إن هناك تصريحين بالنسبة للكتابين : تصديقٌ وتكذيبٌ :

١ - تصديق لما أنزل على الأنبياء من قبل ، إعتباراً بكونها وحيّاً من عند الله - وأن نسخها بالوحي الأخير القرآني - كما نأتي على حدوده .

(١) في كتابه : الشهادات القرآنية للمسيحية وقد كان المقام مقاماً في لندن سابقاً - والمنقول هنا عن الطبعة السادسة ط النيل المسيحية بمصر سنة ١٩٤٦ - ص ٣١ - ٣٢ .

(٢) العذاب لا يجمع على العذابات فقد قرن جس منرو في مقاله هذه خطأ في اللفظ والمعنى .

(٣) وهذه خلاصة كتابه لخصها في خاتمه كما نقلناه عنه .

٢- وتكذيب لما اختلقته أيدي الجهل والجعل والتحريف في أصل الكتابين عبر القرون ، وفي تراجمها ، تصدقه الشواهد الداخلية فيها ، الآتية عند المقارنات ، وكذلك تصديق نفر كبير من المفسرين والمؤرخين الكتابيين ، كما أسلفنا نظرات رجال منهم عند البحث عن بيئة العهدين عبر القرون .

لا نقول إن شيئاً من آيات الوحي لم تبق فيها -كلاً!- حتى يستنكره الدكتور فندر قائلاً : فلماذا يعتبرنا القرآن أهل الكتاب ؟ وإنما ندعي ذهاب الشيء الكثير من الوحي ، وتدخل الشيء الكثير من الأوهام في الكتاب المقدس ، حتى أصبحت وفيها من المتناقضات ، والخرافات ما تدهش العقول !

حينئذ فأنتم أهل الكتاب اعتباراً بأن شريعتكم كتابية ، وعندكم كثير من آيات الكتاب وإن كانت ممزوجة بغيرها ... وإليكم تصاريح بيينة من القرآن على تحريف الكتاب المقدس :

أي التحريف :

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِغُسْطِهِمْ إِلَىٰ بَعْضِ قَائِلُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ * وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيًّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ * فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (٢ : ٧٤ - ٧٩) ﴿ فِيمَا

نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ
وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى
أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ... وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ
بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ﴿ كمن أظهر البشارات الواردة في العهدين لمحمد ﷺ وآمن
به ﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ﴿ لا يعترف بحق الوحي للنبوي
المبشر به في الكتاب ﴾ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴿ تحتج عليه بما في العهدين من
البشارات ﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ ﴿ غير أهل الكتاب ، أو
غير بني إسرائيل من أم القرى من الإسماعيليين من ﴿ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ
الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ... وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ
مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣ : ٧٥ و ٧٧).

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ
مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ
مُبِينٌ... ﴾ (٥ : ١٤ - ١٦).

﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى
وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٦ : ٦٤) ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَتْلُوهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ
أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * وَإِنَّهُ لَهْدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٧ : ٧٦-٧٧)
﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ... ﴾ (٤١ : ٤٥)...

ذلك طرفٌ يسير من تصاريح القرآن تبين ما مضى على العهدين - من

الاختلاف والتخلف والاختلاق والتدخل والوضع والإخفاء وسوف يأتيكم أهم التحريفات البينة عند المقارنات ، فليس تصديق القرآن تصديقاً لكل ما يسمى بالتواتر والإنجيل ، وإنما ذلك ما أنزل على الأنبياء من قبل - وهناك طوائف من آيات التصديق كما يلي :

١ - ما يأمر أهل الكتاب بالحكم بما أنزل الله فيه وتلاوته - اعتباراً بشموله لحكم الله - قائلاً: ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٣: ٨٧).

وهذا الاحتجاج بتلاوة التورات إنما يخص هنا موارد الاختلاف: ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا ﴾ لأن اليهود كانوا ينكرون ذلك - فاحتج عليهم بما في التورات من تصديق محمد ﷺ - فلا يعم جميع ما فيها من أحكام لكي يحكم بعدم التحريف فيها إطلاقاً.

﴿ وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥: ٤٣).

يأمرهم هنا بالرجوع إلى التورات ليحكم بينهم حيث فيها حكم الله ، لا أن أحكام الله باقية فيها من دون تدخل ، أو أن كلها حكم الله كلاً! وإنما: فيها حكم الله^(١) يوجد فيها ما يحكمونك له ، حيث كانوا يريدون التخلف عنه وقد حكموا رجاء أن تحكم بغير حكم التورات .

(١) كما يقال في البلد عالم ولا يستفاد منه ان جميع من في البلد علماء!

والآية توخهم أنهم رغم كونهم أمة ذات كتاب وشريعة ، كيف ينكرونك في نبوتك وكتابتك ، ثم إذا ابتلوا بواقعة لا يوافق حكم التورات فيها ما تهواه أنفسهم ، حينذاك يحكمونك في ذلك ، ثم إذا حكمت لهم بما يوافق نص التورات - إذ ذاك يتولون عنك وعن حكمك كما تولوا عن حكم التورات ، فلا هم يؤمنون بالتورات ولا بالقرآن : إذا خالف حكم الله هنا وهناك هوامهم ومبتغاهم ... وكلمة الفضل في هؤلاء المذبذبين : ﴿ وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ لا بما يعدون الإيمان به من توراتهم ولا ما يحكمونك فيها .

ويستشعر من آيات القصة: أنهم كانوا يأكلون السحت مثل الربا وما شابه التي تنص التورات على تحريمها - ولحرصهم على أكل السحت كانوا يريدون أن يستحلونه - فحكموا إذ ذاك الرسول محمداً ﷺ زعم ورجاء أنه يحكم بحله خلاف تصاريح التورات كما كان قد ينسخ بعض أحكامها ، جهلاً منهم أو تجاهلاً أن الأحكام الأصلية لا تنسخ ولن تنسخ .

هذا وكما يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرَضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ *

وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ﴿٥ : ٤١ - ٤٣﴾ .

هذا وقد يستأنس أيضاً مما يليها من آيات : أنهم كانوا يريدون التخلف عن حكم القصاص بالمثل فحكموا الرسول محمد ﷺ لذلك :

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُم الظَّالِمُونَ ﴾ (٥ : ٤٥) .

وفي الخبر عن الباقر عليه السلام : ان امرأة من خير ذات شرف بين اليهود زنت مع رجل من أشرافهم وهما محصنان، فكرهوا رجمها فسألوا محمداً ﷺ عن ذلك طمعاً في أن يأتي لهم برخصة - فقال : وهل ترضون بقضائي في ذلك ؟ قالوا : نعم - فنزل جبرئيل بالرجم - فحكم لهم به فأبوا أن يأخذوا به - الحديث (١) .

وعلى أية حال لم يكن التحكيم في كافة أحكام التورات - بل في هذا أو ذاك ولها تصاريح في التورات الموجودة زمن الرسول محمد ﷺ لحد الآن وفق القرآن، كما نأتي عليها عند المقارنات الأحكامية .

﴿ وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْأَنْبِيَاءِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٥ : ٤٧) .

أجل ليحكموا به وقيموه عقائدياً وعملياً - فلا يتبعوا بولس الذي يقضي على كلام المسيح في بقاء شريعة التورات قائلاً : إن هذه الأحكام نسخت بعد صعود المسيح عليه السلام !

(١) نقلناه بالمعنى رعاية للاختصار .

وليتبعوا بشاراته للنبي الأمي محمد ﷺ كما في مواضع شتى من الأناجيل.
ثم إن القرآن قد يندد باليهود أن حرم الله عليهم طيبات أحلت لهم بما ظلموا
وعصوا: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ
عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخَذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾ (٤: ١٦١).
﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾ (٦: ١٤٦).

لذلك إنهم كانوا يكذبون النبي محمداً ﷺ في ذلك وأنه لا نسخ في أحكام
الله فصدقه الله وأبان كذبهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ
صَادِقِينَ﴾ (٣: ٩٣) حيث إن التورات تصدق النبي ﷺ في مقالهته عن الله ، فلم
يكن الاحتجاج بالتورات إلا في هذا الحكم المختلف فيه بينهم وبين النبي ﷺ
وكذلك فيما إليه من أحكام وغيرها ، التي بقيت سليمة عن التدخل في التورات رغم
التبدل والتحريف في الكثير من آياتها .

وكذلك لا يعتبر القرآن هذا الانجيل كله من الوحي ، فلا يأمر أهل لانجيل أن
يحكموا بجميع ما فيه - كلا - إلا بما انزل الله فيه ، وبين التعبيرين بون شاسع .

٢ - ما يصدق التورات والانجيل ، وما التصديق إلا إقراراً بالصدق وهناك
إنما يصدق القرآن ما أوحى إلى موسى وعيسى عليهما السلام من قبل ، لا كل ما يعزي إليهما
بأسمهما وإن كان من تأليف نفر آخرين ، نجهلهم أو نعرفهم .

ثم إنها لا تصدق إلا انجيلاً واحداً نزل على المسيح ، لا أناجيل شتى من
الأربعة ، ولا غيرها من غيرهم حيث لم يقل : مصداقاً لما سمي بالانجيل أو
بالأناجيل ، كلا! وإنما مقالهته : ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ (٥: ٤٦)
﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ (٣: ٣) ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ

فِيهِ ﴿ (٥ : ٤٧) ﴾ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴿ (٥ : ٤٨).

هذا - لا ما عند أهل الكتاب من أضغاث أحلام وخرافات أو هام منتشرة في كتابات ، أجل : إلا ما فيها من آيات الوحي فيصدقها ، في حين أنه يندد ويزيف المحرف الدخيل فيها : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ﴾ (٥ : ٤٨).

تصديق ما بين يديه :

وهناك التصاريح تختلف في التصديق :

فتارة تصدق ما بين يديه : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبًا بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢ : ٩٧) يعني ما أنزل قبله على الأنبياء ، لا كل ما اختلق بأسمائهم ، وإلا أصبح مصدقاً لما يكذبه في تصاريح التحريف كما فصلناها من ذي قبل .

تصديق ما مع أهل الكتاب :

وأخرى يصدق ما مع أهل الكتاب :

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (٢ : ٨٩).

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانْتَهُمُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢: ١٠١).
 ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ (٢: ٤١).

وغير خفي أن المعنى مما معهم هناك ليس إلا الآيات غير الدخيلة ولا المحرفة وإلا البشارات الموجودة في التورات والإنجيل ، حيث إن القرآن ونبيه يصدقان ذياك التصريح ﴿وَ﴾ لقد ﴿كَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾ أن ينزل القرآن ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ بهذه البشارات ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أنه تأتي امة تؤيدنا في الدين الكتابي ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾ من ذي قبل ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ وانكروه و﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ﴾: القرآن ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانْتَهُمُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وحيه، من ذي قبل لمكان البشارات.

أجل إنهم بالرغم من ذلك ، كانوا أول كافر به بدل أن يكونوا أول المؤمنين، فلقد كان المشركون - وليس عندهم ما عندهم - يؤمنون به، وهم يكفرون وعندهم ما عندهم من البشارات ...

ولئن أبيت إلا عن عموم ما معهم أو اختصاصه بغير البشارات فليختص بما لا يزيفه القرآن ولا يكذبه لكيلا يلزم الجمع بين المتنافيين! فذلك تصديق للوحي الموجود فيها وهذا لا ينافي النسخ .

وحصيلة البحث : أن القرآن لا يصدق إلا الوحي ، ما نزل من ذي قبل - بين يديه - وما بقى عند أهل الكتاب منه لما معهم ، مثل البشارات وما إليها مما يلائم القرآن .

هل النسخ ينافي التصديق؟

الأسقف : مهما يكن من شيء فهناك تناف بين تصديق العهدين ونسخهما، أو أن النسخ تكذيب لهما، وهذا أول النقد على القرآن حيث يصدقها من ناحية، ثم ينسخها أخرى !

المناظر : كلا ! فما النسخ إلا بياناً لأمد الحكم وانتهائه في العهدين، لا تكذيب أنهما وحي، فلا ينافي وتصديقهما .

ثم إن الكتائبيين لما أخبروا وبشروا بنزول القرآن بعدهما ناسخاً لهما فقد أخيراً آنذاك بنسخهما، فأصبح حينذاك تصادق بين المجانين، فلو لم ينسخها القرآن كان ذلك تكديماً لهما، لا تصديقاً، فلا يصدق القرآن إلا كونها وحيًا، لا هو وكونها ابديين عبر القرون حتى النهاية .

وحصيلة البحث اننا لا نكذب شيئاً مما أوحى على انبياء الله من قبل، كيف وقد أمرنا بتصديق كتاب الله إطلاقاً، أي تصديق أنها حق من الله، لا أنها غير منسوخة حتى القيامة، وإنما نكذب ما اختلقته أيدي الجهل والجعل، نكذبه إتباعاً للقرآن حيث يبين التحريف في العهدين، والشهود الداخلية فيها أيضاً تصدق القرآن في ذلك .

شبهات حول :

موقف الرسول ﷺ من الوحي القرآني ومعجزة حفظ القرآن!

الحداد : يستفتح أهل القرآن على أهل التورات والإنجيل بأن القرآن قد حفظ

بمعجزة سالماً كما نزل على النبي الأُمي ، ويستعلون عليهم متهمين إياهم بتحريف الكتابين، بينما هم قد حافظوا على صحة نقل القرآن وسلامة حفظه^(١).

حال أنه لم يحفظ باديء الوحي ! فكيف بما بعده!

ففي القرآن المكي شبهات يحار فيها المؤمن وغير المؤمن ...^(٢).

المناظر : الحداد ومن إليه من الإنجيليين ، بعدما تتوارد عليهم الأدلة المتوفرة على تحريف الكتابين، لم يلبثوا حتى قابلوا المسلمين بمثل ما قبلوا به وزيادة هي : عدم احتفاظ الوحي في القرآن حين نزوله ! فكيف بما بعده ؟ استناداً في القرية الأولى إلى آيات يأولونها كما تهواه أنفسهم، وفي الثانية إلى روايات واهية متناقضة في نفسها وبالنسبة للتصريح القرآنية .

تواتر القرآن :

بيئة القرآن عبر القرون الإسلامية :

فأول ما نقول عليهم : أن لا تواتر بين المسلمين عبر القرون الإسلامية اقوى واظهر من تواتر القرآن - فإليه يرجع الأمر كله - كما إلى الله يرجعون ، ومن أصولنا في البحث الكتابي وكل بحث ديني ، رد السنة إلى القرآن - فلا نقبل ونصدق منها إلا ما وافق القرآن ولم يخالفه - فلا نصغي إلى الأقاويل الطالعة عن الروايات المخالفة للقرآن كيفما كان ظهورها أو صراحتها أو توفرها - بل وتواترها - .

(١) القرآن والكتاب ج ١ ، ص ٢٠١ .

(٢) القرآن والكتاب ج ٢ ، ص ٧٠٥ .

وهذا إجماع من المسلمين على مختلف فرقهم : أن الأصل الأول والأخير في شريعة الإسلام إنما هو القرآن أو ما يوافقُه دون أي خلاف عليه أو متواتر غير موافق للقرآن ولا مخالف حيث استفاده النبي من رموز قرآنية خاصة فكماً لا ملتحذ ربانياً للرسول ﷺ إلا الله: ﴿ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِذًا ﴾ (٧٢ : ٢٢) كذلك لا ملتحذ له رسالياً إلا القرآن: ﴿ وَأَثُلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِذًا ﴾ (١٨ : ٢٨). فإنها تحيل أي ملتحذ للرسول ﷺ دون القرآن، وملتحدة في حروفه الرمزية هي الوحي القرآني اضافة إلى وحيها حيث يبين معانيها، والأصل في القرآن تواتره الهام عبر القرون الإسلامية منذ البداية ولحد الآن على وتيرة واحدة - وأنه لا اختلاف فيه نفسه ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ فآظهر الآيات وأقربها إلى القبول في تحريف الكتاب وعدمه، وجود الاختلاف والتهافت فيه نفسه وعدمه، وقد نجد من الاختلاف في الكتابين مما يخالف العقل والفطرة ما لا يحصى - دون القرآن .

فالقرآن - بشواهده الداخلية وكذا الخارجية : من اجماع واطباق معتنقيه - لا يوجد فيه سوى الوحي -

وعلى العكس من ذلك العهدان إطلاقاً - فقد فصلنا القول في بيئتها عبر القرون - في نظر معتنقيها العباقرة - وسوف تأتي على الشهود الداخلية البيئية على تحريفها في المقارنات .

فالقرآن نفسه يكفي شاهداً عدلاً على كونه ، بتامه من عند الله - ولو أجمعت البشرية على خلافه - فما هو إلا إجماعاً على أن الشمس مظلمة !

والعهدان يكفيان شاهدي عدل في أنفسهما على تدخلات كثيرة فيهما، وإن أجمع معتنقوهما على أنهما من خالص الوحي، فما ذلك إلا كالإجماع على أن الليل مشرق!

حال أن المسلمين مهما اختلفوا فيما يختلفون، لكنهم مجمعون على أن القرآن الموجود من خالص الوحي دون خليط.

وأهل الكتابين لم يجمعوا على ذلك بالنسبة للتورات والإنجيل - بل الأمر كما فصلناه - في بيئة الكتابين عبر القرون الاسرائيلية وغيرها: كأنه اجماع منهم على تحريفها إلا شذاً من المتعصبين.

فرية النسيان في وحي القرآن!

الحداد: هنالك في الدعوى الأولى شبهات نوجز منها سبع وقايع تطورات إلى سبعة مبادئ في كيفية تلقي الوحي القرآني وتبليغه:

الشبهة الأولى:

الظاهرة الأولى: نسيان النبي بعض ما يوحى إليه ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ *
﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ * وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ فالاستثناء
﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ يفيد بأن الله قد يشاء أن ينسى النبي بعض ما يوحى إليه، فهل
يصح أن يوحى الله شيئاً ثم يأمر بنسيانه؟! هل كان النسيان مقصوداً؟ آية التبديل
(نحل ١٠١) وآية المحو (٤١) توحيان بأن النسيان قد يكون مقصوداً من الله ومن
النبي، فكيف تنسجم العصمة في البلاغ والتبليغ مع مبدء النسيان وواقعه؟!!

الجواب عن الشبهة:

المناظر: لا صلة لآيتي المحو والتبديل بنسيان الوحي ، حيث الأولى: ﴿يَمْحُوا
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (١٣ : ٣٩) إنما هي في موضع التعليل
 لما قبلها: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ
 لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٍ﴾ (١٣ : ٣٨).

إعتباراً بأن اختلاف آيات الوحي - لفظاً وحكماً - النازلة على الأنبياء -
 وكذلك آيات النبوة ومعجزاتها - ذلك كله ليس إلا بإذن الله ، فيمحوا ما يشاء من
 الآيتين ويثبت ما يشاء دون نسيان من الله ولا من رسله ، فما اختلاف الإنجيل عن
 التورات وكذلك إختلاف معجزات الرسولين - إلا محواً للسالف بإذن الله - وتثبيتاً
 لبعض ما سلف وما يزيد عليه تباعاً - بإذن الله - «وعنده أم» - : «أصل الكتاب» -
 فعنده أصل العلم والحكمة وأصل الدين ، لا يحو حيناً ويثبت في آخر إلا وفقاً لما
 يراه من المصالح التربوية والإبتلائية وما إليها .

وكذلك آية التبديل : ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِّلُ
 قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن
 رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (١٦ :
 ١٠١-١٠٢).

فهذا التبديل يشمل تبديل آيات النبوة بعضها بأخرى - كمال اختص
 محمد ﷺ بآية خالدة عبر القرون الخالية والمستقبلية إلى انقضاء التكليف - وهي
 القرآن نفسه - وقد تختلف عن معجزات النبيين من قبل - حيث ظلت هي مقبورة مع
 الأبد - دونها - إلا تصديقاً من القرآن لها ، وكذلك آيات القرآن ، حيث تختلف شتى

الاختلافات عما قبلها : نسخاً وتكميلاً - وبالأخير بعض الآيات المنسوخة في القرآن نفسه بأخرى فيه تنسخها - فلا فرية في تلکم التبديلات فإنه : ﴿ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ .

وأما ظاهرة نسيان الوحي : فقد ذكر إنساء الآية في آيتين بينهما كمال الصلة :
 ١ - ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢ : ١٠٦).

معنى نسخ الآية وإنسائها والمحو والإثبات :

ففي آية النسخ والإنساء هذه : تنديد بكفار أهل الكتاب، حيث لا يودون نزول الخير على المسلمين - خير يمتازون به في آيات النبوة وآيات البلاغ - في غلبهم بالحجة وتوفر الرحمة عليهم ... : ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ * مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾ (١٠٥ - ١٠٦).

إعتباراً بأن نسخ بعض الآيات السالفة : معجزةً وكتاباً ونبياً ، حيث الكل آيات الله البينات - أو إنسائها عن الخواطر - كل ذلك ليس نسخاً وأزالة للخير والصالح - بل هو تبديل لها بمثلها أو بخير منها - وهذا مقتضى القدرة والحكمة اللانهائية من الله العزيز الحكيم .

فنسخ بعض أحكام التورات - المؤقتة بأوقاتها - ثم تباعاً تبديلها بمثلها في

إيفاء الصلاح والفلاح، أو بخير منها في ذلك، هذا ليس إلا ابتلاءً وتمحيصاً في الأولى وإلا ترقية وترقيعاً في الأخيرة.

وكذلك نسخ المعجزات السالفة :- آيات النبوة، كلها أو جلها - وتبديلها بغيرها في الشاكلة ومثلها في النتيجة وفي الدلالة والحجة - كانشقاق القمر والمعراج وما إليهما من الآيات غير الخالدة - .

أو بخير منها دلالة عقلية واضحة تربوا على الحسية - وخلوداً عبر الأجيال - كالقرآن - .. ففيه خير خالد وميزات راجحة على سائر آيات الأنبياء من قبل - رغم أنه : ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا... ﴾ ذلك ﴿ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ كما اختص محمداً ﷺ بين رسله بآيات الوحي والنبوة الخالدة ﴿ تِلْكَ أَلْرُسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ.. ﴾ (٢: ٢٥٣).

﴿ أَوْ نُنسِهَا ﴾ .. وعن خواطر أمة محمد ﷺ كمعجزات سالفة التي لم يأت القرآن بذكرها إطلاقاً، أو الرسل غير المذكورين في القرآن، أو نساها عملياً لكي يأنسوا باللاحق ولا يسألوا مثل السابق : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (٢: ١٠٨).

هذا : وان كان قد تشمل الآية - لو ساعدتها القرينة - إنساء بعض الآيات المنسوخة في القرآن، في ألفاظها، كما في مغزاها ومرماها - ولكن القرينة غير ثابتة، فلعل إنساء الآية يختص بما سلف... وإن كان لا إشكال في هذا الأخير أيضاً رغم أنه مبنى الإشكال والشبهة أولاً وأخيراً - حيث لا يختلف عن النسخ إلا زيادة نسخ القرائة على نسخ الحكم، ولا فرق في جواز النسخ بين مختلف مصاديقه، ولكن هذا النسخ لم يثبت بحجة .

فآية المحو والتبديل والنسخ والإنساء، لا تنحو منحى الحداد ومن إليه - وإنما تعني ما يلي :

أم كتاب التكوين والتشريع ليس إلا من عند الله، فيمحو ما يشاء منه ويثبت ما يشاء : اثبات التكوين الغابر في المستقبل والحاضر ، وكذا اثبات التشريع - و : محو بعض مما اثبته غابراً - في الحاضر في الموردين كمحو معجزات الأنبياء بما مُحوا وقضوا نجهم - ومحو شيءٍ من أحكامهم كذلك - ولا يطرء مثل ذلك المحو : لا شريعة القرآن ، ولا آية النبوة المحمدية الخالدة ، فهما مجتمعان في واحد ، ومركزتان في واحد أولاً وأخيراً ألا وهو القرآن ! فلا المحو هو محو أحكامه ولا أنه آية النبوة الخالدة - وكذلك تبديل شريعة التورات والإنجيل بشريعة القرآن - وإن لا ترتضيه القومية الإسرائيلية ، فيحملهم على أن محمداً ﷺ مفتر حيث أتى ببعض ما ينافي الشريعة الإسرائيلية : ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾ (٣ : ٧٥) ، ومثله نسخ أو انساء الغابر من آيات الإعجاز والشريعة .. :

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ! فلا يحده تكوين أو تشريع عن غيره ، وله الأمر والحكم كيف يشاء ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ ﴾ وبذلك نستوحى المغزى من آية الانساء التي استوحى منها الحداد غير مغزاها ورمى بها خلاف مرماها - :

آية الإقراء والإنساء :

﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَىٰ * إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ * وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ * فَذَكَرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴾ (٨٧ : ٦ - ٩) .

الإستثناء بالمشية

﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ نجعلك قارئاً للكتاب - ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ - أجل نجعلك قارئاً وان كنت لم تتعلم وتأنس بالقراءة إطلاقاً قبل ذلك ، وكل قارىءٍ لشيءٍ قد ينساه ، وأما أنت فقد اختصك الله بخاصة : أن ﴿فَلَا تَنْسَى﴾ ما يقرئك الله^(١) لن يعتريك بعد ذلك نسيان أبداً - لا لأنك استغيت - بما أقرأتك - عني وعن تأييدي - كلا - فكما أني حوتك هذه الكرامة بمشيتي - في أن أقرءك القرآن، كذلك ألا تنساه - فكما لا يقدر على اقراءك هكذا إلا الله - كذلك الإنساء لا يقدر عليه إلا هو - ولو اجتمعت الجن والانس لأن يُنسوك ما أقرأناك: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ (٢: ٣٥) .

إذا فالإستثناء بالمشية هنا ليس للإخبار بتحقيق المشية في المستقبل - لا - إلا للتنبيه - على أن الأمر كله بيد الله دون تفويض إلى أحد حتى إلى رسوله : تفويض ليس له الإسترجاع - بل هو الغالب على أمره وله المشية في كل حال .

فهو في مجرى ومغزى قوله تعالى : ﴿وَلَسِن شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ * إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ (١٧ : ٨٦ - ٨٧) إعتباراً بأن النبي بعدما أوحى إليه لا يستقل عن رحمة ربه لاستبقاء الوحي والنبوة لساحته - بل هو الآن كما كان قبل ذلك في الافتقار إلى ربه! وكان يوحى إليه : ﴿لَسِنَ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ (٣٩ : ٦٥) إشعاراً بأن

(١) فلا تنسى : يفرض عدم تحقق النسيان على الاقراء لا أنه نهى عنه وإلا لقال : لا تنس .

الشرك يحبط الأعمال مهما كان فاعله مقرباً وإن نبياً وحاشا الأنبياء! فإنما يُجزى الإنسان على عمله بنيته - دون محتده ومنزلته - فلا منزلة إلا بالمعرفة والعمل الصالح، ذلك: رغم استحالة أن يشرك النبي بربه وحاشاه!

ويوحى إليه: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تَبَتُّنَاكَ لَقَدْ كِدْتُمْ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾ (١٧: ٧٤) إعلماً أنه لو لا عصمة من الله لكنت كأحد من الناس: قد تميل إلى غير الحق وإن قليلاً... لا! إنه يترك عصمته وتثبيته.

وكما يقول بالنسبة ليوסף الصديق: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ (١٢: ٢٤) فينتج: إنه عليه السلام لم يهم بامرأة العزيز لأنه رأى برهان ربه وأدركته العصمة الإلهية.

فكل هذه الآيات وما إليها تعبيرات بينة عن اختصاص الأنبياء بالعصمة الإلهية - فهي التي تصعمهم - لا - فقط - قوة من عندهم أنفسهم تصدهم عن الخطأ... فاعتبروا يا أولي الأبصار -.

وهناك الآيات متوفرة في الذكر الحكيم في الاستثناء بالمشية، والمعلوم - عقلياً أم نقلياً ثابتاً - أنه تعالى لا يشاء ما استثناءه فيها - كما في الخالدين في الجنة: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ﴾ (١٢: ١٠٨).

فإن خلود السعداء في الجنة - البرزخية - ما دامت السماوات والأرض - وأنه عطاءً غير مجذوذ لا ينقطع - هذان التصريحان ينافيان وتحقق المشية الإلهية بإخراجهم عن الجنة، دون ريب وشبهة - وإنما يستثنى بالمشية هنا وهناك لتحقيق حقيقة ناصعة هي: أنه تعالى غالب على أمره - مخير في أفعاله غير مصير - فله الخيرة

فيها من قبل ومن بعد - فلا إدخال أهل الجنة فيها خارج عن خيرته - ولا إبقائهم فيها - بل لله الأمر من قبل ومن بعد - .

ذلك ليعلموا أن الله على كل شيء قدير - وألا ممسك لرحمة أرسلها ولا مرسل لما أمسكها من بعده أبداً إلا هو - وإن كان لا يمسك ولن يمسك بعض الرحمات التي أرسلها إلى البعض من عبيده، كرحمة الجنة للسعداء، ورحمة وحي القرآن لخاتم الأنبياء ﷺ ...

وكما في شعيب : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ * قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُوذَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ (٧: ٨٨ - ٨٩).

ومما لا ريب فيه أن الاستثناء بالمشية الإلهية في عود شعيب والذين معه إلى ملة الشرك وإلى الجاهلية - وحاشاه - لا تنحون نحو التحقق أو احتمال التحقق، فإن الله لا يشاء ولن يشأ أن يعود نبيه والمؤمنون به إلى ملة الشرك به ما لم ينزل به سلطاناً . إذاً فلا يعني بهذا الاستثناء إلا بيان حقيقة توحيدية ناصعة هي أن أمرنا كله بيد الله، لا نعصي ما أمرنا ولو أمرنا ان نشرك به ولن يامر !!!

آية الإنساء من آيات أن محمداً ﷺ لم ينس ما أقرئه ربه :

فالإستثناء بالمشية في نسيانه صلوات الله عليه بعض ما أقرئه ربه، لأتمت

بصلة لتحقق نسيانه - وإنما تشير إلى ان ما نقرئك محال أن تنساه ولا تعمل عوامل النسيان في خاطرك عملية الإنساء، لأن ربك هو الذي أقرئك بحيث لا تنسى - ولئن كان هناك عامل لنسيانك - ولن يكون - فليس هو إلا مشية الله تعالى ليس إلا - فهو الذي يثبت في الخواطر ثم هو الذي ينسى عنها - لا إله إلا هو العزيز الحكيم - وإذا كان الله هو المرسل للرحمة وهو المسك لها لو شاء، فقد يعلن هناك أنه لا ينسيك ما أقرئك بئنة إعلاناً بقوله تعالى: ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ﴾ حيث إن اليسرى في ناحية تلقي الوحي الإلهي ليست إلا ان لا ينساه - فلو اعتراه النسيان في الوحي لكان ذلك من أسوء العسرى - ولم يكن في هكذا الإقراء منة ومزية له على من سواه، وهو من عليه: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى ﴾ ... ويعده اليسرى فيه: ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ﴾ ... ويأمره أن يذكر بما أقرئه: ﴿ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ﴾ ...

أفنته عليه بما نغم منه من الإنساء؟ أفعسرى ضد وعده باليسرى؟ افتذكيراً بما ينسيه أو بعضه؟ ...

وبعد ذاك وذيالك - فإنه يعلم الجهر وما يخفى - وهذا العلم المحيط لا يصلح علة لنسيانه بعض الوحي أو كله - لأنه يناسب وجهله وجهل ربه! ولأنه لا يحيط علماً بعقل النسيان - فقد يجهل بعضها فينسى رسوله ما أقرأه رغم أقرائه كيلا ينساه!

فهذه تصارح بينة أن الرسول الأعظم محمدًا ﷺ لم ينس من وحي ربه ولا كلمة أو حرفاً، بما أقرئه ربه بحيث لا ينساه - وأنه وعده اليسرى في ذلك ومن عليه أنه اختصه بهذه الكرامة - وأمره: شكراً لهذه النعمة السابعة وإنجازاً لأمر البلاغ أن يذكر بالقرآن .. ﴿ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ﴾ .

هذا وذيالك لو سلمنا تعلق المشية بقيد المستثنى منه: ﴿ فَلَا تَنْسَى ﴾ أي فلا تنسى إلا ما شاء الله ...

... سنقرئك .. إلا ما شاء الله (من علمه) :

وإن تعلقت بنفس المستثنى منه بما أنه أصل الكلام لتهدمت بناية هذه المشكلة بدءاً ختم، دونما حاجة إلى هذه التوجيهات وإن كانت وجيهة - حيث إن المعنى إذ ذاك: سنقرئك كل شيءٍ - إلا ما شاء الله - مما اختص بعلمه من الغيوب المكنونة - إعتباراً أن القرآن مجموعة العلوم الربانية التي يحق ويمكن لنبي الله أن يعلمه - وأما أن الذي اختص الله سبحانه وتعالى به، كالعلم بكنه ذاته، وعلم الساعة، وما إليهما - فقد تعلقت المشية الإلهية أن لا يقرئه وإن لنبيه ...

ومهما يمكن من شيءٍ فليس هناك أية حجة ظاهرة أو محتملة تثبت فرية النسيان .

فيا حداد ! لقد خانك مغزاك ومرماك في فرية النسيان إلى ساحة الرسول محمد ﷺ حيث لا تدعك الآية تأولها إلى غير تأويلها - من تحقق المشية في النسيان - لا تدعك إلا أن نقرع سمعك بقارعة تيسره ﷺ باليسرى في الدعوة إلى ربه - وهي الذكرى إطلاقاً بمناسبة المورد - أو وزيادة ... أجل إنه لا عسرى هناك إلا ما تهواه أنت معارضاً لصريح وعده تعالى ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ .

آية الحفظ :

ومن ذلك آية الحفظ : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١٥ : ٩) فيها من التأكيدات القيمة العشر ما ليس في غيرها من آيات الذكر الحكيم في آية

مهمة من مهام الدين - فأول منازل الحفظ للقرآن أن يحفظه من أوحى إليه فلا ينساه كي يتيسر حفظه لمن معه ومن بعده من المسلمين .

فهل تظن يا حداد أن الله يحفظ كتابه في علمه فحسب - لا في خاطرة رسوله الكريم ؟ فما في ذلك من منة على الأمة - ولا حاجة إلى هذه التأكيدات المتكررة ! حيث يستحيل أن ينسبه الله سبحانه وتعالى - وأخيراً فالحفظ إنما وعد للذكر المنزل لا الذي عند الله في أم الكتاب : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴾ وأول منزل لهذا الذكر المنزل إنما هو قلب الرسول محمد ﷺ : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (٢٦ : ١٩٣ - ١٩٥) .
أم هل تظن أن الله يحفظ قرآنه في صدور المؤمنين وفي القرايطيس - ويُنسيه عن رسوله الكريم ؟

أذلك بوحي منه إليهم وتأيد يخصهم دون رسوله ، أم إن الرسول كان يتلوه عليهم ليحفظوه وليكتبوه ثم هو ينساه !

أم بالأخير تفتري على الله أنه أخلف وعده رسله : ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلَفًا وَعَدِهِ رُسُلَهُ ﴾ (١٤ : ٤٧) ! ﴿ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴾ (١٩ : ٦١) ﴿ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ (٢٢ : ٤٧) و ﴿ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴾ (٧٣ : ١٨) !

أجل ان القرآن لن يمحو عن خاطرة الرسول ﷺ المقدسة - ولا عن لوح قلبه المنير وكتاب صدره المكنون . بل هو خالد في خَلْدِهِ الشريف : ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ * وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ * بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾ (٨٥ : ١٩ - ٢٢) ﴿ إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴾ (٥٦ : ٧٧) .

إعتباراً أنه ليس قرآناً - يمكن قرائته وتلاوته - إلا بعد التنزيل - لا في أم الكتاب لدى الله - وليس هناك لوحٌ يحفظ فيه التنزيل، ولا كتابٌ يكنُّ فيه إلا منزله الرفيع الأول: قلب الرسول الكريم محمد ﷺ، حيث الحفظ عند ملك الوحي فحسب لامنة فيه على الأمة - ولا يحتاج إلى هذه التأكيدات !!!

وختاماً للبحث، كيف يتلائم كون الرسول نذيراً بالوحي والقرآن، بأمر ربه مع نسيانه كذلك بأمر ربه : ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ (٦ : ١٩) ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ ﴾ (٢٧ : ٩١-٩٢) فهل يُؤمر بتلاوة ما يُنسيه أمره ؟

هل كان النبي ﷺ يخلق من عنده شيئاً من القرآن ؟

الشبهة الثانية :

حداد : الظاهرة الثانية هي استعجال النبي الوحي واستباقه : ﴿ لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ (٧٥ : ١٦ - ١٩) .. هل كان النبي يتدخل في جمع القرآن وقرأته حتى يحذره الله؟ ويعود القرآن إلى التحذير ذاته : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُفْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (٢٠ : ١١٤) وفي الآية التالية (١١٥) مثل على نسيان محمد ﷺ القرآن من جده آدم عليه السلام : ﴿ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ (١).

الاستعجال في نزول القرآن لا يصطدم الوحي القرآني :

المناظر: أتى لك أن تحتم كون العجلة بالقرآن بمعنى انفراد الرسول ﷺ بيانه من دون وحي؟ إلا تهكماً وفرية - فهل إن الله تعالى يسمي ما يختلقه الرسول من عنده - وحاشاه - قرآناً - دونما تفريق بين قرآن الوحي وغيره؟ فهذا إما تضليل للناس أو تصديق أن مقالات الرسول محمد ﷺ كلها قرآن! كيف لا وقد يصف القرآن نفسه في مواضع كثيرة أنه وحي كله نزل به الروح الأمين على قلب الرسول محمد ﷺ ...

فلم تكن العجلة حينذاك إلا بالنسبة لنزول القرآن المفصل بالوحي - ذلك شوقاً من الرسول ﷺ إلى كلام ربه إلى القرآن - فكان استعجاله متجهاً إلى أهم الخيرات الروحية العالمية - ولم يكن النهي إذ ذاك تنديداً أو تحذيراً به من سوء إرادة - وحاشاه - بل تشيئاً لمخاطره المقدس، وتسكيناً لنفسه الشريفة كي ينتظر قضاء الوحي المفصل - وحكمه من الله - فلكل حال مقال - ولكل أمر قضاءً سابق دونما استعجال .

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾ أن يوحي إليك بتفصيل بعد احكام ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ كن دائماً في طلب المزيد من علم الله - والله هو المجيب لدعائك والموحي إليك علمه بقرآنه - ولا تنس عهد الله إليك كما نسى آدم من قبله فلم يجد له عزماً - لا - بل : ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ (٤٦ : ٣٥).

وليت شعري إذا نسى آدم عهد ربه فاقترب ما نهى عنه فما ذنب محمد ﷺ - وهو من أولي العزم من الرسل الذين يصبرون على موثيق ربهم دونما نسيان -

فهل يؤخذ الإبن بجرم الأب؟ إن هذا يا حداد إلا اختلاقاً منكم اعتباراً أنه من الجذور المسيحية قائلة:

لما اذنب آدم من قبل فولده مذنبون لا محالة، ولم يطهرهم عن ذنوبهم إلا تجسد الآله من اللاهوت في رحم مريم البتول، واقترا به بالجسد البشري إلى عباده، ثم تضحيته بتحمل ذنوبهم وجميع لعناتهم شخصياً، ومسه حر سقر بشخصه، حتى تستريح امته في رغد الأمن والرحمة دونما عقوبة على ذنوبهم^(١).

فما دائك؟ وما دوائك! ما الذي يحملك على تلك التحاملات البشعة الوقحة على رسول كريم - في حين أن القرآن يصرح: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ (٥٣: ٣-٥).

لا تحرك به لسانك:

ثم نبيه عن تحريك لسانه استعجالاً بالوحي: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (٧٥: ١٦) فكما في الأولى - فلم يكن الرسول ﷺ يتكلم بشيء قبل الوحي - إعتباراً أنه وحي القرآن - وإنما كان يحرك به لسانه ليعجل بنزول الوحي المفصل - بعد الجمل - كما في كل متكلم له شغف بالغ أن يتعلم - فلربما حرك لسانه كالناقل لما يلقيه المعلم - استعجالاً لإلقائه لكي يتلقاه .

فما النهي في هاتين الآيتين إلا بياناً صريحاً واشعاراً مليحاً إلى شغف الرسول محمد ﷺ إلى الوحي دونما استئصال له - رغم أثقاله - ولا حالة عادية - كلا - بل

(١) أصول الديانة المسيحية وفروعها - دكتور باطر .

كان ينتظر دائماً نزول الوحي من ربه في حين أنه : ﴿ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ إعتباراً بحصر جميع ما ينطق به من شؤون رسالته ودعوته - كل ذلك بالوحي ليس إلا - علمه الله - وهو شديد القوى فهو معلمه الأول والأخير - وما جبرئيل إلا وسيطاً في القاء تلك الآيات - ثم هو تلميذ من تلاميذه في تفهم معارف القرآن : روح القدس في الجنان الصاغورة قد ذاق من حدائقنا الباكورة .
وبعدئذ فهناك وجه آخر في النهي الأخير - هو أن الرسول الأعظم محمد ﷺ - كان يعلم نماذج الوحي القرآني بصورة محكمة غير مفصلة - بما أوحى إليه ربه في ليلة مباركة - ليلة القدر : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ (٩٧ : ١) ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ (٤٤ : ٣) ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ (٢ : ١٨٥).

مراتب نزول القرآن :

فهذه تصاريح قيمة في نزول القرآن بأجمعه على قلب الرسول ﷺ في ليلة واحدة - مع أنه نزل عليه نجوماً متفرقة - طيلة الدعوة - في ثلاث وعشرين سنة - إلا أن هناك فرقاً بين النزولين يبينه : ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ (١١ : ١) إشعاراً أن النازل دفعة في ليلة القدر إنما هو محكم الكتاب - ثم النازل نجوماً عبر زمن الدعوة - هو تفصيله - وكلاهما من لدن حكيم خبير - فهو الذي فصله بآياته المفصلة بحفائقها الجامعة - كما أحكمه قبل ذاك في قلب الرسول محمد ﷺ .

القرآن وحي في وحي :

فلهذه السابقة السابغة العلمية الحسناء بوحى القرآن - وشغفه البالغ إلى إصغاء وتعلم وتبليغ الوحي - كان يستعجل نزول القرآن إلى أن كاد يحرك به لسانه - وكان يحق له أن يتحرك به لسانه قبل الوحي بما يراه - لو لم يكن القضاء تلاصق وحي اللفظ المفصل إلى وحي المعنى المجل في القرآن - فكل ما ينطق به الرسول محمد ﷺ وحي - لآية الوحي : ﴿ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ إلا أن وحي القرآن وحي في وحي - بلفظه ومعناه ، دون غيره من أقواله التي تعتبر أحاديثه - فليست وحيًا إلا في معناها ومغزاها - المستفادين من القرآن نفسه، ومن رموزه الخاصة به، إلا أن تفصيل الكتاب آياته اللفظية كمحكمه بمعانيه المحكمة - كلاهما يحتاجان إلى قضاء الوحي .

ف: ﴿ لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ لا عليك - وإنما عليك البلاغ فنحن نجمع شتات آياته بمفرداتها وجمليها ونقرئه بألفاظه وحيًا كما أوحينا إليك معناه المحكم ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ قرائته بالوحي في ألفاظه - كما اتبعت وحيه في معانيه ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ بيان محكمه النازل عليك ليلة القدر - بتفصيله الذي ينزل عليك نجومًا متفرقة طوال الدعوة وبيان تفصيله - أيضاً - وبتفاصيل لنفسه في نفسه !!!

أجل ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ لا عن هوى عقله فضلاً عن هوى نفسه أو جمعية الشورى ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ إليه ﴿ عَلَّمَهُ ﴾ الله : ﴿ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾ .

أما نطقه القرآني فوحي كله : في لفظه ومعناه ، وأما أحاديثه المنيرة فوحي في

المعنى فحسب - ولذلك تختلف آيات القرآن عن أحاديثه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سمو التعبير - فتلك صنيعه الرب وذاك صياغة المربوب إلا في معانيها .

فلا يحكم الرسول إطلاقاً - إلا بما أراه الله - دون تدخل من رأيه وإن كان مصيباً: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾ (٤: ١٠٥) ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾ (٢١: ٤٥).

فتنحَّ يا حداد عن صممك - واخرج عن غيبك وعمهك - فما ذلك الذي تريده في آيات الذكر الحكيم - إلا حجة عليك وإعياء بما إليك!!
هاه! لو نظرت بعين عقلك دون هواك ما خانك بصرك وما زلت بك إلى ذياك الهوات المخزية!

الشبهة الثالثة

هل يركن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وحي القرآن إلى فتنة الناس؟

حداد: الظاهرة الثالثة في القرآن هي إمكان فتنة الناس للنبي عن الوحي وأن يركن النبي إلى فتنهم: ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا * وَلَوْلَا أَنْ تَبَتَّنَا لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا * إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ (٧: ٧٣ - ٧٥).

وعن محمد بن كعب أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرأ: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ أَلَلَاتٍ وَالْعُرَى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴾ فالقى الشيطان: تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى - فما

زال مهموماً حتى أنزل الله في المدينة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾ (٥٢: ٢٢) فمدح آهتهم في النجم وتأسى عن هذه الفتنة بقوله: ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾ (١٧: ٧٧) ... كل ذلك يوحى بأنه ركن إليهم شيئاً قليلاً! (١).

لا يركن النبي إلا إلى الوحي الفذ:

المناظر: ... كيف ركن إليهم وان قليلاً وأنى ركن؟! وصریح الآية ينفیه: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ﴾ إشعاراً بأنه كاد يركن إليهم شيئاً قليلاً - لو لا تثبيت ربه - ولكنّه تثبته فلم يركن إليهم وإن قليلاً، فهذه الآية من براهين عصمة الرسول ﷺ عن أيّ ركون إلى غير الله فضلاً عن المشركين.

فهي في مجرى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ (١٢: ٢٤) يعني طبيعة الحال كانت تقضي أن يهّم يوسف بامرأة العزيز، لو لا ان رأى ما رأى - لكنه أدركته العصمة الإلهية فلم يهّم بها. وكقوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ (٦٨: ٤٩).

وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (٣٧: ١٤٣ - ١٤٤).

خرافة الغرائق الملعونة :

ثم ان ركونه ﷺ - الذي استحالته الآية - لم يكن ركوناً إلى المشركين أن يعبد أصنامهم من دون الله - وكيف يحتمله عاقل ! بل ركوناً إلى وعدهم أنهم يؤمنون بالله لو مال إليهم وسامحهم ، فقصة الغرائق وما إليها خلاف نص القرآن، فكيف تصدق عليه - ومن أصولنا في تفسير القرآن عرض الحديث على القرآن، وضرب ما خالفه على الجدار - وأنت يا حداد تريد عرض القرآن على الحديث ونقضه به !

أمنية باطلة في آية الأمنية وحق القول فيها

أحتجاج بالنقيض على نقيضه!

ثم آية الأمنية لا تنفعك في أمينتك الباطلة : أن الشيطان يلقي في أمنيات الأنبياء ! حيث لا أمنية للأنبياء ولا بغية إلا الدعوة إلى الله دونما فتور، لا أمنية الرسالة وهي حاصلة فهي من تحصيل المحاصل !

إنما هي الدعوات الرسالة للتصريح المتوفرة القرآنية على أمنياتهم المقدسة - إلا أن هناك شياطين يلقون في أمنياتهم - لا أن يلقوا إلى قلوبهم المنيرة أمنيات كافرة - كلا - بل إنهم يلقون في الأجواء الساذجة الجاهلة ما يضاد وأمنياتهم الطيبة - يلقونه فيها - إلا أن تلكم الإلقاءات لا تأثير لها في أمنياتهم المقدسة، لا في قلوبهم المنيرة ولا في غيرها - لأن الله ينسخ ما يلقي الشيطان إطلاقاً حال إلقائه فيهم، وبعد إلقائه في الخارج في عملياتهم ودعواتهم - ينسخه ويرده إليهم من حيث جاء - ثم يحكم الله آياته - فإنما الشياطين يلقون في أمنيات الأنبياء - بأن : يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ

وَالْجِنَّ يُوْحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ عُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ
فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ * وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفِيدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
وَلِيَرْضُوهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ ﴿٦: ١١٢-١١٣﴾.

... ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ
إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (٦: ١٣١).

فهاتان الآيتان تُعيّنان تفسير آية الأمنية على خلاف أمنيته الساقطة يا
حداد!:

... ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا﴾ قدرنا ان يكون ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ أعنى ﴿شَيَاطِينَ
الْإِنْسِ وَالْجِنَّ يُوْحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ﴾ وساقطه «عُرُورًا»؛
ليخدعهم ويغروهم بحرب الرسل وحرب الهدى - فيلقوا في أمنيات الأنبياء -
المقدسة - وليفكروا ويتخذوا مصائد حتى يقضوا على الحق كله بزعمهم - وما
بيدئ الباطل وما يعيد!

ولئن أطعتم الشياطين فيما يوحون إلى نظرائهم للقضاء على شريعة الحق
وحكمه - إنكم إذا لمشركون -

حينذاك ، إذ يقوم الشيطان بخيله ورجله للإلقاء في أمنيات الأنبياء ﴿فَيَنْسَخُ
اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِيَجْعَلَ مَا
يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ
لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ
فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَلَا يَزَالُ
الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ

عَقِيمٌ ﴿٢٢: ٥٢ - ٥٥﴾.

أجل إن الشياطين لا يوحون ويلقون زخرف القول إلا إلى أوليائهم ونظرائهم - كما أنت - لا إلى الأنبياء - وإنما الملقى والموحى إليهم هو الله الذي أرسلهم للدعوة إليه والدعاية لدينه .

أجل ينسخ الله ما يلقي الشيطان - كما نسخ بهذه الآيات البينات ما ألقىته يا حداد ! - ثم يحكم الله آياته - كما أحكمها إذ ذاك - وإذ يصرح : ﴿ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (٥٣ : ٣ - ٤).

فلا آية الأمنية تسلية لخاطر النبي عن خطأ الغرائق المزعومة المفتعلة - أجل لإتسالية له عما يلقيه الشياطين ويتهمونه من أمثال الغرائق !

آية السنة تسن العصمة لا الضلالة ؟

ولا أن آية السنة تؤيد هواك : أن تدخل الشيطان في قلوب الأنبياء سنة ثابتة - وحاشاهم ! كلا : بل هي صريحة ضد هواك : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا * سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾ (١٧ : ٧٦ - ٧٧).

فإنما هذه السنة الثابتة للأنبياء - ابتلائهم بالخلافات العارمة عليهم من ناحية الشياطين، دون أن يتخلص واحد من هؤلاء الذوات المقدسة عن ذياك الخلافات - وإن كان الله يقضي عليهم بحججه الدامغة ، فهذه هي السنة، لا تأثير الشيطان في قلوب النبيين وحاشاهم ! فما هذا إلا زخرفاً من القول وغروراً أوحيته يا حداد في كتابك إلى نظرائك - وقد نسخه الله وما إليه بكتابي هذا - ذوداً عن كرامة الأنبياء

وبياناً لآي القرآن بالقرآن - لا بخرافات أو هام وأضغاث أحلام كما تهواه نفسك .
 فما قصة الغرائق واستلام الأصنام وكلما يمس كرامة الرسول محمد ﷺ وينال منه إلا من القاءات الشيطان على نظرائه ليتهموا الرسول محمداً ﷺ بهذه
 الأقاويل : ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ
 قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ (٥٣: ٢٢).

الشبهة الرابعة

هل ترك النبي بعض ما أوحى إليه؟

الحداد : الرابعة في التسلسل التاريخي إمكان ترك النبي بعض ما يوحى إليه ما
 زالت تحديات المشركين تترى على محمد لإثبات رسالته بمعجزة كالأنبياء الأولين
 ولما ضايقوه هم بترك بعض ما يوحى إليه : ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ
 وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ
 نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (١١: ١٢).

... أجل لا يلزم من توقع النبي شيئاً : حدوئه - ولكن مجرد التهمة شبهة -
 وضيق صدر الرسول ﷺ عن عدم وقوع المعجزة دليل على ما هم به من ترك
 بعض الوحي ، ولولا عزم النبي على ترك بعض الوحي ، ما كان القرآن وبخه هذا
 التوبيخ اللاذع - فلا يليق بالله توبيخ بلا ذنب ومعاقبه بلا زلة - وفي قصة النسيان
 المقصود من الله دليل على إمكانية وقوع الترك^(١) .

(١) ج ٢ ص ٧٠٨.

امكانُ لا وقوع!

المناظر : إمكان ترك الوحي أمر وتحقق الترك أمر آخر - فإمكان الشيء لا يستدعي ويلزم وقوعه - فكيف تحكم بإمكان أن يترك النبي بعض ما أوحى إليه: تحقق ذلك الترك - فما الإمكان إلاّ مقابل الإمتناع - لا أنه الوقوع - وإلاّ جاز لنا القول بعدم الحداد لإمكان عدمه - وبإمكان أن الحداد لا يفهم كثيراً مما يقول - أن يقال : إنه لا يفهم!

وأما فرية إهتامه ترك الوحي بتحديات المشركين عليه لإثبات رسالته بمعجزة كالأنبياء الأولين - فلما ضايقوه همّ بترك بعض ما أوحى إليه ، فهذه قد كذبتها نفس الآية من ناحيتين :

الأولى: ﴿ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ﴾ (١١ : ١٢) فلم يكن التحدي منهم بمطالبة أصل المعجزة على النبوة - بل اقتراح ما يهوونه رغم أنه لا حجة فيه - كأن ينزل عليه كنز - فهناك من له كنوز متوفرة وما هو بنبي - إذاً فالكنز ليس من أدلة النبوة .

أو أن يجيء معه ملك : حيث القصد من ذلك أن يصدقه الملك ولا حجة فيه: ﴿ وَكُلُّ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ﴾ (٦ : ٩) فلو كان النبي ملكاً أو جاء معه ملك - لم يكن إلاّ في شاكلة الرجل لكي يراه الناس - ورجعت الشبهة والالتباس إلى حيث بدأت - فلا حجة في ذاك وذياك .

على أنهم لم يقصدوا بهذه الأقاويل إلاّ الهزاء به والسخرية منه - وحينذاك فلو طالبوه بالمعجزة أيضاً - حسب ما يهوونها - لم يكن على الله أجابتهم فيها، حيث الآية المعجزة إنما يؤتى بها لمن يريد الهدى - لا السخرية - وقد يأتي القول الفصل في ذلك.

الثانية : تصرح الآية التالية أن الرسول محمدًا ﷺ جاء بآية فيها كفاية عن آية آية - آية خالدة عبر القرون - وهي القرآن : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فَإِنَّهُمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿ (١١ : ١٣ - ١٤).

وفي أخرى يرقى إلى سورة واحدة قائلاً : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَيَّ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿ (٢ : ٢٣ - ٢٤).

إذا فلم يكن هناك إلا إمكان ترك بعض ما يوحي إليه - لا وقوعه - إلا أنهم جرحوا خاطره المقدس بسخريتهم منه بدل أن يفكروا في آيته الخالدة - ولو كان كما يهواه الحداد - لم يكن وجه لترك بعض الوحي - بل لترك الكل ، إذ لا معجزة له تدل على رسالته ! - إذا فماذا يفيد سائر ما أوحى إليه دون بعضه - إذا اشتركا في عدم الحجية ؟!

... فلو لا تدارك نعمة وعناية وتسليية من الله رسوله محمدًا ﷺ في هذه الإصطدامات الروحية من ناحية المشركين ، فلعله - لا أنه - كان يترك قراءة الوحي عليهم لمحات يسيرة - لا أن ينسأه أو يتناسأه - أو يتركه مع الأبد - كلا - بل كاد يتركه في أزمنة قليلة - غضباً وعقوبة عليهم - كما أن الله تعالى قد يترك بعض عبده سدى في طغيانهم يعمهون - وفي عيهم وغيهم يترددون ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ

فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٢﴾ (٧ و ١٠) ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ (٦١ : ٥) ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٤٣ : ٥٥).

فما ذنب الرسول إذا استن بسنة ربه في ترك الرحمة وفصلها عن لا يحنُّ إلى الهدى - إذا حان حينه - فليس في خطابه ذاك ﴿فَلَعَلَّكَ﴾ أيُّ عتاب للرسول ﷺ إلا تسلية لخاطره الشريف وتسكيناً عما أصابه من هزئهم به واقتراحهم ما لا يعنى .

و غاية الأمر هناك أنه نهاه عن أن يغضب عليهم، وأنه ما حان حينه إذ ذاك - ولم يكن الرسول ليحنَّ إلى أمر أو يقول قولاً - إلا بإذن ربه : ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ (٢١ : ٤٥) ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ (٧ : ٢٠٣) ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ (١٥ : ١٥).

الشبهة الخامسة

هل هناك تبديل في أي القرآن

من ناحية الرسول محمد ﷺ؟

الحداد: الظاهرة الخامسة هي التبديل في أي القرآن، والآية صريحة لا تحتاج إلى تأويل وتفسير: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٦ : ١٠١) هنا التبديل في أي القرآن أمر واقع

وكان سبب فتنة كبرى في ارتداد بعض المسلمين عن الإسلام...^(١).
المناظر : هذه الظاهرة الغادرة أيضاً ساقطة لما بيناه من ذي قبل في تزييف
ظاهرة النسيان والمحو ثم «آية» تعم آيات الرسالات ونفس الرسالات حيث كانت
تبدل، كما تبدلت سائر الرسالات برسالة خاتم المرسلين محمد ﷺ.

الشبهة السادسة

هل النسخ من افتعال الشيطان؟ أم من سنن الرحمان!؟

الحداد : والظاهرة السادسة المؤلمة أن القرآن يجعل للشيطان علاقة غير
مباشرة بهذا التبديل - فقبل آية التبديل يقول : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ
مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (١٦: ٩٨).

كلام الله ذاته يطرد الشيطان، وهو ذاته إستعاذة من حضوره وهمزاته، فهل
استعاذة العبد أقوى من كلام الله؟ فهل للشيطان سلطان على بلبلة كلام الله؟ هل له
سلطان على إفساد الوحي؟ يظهر من الحج ٥٢ - أن للشيطان سلطاناً على إفساد
الوحي وتلاوته - ولذلك جاء هذا الأمر المكرر بالإستعاذة من الشيطان الرجيم
عند تلاوة القرآن الكريم...^(٢).

ليس للشيطان أية علاقة وصلة بالنسخ والتبديل :

المناظر : إذا كان تبديل آية بآية : مثل تبديل شريعة بشرية - من افتعال

(١) ج ٢ ص ٧٠٨.

(٢) ج ٢ ص ٧٠٨ - ٧٠٩.

الشیطان بعلاقة مباشرة أو غير مباشرة - فليكن تبديل شريعة التورات بالإنجيل أيضاً بعلاقة إبليسية غير مباشرة - وكذلك تبديل شريعة إبراهيم بشريعة موسى عليه السلام وكل شريعة تلو أخرى !

فإن كان تبديل حكم بآخر محظوراً في نفسه! فسواءً في ذلك أكان باستبدال شريعة بأخرى غيرها - أو تبديل حكم بآخر وإن في شريعة واحدة - فهما على وتيرة ومغزى واحدة .

وإن لم يكن في ذلك محذور : إعتباراً باختلاف الحكم والمصالح - فلا محذور إطلاقاً - فليس التبديل إلا نسخاً للغابر : بياناً لأمد الحكم فيه - ولا نجد أية شريعة إلهية إلا وفيها من تبدل بعض الأحكام تمحيصاً أو ابتلاءً أو عقوبة - وقد تأتي على تفصيله فيما يناسبه من الكتابين .

ثم استيحائك يا حداد ! لهذه الفرية البينة بآيات الاستعاذة، هذا لا يرجع إلا عليك - حيث المأمور بالاستعاذة هنا وهناك - فيما لم يخاطب به النبي شخصياً، ليس هو النبي بخصوصه - بل يعمه وغيره - أو يخص من سواه ، إذا نالت الاستعاذة من كرامته - لعصمته .

ثم النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنما يؤمر بالاستعاذة حينذاك فيما يناسب ومحتده من ذياك الأقاويل الإبليسية : أن له سلطاناً على النبي صلى الله عليه وآله وسلم (وحاشاه) - علاقة مباشرة في تبديل آية بآية - أو شريعة بشريعة - : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ * وَإِذَا بَدَلْنَا ءَايَةً مَكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزَّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ

لَا يَعْلَمُونَ * قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَهُدَىٰ وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ * وَ لَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ... ﴿١٦: ٩٨-١٠٣﴾.

أجل إن النبي محمداً ﷺ لم يؤمر بالاستعاذة حينما يقرأ القرآن ، إلا من
شيطان رجيم يفترى عليه : أن للشيطان علاقة غير مباشرة بالوحي ! وأن النبي مفتر
حيث « يلحدون إليه إنما يعلمه بشر »!

فكلام الله ذاته وإن كان يطرد الشيطان - كما طردنا به وسوف نطرد أمثاله
تلحم الأقاويل الساقطة - إلا أن ذلك لا يقتضي ترك التوكل على الله والاستعانة به
في طرد الشيطان عن قلوب الضعفة السذج ، لكيلا يغتروا بهذه الافتراءات -
فالشيطان وإن لم يكن له سلطان على بلبلة كلام الله من لسان الرسول المعصوم - :
﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (١٦: ٩٩) إلا
أن له سلطاناً على الضعفة السذج من غير المؤمنين : ﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ
يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ (١٦: ١٠٠) وإن كان كيد الشيطان ضعيفاً في
جنب حجج الرحمان ! .

فقضية رافة الرسول محمد ﷺ ورحمته العامة : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً
لِّلْعَالَمِينَ ﴾ أن يستعيز بالله من الشيطان الرجيم - طرداً له عن الضعفة الجاهلين
لكي لا يضلهم بمثل ذيات المزلات والمضلات المزخرقة .

فهناك عاملان اساسيان يقضيان على كيد الشيطان، أن يتدخل في قلوب

المؤمنين :

١ - آي القرآن نفسها بما فيها من الحجج البينة الدامغة .

٢ - استعاذة الرسول والمؤمنين بالله من شر الشياطين أن يخذعوا السذج الجهال منهم .

ومما لا ريب فيه أن استعاذته واستغفاره للمؤمنين أعظم تأثيراً في الإعادة والغفران : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ (٤ : ٦٤) .

هذا ، وكذلك استعاذته من همزات الشياطين ... فلها اتجاهان :

١ - القضاء على همزات الشياطين وإلقاءاتهم بدعاياتهم الباطلة في أمنيات الأنبياء المقدسة .

٢ - الاحتفاظ على قلوب وافكار المؤمنين - عن أن تتأثر عن تلكم الدعايات ... فكم لك يا حداد من دعايات زور على الحق لا تضل بها إلا ضعافاً مثلك في العلم والإيمان ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ ﴾ (٦ : ١٢١) ﴿ يُوْحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ (٦ : ١١٢) .

الحداد : تلك ظواهر وشبهات ما بين المبدء والواقع - تترك في نفس المؤمن آثار مرارة لا تنتهي^(١) .

(١) الظاهرة السابعة من أبواب الجحيم التي فتحتها حداد إلى قلوب المؤمنين، هذه الظاهرة هي الحو والإثبات في التنزيل وقد اسلفناها دحضها كما يجب في البحوث السالفة ولذلك لا نعيدها هنا .

المناظر : كلا وقد انتهت كما نحيناها عن قلوب المؤمنين بنفس تلكم الآيات
البيئات وما إليها - التي تعلق بها في فريتك الزور على القرآن - وبعدئذ يزيدهم
القرآن حلاوة بالرغم من ذياك الشبهات المريرة - فإن مع العسر يسراً!
ثم إن الحداد يتعلق بعد ذلك بروايات واهية اسرائيلية التقطها من خلايا كتب
الحديث - روايات سبع كالسبعة أبواب الجحيم - يفتحها بزعمه على المؤمنين -
يؤجج بنيرانها على نفوسهم الطاهرة الآمنة - رغم أنهم استعاذوا منها برب العالمين
- يصور بها القرآن كصورة التورات والإنجيل في انحرافها بأيدي المحرفين وانجرافها
في هوات السقوط .

ذلك بالرغم من أن المسلمين لا يصدقون على القرآن إلا ما يوافقه - دون
اختلاقات الشياطين - : ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ * وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ
مُحِيطٌ﴾ (٨٥ : ٢٠ - ٢١).

* * *

صيانة القرآن عن التحريف مما لا بد منه عقلاً ونقلاً:

هنا مقابلة بالمثل في واقع التحريف بالكتابين بدعوى تحريف القرآن!

الشبهة السابعة

الحداد: ... يؤمن المسلم بأن النص الأصلي الذي فاه به الرسول محمد ﷺ منزل، أما ما جمعه الجامعون على أيام عثمان - بعد تطورات دامت ثلاثين سنة - فلا يقطع بصحته بعد دراسته -

شبهات ساقطة حول تحريف القرآن:

يستفتح أهل القرآن على أهل التورات والإنجيل بأن القرآن حفظ بمعجزة سالماً كما نزل على النبي الأمي - ويستعلون عليهم متهمين إياهم بتحريف التورات والإنجيل بينما هم قد حافظوا على صحة نقل القرآن وسلامة حفظه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ هذه نبوة عن حفظ القرآن، وفي تواتر نقله سالماً عن الرسول، معجزة تؤيد تلك النبوة - ومن روايات السلف الصالح الواردة في

الصحاح عن المبادئ الأربعة التي استنها الرسول محمد ﷺ لامته في قراءة القرآن - وعن قصة جمع القرآن في إصدار الثلاثة على أيام أبي بكر وعثمان والمحجاج: تفوح شبهات قد يحار فيها المؤمن والمؤرخ معاً...^(١).

المناظر: أوغل الحداد ومن إليه من الإنجيليين الماضين في البحث عن بيئة القرآن جمعاً وتأليفاً، ليصوروه بصورة محرقة، كما اصطدموا بها في الكتابين - حيث لا مناص لهم عنه فيها - لما اسلفناه من بيئة التورات والانجيل - التأليفية - ومن حيث التراجم - في نظر المفسرين والمؤرخين الإنجيليين - التي تدل على تحريفها في الأصل وفي التراجم التي استقلت عن الأصول - ولا سيما الإنجيل - حيث لا يوجد من المسيح عليه السلام نفسه إنجيل حتى يتكلم عن تحريفه - فقد اخذ الإنجيل من بادىء بدء يُتنافس في تأليفه كما تهواه الأنفس، وكما في شهادة بولس «إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى انجيل آخر، ليس هو آخر. غير أنه يوجد قوم يزعمونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح»^(٢).

وكان يصرخ المسيح صرخته المدوية للإحتفاظ على إنجيله قائلاً: «قد كمل الزمان، واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل»^(٣).

ولكن كثيراً من المدعين أنهم تلاميذ لم يصغوا إلى صرخته، ففضوا على إنجيله وافتعلوا من عند أنفسهم أساطير خليطة بشيء من الوحي الإنجيلي سموها الإنجيل:

(١) ج ١ ص ٢٠١ - ٢٥٤ أو غل الحداد في هذه الصفحات في البحث عن جمع القرآن واختلاف نسخته الأصلية في القرن الأول - وضررنا عنه الذكر صفحاً إلى جوابه بقوله فصل إلا فتبصروا.

(٢) اغلا: ٦ - ٧.

(٣) ١ : ١٤.

«لكنني سوف استمر فيما افعل كي أقطع الفرص عمّن يبتغيه لكي يوجد أمثالنا فيمن يفتخر ويتكاثر حيث إن هؤلاء الرسل الكذبة الماكرين يخيلون إلى الناس أنهم رسل المسيح»^(١).

فعجب من توفر الإفتعالات لتأليف الأناجيل المزورة إلى حيث يصرخ منها بولس، ذلك الكذاب المعادي للمسيح القاضي على شريعته .

وبالأخير - فأين إنجيل المسيح حتى نبحت عن بيئته، وقد شهد بوجوده من ذكرناهم وغيرهم^(٢) .

وأما الأناجيل الموجودة الآن فقد عرفنا بيئاتها المرة القلقة عبر القرون من ذي قبل ، وهي متخالفة كل بالنسبة لنفسه وغيره من قرنائه - أفلا يكفي ذلك شاهداً على التحريف ؟

وكذلك التورات كما أسلفناه فلا نعيد - وإنما إشرنا هنا اشارة ، عوداً على بدءٍ ليجد القارئ إماماً بالكتابين - حتى يكون في بيئة القرآن على بصيرة .

(١) ٢ غلا إلى قرننس ١٢ - ١٣ .

(٢) مثل الفاضل اكهارون وكثير من المتأخرين من علماء نمسا ومال إليه المحقق ليكلرك و - كوب وميكائيلس وليسنك ونيمير ومارش .

القرآن والتحريف :!؟

نقدم قولاً فصلاً في تزييف فرية التحريف عن ساحة القرآن - هو قوله تعالى :
﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا
كَثِيرًا ﴾ (٤ : ٨٢) .

فأتقن الشواهد الصادقة على صيانة القرآن عن التدخل - ولا سيما بالزيادة
وحاشاه - هو عدم وجود الاختلاف فيه إطلاقاً - لمن ألقى السمع وهو شهيد - كما أن
اختلاف الكتابين شاهد صدق على عدم صيانتها عن التحريف - وسوف نأتي على
البحثين عند المقارنات .

وأما في نظرات علماء الإسلام بصورة عامة - فهم مطبقون رغم شتات
مذاهبهم : أنه لم يحرف بالزيادة - فكل ما فيه من الوحي من دون استثناء .
وأما أحاديث وأقاويل كيفية جمع القرآن التي يتشبهت بها الحداد ومن إليه،
فلا حجة فيها، لا دلالة على التحريف. ولا على اختلاف نسخ القرآن متناً حينذاك
لأنها متناقضة في أنفسها، ومناقضة لهذا القرآن المتواتر عبر القرون الإسلامية ،
وفيها أيضاً تصاريح قيمة على عدم التحريف إطلاقاً^(١) فلا نصدق على القرآن فرية

(١) كالأحاديث المتواترة التالية : ١ - أحاديث العرض على الكتاب . ٢ - حديث الثقلين .
٣ - وأن هذا القرآن كان محور الاستدلال بين أئمة الدين وخصومهم .

متناقضة في ذات نفسها - معارضة للقرآن نفسه - كما وأن ذلك من أصولنا الرئيسية في الأخذ بالحديث إطلاقاً .

ذلك وإن التورات والإنجيل الحاليان يصدقان نسبة التحريف إلى أنفسهما من علمائهما : قضية للاختلافات الداخلية فيها دون نكير - ومن المتناقضات الداخلية فيها كذلك -

فآية الحفظ وآية عدم تأتّي الباطل^(١) وما إليهما - تزيفان أكذوبة التحريف في القرآن إطلاقاً، وإن جمع له بعض الجامعين السذج^(٢) روايات حيث لا تربوا على كتاب الله، لا دلالة ولا تواتراً وحجة، ولو أجمع عليه المسلمون، كيف ولا اجماع إلا على عدم التحريف بالزيادة، أو عدمه إطلاقاً!

الدكتور فندر: كذلك التورات تكذب فرية تحريفها قائلة: لا تحرفوا التورات بنقيصة عنها ولا زيادة^(٣) فاليهود احتفظوا على كرامة التورات دون ضياع وإفراط أو تفریط لكلمة أو حرف!^(٤)

المناظر: ... أجل، لكنهم طالما خالفوا أمر الرب: لا في تحريف التورات فحسب بل وقتلهم الأنبياء بغير حق. وليسهم الحق بالباطل. وكتان الحق. وكتبهم ما تهواه انفسهم ثم نسبته إلى الله ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ

(١) انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون - وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

(٢) كالمحدث النوري في كتابه فصل الخطاب في تحريف الكتاب .

(٣) تث ١٢ : ٣٢ .

(٤) ميزان الحق ص ٤٥ - ٤٦ .

يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ
وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٢﴾ (٧٩).

ارميا يندد باليهود في التحريف :

وقد تصدق هذه التورات بما فيها من الاختلاف - حادثة التحريف - كما أن البعض من العلماء والانبيا أيضاً يعترفون بذلك، وقد ذكرنا شهادات نفر منهم من ذي قبل^(١) وأخص بالذكر هنا نص إرميا النبي عليه السلام على أنهم حرفوا التورات كما يقول : «أما وحي الرب فلا تذكروه بعد لأن كلمة كل إنسان تكون وحيه إذ قد حرفتم كلام الإله الحي رب الجنود إلهنا»^(٢)!

ويقول «أيضاً كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا . حقاً إنه إلى الكذب حولها قلم الكتبة الكاذب»^(٣) !

وبعد ذلك كله فهناك بون شاسع بين النهي عن التحريف - وواقع التحريف، كما في التورات والانجيل - وبين التصريح بأن القرآن مصون عن التحريف بما صانه الله بقدرته وخاصة رحمته - حيث القرآن احتفظ الله عليه بضمانه في آية الحفظ والتورات إنما نهى عن تحريفه دونما ضمان منه أن يحملهم على أن لا يحرفوه جبراً عليهم ، ولا ضمان منهم كذلك اختياراً منهم فاقض ما أنت قاض .

(١) عند البحث عن بيئة العهد العتيق عبر القرون .

(٢) ارميا ٢٣ : ٣٦ .

(٣) ٨ : ٨ .

قول فصل في آية الحفظ :

الأسقف : كيف تستدلون بآية الحفظ ولعلها مما زيدت في القرآن أو حرفت كما يذهب إليه المحدث النوري ومن إليه من القائلين بالتحريف .
 المناظر : كلا - حيث الاجماع من المسلمين قائم على عدم التحريف بالزيادة -
 ومهما ذهب نفر منهم إلى التحريف فهو في غير الزيادة :

هل إن الذكر المحفوظ هو الرسول - أو...؟

الأسقف : لعل الذكر هنا هو الرسول وكما يقول : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ (٦٥ : ١٠) وكذلك ما إليها من الآي التي تعتبره ذكراً للناس .

أو ان المعني منه هو التورات فلا يعم القرآن : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴾ (١٦ : ٤٣-٤٤) ﴿ وَ لَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ (٢١ : ١٠٥) .

أو كل كتاب سماوي فلا يخص القرآن لعموم قوله تعالى : ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَ هُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (٢ : ٢١) (١) .

(١) هذه الاحتمالات ذكرها الشيخ النوري في كتابه وقد يروى عنه المحدث الكبير العلامة الشيخ آغا بزرك الطهراني روايتين : إحداها انني كتبت كتاباً في رد فصل الخطاب ولا أرضى

المناظر: كلا - فلا ذاك ولا ذياك !!!

الذكر المُنزَل والذكر المُنزَل:

إن الرسول وإن كان ذكراً ومذكراً إلا أنه مُنزَل - أي مرسل من الله بوحية ورسالته - لا منزَل - فهناك فرق بين الإنزال والتنزيل - دفعة في الأولى وتدرجاً في الأخيرة، كما يشهد بذلك سائر الآي - المذكوران فيها - وآية الذكر تتعهد الحفاظ على الذكر المنزَل لا المُنزَل - فلا تدرُج في الرسول ذاته، ولا في اصل رسالته، حتى ينزَل، وإنما ذلك فيما نُزَل عليه نجومياً من آي الذكر الحكيم .

ثم من ناحية أخرى نعلم أن الرسول محمداً ﷺ لم يحفظ من تطرق شتى الإصابات من قومه طيلة دعوته :

من تهتمته بالجنون كما قبل آية الحفظ: ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ (١٥ : ٦).

ورميه بشتى ألوان الفرية والزور واصطدامه بما ضربوه وأدموه وجرحوه وحاصروه وحبسوه واضطروه إلى الخروج عن مكة المكرمة - فلم يتركوا شيئاً من الأذى فيه وفي أهل بيته إلا فعلوه - فماذا حفظ ؟

→ بمطالعتة إلا بعد المراجعة إلى رده ، وثانيهما : أنني لا أقول بالتحريف إلا أنني جمعت روايات التحريف عن متفرقات المدارك دون أن أعتقدها صحيحة ! وترى في اعتذاره ما ترى! أقول : وكل من راجع الآيات التي تزعم رواياته الإسرائيلية إنها آيات اسقطت عن الكتاب - زادته علماً ان القرآن لم يحرف - للاغلاط الكثيرة في الآيات المزعوم اسقاطها وعدم المناسبة بين الفاظها ومعانيها أو سقوطها في الناحيتين سوف نذكر نماذج منها اخرج بحث التحريف .

إجل إلا حفظاً لمرامه ومُرامه وشريعته وملته - وما ذلك إلا بالاحتفاظ على كتابه - فهو آيته الخالدة عبر القرون حتى النهاية واستمرار لكيانه الرسولي ، فحفظه هو محفوظ طيلة حياته وبعد مماته - وبضياعه يُقضى عليه إطلاقاً وإن في حياته ! وأخيراً - فأية الحفظ نفسها - بما حُفت بها من آيات ، تدلنا على اختصاص الذكر فيها بالقرآن : ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ * وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ * ... إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١٥ : ١ و ٦ و ٩).

فقد كانوا يتهمونه في وحي القرآن بالجنون - وأن للشيطان علاقة مباشرة أو غير مباشرة في اختلاق آيه الكريمة ، فأزال الله هذه التهمة الزور - بأنه تعالى هو الذي نزله - دون تدخل لغيره تعالى - وهو الحفيظ عليه لحد النهاية، وذلك بتأكيدات قيمة متكررة لم تأت مثلها في غيره من مهام الدين - وحقيق له ذلك - حيث الدين لا كينونة له ولا بقاء ولا صيانة إلا ببقاء القرآن وصيانته عن التحريف - فقال :
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١٥ : ٩).

تضميناً لحفظه حين نزوله وعند إلقائه وقرائته - طيلة حياته النيرة وبعد وفاته - حيث إن إصطدامه في شيء من ذلك وإن حيناً ما - ينافي إطلاق حفظه وينافي الإمتنان عليه وعلى الأمة في ذلك .

الذكر المحفوظ هو القرآن فحسب :

فلا تحنُّ آية الذكر إلى ذكر غير القرآن نفسه - لا الرسول ولا التورات

ولا كل ذكر - وان اطلق الذكر على ذلك كله - بالإطلاق في كل ذكر - أو تقييداً بذكر التورات للقرينة - حيث القرائن هنا تختص الذكر في آية الحفظ بالقرآن - كما خصته بالرسول في آيته - وبالتورات كذلك - .

ودلالة قاطعة أخرى على الاختصاص هناك - التصاريح المتوفرة على تحريف الكتابين كما مضت - وواقع التحريف فيها - كذلك - وسوف نأتي عليه عند المقارنة -

وأخيراً فأفضل مصاديق الذكر وأهمها إنما هو القرآن بما هو مهيمن على العهدين وعلى كل ذكر . وأنه خالد مرّ الدهور كما في تصاريح خاتمية القرآن :

﴿ وَإِنَّهُ لَدِكُّرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ (٤٣ : ٤٤).

﴿ ذَلِكَ تَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾ (٣ : ٥٨).

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

(١٦ : ٤٤).

﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ (٢١ : ٥٠).

﴿ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾ (٣٦ : ٦٩) (١).

وقد نص الذكر في آتيننا أنه هو القرآن فقط لا سواه.

ذلك : في حين انه لم يطلق الذكر في القرآن على التورات إلا مرتين ولا على

كل ذكر وكتاب سماوي إلا مرة واحدة - بدلالة القرآن!

(١) وكذلك الآيات ٣٨ : ٨ ، ٣٨ : ٤٩ ، ٣٨ : ٨٧ ، ٤١ : ٤١ ، ٥٤ : ٢٥ وما إليها .

الأسقف : هب إنه القرآن فحسب - إلا أن حفظه عن الضياع يلائم الاحتفاظ على نسخة منه خاصة - كالذي ألفه علي عليه السلام وهو الآن عند الإمام المهدي عليه السلام - أو حفظه في اللوح المحفوظ في السماء - أو طيلة حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عنده .

المناظر : يا صاحبي الروحي ! ما أجدك في هذه المقالات المضطربة إلا ناقلاً لما اختلقه المحدث النوري انتصاراً لمذهبه في التحريف - وقد زيف المسلمون رأيه وكتابه .

وأما الذكر - فليس هو المكتوب منه أو المطبوع - حتى يُكتفي بحفظ فرد منه - وإنما هو الذكر المنزّل من عند الله - مهما كُتب أو طبع أو نشر بشتى الأساليب عبر القرون البشرية حتى القيامة الكبرى بين المسلمين، فحفظه حينذاك ليس إلا صيانته عن الضياع والتلاعب - بجميع ما نسخ منه، حتى تتمكن عامة المكلفين للوصول إليه والإعتقاد به كما أنزل - ما دام حاكماً إلى يوم الدين - ولا ضير في العرقلات التي قد تحدث بالتحريفات العامدة من إسرائيل وأضرابهم حيث طبعوا قرآناً محرّفاً ولكي يضل المسلمون، كما وأنهم أنفسهم ضلوا في التورات - حيث المسلمون لا يشكون ويشتهون في آيات الله البينات بعد الحفاظ عليها طوال أربعة عشر قرناً من نزولها وتأليفها - فهذه مليارات المليارات من نسخه المخطوطة والمطبوعة - فذة أو في التفاسير عبر القرون الإسلامية - وهؤلاء الألوفا المؤلفين من حقّاطه، إذا فكيف تتمكن إسرائيل وإسيادها من براءة الاستعمار الجهنمي أن يخلطوا الأمر على المسلمين في قرآنهم وهم يموجون في بحار المليارات من نسخه المحفوظة طوال القرون، مضافاً إلى حفظه في صدور الحفاظ منهم - فلن يتمكن الاستعمار بكافة طاقاته وإمكانياته من الخلط في حرف منه أو إعراب أو نقطة - وكل شيء منه

بمقداره مضبوطٌ عند المسلمين . لا علمائهم فحسب، بل وكل من يقرأ ويعلم شيئاً من قراءة القرآن .

فهب إن إسرائيل وجموع اسياها المستعمرين أجمعوا على طبع المليارات من القرآن المحرف بذات أيديهم - بصور مختلفة وكلمات وآيات مختلقة - فهذه كلها لا تمس من كرامة القرآن شيئاً ، وما مثاله إلا كمن يطبع الملائين من شتات الصور فيكتب عليه اسم أسقفنا المحترم أو بعض ولده زوراً - فهل يشتهه الأسقف ويشك في نفسه أو ابنه .

وتالله إن المسلمين أعرف بكتابهم منهم بأنفسهم وذويهم والله من وراء القصد!

وأما خرافة اختصاص الحفظ بخصوص ما عند الرسول ﷺ أو الإمام علياً فقد يزيها الإمتنان الشامل في آية الحفظ - على الرسول ﷺ وعلى الأمة بصورة عامة - فماذا يجديه ﷺ حفظه عنده إذا كان ضائعاً عند الأمة - فهل كانت رسالته إلا لأن يهدي الناس إلى شرعته بكتابه ؟

ثم ماذا ينفع الأمة إذا لم يحفظ عندهم - وحينذاك فلا منة عليه ولا على الأمة بل إن ذلك لنقمة وخزي، أن يعطي الرسول ﷺ كتاباً للحكم على الناس حتى القيامة - ثم لم يحفظ إلا عنده - أو طيلة حياته - أو عند الإمام الغائب (عج) فحسب . على أن مثل هذا الحفظ لا يحتاج إلى تلکم التأكيدات القيمة - حيث لا يتحمل الضياع والتحريف في ذياك المنازلة الشريفة .

وبالآخر فما قضية مثل هذا الحفظ - إلا كمقالة الغني لفقير يكاد يموت بؤساً

وجوعاً: إن لك عندي آلاف المليارات من الدنانير، وهي عندي محفوظة عن الضياع طيلة حياتك - وبعد مماتك وذريتك - ثم هي عند أوصيائي حتى القيامة - دون أن يصل إليك منه دينار - فهل هذا إلا هزءً وسخرية - إلا نقمة مخزية - وإلا عذاباً واصباً؟

فحفظ القرآن - الحاكم على الأمة مع الأبد - ذلك الأصل الوحيد - وإليه يرجع الأمر كله - حفظه امتناناً على الرسول الختم وأمنه - ذلك لا يلائم وضياعه أياً كان - حتى في تأليفه مع الإحتفاظ على آيه - فضلاً عن غيره من ألوان الضياع .
يا صاحبي الروحي - كيف تستند إلى مقالة رجل مسلم - ليس شأنه إلا التحديث - دون رقابة له وعرض على الكتاب - محدث ينقل آية الحفظ على خلاف نصه - ثم يستدل بها كما نقل: «إِنَّا أَنْزَلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»! تنزيلاً وتنظيراً للإتزال فيها بانزال الرسول في آيته كما يزعم: «إنا أنزلنا اليكم ذكراً * رسولاً» ولكن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ وكذلك يقول الله سبحانه: ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا﴾ فقد أخطأ في نقل الآيتين والاستدلال بها.

«وقد اعتذرت عن خطاءه الفاحش في محاضرة التفسير - بان تتبع الاحاديث شغل هذا المحدث عن مراجعة كتاب الله إلى حيث نقل الآية واستدل بها على غير تنزيلها^(١)».

وانني لا ذكر قبل سنين - مناظرة حلوة جرت بيني وبين واحد من السذج المدعين تحريف الذكر الحكيم - مستدلاً بروايات واهية أو غير دالة قائلاً: أن هذا القرآن إمام عثمان - ولا نرتضي لا بعثمان إماماً ولا بإمامه الذي جمعه!

(١) الآية هكذا نقلاً واستدلالاً مذكورة في نسخة المخطوطة بيده وقد استعرتها من العلامة التحرير المحدث الكبير الشيخ آغا بزرك الطهراني صاحب الذريعة - دام ظله العالی .

قلت له : هل إن عثمان أقوى من الله؟

قال : ما هذا السؤال - فإن الله على كل شيء قدير !

قلت : فلو أن عثمان حرف الكتاب الإمام: «القرآن» كان ذلك تحكيماً لقدرته

على قدرته تعالى !

قال : كيف ذاك وأنى ؟

قلت : حيث يقول تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ أفهل

صارع عثمان ربه في كتابه - فصرعه وغلب عليه فحرفه - بالرغم من هذه التأكيدات

القيمة. ؟ ! ؟ ! ؟

فلم يجر جواباً وبهت ووجم - وكذلك من يحن إلى الأقاويل الواهية التي تمس

ساحة القرآن العظيم - ذلك الناموس الكريم .

الأسقف : هل هناك آية أخرى تدل على هذه المغزى ؟

المناظر : أجل وزيادة هي أن القرآن خاتم الكتب السماوية - كما يقول :

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ

مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (٤١ : ٤١ - ٤٢).

عزة القرآن وحكمته تمثلان حكمته تعالى وعزته :

فالقرآن كتاب عزيز كمن أنزله - لا يُغلب في جنب المتغلبين، ولا يدس

ويحرف بأيدي المحرفين. ولا يبطل حكمه وأحكامه باغتيال المبطلين . ولا ينسخ

بنسخ الناسخين، ولو كان النسخ من عند الله رب العالمين !

عزيز في دوامه - عزيز في أحكامه - لا يطء عليه الذل ولا الضلال - فلا يأتيه الباطل وإن آتاه المبطلون - فلا يؤثر افتعالاتهم واحتيالاتهم في هدم بنيانه وهزم أعوانه .

مثالاً على ذلك : بنيان مرصوص يقال في تصلب قواعده : لا يأتيه الخراب أي لا يؤثر فيه العوامل التخريبية مهما بلغت في الشدة والصمود .
كذلك بنيان القرآن المحكم بما أحكمه وأنزله حكيم حميد، لا يأتيه الخراب والباطل :

لا «من بين يديه»: مما أنزل من كتاب قبله ، أن تُزيّفه من ذي قبل -كلّا- بل هي شاهدة على صدقه مبشرة لمجيئه بما إليه من ميزاته، كما أخبر اشعياء النبي ما أخبر في شأنه^(١) .

«ولا من خلفه»: من خلق الله أن يدسوا فيه ويحرفوه -ولا من الله ان ينسخه ويستبدل به غيره -فله الحكم عبر الأجيال -وله الأمر مرّ الأحوال -دون أن يحول بينه وبين حكمه أمر -إلا من ضل عن الطريق « ووجدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً» :

أجل إنه نورٌ لا تُطفأ مصابيحُه ، وسراج لا يُجْبُو توقُّده ، وبحر لا يُدرك قعره ، ومنهاجٌ لا يضل نهجه ، وشعاع لا يُظلم ضوئه ، وفرقانٌ لا يُخمد برهانه ، وتبيانٌ لا تُهدم أركانه ، وشفاءٌ لا تخشى أسقامه وعزٌّ لا تهزم أنصاره -

إنه معدن الإسلام وبجوحتة ، وينايع العلم وبحوره ، ورياض العدل وغدرانه، وأثا في الإسلام وبنِيانه ، وأودية الحق وغيطنه -

(١) كما سلف أوائل الكتاب .

بحرٌ لا ينزفه المنتزفون ، وعيون لا يُنضبها الماتحون ، ومناهل لا يفيضها
الواردون ، ومنازل لا يضل نهجها المسافرون ، وأعلام لا يعمى عنها السائرون ،
وآكام لا يجوز عنها القاصدون -

جعله الله ريثاً لعطش العلماء ، وربيعاً لقلوب الفقهاء ، ومحاجاً لطرق الصلحاء ،
ودواءً ليس بعده داءٌ ، ونوراً ليس معه ظلمة ، وحبلاً وثيقاً عروته ، ومعقلاً منيعاً
ذروته ، وعزاً لمن تولاه ، وسلاماً لمن دخله ، وهدىً لمن ائتم به ، وعذراً لمن انتحلته ،
وبرهاناً لمن تكلم به ، وشاهداً لمن خاصم به وفلجاً لمن حاج به -

فيه بيان ما قبلكم من خبر ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل
ليس بالهزل ، ومن وليه من جبار فعمل غيره قصمه الله ، ومن التمس الهدى في غيره
أضله الله ... لا تزيغه الأهوية ، ولا تلبسه الأفضية ولا يُخلق على الرد -
هو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
حميد»^(١) .

هذا - فقد قهر عزته الأعداء فكيف بالمبطلين المحرفين - وفاق نوره شمس
الإهداء . فما بال ظلمات الدس من الأغوياء المبتورين .

فهو مأمون عن تيارات الزيف والحيف من قبل ومن بعد «يومئذ يفرح
المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الحكيم» .

فلو طرئت عليه لعبة اللاعبين - نسخاً أو تحريفاً - كان في ذلك تكذيب لهذه
الآية وما إليها - كيف وما عده بمكذوب ، ولا عزّه في ذاته وكتابه بمغلوب :
﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ * وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ (٨٥ : ١٩ - ٢٠) .

(١) ما بين الهالين ملتقات من خطب الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام عن نهج البلاغة .

ثم لا حجة لله على خلقه أبلغ وأنطق من كتابه وهو القائل : «قل فله الحجة البالغة» ولا حجية ولا بلوغ إذا كانت الحجة مدخولة محرفة، ولا حجة بعد الرسول في زمن الغيبة حتى القيامة إلا كتاب الله وما يلائمه - بإجماع المسلمين - ولا مبدل لكلماته : من آيه وأحكامه - ومن مغزاه ومرامه - لا ومع الأبد : ﴿وَأْتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ (١٨ : ٢٧).

فقد يستحيل أن يوجد ملتحد - وحيًا من الله - دون القرآن - مع الأبد - فهل إنه تعالى يسوق خلقه إلى ملتحد وحيد ليس غيره هناك ملجأ ومرجع، في حين تحرفه عن جهات أشراعه، وهو الوحي الأخير دون وحي آخر ينحيه عن تحرفات!

الله مجيد وقرآنه مجيد:

وأخيراً فإن القرآن يعتبر مجده طوال الحياة البشرية كمجد من أنزله بعلمه على سواء - تمثيلاً لمجده في خلقه هدى لهم ونوراً واصباً - فقد يقسم بالقرآن المجيد ذوداً عن كرامته ما يمسه من مكر الكافرين :

﴿قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ * بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ (٥٠ : ١ - ٣).

ثم يضرب عن بأسهم وتكذيبهم صفحاً، ويريح المؤمنين به إلى مجده وحفظه الخالد كمجده تعالى : ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ * وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ

مُحِيطٌ * بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٨٤: ١٩ - ٢٢﴾.

فالله تعالى يسوي بين نفسه وبين كتابه في المجد كما ويسوي ذكره في العدد: يذكر مجد كتابه مرتين طيلة آيه الكريمة، كما يذكر مجده تعالى مرتين:

﴿رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ (١١: ٧٣)
﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ (٨٥: ١٥).

ذلك: إشعاراً بحقيقة ناصعة هي: كما أن الله عرش التكوين والتقدير والهداية ... وأنه حميد في ملكه - كذلك قرآنه المجيد مستوٍ على عرش الهداية الخالدة - حميد في إدارة شؤون المكلفين طوال حياتهم - .

بل هو قرآن مجيد . في لوح محفوظ :

وكما أن المجد لغوياً هو السعة في الكرم والجلال - فقد وسع كرم القرآن وجلاله العالمين كسعة المجد من الله رب العالمين على سواء - لأنه ممثله في علمه وهداياته الأخيرة الخالدة .

.. مجيدٌ في لوح: صفحة لايحة ظاهرة لمن يتمجد به من المكلفين - لا في لوح سماوي فحسب - لا تصل إليه أيديهم - ولا في لوح قلب الرسول ﷺ وخلفائه المعصومين عليهم السلام فحسب - فإنه لا يلوح إلا لهم، لا ولغيرهم طوال حياتهم عليهم السلام - إذاً فلا سعة في مجد القرآن لضيق مجاله لو لم يكن لائحاً لمن يريد للاهتداء! ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ هذا اللوح محفوظ عن تناول الأيدي رغم ظهوره لعامة المكلفين - محفوظٌ عن الدس والتحريف، رغم أنه في متناول أيديهم ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ .

جامع القرآن ومؤلفه ومبينه هو الله :

فالقرآن مجيد ومحفوظ عن عامة التغلبات في حجته وبرهانه - في آياته
وكلماته وحروفه .. في إعرابه ونقطه - حتى وفي جمعه وتأليفه - فإنه أيضاً كنزوله، من
عند الله رب العالمين: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ
إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (٧٥: ١٧ - ١٩).

فجمع القرآن وتأليفه - هما - من الله كما وعد في هذه الآية - فهل يُجمع غير
الشتات الموجودة النازلة نجومياً؟ كلا: إنه نزل به علمه نجومياً متفرقة وهو الذي ألفه
كصورته الآن قصداً إلى نضد الارتباطات الممكنة الصالحة بين الآيات .
فجامع القرآن إنما هو الله - لا حتى الرسول ﷺ فضلاً عن عثمان ومن إليه!
والله من وراء القصد.

أدلة العقل والإعتبار على صيانة القرآن عن التحريف :

طالبٌ انجيليٌّ: هل هناك أدلة عقلية واعتبارية تؤيد أو تدل على صيانة
القرآن؟

١ - دليل اللطف :

المناظر: أجل - إلى حيث لولا النقل: من كتاب وسنة - لكان فيه كفاية:
فمن ذلك دليل اللطف الذي نستدل به على النبوة العامة، وأن إرسال الرسل
المعصومين وكتب الوحي مما يجب على الله رحمة ربانية - يملية عليه فضله ورحمته
وقد وسعت كل شيء ﴿كَتَبَ عَلَيَّ نَفْسِيهِ الرَّحْمَةَ﴾ فما بال الإنسان وهو من أفضل
خلقه - يُحرم عن هذه الفضيلة الهامة الكبرى؟

فسواء ألم يبعث الله رسولاً ولا كتاباً هادياً من ذي بدء - أم أنزل كتاباً لا حجة فيه - لما يعتريه من التحريف والتزييف - فلا بد هناك في البشرية من كتاب ، فيه خالص الوحي والهدى دونما تحريف ومزج من الردي، وقد انقطع الوحي منذ أربعة عشر قرناً بإجماع مركب من أهل الكتب الثلاث - فإذا قد ثبت التحريف في العهدين بشهودهما الخارجية والداخلية، فليكن القرآن كتاب وحي خالص مصون عن التحريف - وإلا فلم تبق للبشرية أية حجة يحتجون بها لهداهم، ولا لله حجة على الناس يحتج بها عليهم ، كيف والله المحجة البالغة ، لئلا يكون للناس حجة على الله بعد تمام المحجة - وله المحجة دونما انقطاع مع الأبد!

الأسقف : قضية دليل اللطف كما تأمرون صيانة الكتابين أيضاً عن التحريف كيف لا وهما أيضاً من الله كالقرآن فيما تؤمنون - فهل يخص الله حفظه وصيانتته بكتاب واحد دون كتبه الأخرى ! تخصيصاً لرحمته ولطفه بأمة دون الآخرين؟ كلا! فإن كان في دليل اللطف دلالة ولطف وحجة للصيانة عن التحريف، فالكتب السماوية - كلها - في ذلك على سواء، حيث الكل من إله واحد - وإلا فلتكن كلها محرقة على سواء دون ترجيح!

تواتر الوحي صيانة للوحي الأصيل :

المناظر : كلا - حيث الأنبياء والكتب السماوية والدلالات الإلهية كانت تترى بين موسى وعيسى ، يدلون الناس على ما حرّف من الكتابين وبدّل، وإلا فلم تكن حاجة بامثال كتاب داود وسليمان واشعيا و ارميا وحزقيال وغيرهم من النبيين - لولا هذه الدلالات - فإنهم عليهم السلام لم يأتوا بشرايع جدد فذة ، تنسخ ما قبلها من

شريعة أو تكمل - بل إن الكل : ممن قبل المسيح - كانوا من أتباع موسى وكتابه - وكذلك من مع المسيح وبعده من الحواريين ، فلم يكن لهم شأن إلا ليدلوا الناس ويرشدوهم إلى الحق الناصع الخالص عن شوائب الأوهام واضغات الأحلام - التي طرأت على الكتب المقدسة ، أو حوت العقول والأفهام - فتلك كانت سنتهم ، إلى أن قضيت النبوة عن بيت إسرائيل ، وحولت إلى نبي إسماعيلي : هو الرسول الخاتم محمد ﷺ .

ولقد كان من مهام دعواته بيان ما نزل للناس من قبل إلى حيث يقول :

﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٦ : ٦٤).

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴾ (٥ : ١٥ - ١٦).

في صيانة القرآن حفاظ تام لسائر كتابات الوحي :

فكان في نزول القرآن - مضافاً إلى تكميل الشريعة وتخليدها وتأسيس أساس خالد لها إلى يوم القيامة - كان فيها صيانة للعهدين وما إليهما عن التحريف - فلو كان هو أيضاً محرفاً - في حين أنه لا ينزل بعده من كتاب ولم يبعث ولن يبعث بعده من رسول - وفي حين موت النبي والأئمة الأحدي عشر، واختفاء الحجة الثاني عشر عن الأنظار - حينذاك لم تبق للبشرية أية حجة تدلهم إلى الحق - بعد تقضي الوحي والقضاء على الوحي الأخير !

ففي صيانة القرآن - المهيمن على ما قبله من كتاب ، والمبين لما بعده من أحكام في ذلك - صيانة لكتب الوحي كلها ، واحتفاظ على كرامة الأنبياء وأحكامهم ، وعلى كرامة الله تعالى ، كما وأن في ضياعه قضاءً حاسماً على الحجج الإلهية كلها : من نبي وكتاب - حيث لا نبي يهدي ولا كتاب مصوناً يُقتدى به .

وبعدئذ - فتحرير الكتابين مما يلجىء أهل الكتاب ويضطرهم إلى الفحص والتفتير عما جاءهم من رسول وكتاب لا محالة ، قضيةً لدليل اللطف ، فمحال على الله أن يذر الناس أجمعين في طغيانهم يعمهون وفي غيهم وغيهم يترددون ، بلا أية حجة يحتجون بها ويحتج عليهم بها .

فمن أحسن اللطف من دليل اللطف أنه يهدي أهل الكتابين إلى الدين الخالد والكتاب الخالص : الذي يهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم ، يهديهم إلى القرآن العظيم .

جمع المصحف الإمام وتأليفه زمن الرسول محمد ﷺ

- ... إن القرآن كان مجموعاً كصورته الآن مؤلفاً في زمن الرسول محمد ﷺ -
- بأمره ورعايته - حيث إنه كان من أكبر مهامه الخالدة - بوحي من ربه - فكيف يهمله دوغماً جمع وتأليف - ولم يكن ليهمل الناس في حياته إذا يريد سفرأ قريباً لأيام - حيث كان يخلف رجلاً مكانه يمثله ليدهم ويصدر عنه -
- فإهماله الأمة الإسلامية بعده مع الأبد أو لحد قيام الغائب (عج) من خلفائه ، دون أن يؤلف لهم - بوحي الله - كتابه تأليفاً خالداً - هذا من أعظ الفرية عليه -
- حيث هو إهمال للدين الخالد وتعريض له لما تعرض ما قبله من كتاب - .

كيف - يُجمع المسلمون على تأليف من لا يرتضونه؟

ولو لم يكن الموجود حالياً من تأليفه لاستحال إجتماع المسلمين - بشتات مذاهبهم - على تصديق من يؤلفه بعده فيما ألفه! حيث الدواعي متوفرة على تأليف كتاب الوحي - اكتساباً للزلفى أو غيرها - والأنظار والآراء مختلفة في كيفية التأليف، والمسلمون على مذاهب شتى بالنسبة للخلفاء - إذاً: فكيف يجتمع المسلمون على هذه الشاكلة الواحدة، رغم مختلف فرقهم، وحتى الأئمة المعصومين الذين غصب حق الخلافة عنهم! فلا تجد مسلماً يحنّ إلى غير هذا الموجود المتواتر، ولا تواتر في المسلمين أقوى وأصدق مما في نسبة القرآن بما فيه إلى الرسول محمد ﷺ .

حديث الثقلين من أدلة عدم التحريف :

لذلك جعله ﷺ أعظم الثقلين وأطولها وأكرمها وأتمها وأدومها بعده إلى يوم القيامة -

فهل يفترى على الرسول ﷺ أنه يجعل ما لم يؤلفه - وقد حرف عما نزل! - يجعله خليفته الكبرى حتى نهاية زمن التكليف - ويجعل خلافة أئمة الدين من فروع خلافة هذا الكتاب؟!

ومنها أحاديث العرض :

ولذلك نرى أئمة الدين مجمعين على عرض الأحاديث على كتاب الله، فالأخذ بما وافقه وترك ما خالفه - وأحاديث العرض متواترة متسقة في هذه المرمى، متجهة

إلى هذه المغزى ، ونراهم عليه السلام يحتجون دائبين على خصومهم بكتاب الله - أليس ذلك كله رمزاً أو تصريحاً أنه مصون عن التحريف - وإلا فكيف يحتجون به، وهم يرجعون إليه ويُرجعون الناس إليه .

ومنها تواتر القرآن كما هو الآن طيلة القرون الإسلامية :

وبالأخير فتواتر القرآن - بصورة واحدة بين مختلف طوائف المسلمين - ينبىء عن صلته الشاملة بالوحي بجميع ما إليه : من آياته وتأليفها وترتيب سورها واسمائها .

نظرات علماء الإسلام حول عدم التحريف :

وإليكم شهود صدق تؤيد ذلك من أحاديث وأقوال :

... قال البلخي في تفسيره جامع علوم القرآن^(١) : «وإني لا عجب من أن يقبل المؤمنون قول من زعم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ترك القرآن الذي هو حجته على أمته، والذي تقوم به دعوته ، والفرائض التي جاء بها من عند ربه، وبه يصح دينه الذي بعثه الله داعياً إليه - معرّفاً في قطع الحرف : ولم يجمعه ، ولم يصنعه ، ولم يحكّم الأمر في قرائته ، وما يجوز من الاختلاف وما لا يجوز في إعرابه ومقداره وتأليف سورته وآياته» -

هذا لا يتوهم على رجل من عامة المسلمين فكيف برسول رب

العالمين صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) ينقله عنه ابن طاوس في سعد السعود .

ويقول علم الهدى السيد المرتضى قدس الله روحه^(١) «إن العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان -

. . فإن العناية اشتدت والدواعي توفرت على نقله وحراسته، وبلغت إلى حد لم يبلغه فيما ذكرناه، لأن القرآن معجزة النبوة ومأخذ العلوم الشرعية... وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية، حتى عرفوا كل شيءٍ اختلف فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكون مغيراً أو منقوصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديد.

والعلم بتفصيل القرآن وأبعاضه كالعلم بجملته، وذلك في مجرى ما علم ضرورة من الكتب المصنفة -

تأليف القرآن في زمن الرسول ﷺ :

إن القرآن كان على عهد رسول الله ﷺ مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن، لأنه كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان، حتى عين على جماعة من الصحابة في حفظهم له - وأنه كان يعرض على النبي ﷺ ويتلى عليه - وإن جماعة من الصحابة مثل عبدالله بن مسعود وأبي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي ﷺ عدة ختمات - وكل ذلك يدل بأدنى تأمل على أنه كان مجموعاً مرتباً غير مشهور ولا مبثوث - وأن من خالف في ذلك من الإمامية والحشوية لا يعتد بخلافهم - فإن الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخباراً ضعيفة ظنوا صحتها، لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته .» .

(١) في جواب المسائل الطرابلسيات .

وفي ذلك يقول: جرجس صال الانجليزي^(١): «ومما لا مرأى فيه ولا ينبغي أن يختلف فيه اثنان أن محمداً هو في الحقيقة مصنف القرآن وأول واضعيه».

ومثله كثير من المستشرقين وأخص منهم بالذكر «سير ويليم موير» حيث يصف كيفية جمع القرآن وتدوينه في كتابه: حياة محمد - قائلاً: إن الفرقان المحمدي لم يطء عليه تحريف أو تحوير، وقد جاء كلام الله بكامله على لسان نبيه محمد ﷺ دون أن يتغير فيه حرف واحد - فقد حافظ المسلمون عليه بحرص شديد وأمانة صادقة...»^(٢).

أجل إنه من تأليف الرسول بالوحي كما أراه الله - فلو زيد فيه أو نقص عنه لاختلف نقله، ولم يبق متواتراً مجعاً عليه بصورة واحدة .

ثم آية قدرة تستطيع لتحريف ما ألفه الرسول وحفظه الحفاظ - لكي يجمع المسلمون عليه خلافاً على الرسول ﷺ - حال أن عمر وهو من أقوى الخلفاء وأغلظهم لم يقدر على ترك حرف منه، اشعاراً بفضله حتى اعترض عليه - يا خليفة رسول الله ﷺ! أين الواو؟^(٣).

وأخيراً - هب إن المسلمين اجتمعوا على تحريفه - أو تصديق المحرف منه وحاشاهم ، فكيف اتفقت أئمة الدين من علي أمير المؤمنين وولده المعصومين عليهم السلام

(١) في كتابه: مقالة في الإسلام رداً عليه في زعمه - ص ١٢٦ .

(٢) ينقله عنه الدكتور أحمد نسيم سوسه في كتابه في طريقى إلى الإسلام ص ٨٦ .

(٣) يقرأ الآية: ﴿... من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان﴾ بترك الواو الأخيرة اشعاراً أن الانصارهم تابعوا المهاجرين . وقد كان هو نفسه منهم - لكي يرفع مقامه - فصرخ عليه صارخ: يا خليفة رسول الله ﷺ! أين الواو؟

على الرجوع إليه وعرض الأحاديث عليه - واعتباره المرجع الأول والأخير لعامة عقائد الإسلام وأحكامه وأعماله !

أجل لم تكن هذه السنة المحسنة الخالدة وهذا الدستور المجذري العريق إلا من جراء مقالة الرسول ﷺ : «إني مخلف فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر - أما الأكبر فكتاب الله وأما الأصغر فعترتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض!»^(١). فليكونا خليفتين قائمتين مقامه حتى القيامة الكبرى .

ومن المعلوم أن خلافة الثقل الأصغر ودولتهم الظاهرة انقطعت قبل اثني عشر قرناً، لحد لا تصل إليهم أيدي المسلمين، إلا إلى ما ينقل عنهم - وقد دس فيه الكثير، واختلط الغث بالثمين، لحد لا ميز بينهما - هذا هو الثقل الأصغر - فلو أن الأكبر أيضاً انقطعت دولته بعد أن قضى الرسول ﷺ نحبه ، مباشرة بالتحريف - فقد انقطعت دولة خليفتي الرسول ﷺ فإين البقاء إلى يوم القيامة ؟

ثم إن بقاء الخليفة الكبرى - كتاب الله - بقاء للصغرى دون العكس، حيث إننا نستخلص سنتهم المنيرة عما تدخل فيها بعرض المروى عنهم على كتاب الله، كما يأمرهم فتصديق ما وافقه ورد ما خالفه - فالواقع المحتم زمن الغيبة أن الثقل الأصغر لا تصل إليهم أيدي المسلمين، إلا إلى ما يروى عنهم، رواياتهم - كما نعلم - خليطه بما تدخل فيها من أضغاث أحلام - فعدم بقاء الثقل الأكبر تماماً قضاءً على الثقلين كليهما.

(١) حديث الثقلين رواه الفريقان متواتراً دون ريب وخلاف ولا سيما بالنسبة للثقل الأكبر وهو القرآن .

إذاً فالقول بتحريف القرآن تجديف، وتكذيبٌ للرسول الأعظم محمد ﷺ في حديث الثقلين وحاشاه أن يكذب! وافتراء عليه أنه جعل كتابه الخالد هملاً تسع المجالات للدجالين أن يفعلوا به ما يريدون - وافتراء على الله أنه تعالى لم يحفظه رغم وعده - وأنه جعل كافة الأمم البشرية حيارى طوال الأربعة عشر قرناً!!

نظرة إلى احاديث جمع القرآن :

عثمان بن عفان يقول : إن رسول الله محمد ﷺ كان مما يأتي عليه الزمان ينزل عليه السورة ذات العدد وكان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده فيقول : ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وتنزل عليه الآيات فيقول : ضعوا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا...^(١).

وعن الشعبي^(٢) قال : جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ ستة من الانصار : أبي كعب وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل وأبو الدرداء وسعد بن عبيد وأبو زيد ، وكان مجمع بن جارية قد اخذه إلا سورتين أو ثلاث .

وعن النبي ﷺ : قال : خذوا القرآن من أربعة - من عبدالله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبي بن كعب^(٣) .

(١) رواه جماعة منهم ابن أبي شيبة وأحمد بن حنبل والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم والبيهقي والضياء المقدس عن ابن عباس عن عثمان (منتخب كنز العمال ج ٢ ص ٤٨) .

(٢) رواه الطبراني وابن عساكر عنه «نفس المصدر ج ٢ ص ٥٢» وعن قتادة عن أنس مثله إلا أنه لم يذكر سعد وأبي الدرداء .

(٣) رواه مسروق قال : ذكر عبدالله بن عمر وعبدالله بن مسعود قال لا ازال أحبه - سمعت النبي ﷺ ... صحيح البخاري في ج ٦ ص ١٠٢ .

وعبدالله بن عمر^(١) قال : جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة فبلغ النبي ﷺ فقال : إقرأه في شهر .

كل ذلك مضافاً إلى أسماء السور المروية عن النبي ﷺ - وهي متواترة - فلو لم يكن القرآن مؤلفاً بسوره على عهده ﷺ لم يكن لأسماء السور آية مناسبة إلا في التي نزلت دفعة وإن هي إلا شيئاً من السور القصار المكية وبعضاً من الطوال! ثم هناك تصاريح من كبار علماء الإسلام على ذلك، وأن القرآن لم يحرف إطلاقاً ولا سيما التحريف بالزيادة فلا خلاف فيه - ومنهم الصدوق وقد عد القول بعدمه من معتقدات الإمامة ، وشيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي^(٢) وأمين الإسلام الطبرسي^(٣) والشيخ جعفر كاشف الغطاء^(٤) مدعياً عليه الإجماع والعلامة الشهرستاني^(٥) والمحدث الكاشاني ومن إليهم من أبطال العلم وعباقرته .

ولا ضير في ميل نفر قليل من المحشوية وضعاف الأخباريين إلى التحريف بالنقيضة، فحسب، حيث لم تكن حجتهم إلا روايات آحادٍ ضعاف : في أسنادها أو دلالاتها - وبالأخير هي مخالفة للكتاب والسنة والعقل وكذلك الشهرة العظيمة من أعظم علماء الإسلام .

(١) أخرجه عنه النسائي بسند صحيح (الاتقان، النوع ٢٠، ج ١ ص ١٢٤).

(٢) في أول التبيان .

(٣) في مقدمة تفسيره .

(٤) في بحث القرآن من كتابه كشف الغطاء .

(٥) في كتابه العروة الوثقى .

شبهات واهية حول التحريف :

الأسقف : هناك النقل متظافر في كيفية جمع القرآن وتأليفه وأنه كان بعد وفاة الرسول ﷺ بأمر أبي بكر ، بعد أن قتل سبعون رجلاً من القراء في بئر معونة ، وإعبائة في حرب اليمامة ، فخيف ضياع القرآن فتصدى عمر وزيد بن ثابت لجمع القرآن من العشب والرقاع واللحاف ، ومن صدور الناس ، بشرط أن يشهد شاهدان على كونه من القرآن .

والعادة قاضية حينذاك بفوات شيءٍ وزيادة آخر في هذا المجموع، ولا اقل من احتماله فلا وثوق بهذا القرآن!

المناظر : إن اسناد جمع القرآن إلى الخلفاء وهمٌ وزور من القول ، مخالف لما سلف من أدلة العقل والكتاب والاجماع والسنة - وإنما هو من الرسول الأعظم ﷺ في حياته النيرة - بوحي من ربه : «إن علينا جمعه وقرآنه» فهل إن الله تعالى نسي أن يجمعه أو عجز عنه لكي يفسح المجال أن يجمعه الخلفاء وغيرهم ، حتى الرسول الأعظم محمد ﷺ دون وحي؟!

وأما النقل المشار إليه فلا حجة فيه - لذلك - ولتوفر المناقضات فيه نفسه : فأهم ما نقل هنا إثنان وعشرون نقلاً في زمان الجمع وكيفيته، وفيها من التضاد ما يلي:

١ - أنها مختلفة في نسبة الجمع إلى زمن أبي بكر وعمر وعثمان، والأخير أقل نسبة - ولا ريب أن الجمع - لو كان - لم يتأت إلا من واحد منهم - لا هم أجمع ، فإنه تحصيل للحاصل، أو جمعٌ يختلف عما جُمع من قبل وهذا ينافي تواتره على شاكلته الحالية عبر القرون!

وفي ظني أن هذه النسبة ليست إلا لترفيح منزلة الثلاثة بجنب الأئمة الإثني عشر المعصومين - كما كانت الدواعي متوفرة في كتاب الإنجيل لتأليفه مهبا بلغ منهم الخطاء - ولكن بين القرآن والإنجيل بون شاسع كما تعلمون! .

٢ - في بعضها أن المتصدي للجمع هو زيد بن ثابت ، وفي آخر أنه أبو بكر نفسه ، وفي ثالث أنه زيد وعمر .

٣ - بعضها صريحة أن عدداً من الآيات لم تدون إلى زمن عثمان ، وآخر أنه لم يبق منها شيء إلا دونوه قبله .

٤ - تهافت نقلها : أن عثمان محي مما دوّن قبله آياتٍ أو لم يحو .

٥ - تضادها في مصدر عثمان في جمعه : أنه المصحف الذي جمعه أبو بكر - أم رفضه وجمع ثانياً بشهادة شاهدين .

٦ - الإختلاف في من جمع المصحف الإمام : المتواتر الموجود بين المسلمين عبر القرون - هل هو عثمان أم إنه عمر .

٧ - التضاد فيمن كتب المصحف بأمر عثمان - هل إنه زيد وابن الزبير وسعيد وعبدالرحمن ؟ أم إن الكاتب هو زيد ، وسعيد للإملاء ؟ أو أن ثقيفاً للكتابة وهذياً للإملاء ؟ أو أن المملي أبي وزيد الكتاب وسعيد المعرب ؟!

فهذا طرف من أحوال هذه الروايات - الضئيلة الضعيفة المتناقضة - حيث تدل بالملازمة البينة : على تضاد النقل في المصاحف ، وعدم إمكان الجمع والتواتر على صورة واحدة - وقد يزيّفها التواتر والإجماع الموجود على مصحف واحد دون إختلاف بين المسلمين عبر القرون ، مهبا بلغت خلافاتهم في سائر مهام الدين وفروعه!

الأسقف: كيف لا وعلي أمير المؤمنين عليه السلام أفضل اصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان له مصحف بعد النبي وقد أتى به إلى القوم فلم يقبلوه - أليس هذا دليلاً على تلاعب الأيدي بالقرآن؟

المناظر: كلا! وإنما هناك روايات آحاد تدل أنه كان في مصحف علي عليه السلام الذي كتبه باملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان فيه تأويل كل آية نزلت عليه صلى الله عليه وآله وسلم، ومما لا يريبه شك أن علياً عليه السلام كان من أفضل من جمع القرآن وألفه في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم باملائه، وقد يربو مصحفه على سائر المصاحف لا لشيء إلا لاشتاله على تأويل الآيات وبطونها كما علمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وطبيعة الحال تقضي ألا يقبل مصحفه الذي في هوامشه ذياك التأويلات - التي تأتي بفضيحة نفر من الصحابة المتقمصين قيص الخلافة - في حين أن بها تصاريح في فضل الإمام عليه السلام وخلافته وولايته! فقد كان في تصديقهم مصحفه عليه السلام التزاماً بأنه أحق منهم بإمرة المؤمنين باديء بدء - وأنهم اغتصبوها منه ومن ولده المعصومين عليهم السلام!

وأخيراً: لو صدقنا أن المصحف الإمام جمعه وألفه عثمان أو من إليه من زميليه السابقين عليه - فلا يبقى حينذاك إلا احتمال التحريف - في حين أن الأدلة القاطعة قاضية باستحالة عقلاً وكتاباً وسنة واجماعاً.

فمتى كان عثمان يجرء على تحريف القرآن وهناك مئات ومئات من حفظة القرآن! وقد انتشر القرآن بين المسلمين منذ النزول -؟: فهل إنه عملية خفية دون أن يطلع عليه المسلمون؟ أم على علم منهم، وبالرغم من ذلك أجمعوا على وفاقه خلافاً للرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟

ثم مهما يكن من شيء ولن يكن : ألم يكن التحريف عذراً حاسماً كافياً لتزييف منزلة المحرّف، سواء أكان هو عثماناً أو غيره ؟ وحينذاك فلماذا لم يحتج عليّ عليه السلام ولا أصحابه منذ الأول عند اغتصاب الخلافة ولا بعده - لم يحتجوا عليهم أنهم حرفوا الكتاب ؟

الأسقف : هناك روايات متواترة تدلنا على شتى أنواع التحريف ! فهل تزيفون السنة المتواترة التي هي إحدى الحجّتين ؟

أقسام التحريف : كتبي ولفظي ومعنوي وعملي :

المناظر : أول ما نقول : إنها على فرض تواترها دلالة متسقة على التحريف بالزيادة أو النقصية - فإنها مطرودة ! حيث لا تجابه تواتر القرآن ولا البراهين التي ترى على صيانتها عن التحريف .

ثم ما فيه لفظه التحريف لا يجب حمله على خصوص تحريف الآي بألفاظها، بل هي محمولة على سائر معاني التحريف التي لا تنافي احتفاظه بصورته النازلة، ولا تمس كرامته، حيث البراهين القاطعة دللتنا على ذلك - .

معنى التحريف :

فالتحريف لغوياً هو الإمالة : إمالة الشيء عن وجهه إلى غير وجهه - فهو بالنسبة للكلمات يختلف، فلو اتجه التحريف إلى شاكلة الكلمة - الظاهرة - كان ذلك تبديلاً لها إلى غيرها إطلاقاً - أو في بعض الحروف، ومن ذلك ما افتعلته اليهود

بالنسبة للتورات : ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لِيَّامٍ بِلِسَانَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ﴾ (٤٦ : ٤).

وإن اتجه إلى المعنى من الآيات تأويلاً لها إلى غير معناها - فذلك أيضاً تحريف للكلمة - كما فعلته اليهود بالنسبة لكثير من آي التورات ، ولا سيما البشارات المذكورة فيها لمحمد ﷺ : ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ (٥ : ٤١) ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ (٥ : ١٣) حيث كانوا يأولون الكلم عن مواضعها المقصودة إلى غيرها - .

وهذا القسم من التحريف وهو التأويل والتفسير بالرأي - خلافاً لصريح الآية أو ظاهرها - هذا كثيراً بالنسبة للقرآن الكريم - من الذين في قلوبهم زيغ - من الشياطين الذين يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم - ليقضوا على الحق ، وما يُبديء الباطل وما يعيد - ولا ضير في هذا القسم من التحريف إلا لفاعله وللجاهل الساذج غير المؤمن البصير من الناس - الذين يتبعون كل ناعق ولا يستضيئون بنور العلم ولا يلجئون إلى ركن وثيق .

وشاهداً على هذا المعنى من روايات التحريف - رسالة الباقر عليه السلام إلى سعد الخير^(١) «وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه وحرفوا حدوده ، فهم يروونه ولا يراعونه ، والجهال يُعجبهم حفظهم للرواية ، والعلماء يُحزنهم تركهم للرعاية» .
وتحريف حدود الكتاب مع قيام حروفه - يشمل التحريف التفسيري

(١) عن الكافي .

والعملي - فمن الناس من يفسره بغير تفسيره، ومنهم من يعمل بخلافه مع إقامة اللفظ والمعنى - فللتحريف شعوب مختلفة لا يحمل على واحد منها إلا بالقرينة - فلا نحن إلى تصديق التحريف في القرآن بالزيادة أو النقيصة، بل ولا في تبديل مواضع السور والآيات إلى غير مواضعها التي رتبها الرسول الأعظم محمد ﷺ وحيأ من الله - فلا نصدقها بمجرد سماع لفظه التحريف في روايات آحاد - أجل إلا في غير ذلك من وجوه التحريف - تفسيراً أو عملياً كما يفتعله الحداد في القرآن والكتاب - وكذلك غيره من المؤلفين كتيبات ضد القرآن .

وهناك روايات تذكر الفاظاً بين الآيات - تزعم السذج البسطاء أنها كانت فيها ثم أسقطت ، مع أنها بيانات تفسيرية من الأئمة عليهم السلام .

ومنها ما تصرّح أن الآية كانت كذا ، ونزلت كذا ، فزيد فيها أو أسقط عنها ذاك وذياك - والتدبر في الآيات المبحوث عنها يرشدنا إلى أن هذه الروايات مجعولة إسرائيلية ، حيث تقضي على اعتدال الآية واستقامتها في مغزاها - .

وبعد ذلك كله - هناك شهود صدق داخلية في الذكر الحكيم تدلنا على احتفاظه عن نكبة التحريف ونكسته إطلاقاً : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾ (٤ : ٨٢) .

حصيلة البحث عن فرية التحريف في المصحف الشريف هي :

استحالة تحريفه وتمزيقه : عقلياً ونقلياً - بل ولا يحتمل ولو صدقنا جمعه في زمن الخلفاء وعلى إشرافهم ، أو من عثمان ثالثهم ، أفلم يكن تحريف عثمان للمصحف

الإمام إذ ذاك سنداً كافياً في تبرير قتله دون أن يختص السناد بتحيفه في أموال المسلمين وحقوقهم؟

ثم لو حرفة عثمان فكيف اجتمع المسلمون على مصحفه المحرف - عبر القرون منذ الأول حتى الآن دونما اختلاف فيه ولا خلاف عليه - فهل إنهم طبقوا على خلاف الرسول ﷺ ابتغاء لمرضات خليفة ضيئلة من امية - وهم الذين قتلوه وفتكوا فتله بما ظلم وطغى؟

ثم ما بال أئمة الدين المعصومين أجمعوا على الرجوع إليه والعرض عليه - وقد جعله الرسول الأعظم ﷺ اعظم الثقلين واطولهما إلى يوم القيامة - من ذي قبل - وقبل ذلك كله تصاريح الوحي في حصر الملئح المنجى - فيه مع الأبد - «ولن تجد من دونه ملئحداً» .

اجماع على الباطل عجيب!

فهل إن الله ورسوله وخلفائه المعصومين والمسلمين الأولين ومن بعدهم حتى الآن أجمعوا على مصحف حرفة ومزقه عثمان - فأصبح خليفة أمية يحكم عليهم أجمعين دونما نقاش وخلاف عليه؟

وكيف كان الخليفة ومن إليه يجرء على ذياك الإفتعال الغاشم وهو بمبرئ الألوفا من حفاظ القرآن والمؤمنين به - أفهل سحرهم في ذلك كيولاً يطلعوا على فعلته؟ أم استحسنوا تحريفه إجماعاً على خلاف الحق؟

ثم مناوئوا الخلفاء كيف لم يحتجوا عليهم في تحريفهم المصحف الإمام - ولا في

كلمة واحدة - أو أن يختصوا من عندهم بمصحف عن حفاظه الكرام - أو أن يختلفوا في المصاحف حسب اختلاف المزاعم والأراء، في آيها تعداداً وجمعاً، كما اختلفوا في غيرها! كما في الإنجيل - حيث بلغ زهاء مائة وعشرين انجيلاً في حين أننا لا نجد المصحف عبر القرون إلا على شاكلة واحدة - حتى في الخط والأعراب فضلاً عن السور والكلمات والحروف؟! .

نظرة في إحدائث التحريف:

واخيراً إليكم نماذج من هذه الأحاديث ولكي يستحي القائل بتحريف القرآن من مقالته اللاذعة، وينتبه الجاهل المعزور عن نومه، وإنني لأظن أن كثيراً من هذه الروايات إختلاقات اسرائيلية تدخلت في أحاديثنا ممن يعتاد منهم أن يحرفوا الكلم عن مواضعه ويكتبوا الكتاب بأيديهم ثم يقولوا هذا من عند الله - ولقد وجدوا لهذه الإختلاقات جواً صالحاً هو إظهار التشيع والتنقيب بنقاب الثائرين على المعتصبين حقوق الخلافة من أئمة الدين، فاختلفوا آيات أو كلمات فيها:

١ - تثبت في زعمهم خلافة الائمة من آل بيت الرسول ﷺ بتسجيل أسمائهم ومنزلتهم الروحية في القرآن - وهي زهاء خمسة وتسعين بالمائة من هذه الإسرائيليات .

٢ - ثم الباقي منها يكشف عن أن الجاعل اختلق ما يراه صحيحاً، لجهله أو عمدته وعناده، فغير الموجود في القرآن إلى غيره .

٣ - أو أنه مجعول بتمامه - ك: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة فإنهما قضيا الشهوة - وأمثالها مما يعرفه كل سوقي له معرفة ما بأسلوب القرآن - أن بينه وبين القرآن بونا شاسعاً: لفظياً ومعنوياً .

الآيات المزعوم تحريفها:

فمن الأول:

- ١- «فبدل الذين ظلموا آل محمد ﷺ حقهم قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا آل محمد حقهم رجزاً من السماء».
- ٢- بسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله في علي .
- ٣- ولتكن منكم أئمة - كنتم خير أئمة :
- ٤- يا أيها الذين أتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا في علي نوراً مبيناً .
- ٥- يا أيها الناس قد جائكم الرسول بالحق من ربكم في ولاية علي . وإن تكفروا بولايته فإن له ما في السماوات والأرض .
- ٦- أوفوا بالعقود التي عقدت عليكم لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ .
- ٧- بلغ ما أنزل إليك في علي .
- ٨- والله ربنا ما كنا مشركين بولاية علي بن أبي طالب .
- ٩- إنما أنت منذر وعلي لكل قوم هاد .
- ١٠- رب اغفر لي ولوالديّ: إسماعيل وإسحاق - أو إسحاق ويعقوب - أو - الحسن والحسين .
- ١١- إن هذا صراط عليّ مستقيم .
- ١٢- أن تكونوا أئمة هي ازكى من أئمتكم .
- ١٣- ولقد عهدنا إلى آدم من قبل في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذريتهم .

١٤ - يا ليتني اتخذت مع الرسول علياً ولياً .

١٥ - يا محمد يا علي ألقيا في جهنم كل كفار عنيد .

١٦ - وإذا المودة سئلت بأي ذنب قتلت .

هذه المختلقات الزور تدعي كأن القرآن لم ينزل على محمد ﷺ إلا لذكريات علي عليه السلام فلم تدر سورة إلا وفيها عديد من ذكرياته دون رعاية للمناسبة - حال أن اسم رسول القرآن لا يذكر إلا في خمسة مواضع - ولقد جهل الواضع أو استجهل أن اضاف ما لا ينضاف إلا بسخرية مضحكة كمثل: إذا المودة سئلت بأي ذنب قتلت» جهلاً منه أو غفلة ان المودة لا تقتل .

وكما في الآية ١ - ٢ - ٤ - ٥ - ٨ و... فإن الكفار إذا لم يصدقوا محمداً ﷺ فكيف يندد بهم نبي الإسلام فكيف يرجى منهم تصديق علي ولما حصلت خلافته! فكيف يندد بهم في إنكاره عليه السلام دون إنكار أصله وهو الرسول ﷺ -... فحيثما وجدوا (ع ل ي) قرئوه علياً كيفما كان، دون رعاية للمناسبة - وإذا لم يجدوا ادعوا حذفه - فيألمهم من إفراط مضحك ! .

وفي بعضها غفل الجاعل عن رعاية الناحية الأدبية أيضاً كما في : ١١ - لعدم وفق الصفة : مستقيم - مع الموصوف : صراط علي - في التعريف - وما إلى ذلك من أضحوكة والعافل تكفيه الإشارة .

ومن الثاني ما عليه اثر الإختلاق الإسرائيلي كالقول :

﴿ وَأَتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ - بولاية الشياطين! - عَلَي مَلِكِ سُلَيْمَانَ ﴾

(٢: ١٠٢) حيث يفترى على سليمان أن ملكه كان بولاية الشياطين وفقاً لما في

التورات من نسبة الشرك والضلال إلى سليمان وحاشاه، كما تأتي في المقارنات الرسالية، وقد غفل الجاعل لتسرعه في جعله، غفل عن ذيل الآية: وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا!

ومنه: متاعاً إلى الحول غير اخراج مخرّجات - وليته يشعر ماذا تفيد إضافة المخرّجات إلا تناقضاً في الحكم: حيث المعنى: متّعوا المتوفى عنهن أزواجهن إلى الحول دون إخراج - مخرّجات: أي حال كونهن مخرّجات!

ومنه: ما أصابك من سيئة فأنا قضيتها - خلافاً للآية: فمن نفسك - زعماً منه أن نسبة إصابة السيئة إلى غير الله كأنه شرك - حال أن الآية: قل كل من عند الله - يربط جميع الإصابات إلى الله إصداراً - وهذه الآية تجعل السبب في إصابة السيئات أنفس الناس وإن كانت صادرة بإذن الله!

ومنه: يحكم به ذوي عدل منكم - حال أن الأدب يقتضي: ذوا عدل - مرفوعاً - فإنه فاعل يحكم -

ومن ذلك ما يجعل الإله متعدداً كالقول:

لقد جاءكم رسول من أنفسنا عزيز عليه ما عنتنا حريصٌ علينا بالمؤمنين رؤوف رحيم .

فمن هو المعنى بـ (نا) في «أنفسنا» و «كم» في جاءكم؟ لا ريب أن المعنى بـ «كم» هم عامة المكلفين - إذاً فضمير جمع المتكلم (نا) يعني به الآلهة: أنهم اصطفوا فيما بينهم رسول الإسلام من أنفسهم - فرسول الله إذاً أحدٌ من الآلهة - أو أن (نا) هم الرسل أو الأئمة أو الجميع، فهم الذين بعثوا رسول الإسلام إلى الناس: وإذ ذاك فليس هو رسول الله، بل رسول الرسل أو الأئمة!

فليت شعري ما هو الإشكال في أصل الآية : من أنفسكم .. ما عنتم - إلا المشكلة الإسرائيلية .. أنهم لا يكادون يصبرون على اختصاص كتابهم بالتحريف ، فتحاملوا بأيدي الجعل وحاولوا تشويه القرآن أيضاً أنه محرف - رغم أن الباطل كان زهوقاً - فكل ساذج سوقي عربي أو غير عربي يدرك مبلغ الجهل والعناد الذي كلف في هذه الاختلافات الزور - فضلاً عن المحصلين!

هؤلاء الإسرائيليون لا اعتيادهم بما في التورات من اشتباه الخلق بالخالق، ومن تعدد الخالق ومن ... أرادوا تمثيل ذلك في القرآن أيضاً ولكي يسووا بينهما في التحريف !.

هذا : ولو صدقنا أن القرآن الحالي أسقط عنه مثل هذه الاضحوكات لقلنا إن المحرّف إنما هو الله تعالى حيث اسقط الدخيل عن الأصيل النازل من عنده تعالى، إلا أن يقول القائل بالتحريف : إن المحرفين : من عثمان وغيره كانوا أعلم من الله حيث صححوا باطل ما فيه !!!

ثم هب بالأخير أن ما سقط حق - لكنه كما تعلمون لا يصطدم وحجية القرآن حتى بالنسبة لمقام الخلافة - حيث الساقط منه : بعد اللتيا والتي - ليس إلا عشرات من ذكريات علي والأئمة من ذريته المعصومين عليه السلام !!!

فلو سقطت هي فقد بقيت آيات الخلافة ناصرة لهم ولا سيما مع الروايات المتواترة فيهما.

إذاً فليست قصة تحريف القرآن إلا اضحوكة كافرة يسخر منه كل أحد، وإن كان لها رنين وطنين - قبل مراجعة هذه الآيات التي سجلنا لكم طرفاً منها والله من وراء القصد .

اعجاز القرآن

الأسقف: هب إن المصحف لم يحرف وهو الآن كما كان ، ثم العهدان - كما تأمرون - محرفان، لكنهما يوجد فيهما آيات الوحي متوفرة رغم الخليط المتدخل فيها من خرافات الأوهام -

هل لرسول الإسلام آية معجزة؟

والقرآن ليس وحيًا - مهما كان سليماً عن التدخل - للتصاريح المتوفرة فيه أن: لا معجزة لنبيه! وهذا خرقٌ لسنة الأنبياء أن جاءوا بالبينات دون محمد، وبالأخير هذا إقرار من القرآن نفسه ألا نبوة ولا وحي لنبيه حيث لا معجزة له تدل على نبوته!

إذ ذاك فلنكتف بخليط الوحي دون حاجة إلى كتاب كله من كلام البشر، وكما يحقُّ كل عاقل إلى خليط الذهب رفضاً لخالص الرصاص - إذا خير بينهما.

المناظر: هذه مقالة من لم يسمع حتى الآن إلى مقالاتنا وكأنه بغية للأسقف ابتغها من جديد - أجل إنه قد أخذ من مكررات الأستاذ حداد في مؤلفه القرآن والكتاب - فأولى بنا أن نستعرض أقاويله حول الموضوع:

ألم تكن لمحمد ﷺ من معجزات؟:

ألم تكن؟ في حين يدعي خلود حكمه وشريعته - وأنه مكمل لما سبق ومغن عما قد يُخلق!

الحداد: هناك تصاريح متكررة ألا معجزة لهذا النذير ولو ابتغى إليها نفقاً في الأرض، أو سلماً في السماء لإثبات نبوته! فقد سحر القرآن الأول العرب ولم يجدوا ما يصفونه به سوى كلمة السحر، وإلى الآن يسحر السامعين بايقاعه وأسلوبه ولكنه على حد قولهم: «إن هذا إلا سحرٌ يؤثر»!

المناظر: ما زلت تكرر يا حداد فرية: أن لا معجزة لهذا النذير! إلى زهاء عشرين موضعاً من كتابك^(١) تريد بذلك تُمرّن قلوب وأفكار السذج البسطاء على تصديق هذه الأكذوبة الكافرة شيئاً فشيئاً، رغم أن القرآن يجمع في تصاريح بينة: بين شاكلة معجزات الأنبياء من قبل: آيات بصريّة - وبين ما لم يكن معهم، من معجزة للكتاب في جميع ما إليه من شؤون: آيات عقلية وعلمية خالدة عبر القرون يجمع بينهما لهذا النبي الخالد، ليلائم خلود الشريعة خلود المعجزة له ﷺ دون سائر الرسل - حيث صارت معجزاتهم مقبورة مع الأبد بما قضوا نحبهم - دون أن يخلفوا آية بعدهم تكون حجة على نبواتهم، اللهم إلا آية خالدة - هي الذكر الحكيم - تحكى عما كان معهم من آيات فتصدق نبواتهم! فلو لا هذه الآية الأخيرة لا نسدّ الطريق لتعرّف بينات الرسل مع الأبد لانقضائها معهم - وأن اسفارهم ليست بمعجزات - على أنها مدخولة محرقة -.

(١) كما في ص ٣١٨ و ٣١٩ / ٣٢٨ / ٤٠٠ / ٤٠٢ / ٦٦٩ / ٦٧٠ / ٦٨٣ / ٦٨٤ / ٦٨٥ / ٧٠٢ / ٧١٩ / ٧٢٠ / ٨٩٦ / ١٠٢٦ / ١٠٣٢ / وما إليها من المواضع .

وفيما يلي من بحوث نستعرض هامة شبهاتك وزيادة لم تذكرها - ثم نتلوها بما يزيّفها : من تصاريح نقلية وعقلية في الذكر الحكيم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾!

المعجزة والإعجاز في القرآن :

الحداد : لا بد لكل رسالة سماوية من معجزة إلهية تؤيدها ويعجز عنها البشر ليكون دليلاً على النبوة - والمعجزات مثل أوراق إعتاد الرسول الإلهي عند البشر - وفي الإسلام تيارات ثلاثة في نسبة المعجزة - للدعوة القرآنية والسيرة النبوية :

تيارات حول المعجزة :

- ١ - التيار المتطرف الذي تفوده غرائز شعبية ، يجري المعجزات منتشرة في السيرة كالزهور على البسيطة، وإن لم يكن لها أساس من قرآن أو حديث
 - ٢ - والتيار المعتدل - بدء مع كتب الإعجاز التي ترى معجزة القرآن في إعجازه نفسه ، واستقر القوم على ذلك إلى اليوم^(١).
 - ٣ - والتيار السلبي بالنسبة لأئمة معجزة كما في تصاريح القرآن نفسه^(٢).
- المناظر : هذه مزاعم الحداد في ساير مواضع كتابه - وهذه دعاويه بالنسبة لسلب الإعجاز عن نبي القرآن! - فقد يعتبر معجزات الرسول ﷺ المنتشرة في

(١) هذان التياران هما في ص ١٠٢٦ - ١٠٢٨ .

(٢) وذاك منبث في جميع بحوث كتابه التي لها صلة بالأعجاز .

السيرة ، يعتبرها من جزاء الغرائز الشعبية ومخلقاتها! دونما مساس وصلة لها من قرآن أو حديث - حال أن الأحاديث متواترة إجمالاً في صدور المعجزات عنه ﷺ - والقرآن يقف في بيان معجزاته موقف الإجمال - إلا معجزته الخالدة وهي نفسه - وبعض المعجزات البصرية مثل انشقاق القمر والإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وما إليهما من معجزات علمية وبصرية - وسوف يأتيكم نبأها الفصل بعد حين .

ثم في التيار الثاني - وقد اعتبره معتدلاً - أصبح يعزیه إلى كتب الإعجاز ، كأن القرآن بنفسه لا يدل عليه - مع المواقف الإيجابية الصريحة المتوفرة في آياته البينات - على ذلك التيار ، حال أن في القرآن نفسه كفاية عن أية آية أخرى تدل على نبوته !

ثم يطير قلمه الطيار في ثالث التيارات التي تهويها نفسه - وهي موقف القرآن - السلبي - من كل معجزة ، مستشهداً فيها بآيات كما يزعم - في سائر مواضع كتابه : ولما كانت التسائلات والمناظرات في كراسنا هذا إنما تحول دون القرآن والكتابين ، لذلك نحن لا نلجأ إلى البحث عن احاديث الاعجاز ولا أقواله : وإنما نبحث عن الأخيرين : الموقف السلبي والموقف الإيجابي من الأعجاز - تقديماً للسلب على الإيجاب - تحلية بعد تحلية !

الموقف السلبي من الإعجاز :

الحداد : ينفي القرآن عن محمد كل معجزة نفيًا قاطعاً مبدئياً (إسراء ٥٩)

وعلمياً (أعوام ٣٥) وبرهان القرآن الأكبر في مكة على صحة رسالته وصدق دعوته كان استشهاده الدائم المتواصل بالكتاب وأهله : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوْ لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴾ (١٣٣: ٢٠).

وفي كل ساحة يُحيل قومه إلى أهل الكتاب - يستشهد بهم ويشهدون له :

﴿ فَسئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴾ (١٦: ٤٣-٤٤).

وبرهانه الأوّل والأخير على صحة رسالته - شهادة أهل الكتاب له : ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ (١٣: ٤٥) فلم تكن المعجزة دليل نبوته ! بل شهادة أهل الكتاب له^(١).

لا صلة للموقف السلبي بالإعجاز :

المناظر : لقد أفرط الحداد في ضرب القرآن بعضه ببعض ليتخلص في هذا المرمى الخاطيء الزور عما تهواه نفسه : من سلب الإعجاز عن النبي محمد ﷺ رغم أن محمداً ﷺ لو لم يكن له معجزة لما كان من شرط العقل إقراره بهذا الموقف السلبي باديء بدءٍ؛ على أنهم يعتبرونه من أعقل العقلاء !
ورغم أن القرآن لو لم يثبت كونه وحياً إلهياً لما بقيت لأحد من الأنبياء آية آية تدل المكلفين - بعدهم - على نبواتهم - لما قضاوا نحبهم ومعهم معجزاتهم -

(١) ص ٦٦٩ - ٦٧٠ .

وسندهم الأخير وهي كتبهم - لا حجة فيها : للتحريف والتهافت - إلى حيث قد تدل على انحراف عقلي وعقائدي كاسح عارم لمؤلفيها ! فكيف لها بالدلالة على أنهم هداة العقول والدعاة إلى الإيمان ! كما نأتي على ذلك عند المقارنات .

فالقضاء على معجزات محمد ﷺ وقرآنه قضاء على النبوات كافة !

خلود النبوة تلازم خلود المعجزة :

وقبل كل شيء نعلم أن خلود النبوة والشريعة بحاجة ماسة إلى خلود المعجزة لكي تكون باب مدينة الإعجاز مفتوحة بمصراعيها على كل متحرٍ للحق حتى نهاية زمن التكليف .

المعجزة الخالدة من القرآن وفيه :

لذلك فإن آيات النبوة في النبي الختم تتوحد وتتركز هامتها في تلك الآية الخالدة - رمزاً لخلود نبوته وشريعته ، رغم استيناس الناس قبل ذلك بالمعجزات العابرة البادرة .

فليس الغرض من آيات النبوة المحمدية ﷺ إثبات نبوته ﷺ فحسب بل وتخليدها أيضاً عبر القرون البشرية مع الأبد، وهذه المغزى الخالدة لا تبرهن شاكلة المعجزات السالفة للأنبياء من قبل فحسب، وإنما الهدف الرئيسي في معجزاته تخليد دعوته ونبوته، وما ذلك إلا في المعجزات العقلية والعلمية دون الحسية البصرية العابرة فحسب .

ولكن الأمم الكتابية لاستيناسهم الغابر بالمعجزات الحسية العابرة - كانوا

يُلْحُون عَلَى الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَيَلْجِئُونَهُ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِ مَا أُتِيَ بِهِ مُوسَى وَمَنْ إِلَيْهِ مِنْ قَبْلِ - مِنْ الْآيَاتِ الْبَصْرِيَّةِ : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ * قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٢٨: ٤٨ - ٤٩) .

فإذ ذاك ، يزيّف القرآن مقالتهم ويدمر موقفهم الجاهل الصلب الصلت : من سؤال المعجزات المماثلة لما أُوتِيَ موسى ﷺ : أنكم لا تهدفون بذلك أن تؤمنوا كلا! إلا هزءاً أو لعباً بآيات الله البينات، وإلا فلم كفرتم بما أُوتِيَ موسى من قبل ونسبتموه وأخاه إلى السحر؟

هدف الإعجاز الرئيسي :

ثم الهدف الرئيسي من المعجزة إنما هو الدلالة على صدق دعوى صاحبها بأية شاكلة ظهرت، إما كما أُوتِيَ موسى أو غيره، أو ما لم تسبق له سابقة، وربما كانت أهم منها إطلاقاً كالمعجزة غير الحسية - الخالدة : وهو القرآن الحكيم - فلا تُقبل فرية السحرية - كما نسب إلى الحسية من قبل ، بل هي خالدة تمشي مع الزمن، وتزيد بهوراً ونوراً على ضوء الرقي العلمي والعقلي وسائر الاكتشافات العلمية في مختلف المجالات.

فهل إن سؤالاً كمثل هذا السؤال - متخلفاً عن صميم الحجّة في المعجزة - إلى ابتغاء شاكلة وحيدة لها - كأن الله لا يقدر على غيرها - هل إن لهذا السؤال جواباً إلاّ النقض والدحض؟

فحيث أنست البشرية بالمعجزات الحسية ، وسرُّ الخلود في النبوة المحمدية ﷺ لا يلائم في صميمه امثال تلك المعجزات أو الإخلاق إليها، لذلك طال ما طُردت الأسئلة فيها - ولأن السائلين في مواقفهم الضالة الصلبة لم يكونوا يريدون الحجة إرادةً بالذات - إلا اللعب بآيات الله وأنبيائه :

﴿وَإِذَا جَاءَ تَهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ أَلَلَّهُ أَلَمَّ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ * ... وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ (٦ : ١٢٤ - ١٢٦).

أجل إنه جاءتهم آية خالدة تختلف في شاكلتها عن آيات النبيين من قبل وتربوا عليها فيما يراد بها من حجة النبوة إلى خلودها مع الأبد، ولكنهم يلحدون بتطلب المماثل في الصورة، مع أن في الإخلاق إليها قضاءً على خلود النبوة والدعوة المحمدية ﷺ - واتباعاً لهوى المجرمين : ﴿وَلَوْ أَتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ (٢٣ : ٧٣)؛ وليس على الله إلا إقامة الحجج الصالحة البينة كي تدل على الحق - لا واتباع أهواء الناس فيما يهوون من شتى صورها وألوانها. فهذا أصل من الأصول القرآنية في عدم التجاوب لمتطلبات الملحنيين المستهزئين في شتى المعجزات إلا ما فيه إرغام للمبطلين وحجة على المعاندين وفضل ومزيد على الآيات الخالدة الأصلية للمخلدين على الإحساس المادي، كانشقاق القمر والمعراج وما إليها - في حين أنها أيضاً تختلفان عن معجزات الأنبياء السابقين في الشاكلة .

هل يجب إجابة المتعنتين في متطلباتهم كما يههون - من المعجزات

أو غيرها؟

وإن هناك متطلبات للملحدين تعجيزاً وتبكيثاً لنبى القرآن ، لا حجة فيها ولو أتى بها ، فلا إجابة فيها اطلاقاً - لتسرُّب الباطل في مثل تلكم الإجابات إغراءً بالجهل وحاشا لنبى القرآن عن ذلك .

وفما يلي نستعرض موقف القرآن - السلبي - بالنسبة لما تهواه أنفس المبطلين مما يزعمونه معجزات وليست بها - أو ما يتطلَّبونها من أشباه المعجزات الحسية للأنبياء من قبل - من نبى القرآن - وما يههونها من ألوان واللوان مستحيلة أو لا غية دونما بغية إلا التلون في دين الله والتلاعب بآيات الله والإستزادة فيما لا يؤمنون به .

موقف القرآن السلبي فيما لا حجة فيه أو يستحيل من المعجزات :

﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجيراً * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتِ عَلَيْنَا كِسَافاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلاً * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ بِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشِراً رَسُولاً * وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشِراً رَسُولاً * قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَسُولاً * قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبيراً بَصِيراً ﴾ (١٧ : ٩٠ - ٩٦)

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ * أَهْمُ

يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿٤٣﴾
(٤٣:٤٢).

ارتجاع إلى الجاهلية الأولى :

وهذه المتطلبات الجاهلية اللاغية مما يعتبرها الحداد في عداد المواقف القرآنية
-السلبية- في حين أنها بين مستحيل وممكن لا حجة فيه! -فهل يجاب فيها إلا مغرٍ
لجهلة الناس أو مناقض عقله؟

فهنالك جمّع نفر من المشركين جمعهم كالوليد بن المغيرة المخزومي وأبي
البخري وابن هشام وأبي جهل والعاص ابن وائل السهمي وعبدالله بن أبي أمية
المخزومي ، وكان معهم جمع ممن يليهم كثيرٌ، ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه
يقرء عليهم كتاب الله ويؤدي إليهم عن الله أمره ونهييه .

فقال المشركون بعضهم لبعض : لقد استفحل أمر محمد ﷺ وعظم خطبه
فتعالوا نبداً بتقريعه وتبكيته وتوبيخه والاحتجاج عليه وإبطال ما جاء به ليهون
خطبه على أصحابه ويصغر قدره عندهم فلعله ينزع عما هو فيه من غيّه وباطله
وتمرده وطغيانه ! فإن انتهى -وإلا عاملناه بالسيف الباتر!.

فأتوه بأجمعهم - فابتدء عبدالله بن أبي أمية المخزومي قائلاً :

يا محمد ! لقد إدعيت دعوى عظيمة ! زعمت أنك رسول الله ، وما ينبغي لرب
العالمين أن يكون مثلك رسوله ، بشر مثلنا .. فهذا ملك الروم وهذا ملك الفرس
لا يبعثان رسولاً إلاّ كثير المال ، عظيم الحال ، له قصور ودورٌ وفساطيط وخيام

وعبيد وخدام - ورب العالمين فوق هؤلاء كلهم - فهم عبيده - ولو كنت نبياً لكان معك ملك يصدقك ونشاهده ، بل لو أراد الله أن يبعث إلينا نبياً لكان إنما يبعث ملكاً لا بشراً مثلنا - ما أنت يا محمد ! إلا رجلاً مسحوراً ولست بنبي !
لو أراد الله أن يبعث إلينا رسولاً لبعث أجلاً من فيما بيننا - أكثر مالاً وأحسنه حالاً .

فهلا أنزل هذا القرآن الذي تزعم أن الله أنزله عليك . وابتعنك به رسولاً - على رجل من القرينتين عظيم : إما الوليد بن المغيرة - بمكة وأما عروة بن مسعود الثقفي بالطائف؟!

أجل - وإننا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً - بمكة هذه - فإنها ذات احجار وعرة و جبال : تكسح أرضها وتحفرها وتجري فيها العيون - فإننا إلى ذلك محتاجون .

أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتأكل منها وتطعمنا فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً .

أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً فإنك قلت لنا : وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم - فلعلنا نقول ذلك .

أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً - تأتي به وبهم وهم لنا مقابلون .

أو يكون لك بيت من زخرف تعطينا منه وتغنيننا به فلعلنا نطغي . وإنك قلت لنا : كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى .

أو ترقى في السماء : (تصعد فيها) ولن تؤمن لرقيك : (صعودك) حتى تنزل

علينا كتاباً نقرأه : من الله العزيز الحكيم إلى عبدالله بن أبي امية المخزومي ومن معه بأن آمنوا بمحمد بن عبدالله بن عبدالمطلب فإنه رسولي - وصدقوه في مقاله : إنه من عندي ...

ثم لا أدري يا محمد ! إذا فعلت هذا كله أو تؤمن بك - أو لا تؤمن بك . بل لو رفعتنا إلى السماء وفتحت أبوابها وأدخلتناها لقلنا إنما سُكِّرت ابصارنا وسحرتنا...! لقد سمع الرسول الأعظم ﷺ مقالاً لهم الجاهلة الكافرة ثم قال : اللهم أنت السامع لكل صوت والعالم بكل شيء ، تعلم ما قاله عبادك ، فأُنزل الله عليه الآيات إلى قوله : ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ (١٧ : ٤٨) وقوله : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُضُورًا ﴾ (٢٥ : ١٠) وقوله : ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (١١ : ١٢) وقوله : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ - إلى قوله - وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ﴾ (٦ : ٨ - ٩).

نقض وحل : في متطلبات المتعنتين :

فبعد اللتيا والتي هناك يزيغ الرسول ﷺ مقالاً لهم ويدمر على متطلباتهم قائلاً :

أما قولك : لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم .. فإن الله ليس يستعظم مال الدنيا كما تستعظمه أنت . ، وليس قسمة الله إليك ، بل هو القاسم

للرحمات : ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ .

واما قولك : ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ فإنك تقترح عليّ اشياء :

منها ما لو جئتك به لم يكن برهاناً لنبوتي ، ورسول الله ﷺ يرتفع عن أن يغتم جهل الجاهلين ويحتج عليهم بما لا حجة فيه!

ومنها ما لو جاءك به كان معه هلاكك ، وإنما يؤتى بالحجج والبراهين ليُلزم عباد الله الإيمان بها لا ليهلكوا بها ، فإنما اقترحت هلاكك ، ورب العالمين أرحم وأعلم بمصالحهم أن يهلكهم كما تقترحون .

ومنها المحال الذي لا يصح ولا يجوز كونه - ورسول رب العالمين يعرفك ذلك ويقطع معاذيرك ، ويضيق عليك سبيل مخالفته .

ومنها ما اعترفت على نفسك أنك فيه معاند متمرد - لا تقبل حجةً ولا تصغي إلى برهان - ومن كان كذلك فدوائه عذاب الله النازل من سمائه أو جحيمه ، أو سيوف اوليائه ...

فأما قولك يا عبد الله : ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ بمكة هذه .. رأيت لو فعلت هذا أكنت من أجله نبياً؟ رأيت الطائف التي لك فيها بساتين ، أما كان هناك مواضع فاسدة صعبة أصلحتها وذللتها وكسحتها واجريت فيها عيوناً إستنبطتها؟ قال : بلى ، قال وهل لك نظراء في ذلك؟ قال : بلى - قال فصرت أنت وهم بذلك انبياء؟ قال : لا - قال : فكذلك لا يصير هذا حجة لمحمد ﷺ لو فعله - على نبوته - فما هو إلا كقولك : لن تؤمن لك حتى تقوم وتمشي

على الأرض كما يمشي الناس ، أو حتى تأكل الطعام كما يأكل الناس ... فهذا وأشباهه مما تقترحه آية النبوة - لا حجة فيها أبداً !

وأما قولك : أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً ... فإن في ذلك هلاككم وموتكم ، فإنما تريد بهذا من رسول الله ﷺ أن يهلكك ورسول رب العالمين أرحم من ذلك ، لا يهلكك ، ولكنه يقيم عليك حجج الله - وليس حجج الله لنبيه على حسب اقتراح عباده - لأن العباد جهال بما يجوز من الصلاح وما لا يجوز منه من الفساد - وقد يختلف اقتراحهم ويتضاد حتى ليستحيل وقوعه - والله عز وجل طيبكم ، ولا يجري تدبيره على ما يلزم به المحال - فهل رأيت طيباً كان دوائه للمرضى على حسب اقتراحهم ، فكان دوائه دائهم وفيه هلاكهم ؟ فأنتم المرضى والله طيبكم .

وبعد فمتى رأيت يا عبدالله - مدعي حق من قبل رجل أو جب عليه حاكم من حكامهم فيما مضى - يئنة على دعواته - على حسب اقتراح المدعي عليه - إذاً ما كان يثبت لأحد على أحد دعوى ولا حق - ولا كان بين ظالم ومظلوم ولا بين صادق وكاذب فرق .

فالمقترح الكادح يستزيد في اقتراحه على المدعي - كما يشتهي - لا كما يجب من الحججة لأثبات الدعوى .

وأما قولك : أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً ، يقابلوننا ونعابنهم - فإن هذا من المحال الذي لا خفاء فيه ، وإنما هذا صفة أصنامكم ، لا ربنا المتعالى عن الحراك والمجيء والذهاب !

ثم يا عبدالله أوليس لك ضياعٌ بالطائف وعقار بمكة وقوام عليها ؟ قال : بلى

قال: أفتشاهد جميع أحوالها بنفسك أو بسفراء بينك وبين معامليك؟ قال بسفراء قال ﷺ: أرايت لو قال معاملك وأكرتك وخدمك لسفرائك: لا نصدقكم في هذه السفارة إلا ان تأتونا بعبدالله بن أبي امية نشاهده فسمع ما تقولون عنه شفاهاً أكنت تسوغهم هذا؟ أو كان يجوز عندك ذلك؟ قال: لا! قال ﷺ: فما الذي يجب على سفرائك؟ أليس أن يأتوهم عنك بعلامة صحيحة تدلهم على صدقهم، يجب عليهم أن يصدقوهم؟ قال: بلى - قال ﷺ: يا عبدالله! أرايت سفيرك لو أنه لما سمع منهم هذا عاد إليك وقال لك: قم معي فإنهم قد اقترحوا عليّ مجيئك - أليس يكون هذا لك مخالفاً، وتقول له: إنما انت رسول لا مشير ولا آمر؟ قال: بلى!

قال ﷺ: فكيف صرت تقترح على رسول رب العالمين ما لا تسوغ لأكرتك ومعاملتك أن يقترحوه على رسولك إليهم - وكيف أردت من رسول رب العالمين أن يستندم إلى ربه بأن يأمر عليه وينهى وأنت لا تسوغ مثل هذا على أكرتك وقوامك!

فهذه حجة قاطعة لإبطال جميع ما ذكرته في كل ما اقترحتة يا عبدالله!...
وأما قولك يا عبدالله: أو ترقى في السماء - ثم قلت: ولن تؤمن لرقيتك حتى تنزل علينا كتاباً نقرئه! يا عبدالله! الصعود إلى السماء أصعب من النزول عنها، وإذا اعترفت على نفسك أنك لا تؤمن إذا صعدت فكذلك وبالأولى حكم النزول!
ثم قلت: حتى تنزل علينا كتاباً نقرئه من بعد ذلك ثم لا أدري أو من بك أو لا أو من بك! فأنت يا عبدالله مقر بأنك تعاند حجة الله عليك - فلا دواء لك إلا تأديبه لك ...

وقد أنزل الله عليّ حكمة بالغة جامعة لبطلان كل ما اقترحتة فقال عز وجل:
«قل (يا محمد) سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً»؟:

ما أبعد ربي عن أن يفعل الأشياء كما يقترحها الجهال مما يجوز ومما لا يجوز، وهل كنت إلا بشراً رسولاً؟ لا يلزمني إلا إقامة حجة الله التي أعطانها - وليس لي أن أمر على ربي ولا أنهي ولا أشير عليه.»

«سبحان ربي: على علمه وقدرته وحكمته - أن يجيب إلى اقتراحات الجهال - فيما لا حجة فيه - غروراً لهم، وسبحانه على بالغ رحمته أن يبدهم بالحجة، فهل الحجة إلا ليحتج بها الضال فيهتدي إلى الطريق؟ فإذا أضرها إذا أبادت هؤلاء الضالين؟ وسبحانه أن يأتي وملائكته إلى هؤلاء الملحنين الملحنين - فتعالى عن الجسم والزوال والانتقال!

!!!

فهذه ناحية من المواقف السلبية لنبى القرآن من الإعجاز - التي يعتبرها الحداد سلباً باتاً - إطلاقياً ومبدئياً - رغم أنه سلب لتحقيق مقترحات الضالين - سلب واجب لساحة النبوات الإلهية - وإلا كانت لعبة للسذج الجاهلين، وغروراً للبدائيين - بدل أن تكون حجة لمن يريد الهدى باليقين!

أجل - فسبحان ربي أن يستقل رسوله دونه، فيقترح عليه حجة غير ما أعطاه!

فما على الله إلا إقامة حجة بينة كافية لتصديق رسله - وكل حجة يجب أن تكون على شاكلة الدعوة - إن زائلة فكذلك - وإن خالدة فخالدة - .. «سبحان ربي هل كنت إلا بشراً لا إلهاً - رسولاً - لا يأتي إلا بأمر ربه - دون أن يقترح عليه أو يضطره إلى إجابة إقتراحات عارمة جاهلة وقحة!

فحجة الرسول الختم - الباقية تشريعاته مع الأبد - حجة خالدة كذلك لا كما
بعث الأولون فحسب.

موقف القرآن السلبي من المعجزات التخويفية:

ثم هناك - معجزات تخويفية ، مضافة إلى حجة كافية قبلها ، والله سبحانه
وتعالى لم يرسل رسوله إلا بحجته الخالدة - وشيء مما يشاكل غيرها ، وأما الآيات
والحجج التخويفية فلا!

فبالرغم من فرية الحداد ، لا ينفي القرآن عن محمد ﷺ كل معجزة نفيًا
قاطعاً مبدئياً (إسراء - ٥٩) وإنما النفي في هذه الآية متجه إلى الآيات التخويفية
فحسب كما نستوحي ذلك من الآية نفسها:

﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ
الْتَّقَاةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ (١٧ : ٥٩).

ودلالة بيينة على ان الآيات المعنوية المنفية هنا إنما هي التخويفية ، ما احتفتها
قبلها وبعدها من آيات ، فقبلها : ﴿ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ
الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾ (١٧ : ٥٨)
وما منعنا ان نرسل بالآيات أي : بمثل هذه الآيات التعذيبية والإهلاكية ﴿ إِلَّا أَنْ
كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ﴾ حيث إن ذلك الإهلاك والتعذيب الكلي ليس إلا بعد أعصار
النبين أجمعين - إما قبل قيام المهدي عليه السلام أو حينه قضاءً على الظالمين وأما بعدها ..
وما نرسل بالآيات مثل الآيات التخويفية إلا تخويفاً!

فقد كانت الرسل الأولون تترى بالآيات التخويقية بعد أن كانت تأتي بالبينات والزرير والكتاب المنير، والأمم الأولون كانوا ولا يزالون يكذبونها، كناية صالح - وبتق الجبل فوق بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ (٧: ١٧١) وكجعل العصا حية تسعى كأنها جان: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ (٢٧: ١٠) أو ثعبان مبین: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ (٢٦: ٢٣) ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (٢٦: ٤٥) وقد كذبه فرعون فيها كلها!

هذا - بينا تظهر من هذه العصا آيات غير تخويقية أيضاً - كفلق البحر لخلاص بني إسرائيل: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ﴾ (٢٦: ٦٣) وكانفجار العيون من الحجر الصلب: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ (٧: ١٦).

فلما اصطدمت تلكم الآيات التخويقية في الأكثر بتكذيب الأولين، وأنها غير لازمة بعد تكلمة الحجة بغيرها من آيات - لذلك يترك الله تعالى إرسال رسل آخرين بعد الأولين، إرسا لهم بالآيات التخويقية - كعيسى ومحمد ﷺ - فلا نجد لأي منها أية آية تخويقية، بعد آيات أخرى كافية: كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، والإنباء بما يدخر في البيوت، واستنزال مائدة سماوية تكون للحواريين عيداً لأولهم وآخرهم، وآية خالصة لهم من الله - ذلك كله لعيسى ابن مريم ﷺ . وكانشفاق القمر، والمعراج والإخبار بالغيوب و... للإحتفاظ على شاكلة الآيات البصرية من الأنبياء الأولين لخاتم النبيين ﷺ ثم بالأخير آية هامة

خالدة هي أم الآيات وأصل البركات - آية عقلية علمية تربوية تقنينية وما أشبه
عبر الأجيال حتى آخر زمن التكليف .

ألا وهو القرآن العظيم - آيةً لنبوّةٍ وشريعةٍ خالدة - لخلودها دون انقضاء -
رغم غيرها من الآيات الدائرة التي مضت بعد مضي أنبيائها، وصارت مقبورة مع
الأبد!

ذلك بالرغم ممن يستزيد من آيات النبوة دونما تفكير في دلالاتها وأمدّها
وأثرها - فيستزيد ويستزيد أكثر فأكثر إلى أن يختلق للمسيح زهاء أربعين آية
خارقة في حين أنها لا تزيد من أربع .

معجزة وقحة!:

ومن ذلك ما اختلقه بعض كتبة الإنجيل معجزة بادي بدء لنبي الإنجيل -
وحاشاه - ألا وهي اصطناع الخمر من الماء بنظرة روحية قدسية! ففي / يوحنا ٢:
١ - ١١ «وفي اليوم الثالث كان عرس في قانا الجليل وكانت أم يسوع هناك ودُعي
أيضاً يسوع وتلاميذه إلى العرس . ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له : ليس لهم
خمر . قال لها يسوع ما لي ولك يا امرأة؟ لم تأت ساعتي بعد . قالت أمه للخدام : مهما
قال لكم فافعلوه، وكانت ستة أجران من حجارة موضوعة هناك حسب تطهير
اليهود يسع كل واحد مطرين أو ثلاثة . قال لهم يسوع إملأوا الأجران ماءً فلأوها
إلى فوق . ثم قال لم استقوا الآن وقدموا إلى رئيس المتكأ فقدموا فلما ذاق رئيس
المتكأ الماء المتحول خمراً ولم يكن يعلم من أين هي - لكن الخدام الذين كانوا قد
استقوا الماء علموا . دعى رئيس المتكأ العريس . وقال له : كل انسان إنما يضع

الخمر الجيدة أولاً ومتى سكرنا فحينئذ الدون . أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة إلى الآن ؟ هذه بداية الآيات فعلها يسوع في قانا الجليل وأظهر مجده فأمن تلاميذه! فهل إن افتعال الشيطان يليق بساحة النبيين أن يفتعلوه ؟ هذه الخمر التي تهدم العقل والمرءة هل تصلح آية بينة لنبوة المسيح ﷺ! في حين أن التورات وكذا الإنجيل يصرحان بحرمتها بأغلظ ما يكون، وأنها تقضي على العقل والإنسانية - فما لمسيح الإنجيل إذا يريد خرق العادة لأول مرة دلالة على نبوته ، ما له لم يحول الخمر ماءً! كي يمنع من في المجلس عن شربها، ويحفظ عملياً على عقولهم وكرامتهم، فيكون في ذلك دلالتان على نبوته ودعوته المقدسة - فماله يصطنع الخمر رغم حرمة، ويشاركهم في الإثم ويقنطر الباطل برهنةً على حقه من النبوة - إن هذا إلا اختلاق وما كيد الكافرين إلا في تباب!

ثم عجباً من تلاميذه كيف آمنوا به حينذاك - لما رأوا خارقة اصطناع الخمر - ولم يؤمنوا به من ذي قبل - إذا فكيف كانوا من تلاميذه ؟ أتلاميذ الخمر وأتباع الباطل!

والقرآن - إذ هو مهيمن لما سبقه من كتاب - يعتبر اصطناع الخمر من فعل الشيطان، حيث تثير العداوة والبغضاء، وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة، ويبدء في ذكر معجزات المسيح بإحياء الموتى، أجل إنه كان يحيى الموتى حياتاً مادياً كما كان يحيى ميت الأرواح والقلوب - والإنجيل ينال من ساحته إذ يعزي إليه اصطناع ما يميت الأبدان والقلوب والأرواح .

كما في اشعيا «إنهم ضلوا من الخمر والمسكرات يعمهون - فيخطئون في الرؤيا ويسهون في الفتيا» اشعيا ٢٨ : ٧ .

وحينذاك ترجع نسبة هذه المعجزة الوقحة إلى المسيح - إلى أنه - وحاشاه - من المضلين الخاطئين، بدل أن يكون من الهادين المعصومين!
فلو لم تكن لمسيح الإنجيل آية معجزة لكان ذلك أسلم لساحته عن مثل هذه المعجزة الفاسقة الماردة.

ذلك! بالرغم من أن العهدين يجرمان الخمر إطلاقاً لحدِّ الرِّجم وما أشبهه^(١)
ونرى أنّهما قد ينسبانها إلى أنبياء ربّانيين كمثل نوح^(٢) ولوط أنّهما شرباها فسكرا
وزنيا بنات لهما^(٣).

ويتهم العهدان رسلاً بما يقلُّ حتى من الفساق والكفار، كصناعة عجل ذهبي
في تغيب موسى عن هارون عليه السلام^(٤) ضد تصاريح قرآنية في مواقفه القيمة
الرسالية^(٥).

وأن سليمان عليه السلام تساهل عن ذكر الله ونسيه وتزوَّج نساء مشركات سبعائة
دائمة وثلاثمائة منقطعة. وبني لكلِّ معبداً فوق الأتلال^(٦) وقد أضلّنه على كبره لحد

(١) كما في لاويان: ١٠: ٨-٩. وفي أشعيا ٥: ١١-١٢ و ٢٢ وفيه ٢٨: ١ و ٣ و ٧. وفي ناحوم ١:
١٠-١٢ وفي هوشع ٤: ١١ و ١٨ وفي أمثال سليمان ٢٠: ١ و ٢ وفيه ٢٣: ٢١-٢٢ وفي لقوا ١:
١٥، نرى فيها أنكاراً شديداً على اصطناع الخمر وبيعها وشاربيها، أكثر من القرآن، كما فيه
آيات خمس صريحة في حرمتها.

(٢) كما في التكوين ٩: ٢٠-٢٤ / وثمانين آية قرآنية تحرم الاثم، وفيها إثم كبير!

(٣) كما في التثنية ٩: ٢ ومزمور ٨٣: ٨.

(٤) سفر الخروج ٣٢: ١.

(٥) ٧: ١٩٤.

(٦) ملوك الأوّل: ١-٩ و ٢ تواريخ ٧: ١١-٢٢.

الاشراك بالله^(١) وفي سلطته الجبارة أجبر شعبه على خدمات وماليات ظالمة لحدّ تظلموا إليه في جلوس يربعام^(٢)؛ ولكن القرآن يصف سليمان بكلّ خير في رسالته وسلطته (ص: ٣٠) ثم ينال العهد العتيق من ايوب أنّه إشتكى على الله في محضر من التّاس^(٣) والقرآن يقول فيه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٣٨: ٤٤).

موقف الإنجيل السلبي من الإعجاز:

وهناك مواقف سلبية لمسيح الإنجيل من آية معجزة ، حيث المسيح نفسه كما تحدثت عنه الأناجيل المتداولة - كان يضيق بطلب الآيات والحوارق والمعجزات ... فحسبه آيات الوحي المقدس لمن لهم عقول يتوخون إعمالها - وما أقل هؤلاء بجانب العوام والطغام الذين يريدون ما يشده الحس ويأخذ بالأبصار :

«حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين : يا معلم ! نريد أن نرى منك آية ، فأجاب وقال لهم : جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تُعطى له آية إلا آية يونان النبي - لأنه كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاثة ليال - هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاثة ليالي» / مت ١٢ : ٣٨ - ٤٠ / لو ١١ : ٢٩ : ٣٠ / .

وظاهر أن المسيح يشير هنا إلى رفعه، وهذا أمر لن يكون إلا بعد انتهاء حياة

(١) ملوك الأوّل: ١١-١-٨ ونحميا ١٣: ٢٦.

(٢) ملوك الأوّل: ١٢: ٣-٢٠ مقابل شموئيل الأوّل ٨: ١٠-١٨.

(٣) ايوب ١٠: ١ و٢ و٧.

رسالته في دعوته ، وما معناه إلاّ صرف الأنظار عن المعجزات والحوارق بلباقة -
طوال حياته على الأقل !:

«فخرج الفريسيون وابتدءوا يحاورونه طالبين منه آية من السماء لكي يجربوه
فتنهّد بروحه وقال : لماذا يطلب هذا الجيل آية ؟ الحق أقول لكم : لن يعطى هذا
الجيل آية» و :

«... هذا إذا سمع أن يسوع جاء من اليهودية إلى الجليل ، انطلق إليه وسأله أن
ينزل ويشفي ابنه لأنه كان مشرفاً على الموت فقال له يسوع : لا تؤمنون إن لم تروا
آيات وعجائب !» / مر ٨ : ١١ - ١٢ / يو ٤ : ٤٧ - ٤٨ /

«وجاء إليه فريسيون والصدوقيون ليجربوه فسألوه أن يريهم آية من السماء
فأجاب وقال لهم : إذا كان المساء قلتُم : صحوا - لأن السماء حمراء ، وفي الصباح:
اليوم شتاء ، لأن السماء حمراء بعبوسة ! يا مرائون تعرفون أن تميزوا وجه السماء وأما
علامات الأزمنة فلا تستطيعون» / مت ١٦ : ١ - ٣ / لو ١٢ : ٥٤ - ٥٦ / .

ذودٌ عن ساحة محمّد والمسيح ﷺ :

هذا ! ... ولكن القول الفصل هناك وهناك - في محمّد ﷺ والمسيح ﷺ
أنهما إنما كانا ينفيان الآية المعجزة المقترحة فيما لا حجة فيه لمتحرى الحق أو لا يعود
بالنفع على متطلبه بل ضلالاً على ضلال - حيث لم يكونوا يريدون إلاّ التعتُّت
والهزاء والإيذاء - وحاشا آيات الحق ودلالات النبوت أن تصبح لعبة اللاعبين
وهزاء المستهزئين !!!

كلنل اينكر صال الأمريكي ومعجزات المسيح :

يعترض هذا الفيلسوف الإنجيلي على معجزات المسيح قائلاً: إنني وإن كنت لا أصدق معجزات نبي الإسلام ولكن أدلته الدالة على نبوته أكثر من المسيح، وليست الاعتراضات الواردة على معجزات محمد ﷺ بقدر ما يرد على المسيح!

اويد شتراوس^(١) :

«يقرر أن الروايات التي تتضمن خوارق الطبيعة أساطير خرافية وينبغي إعادة كتابة حياة المسيح متحررة من هذه الأساطير» ...
ثالث المواقف السلبية القرآنية - وهو بالنسبة لشاكلة معجزات الأنبياء الأولين :

المعجزة العقلية والحسية :

القرآن الحكيم - كما قدمنا من ذي قبل - يريد ولا يزال خرق استيناس الناس بالمعجزات البصرية - ثم إيناسهم بمعجزة خالدة - عقلية وعلمية ، هي القرآن نفسه - وانطلاق البشرية وتحللها عن الإخلاق إلى أرض المعجزات الحسية إلى مجالات واسعة النطاق ، خارجه عن حدود المعجزات البصرية السالفة - وتوجيههم إلى التفكير في معجزة تؤدي مؤدياتها وزيادة : هي خلود النبوة والشريعة -

(١) ١٨٣٥ م .

ختم الرسالة يملي على الخاتم ﷺ تناسي المعجزات الحسية

الدائرة:

أجل وإنه لا مناص للنبي الختم عن الإنطلاق والتخلص عن تلکم المعجزات المؤقتة الدائرة - إلى معجزة باقية خالدة عبر القرون، لكي تفسح المجالت للأجيال في طول الزمن وعرضه ، تفسح للبرهنة والإستدلال على حق الدعوى إلى آخر زمن التكليف -

ويكفيه آية لعدم ختمه أن لو اكتفى بالمعجزات الحسية!

فلو أن محمداً ﷺ اكتفى بإظهار شاكلة المعجزات البصرية الغابرة - كان ذلك من أدل الدلائل على عدم خاتمته - كيف لا والأجيال المستقبلية بعد عصر النبي ﷺ - تترى جيلاً بعد جيل - هم أيضاً بحاجة ماسة كأسلافهم إلى ركن وثيق وبرهان عريق - يدهم على نبوة نبي القرآن، ولا حجة في المعجزات المنقولة عن الأسلاف لمن لا يدين دين الإسلام بل ولا للمسلم إلا تقاليد! وليست دعوة القرآن محصورة فيمن يؤمن به من جراء تقاليد المسلمين الأولين، بل إنه دعوة لكافة المكلفين ما دامت الشمس تطلع في آفاقها وتغرب -

فلو لم يكن لهذا النبي معجزة خالدة ، فأين خلود الدعوة؟ وأين خلود البرهنة على صدقها؟ وأنى هي الوسيلة المبررة لحق النبوة له؟ وأنى قام للإسلام سوق؟ فأين له وأنى!!!

لذلك كله لا يحنُّ القرآن إلى إجابة المقترحين في شاكلة معجزات النبيين

الأولين إلا شذراً نزرأ - ولكي يجمع نموذجاً من الحوارق الحسية العابرة إلى الأدلة العقلية الخالدة الخاصة به ، رمزاً إلى كمال الشريعة وخلودها :

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ﴾ (٤٨ : ٨) ...

لا يراد من المعجزة إلا الحجة :

هناك يذكرهم بخطهم في دعواهم وشماهم في مبتغاهم : أنكم لا تريدون بذلك لتؤمنوا، فإن كنتم تؤمنون فلماذا كفرتم بما أوتي موسى، تعزونه وأخاه إلى السحر؟ ولم قتلتم من جاء بالبينات وبالذي قلتم من رسل الله، ولئن ابتغيتم الإيمان برسول الله فلم يكن عليهم إلا أن يأتوا بحجة بينة من عنده تعالى كيفما كانت شاكلتها، ما دامت هي حجة قاطعة بينة، وليس عليهم أن تكون معجزاتهم أمثالاً وأشباهاً على سواء، كلا! إلا أن تكون حجة لدعواهم كيفما كانت .

فلو أن موسى يأتي بينات من يده وعصاه، لم يكن على عيسى أيضاً أن تكون له خارقة يد وعصى، تأتي بمثل ما أتى به موسى :

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةً كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (١١٨ : ٢).

أجل - من أراد الهدى هديناه بما بيناه من آياتنا البينات - لا ما تشتهون من

المقترحات الجاهلة! إما كآيات التي أرسلنا بها من ذي قبل، أو مالا حجة فيها! أو ما هي مستحيلة! مثل أن يكلمهم الله بلا أية واسطة:

﴿ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ (٦: ٤)
 ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٦: ٢٥).

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٦: ٣٧).

أجل إنه تعالى قادر على ان ينزل آية آية وحجة ممكنة مقترحة - ولكنه لا ينزل إلا ما يستصلحه لا كما تشتهون: ﴿ وَلَوْ أَتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ (١٣: ٧١) ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ آيَةٌ لِّيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ * وَتُقَلَّبُ أَفئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ * وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ (٦: ١٠٩ - ١١٢).

أجل إنهم اقسما لئن جاءتهم آية كما يشتهون ليؤمنن بها - لا كما جاءتهم بإذن الله - قل إنما الآيات هي أفعال الله الخاصة به وهي عند الله علماً وعملاً - لا عندي - وهي لا تظهر على أيدي الأنبياء إلا لأجل أن يؤمن بهم المنكرون فتكون

حجة الله على الناس بأيدي رسله - أما إذا لم يؤمنوا بعد إذ جاءتهم ، حينذاك لم تكن الآية المعجزة إلا لاغية ، وتعالى الله وسبحانه عن اللغو والعبث .

أجل إن منكري الأنبياء بين مقترح على رسول الإسلام ﷺ ما لا حجة فيه ، أو حجة لا يؤمنون بها وإن أتى بها ، أو حجة كشاكلة ما أوتي رسل الله من قبل ، فهم من بادي بدءٍ لا يستسلمون لحجج الله إلا إذا وافقت وما يشتهون :

﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ * ... وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ (٦ : ١٥٤ - ١٥٦).

فلا يخلو نبي عن آية بينة ، والله أعلم بما يؤتى أنبيائه من آيات كما تناسبها الظروف والملابسات ، فلا يتبع الحق ما تهواه الأنفس ، والله يعلم وانتم لا تعلمون :

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا آجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَآئِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٧ : ٢٠٣).

﴿قَالُوا لَوْلَا آجْتَبَيْتَهَا﴾ : الآية كما نهواه ، واتيت بآية غير ما نهواه ونستسيغه ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ لا ما تشتهون - وكيفيكم هذا القرآن بصائر خالدة عبر القرون عن كل ما تريدون من آيات وحجج ، فإن فيها رحمة على هدى : هدى لمن يريد الإيمان بالحجة لأنه حجة بالغة ، ورحمة في حين أنها حجة وهدى يدر عليهم غيوث المعارف والعلوم غزيرة خالدة ...

فآيات الله غيث لا تأتي إلا من عنده ، إن حجة أو رحمة وهداية :

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لَلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ (١٠: ٢٠) ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (١٠: ٩٧).

﴿وَمَا تُغْنِي آيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٠: ١٠١) ... ثم وبالأخير: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٍ * يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (١٣: ٣٨ - ٣٩) فله محو ما يشاء من آية سألقة، وإثبات ما لم تكن، فلا تضيق مجالات آيات الله البينات في شاكلة واحدة: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٦: ١٠١).

موقف القرآن السلبي يخص المقترحات الجاهلة المتعنتة:

فليس موقف القرآن سلبياً - وحاشاه - عن آية آية، كلا - إلا في ما يحق سلبه كمثل الإقتراحات الخاطئة فيما لا حجة فيه أو لا تفيد ولا تزيد هدى!

موقف القرآن الإيجابي بالنسبة للعجاز - عموماً وخصوصاً:

رغم اختلاقات الحداد وكل من يحد نظره الخاطئة إلى هذه الفرية البينة: أن لا معجزة لنبي القرآن محمد ﷺ - رغم ذلك كله - فهناك تصارح بالنسبة للموقف الإيجابي القرآني من حيث المعجزات القيّمة ولا سيما الخالدة التي تخصه دون سائر النبيين ﷺ:

إشارات عامة :

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ
النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ (٥٧ : ٢٥).

ورسولنا الأعظم محمد ﷺ من الرسل وهو أفضلهم - لتصريح القرآن -
فهو أيضاً أوتي بينات من عند ربه دلالة على رسالته وهي أقوى وأبقى من بينات
سائر الرسل قضيةً لخلود شريعته ودعوته :

﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ * وَإِذَا ذُكِرُوا لَا يَذْكُرُونَ * وَإِذَا رَأَوْا آيَةً
يَسْتَسْخِرُونَ * وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٣٧ : ١٢ - ١٥) ﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ
آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ أَلَمْ نَعْلَمْ حَيْثُ يَجْعَلُ
رِسَالَتَهُ ﴾ (٦ : ١٢٤) ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا
أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا
وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ﴾ (٢٨ : ٤٨).

اجل إنه أوتي من آيات النبيين ومما لا يتطرق إليه تهمة السحر، وهي آيته
المشرقة الخالدة، ومهما نحى العقل والعلم منحى الرقي والتقدم، كانت تهمة السحر
إليها أبعد وآية الصدق فيه أقرب :

معجزة الانشقاق :

﴿ أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا
سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ * وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أُمَّرٍ مُسْتَقِرٌّ ﴾ (٢٥ : ١ - ٣).

وانشقاق القمر بإشارة الرسول الأعظم محمد ﷺ - معجزة بصرية كونية - رمزاً وتشبيهاً لمتحده ومنزلته الإيجابية بالنسبة للمعجزات البصرية : مضافة إلى الخالدة - وإنما تركز دعوة القرآن وتحديه إلى ركن وثيق عريق خالد هو القرآن نفسه :

المعجزة الخالدة

تحديه أن يؤتى بمثله ولو تظاهر الجن والأنس بمن فيهم من العباقرة ؟

١ - لا يأتون بمثل هذا القرآن :

﴿ قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ (١٧ : ٨٨)..

... ظهيراً بمظاهرات علمية وعقلية وسائر القوآت التقدمية ، طيلة عمر العالم - لا يأتون بمثله وإن في ناحية واحدة من ميزاته واختصاصاته اللفظية أو المعنوية و..

٢ - ولا بعشر سور مثله :

لا فحسب، بل ولا أن يأتوا بعشر سورٍ مثله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فَإِلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١١ : ١٣ - ١٤).

٣- ولا بسورة واحدة:

لا - بل ولو في سورة واحدة: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (٢: ٢٣).

وهذا تحدّد مزدوج مما أنزل ومن انزل عليه .. فأتوا بسورة من مثل محمّد : رجل أمي لم يدرس قبل أن يوحى إليه ولم يقرأ ولم يكتب : ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٠ : ١٦) ثم أتى بالقرآن الحافل لمختلف الحقائق والعلوم .. أجل : فأتوا بسورة من مثل هذا الأمي فانظروا هل تضاهيها ... ؟ كلا وإن من عباقرة العلم والعقل ..

... أو فأتوا بسورة من مثل القرآن ، كالتورات والانجيل : مثله في أصل الوحي - فقايسوا بين آياتها وآي القرآن في شتى النواحي - بل وإن في ناحية واحدة ساذجة هي الفصاحة والبلاغة .

تحدّى القرآن بعدم الاختلاف فيه:

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (٤ : ٨٢).

إختلافاً في شتى النواحي اللفظية والمعنوية ، النواحي التعليمية والتربوية والأنظمة الجماعية والفردية ، الجهات العقائدية والعملية ، اختلافاً عن الواقع الخارجي، واختلافاً فيه نفسه من آية جهة من الجهات - لا ولكنه متناسق في

حق الجهات كلها وهذه آية أنه من عند الله ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ حيث إن من سوى الله تختلف حالاته وتفكيراته في مختلف أزمنة الحياة - فلا يأتي من عند غير الله إلا ما فيه اختلاف كثير وإن كان من نوابع العلم - أو لجنة من الرعيل الأعلى العلمي .. ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً - اختلاف تكاملي لأقل تقدير ، فضلاً عن تضادات كثيرة.

وبالأخير فالقرآن يعتبر نفسه الآية الوحيدة الخالدة لنبيه - يستدل بحكمته على حكمة من انزل عليه وعلى نبوته : ﴿يَسْ * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٣٦ : ١ - ٤).

يبرهن من حكمة القرآن على نبوة نبيه ورسالته على صراط مستقيم - فلا حجة له أقوى منه خالدة ما بقى الدهر -

ثم يصرِّح أن فيه كفاية دوغما حاجة إلى آية آية غيرها: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرًا لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٢٩ : ٥٠ - ٥٢).

أولم يكفهم هذه المعجزات البينة القيِّمة بما فيها من رحمة وذكرى لمن يريد الهدى - فيها حجة على نبوة رسولها - وهي بنفسها ما أرسل به من دعوة خالدة - فهي معجزة ودعوة خالدة : ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ﴾ هذه الآية من آية آية سلفت من النبيين - أجل إنه كاف مع الأبد، وهو شهادة الله بين الرسول وبين من أرسل إليهم :

شهادة خالدة تمشي مع الزمن وأهله - تسير مع الأجيال سيراً حثيثاً رقيقاً - تهديهم
كما يحتاجون وكما يستعدون - تسير مع العلم بأجنحته الخفاقة قائدةً سائقةً قيّمةً في
شقى المجالات الحيوية - تجرى على الكون كجرى الشمس باضوائها المشرقة
المشرّفة:

﴿قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ (١٣):
(٤٣) فقد شهد الله على صدق نبيه بكتابه الذي أرسله به، فلا شاهد أقوى ولا أبقى
من القرآن - حجة علمية وعقلية وفي شتى النواحي عبر الأجيال وطيلة القرون
حتى النهاية - لا كما أرسل النبيون الأولون حيث إن حججهم انقضت مع انقضائهم
وماتت إذ ماتوا - رمزاً إلى عدم خلود دعواتهم وشرائعهم.

مختلف النواحي في إعجاز القرآن

ظاهرة عدم الاختلاف في قول فصل :

تتجلى ظاهرة عدم الاختلاف . أو ظاهرة التناسق ... ابتداءً في التعبير القرآني من ناحية الأداء وطرائفه الفنية :

ففي كلام البشر تبدو القمم والسفوح ، التوفيق والتعثر ، القوة والضعف ، التحليق والهبوط ، الرفرفة والثقل ، الإشراق والإنطفاء ... إلى آخر الظواهر التي تتجلى معها سمات البشر ، وأخصها سمة التغير والاختلاف المستمر الدائم من حال إلى حال ، يبدو ذلك في كلام البشر واضحاً عندما تستعرض أعمال الأديب الفاضل ، أو المفكر الكبير ، أو الفنان الموهوب ، أو السياسي المحنك ، أو القائد العسكري الكبير ... أو أيّاً كان في صناعته : التي يبدو فيها الوسم البشري واضحاً وهو التغير والاختلاف .

هذا ولكن التناسق المطلق الشامل الكامل هو الظاهرة التي لا يخطئها من يتدبر هذا القرآن ، أبداً .

أجل إن الظاهرة الملحوظة في القرآن ظاهرة الثبات في التناسق لفظاً ومعنى ، وإذا تحدثنا عن ناحية التعبير اللفظي والأداء الأسلوبي في القرآن - فهناك نجد

مستوى واحداً سامياً في هذا الكتاب المعجز ، تختلف ألوانه باختلاف الموضوعات التي يتناولها ، ولكن يتحد في الأفق والمستوى ، والكمال في الأداء بلا تغير ولا اختلاف من مستوى إلى مستوى ... رغم ما نجد في كل ما يصنعه الإنسان - أجل إنه يحمل طابع الصنعة الإلهية، ويدل بعدم تغييره واختلافه على صانعه الذي لا يتغير ولا تتوالى عليه الأحوال -

ثم تتجلى لنا ظاهرة عدم الاختلاف فيما يحمله من معاني سامية - المنهج الذي تحمله العبارات ويؤديه الأداء :

١ - منهج التربية للنفس البشرية ومجتمعاتها ومحتويات هذا المنهج وجوانبه الكثيرة -

٢ - منهج التنظيم للنشاط الإنساني للأفراد والمجتمع الذي يضم الأفراد - وشتى الجوانب والملابسات التي تطرد في حياة المجتمعات البشرية على توالي الأجيال -

٣ - منهج التقويم للإدراك البشري ذاته وتناول شتى قواه وطاقاته وإعمالها معاً في عملية الإدراك -

٤ - منهج التنسيق بين الكائن الإنساني بجملته في جميع مجتمعاته وأجياله ومستوياته - وبين هذا الكون الذي يعيش فيه - ثم بين دنياه وآخريته وما يشترج في العلاقة بينهما من ملابسات لا تحصى في عالم كل فرد وفي عالم الإنسان وهو يعيش في هذا الكون بشكل عام .

وإذا كان الفارق بين صنعة الله وصنعة الانسان واضحاً كل الوضوح في

جانب التعبير اللفظي والاداء الفني - فإنه اوضح من ذلك في جانب التفكير والتنظيم والتشريع -

فما من نظرية بشرية وما من مذهب بشري إلا وهو يحمل الطابع البشري ... جزئية النظر والرؤية والتأثر الوقي بالمشكلات الوقتية - وكذلك المناقضات في النظرية أو المذهب أو الخطة التي تؤدي إلى الإصطدام بين مكوناتها، إن عاجلاً وإن آجلاً، كما تؤدي إلى إبداء بعض الخصائص في الشخصية البشرية الواحدة التي لم يحسب حساب بعضها - أو في مجموعة الشخصيات الذين لم يحسب حساب كل واحدة منها ... وإلى عشرات ومئات من النقائص والإختلافات الناشئة من طبيعة الإدراك البشري المحدود، ومن الجهل البشري بما وراء اللحظة الحاضرة فوق جهله بكل مكونات اللحظة الحاضرة - في أية لحظة حاضرة .

وعكس ذلك كله هو ما يتسم به المنهج القرآني الشامل السامي، الثابت الأصول: ثبات النواميس الكونية الذي يسمح بالحركة الدائمة - مع ثباته - كما تسمح بها النواميس الكونية .

وتدبر هذه الظاهرة في آفاقها هذه قد لا يتسنى لكل إدراك، ولا يتسنى لكل جيل - بل المؤكد أن كل ادراك سينتفاوت مع الآخر في إدراكها - وكل جيل سيأخذ نصيبه في إدراكها ويدع آفاقاً منها للأجيال المتقدمة الأخرى - في جانب من جوانب المعرفة أو التجربة ...

إلا إنه يتبقى من وراء كل الإختلاف البشري الكثير في إدراك هذه الظاهرة - كإختلافه الكثير في كل شيءٍ آخر - يبقى بقية يلتقي عليها كل ادراك يلتقي عليها كل جيل ... وهي :

«أن هذه الصنعة - القرآنية - شيءٌ وصنعة البشر شيء آخر.

.. ثم إنه بالرغم مما قد يزعم، ليس القرآن آية في بلاغته وجزالة أسلوبه فحسب - وإلا لم يتعد تحديه العرب العرباء من الجاهليين المخضرمين قبل اختلاط اللسان وفساده - مع أنه قرع اسماع العالمين من الجنة والناس أجمعين :
 ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (١٧ : ٨٨).

وليس التحدي لمجموعه فحسب بل ويشمل آية سورة كاقصر ما يكون - كسورة الكوثر ولها آيات ثلاث !... ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ (٢ : ٢٣).

القرآن معجزة في كلما يمكن فيه الإعجاز - عقلياً وعلماً :

فالتحدي عام بالنسبة لأجزاء القرآن في كل صفة خاصة اشتمل عليه كالمعارف الحقيقية والأخلاق الفاضلة ، والأحكام التشريعية ، والأخبار المعجبية ومعارف أخرى مترامية الأطراف ، لم يشكف البشر من حين النزول عنها نقاباً - وكل واحد من هذه النواحي مما يعرفه بعض الثقيلين دون الجميع، فإطلاق التحدي عليهم ليس إلا في جميع ما يمكن التفاضل فيه من الصفات!

فالقرآن آية للبلغ والفصيح في بلاغته وفصاحته - وللحكيم في حكمته - وللمقنن في تقنيته - وللسياسي في سياسته - وللحاكم في حكمه ، ولكل ذي علم أو فن أو صناعة أو أية فضيلة فيما يمتاز به -

فكل من كان ذالبا يشعر بالقول ويدرك مقاهيم الكلام - هذا إذا تأمل في معانية وأنظمتها لا بد له أن يخضع لديه حيث يراه فوق كلام الخلق :

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (٤ : ٨١) .

لا في ناحية واحدة فحسب بل في شتى النواحي اللفظية والمعنوية - فعدم الاختلاف في القرآن إطلاقاً - في أية ناحية من النواحي - ذلك آية أنه نازل بعلم الله الذي لا اختلاف فيه - حيث الاختلاف آية الجهل والنقص .

فالإنسان - وهو من أجزاء هذا الكون المتحول المتكامل في وجوده - لا يزال يتدرج من النقص إلى الكمال ، متوسلاً في ذلك إلى تفكيراته الشخصية وتجاربه - وإلى المشاورة مع غيره من ذوي جنسه ونوعه - ولا يزال يعثر في كل حين على زلات وسقطات في سالف أفعاله وتفكيرانه - ومن ناحية أخرى إختلاف حالات الإنسان طيلة حياته يستتبع إختلاف تفكيراته وتعبيراته قوة وضعفاً وكماً ونقصاً - .

وهذا القرآن جاء به نبيُّ أميُّ لم يدرس ولم يكتب ولم يتعلم عند أحد من ذوي قبل - أتى به نجوماً متفرقة طيلة دعوته : ثلاث وعشرين سنة ، في أحوال مختلفة وشروط متفاوتة وظروف متهافة: في مكة والمدينة ، في الليل والنهار ، في السفر والحضر ، في الحرب والسلام ، يوم العسر واليسر ، يوم الأمن والخوف ، يوم الكنسة والغلبة ...

أتى به وفيه من الأسس الجذرية من المعارف الإلهية والأنظمة التعليمية والتربوية والتقنيية في جميع أبواب الحاجة الفردية والجماعية - دون أن يوجد فيه أي اختلاف في النظم المتشابهة : «كتاباً متشابهاً مثاني» ولا في المعارف والأصول التي ألفهاها ، لا بالتضاد والتناقض ، ولا في المرتبة : بالنقص والكمال - فأياته متلائمة

متناسقة - متجهة إلى جهة واحدة - ينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض .
 ولو كان من عند غير الله - ولو من لجنة عالمية عريقة من عباقرة العقل والعلم
 - لو جدوا فيه اختلافاً كثيراً - لا قليلاً يسيراً - حيث نشاهد العلماء في كل فن وعلم
 يختلفون في عصر واحد، فكيف بعصور تترى - بل وعالم واحد تختلف نظرياته طيلة
 حياته إختلافات هامة ، فلا يشدُّ سنَّةُ الإختلاف أئمةً شخصية من فطاحلة العلماء -
 قضيةً للنقص وسنَّةُ التكامل فيمن سوى الله ، إلا من يوحى إليه من الله ، وهو
 يرتضع من تدي الوحي، فلا يختلف علمه ولا يتخلف عن الحق الصراح -

النسخ لا يعد اختلافاً:

والنسخ - على قلته في القرآن - لا يعد اختلافاً فيه ، وإنما هو بيان لأمد الحكم
 - ولا تجد حكماً منسوخاً في القرآن إلا وفيه دلالة على أنه سوف ينسخ ، إذاً فلا
 اختلاف - هذا وكما في مختلف الأدوية التي يجوزها الطبيب المعالج - يجوزها تترى -
 كلُّ بعد أخرى - قضيةً إختلاف الحالات في المريض .

أجل وإنه لا اختلاف في آي الذكر الحكيم عند من التقى السمع وهو شهيد ،
 وكلما رقى العقل والعلم وأسرع طيارات العلوم والمخترعات لتيارات الزمن
 بأجنحتها الخفاقة نحو الرقي والكمال ، لم ينل ذلك من معارف القرآن وعلومه شيئاً
 إلا زيادة نور وبهور وظهور - إلا غضاضة وطراوة وسوف يأتيكم نبأه بعد حين .
 فما الفصاحة والبلاغة في ناحية الإعجاز القرآني إلا قشراً من لباب لأولى
 الألباب ، ومع ذلك إنك ترى كل أمة بلغت من البلاغة ذروتها ومن الفصاحة قمتها -

تراها جاثية في جنب القرآن في جزالة أسلوبه ولطافة نظمه - مع افتقاده الأساليب الزور الباطلة التي تزيد الكلام جلائاً وزينة ، ومع اشتاله من المعاني على ما تنفر عنه الشهوات ...

ينعدم فيه جميع انواع المبالغات وقول الزور، وكلما لا ينطبق مع الواقع الصريح - والحق مر - ويشتمل على شتات انواع التحذيرات لمن خالف شريعة الحق والعدل ... ومع ذلك كله لا تكاد تجد آية من آية المباركة توجد كلاً وعتباً - إلا جلاءً وضياًناً! ..

والقرآن على عموم تحديه في ناحية الفصاحة والبلاغة - بين سائر النواحي - يستحيل الإتيان بمثله ولو بسورة من مثله ، بين من ؟ بين العرب العرباء الفصحاء ، فأثر عليهم حميتهم وعصبيتهم أن يأتوا بمثله ولم يأتوا - فقد مضى من أحقاب الزمن وملابسات التاريخ ما يبلغ اربعة عشر قرناً ، ولم يأت بما يضاهيه آت ولم يعارضه أحدٌ بشيءٍ إلا وقد أخزى نفسه وأرغم أنفه -

فلهذا مسيلمة الكذاب يعارض سورة الفيل بقوله : «الفيل ما الفيل وما أدراك ما الفيل له ذنب وبيبل وخرطوم طويل» ويعارض سورة الكوثر بقوله : «انا اعطيناك الجواهر - فصل لربك وجاهر - إن مبغضك رجل كافر» وفي ثالث يخاطب سجاح المدعية للنبوّة : «فنولجه فيكن ايلاجاً ونخرجه منكن اخراجاً» .

كما ويعارض بعض النصارى سورة الحمد بقولهم : الحمد للرحمان . رب الأكوان . الملك الديان . لك العباداة وبك المستعان . إهدنا صراط الإيمان» . وإلى غير ذلك من الهديانات والتقوليات الباردة !

أدب القرآن الخالد:

... اجل - وإنه رغم مختلف التطورات في الأدب العربي طيلة هذه القرون ،
وتكامله في كل جيل مستقبلي أكثر من ماضيه - رغم كل ذلك - لا تجد أيّة نكسة في
أدب القرآن وأسلوبه - كلا : إلاّ تقدماً و بهوراً و ظهوراً - فلا أدب بارعاً أنيقاً إلاّ أنه
يستمد ويستنير من أدب القرآن أدباً على أدب - فأسلوبه أسلوبٌ فذٌ خارق يستقل
عن سائر الأساليب ، ويفضل عليها فضيلة بينة بارعة - مهما مزجت آياته النيرة
بغيرها من عبارات وإن في أفصحها وأبلغها ... وإن في كلام أمير البلغاء رسول
الهدى ﷺ وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ... فكل أديب مهما بلغت
عبقريته في الأدب إنما يتبع أدب القرآن ويمزج بكلامه من آيه لكي يستفيد براعة
ويراعة ...

هذا طرف يسير من ناحية الإعجاز في التعبير حيث أعجزت كل تحرير -
فكيف بسائر النواحي - المعنوية : العقلية ، العلمية ، التعليمية والتربوية ، وما إليها من
وراء اللفظ - حيث تخضع وتعجز كل خريط عبقرية ، وكل رجالات التحقيق في
مختلف مجالات العلوم - العقلية والمادية - التكوينية والتشريعية وما إليها من علوم
و حقائق !!!

صلة القرآن العريقة بكل ما تمس الإنسان من حاجة :

فهل تتمكن البشرية - ولو تظاهرت في كل طاقاتها وإمكانياتها - أن تشرّع
أحكاماً تامة فقهية تحصي جميع أعمال البشر طيلة الحياة البشرية ، من غير اختلاف
وتخلف ، مع الإحتفاظ على روح التوحيد وكلمة التقوى في كل حكم ونتاجه ،

وتسرّب الطهارة في أصله وفرعه؟

وهل من الممكن أن يصدر هذا الإحصاء العجيب والإتقان الغريب من رجل أُمي لم يتربّ إلا في حجر قوم حظهم من الإنسانية أن يرتزقوا بالغارات والغزوات ونهب الأموال ، وان يئيدوا البنات ، ويقتلوا أولادهم خشية املاق ، ويفتخروا بالآباء ، وينكحوا المحارم والأمهات ، ويتفاخروا بالفجور والموبقات ، ويذموا العلوم والكمالات، ويتظاهروا بالجهالات ، وهم على أنفثهم وحميتهم الكاذبة أدلاء لكل مستذل، وخطفة لكل خاطف ؟

... أم كيف أمكن الحجاز - تلك البيئة القاحلة - أن ينبت هذه الزهرة اليانعة :

القرآن ؟ من هذا الأُمي الذي كان بين أيدي أهلها ليل نهار - طيلة أربعين سنة؟ تلك الصحراء المحجوزة عن كل اتصال خارجي ، التي لا يسكنها سوى قوم بدائيين من الوثنيين والمشركين - تلك البادية البدائية الضئيلة الخالية عن كل خير - أرض جرداء بلا كلاءٍ ولا ماءٍ .. كيف تنبت هذه الزهرات اليانعة المعجزة - من يتيم فريد شريد أُمي!

قرآن محمد ﷺ ومحمد القرآن :

فقرآن محمد ومحمد القرآن هما معجزتان هامتان سبقتا سائر المعجزات من أنبياء الله قبلهما - في سباق المعاجيز!

فكيف استطاع هذا الأُمي أن يأتي بكتاب يدعيه هدىً خالدة للعالمين، ثم يودعه أخباراً في الغيب من الغابر والحاضر ومما يستقبل - وفيمن خلت من الأمم وفيمن يلحق منهم - لا بالواحد والإثنين ، في أبواب مختلفة من القصص والملاحم

ومن ... ثم لا يتخلف شيء منها عن جادة الصواب ؟

وهل يتمكن إنسان واحد وهو أحد أجزاء هذه النشأة المتحولة - أن يداخل في كل شأن من شؤون العالم، ويلقي إلى العالمين معارف وعلومًا وقوانينًا وحكمًا ومواعظ وأمثالًا وقصصًا في كل ما دقَّ وجلَّ، ثم لا يختلف ولا يتخلف .. بل زاده تقدّم العلم بهورًا وظهورًا وصدقًا وتصديقًا ؟

فالعلم بأجنحة الخفاقة لا يطير إلى جوِّ إلا وقد سبقه القرآن سباقًا متناسقًا وهو إمامه السابق عليه في كل كشف ورقِّي ...

وبالآخر فالتحدي هنا وهناك عجيب في مختلف النواحي ، لا في ناحية واحدة ، ثم الجزم باستحالة الإتيان بمثله بتاتاً أعجب: ﴿ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾ ولو كان في الطاقة تكذيبه لما توانوا عنه لحظة مع ما أثار عصبياتهم - وما من شك أن تقرير القرآن : أنهم لن يفعلوا - وتحقق هذا كما قرره - هو بذاته معجزة بينة لا سبيل إلى الممارات فيها ، ولقد كان المجال أمامهم مفتوحاً - فلو أنهم جاءوا بما ينقص هذا التقرير القاطع لانهارت حجية القرآن - ولكن هذا لم يقع ولن يقع ﴿ وَ لَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ وإن في ناحية التعبير فحسب ، فضلاً عن سائر النواحي ، أجل وقع من أمثال مسيلمة أمثال ما سلف فرجع إلى تعزيز حجة القرآن أكثر فأكثر بدل أن ينقضها !

عموم الإعجاز لمختلف الطبقات البشرية :

لقد كانت وتكون البشرية في شأن القرآن على طرائق شتى يسلكونها كما تناسب ومحتدهم :

فطائفة منهم وهم أهل الفصاحة والبلاغة العريبتين الرائجتين طيلة الأزمان ولا سيما عصر نزول القرآن ، ولقد كانتنا أشرف علومهم وأكرم مفاخرهم وهم امرائها العالمون باساليبها - الحاملون أعلامها - والمحيطون بأسرارها - أصحاب الخطب الطنّانة والقصائد الرنّانة ..

فلما تحداهم الرسول ﷺ بالقرآن وبعشر سور مثله ، وبسورة منه وإن كانت أقصرها - مدعياً عجزهم بدءاً ختم أن يأتوا بمثلة : «وان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار» وطبيعة الحال تقضي أن تنير هذه الدعوى المرغمة المذلة طيش العصبيات العارمة فيهم - لأن يجمعوا جميعهم فيعارضوه بما تحدى - حال أنه كان ينوّه بذلك في كل محفل ، مشهراً له في كل جحفل - وفي حين أنه كان يسفّه أحلامهم - في عاداتهم وعباداتهم ليل نهار

هل هذا سحر يؤثر ؟

مع كل هذه المثيرات المغيرات المخزية، أخذوا يتأملون في آيه المنيرة ويسبرونها بمسبار التبيان - يقلبونه ظهر بطن - يتدبرونه ... فلم يأتوا بعد ذاك

وذايك إلا قول وحيدهم : إن هذا إلا سحر يؤثر .. :

سحر نعجز عن الاتيان بمثله لسحره - ولكنه يؤثر .. يبقى طيلة عهود - دون سائر انواع السحر التي تبطل بعد قليل ... فلم يأتوا بالأخير إلا اعترافاً بالعجز وإن تقوّلوا معه : إن هذا إلا قول البشر ... فلو كان هذا من قول البشر - هذا الذي لم يدرس طيلة حياته قبل نزول القرآن - فكيف تعجزون عن الاتيان بمثله - فهل هو فوق البشر - أم أنتم دون البشر ؟

أجل إنه ظهر - لهم بالأخير - أن هذا القرآن بلغ مرتبة سامية في الفصاحة والبلاغة لا تبلغها القوى البشرية ﴿ وَ لَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ ولو جأؤا بشيء زعم المعارضة ، لجأؤا بالعث البارد ، وأصبح سخريّة عند الصادر والوارد .. لذلك إن الفصحاء منهم - ومن يليهم - صدقوه في واقعه السامي ، وإن أنكره وكذبه من شرح بالكفر صدراً ، فعليهم غضبٌ من ربهم ولهم عذاب أليم - .

ثم طائفة منهم كانوا من أهل الخبرة في نقد الكلام ومعرفة الصفات الفاضلة فيه ، وتديير أساليبه التي تروق ذوي الألباب ، ومشتملاته التي تأتي بالعجاب ، فظهر لهم بعد التأمل أن في القرآن ميزات سامية ، لا يمكن إجتماعها في مجموعة كلام مها تأتق فيه واضعها ، واتسع اطلاعه على الماضي والحاضر والمستقبل ، وأحوال الأمم في شؤونها أجمع ، والإحاطة في جميع الفنون والآداب والحكم والسياسات ، وتحري في عدم المضاربة والتناقض - وحسن الأسلوب مع الإنفراد ، والتحلل عن الأساليب المألوفة ، فلا يمكن إلا أن يكون القائل هو الله تعالى جل شأنه العزيز :

حيث وجدوا القرآن يخبر عن غيوب مستقبلة أتت وفق أخباره - كوعوده الرسول واتباعه : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رُسُولَهُ الرُّبِّيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ

الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ
تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٤٨ : ٢٧﴾ .

ويخبر عن قصص الأولين كخبر شاهد لها ، وعن الضمائر من دون ظهورها
عن أصحابها ، ثم هو مع اتساع مجاله في كل فن : من أخبار وأحكام ومواعظ
وأمثال وأخلاق وآداب وترغيب وترهيب ومدح الأخيار وذم الفجار - والتحذير
عن قبائح السجايا ومواقع الدنيا - وتدبير السياسات - ومراعاة الأوداء ، ومدافعة
الأعداء ، ومجادلة الخصوم ، وتبكيك الطعام ، وإقامة الدلائل على وجود الباري
وتوحيده ، وعلى الحشر والنشر ، ودفع الشبه وإزالة الريب ، ووصف دار النعيم
وأحوال سكانها ، ودار المجيم وأهوالها ، ووصف عالم السماوات وما فيها من
الآيات - ووصف الأرض وجبالها وسهولها ... وحتى يصح القول : إنه لم يُبق عالماً
من العلوم - للأوائل والأواخر - إلا صرح به أو أشار إليه - على أساليب متنوعة
وطرائق بديعة، من دون تضارب ولا تناقض - فلكل متحرٍ عن الحق حجة بالغة في
القرآن تبلغه لحد الكفاية دلالة على أنه من عند الله العزيز الحكيم .

ذكریات من معجزات القرآن العلمية على ضوء الاكتشافات الحديثة

القرآن إمام قدامي في شتى الرحلات العلمية وخلفه جمهرة التفكيرات
والمفكرين النابغين .

القرآن له السباق في شتى الميادين العلمية دون اختصاص بالعلوم الروحية -
القرآن يحرض الإنسانية بدء ختم وليل نهار ، على مزيد النظر والتفكير في
مختلف المواضيع التي يستعرض : من قوانين وعلوم مادية وغيرها .

تحريض القرآن على العلم ومزيد التفكير من براهين وحيه :

من آيات الصدق البينات في أي صاحب دعوة إلهية ورسالة غيبية - ألا
يحترز عن العقلاء ، وعن التقدم المتواصل في العقل والعلم ، والنظرات العلمية
المتقدمة - كلا - بل وعليه تحريض البشرية على النظر والتفكير وازدياد العلم
وازدهاره أكثر فأكثر - ولكي يظهر لهم الحق في دعواته أكثر فأكثر - ذلك وثوقاً بما
عنده من العلوم الغيبية الحقيقية -

رغم دعاة الباطل ، الذين لا يرتضون من الشعوب إلا السدج العوام ، الذين

حظهم من الإنسانية هو الشهوات المادية على حد الحيوان ولا يعقلون إلا ما يبصرون!

ولذلك تراهم يمنعون أتباعهم عن البحوث العلمية والمناظرات المختلفة ويؤكدون عليهم في الترسُّب والتصلُّب على التقاليد الجاهلة العمياء ، كيلا تفشل دعواهم - حيث العلم نور - يميز به حق الدعوى عن باطلها -

ورغم العلماء الذين لهم حظ من العلم في ناحية أو نواحي من مختلف العلوم المادية ، فإنهم برزخُ بين الصنفين - لا يعتمدون على علومهم ذلك الإعتماد الذي يجعلهم في الذروة ، بحيث ينكرون أن هناك فوقهم عليم عنده مزيدٌ - ولا أنهم يجهلون كدعاة الباطل لكي يحتزوا عن تقدم العلم ورقيةً ، فتراهم يبغضون الجهل ولا يتحدون العلم في علومهم ، ولا يدعون أنهم في القمة إلا ويفتضحون لأمد قريب أم بعيد .

وحينذاك فإذا قد نرى رجلاً أمياً لم يدرس ولم يكتب طوال حياته قبل الدعوة ، ثم يأتي بكتاب يبحث عن مختلف الشؤون في شتى المجالات العلمية ، ثم نجده يعرض البشرية أشد تحريض لمزيد التأمل والتبصر والتفكر طوال كتابه - ثم يتحدى العالم دون أن يقف لحد - يتحداهم أن يأتوا بمثل ما أوتى : في أية ناحية من نواحيه - ولم يأت لحد الآن ، وحتى النوابع العلمية ، ما يقارن أو يداني أية ناحية من نواحي القرآن .. فهلا يدل ذلك على صدق دعواه؟!!

أجل - وإن القرآن يتحدى العالم دون ستار وفشل ، وهو الغالب في تحديه لحد الآن ، وفيه الكفاية لمن يتحرى عن الحق الصراح ..

نظرية القرآن في خلق الإنسان

... فتراه إذ يستعرض بيئة الإنسان من بدايته لحد ولادته ، يأمر البشرية لتنظر مم خلق ؟ : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ (٨٦ : ٥) لكي يتذكر عن غفلته وأن له وعليه حافظاً من ورائه ، وهو ربه الذي خلقه وصوّره : « في أي صورة ما شاء رّكبه » : في رحم أمه - ثم لكي ينظر وينظر لحد الآن : في جرثومته الأولى لخلقته ، فيتطلع بعد قرون إلى ما نبأه العليم الخبير قبل أربعة عشر قرناً - أنه :

﴿ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ (٨٦ : ٦ - ٧).

فهذه الجملات الجميلة والانبئات الغيبية تصدر من لسان رجل أمي في ظروف بدائية جاهلة من عرب الحجاز - وفي الظروف العالمية في ذلك القرن العتيق - وكانوا لا يرون الولد إلا من الأب فحسب - أو الأم فحسب ، أو الذكر من الاب والأنثى من الأم ، ولا أحد يحتمل أن الولد من النطفة الامشاج : من خليط النطفتين ، فرغم هذا وذاك وذاك نسمع الصرخات المدوية من تصاريح الذكر الحكيم :

إن الإنسان ﴿ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ (٨٦ : ٦ - ٧) ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (٧٦ : ٣).

ومن ناحية أخرى أيضاً ما كانت تعلم البشرية من جرثومة الإنسان إلا أنها ماء المنى كله ، وأنه جسم سيال ضئيل ميت - حتى قرعت سمعها آيات بينات في تصاريح :

المني بحر لجي من ملائین النطف : الدوات العلقية :

قرعته : أن ليست الجرثومة الأولى هي المني كله ، وإنما هي : علقة من علق ونطفة من مني يمني - سلالة من هذا الماء المهين وكما يقول :

﴿ أَقْرَأُ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ (٩٦ : ١ - ٢).

﴿ أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴾

(٣٧ : ٣٨).

﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَّهِينٍ ﴾ (٣٢ : ٨).

فذه التصاريح تقرر أولاً : أن مبدء خلق الإنسان هو جنس العلق ، في حين تُقرر آيات أخرى أنه المني ، فالمني هو العلق بعينه والعلق هو المني كذلك ، اعتباراً بأن المني بحرٌ لجي فيه أفواج من الحيوان العلقي على شبه العلقة تموج في اليم المنوي وكما ترى هكذا من المكبرات - فالجرثومة الإنسانية واحدة من هذه العلقات الساذجة في البحر المنوي - فهي إذاً سلالةً من ذلك البحر ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ ﴿ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ﴾ .

ثم هي تصرح ثانياً : أن الجرثومة لا تقف في تسللها عن المني - بل النطفة التي تصير جنيناً ، إنما هي سلالة من هذه السلالة : ﴿ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَّهِينٍ ﴾ .

فهناك تسلات : إحداها تسلل البيضة من المني وثانيها تسلل النطفة الأمشاج مزيجاً عن النطفتين ، وثالثها تسلل الجرثومية من النطفة الأمشاج : من مجموع نطفتي الذكر والأنثى : اللذين يخرجان من بين الصلب والترائب -

يخرج من بين الصليبين والترائب

والصلب ما فيه النخاع الشوكي الذي فيه مجمع الأعصاب ، فلا تتحرك شهوة الإنسان إلا ببعث النخاع الشوكي الذي في الصلب ، فلو انكسر الصلب أو اصطدام لم يقدر الإنسان على الجماع ، ومنشأ النطفة الرجولية إنما هو الصلب وإن كان المنى ينحدر إلى البيضتين -

وقد اعتبر القرآن الماء الدافق من الصلب وهو للرجل ، ومن الترائب وهي مقادير الأثني - يعتبرهما ماءً واحداً وكما يقول : ﴿ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾ إعتباراً بمزجها ومشجها - فلولا هذا الزواج الثاني لم تتحصل النطفة الأمشاج ، ولا السلالة الأخيرة الجرثومية التي هي جزء من هذه النطفة الأمشاج !

السلالة الأولى والثانية و ...

فبداية البيئة الإنسانية أنها في البحر اللُّجِّي العَلَقِي : في منى الذكر ومنى الأثني ، وهذه العلقات حيوانات حية على شاكلة العلقة - وكل إنسان ينشأ من واحدة من هذه العلقات -... ﴿ مِنْ عَلَقٍ ﴾ ﴿ نُطْفَةٍ مِّن مَّيِّ يُمْنٍ ﴾ ...

وهذا المنى سلالة من طين ، ثم نطفة الإنسان سلالة من هذا الماء المهين ، ثم إذ يجعل في قرار مكين من الرحم هو سلالة من هذه السلالة الثانية !:

﴿ وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا * ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾

العلق في المنى ومنه ، خلق الإنسان من علق :

وإذ نجد القرآن لا يستعرض من بيئة الإنسان في خلقه إلا بدايته - من طين أو من ماء مهين ، أو وسائر المراحل إلى ولادته كما في هذه الآيات ، دون أن يستعرض أوساط بيئاته فذة - كالحالة الثانية العلقية والثالثة بما أنها مضغة ، أو صيرورته عظماً أو كسوته لحماً .

وبما أن العلق جنس العلق لا مفردا ، لهذا وذاك نستأنس أو نستدل بالعلق في الآية : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ أنه الحالة البدائية لخلق بعد الطين : هي السلالة من الطين ، وهو ماء الدافق ، وهو منية الذي منه يُبنى دون الحالة الثانية وهي خلقها علقه -

إذاً فالقرآن يعتبر المنى علقاً: بجرأً لجياً فيه الملائين السابجات من العلقات ، وليست النطفة المخلوق منها الإنسان الواحد إلا واحدة من هذه العلقات، واحدة من منى الذكر - وأخرى من منى الأنثى - تزودجان فتصيران نطفة واحدة، فهذه هي النطفة الأمشاج، ثم تقسم هذه الواحدة إلى أجزاء وتختص واحدة منها وهي السلالة الأخيرة - تختص باستقرارها في قرار مكين من الرحم .. ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ والأجزاء الباقية تعاون الجرثومة على نموها ، فالبعض يخدمها غذاءاً لها، والآخر حفاظاً عليها و ..

عود على بدء في خلق الإنسان ، في النظر المقارن :

من القرآن ومن العلوم اليوم :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُّرَابٍ ثُمَّ

مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴿٢٢: ٥﴾ .

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ (٣٧: ٣) .

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ * فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴾ (٧٧: ٢٠-٢٣) .

... ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَانزَلَ لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانظُرْ فَوَن ﴾ (٣٩: ٦) .

﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ (٩٦: ١ - ٢) .

فالعلق هذا - كما أسلفناه - ليس هو العلقه التي هي في المرتبة الثانية من خلق الإنسان، لأنها مفردة وذاك جنس وجمع يشمل الملائين من الدودات الصغيرة، ومن آيات اختلافه عنها أن الآية ليست إلا في مقام استعراض بداية خلقه الإنسان فالمني بحر لحي عظيم فيها الملائين من الدودات الصغيرة المسماة بالعلق - كما وقد كشف العلم بالمكبرات وغيرها هذه البيئة البديعة المحيرة في المنى -

تكوّن الإنسان في ظلمات ثلاث في ثلاث :

١ - ظلمة البطن ، ظلمة الرحم ، وظلمة المشيمة .

٢ - ثم في جدار الرحم ظلمات ثلاث أخرى هي :

الجدُر الثلاثة من بقايا النطفة الأمشاج المعتورة للجرثومة الأصلية .
٣ - وفي نطفة الأثني أيضاً ظلمات ثلاث فإنها حويصلة هي في مُحٍّ ، وهو في بيضة تدفق من ترائب الأثني - فهذه ظلمات ثلاث في بيئات ثلاث !
.. هذه البيضة الدافقة من ترائب الأثني هي كبيضة الدجاجة، لكنها أصغر منها بكثير - قطرها يتراوح بين جزئين أو جزء من عشرة أجزاء ($\frac{1}{2}$ أو $\frac{1}{10}$) من المليمترات ، ووزنها جزء من مليون جزء من الغرام ، وفيها مُحٍّ (CYTOPLASME) وفي المح : الحويصلة الجرثومية (NUELEDE) - التي يبلغ قطرها جزءاً من القيراط ، وفيها تكمن النطفة الجرثومية (NOYAU) التي يبلغ قطرها جزءاً من ثلاثة آلاف جزء من القيراط .

زواج بعد زواج عجيب :

فهذه البيضة تتكون في ظلمة المبيض ضمن حويصلة تسبح في سائلها الألبوميني ، فإذا نمت هذه الحويصلة وازداد السائل الذي في باطنها يتمدد غشائها ويرق ثم ينفجر وتخرج البيضة منها ومن المبيض كله -
فإلى أين تذهب هذه البيضة الصغيرة العزيزة العذراء وحدها في هذا الظلام ؟
إنها على موعد مع العشير الذي تحلم به من غير أن تعرفه ولا أن يعرفها ، فهي تسعى إليه وهو يسعى إليها ، ويتلاقيان في الطريق ، ثم يسيران متعانقين متراوحين إلى بيت الزوجية الأمين المهياً لهما ، ليصنعا فيه من نفسيهما بشراً سوياً -
ولكن هذا الطريق - الملتقى - عبارة عن بوق مظلم مظلم - ضيق ضيق - رفيع رفيع - قطره قطر شعرة يختبئ وراء الرحم ويمتد فيه إلى المبيض - .

فمن أين وكيف يأتي إليه الحبيب للقاء الحبيبة؟ في ظلام ضيق دونما معرفة! .
 هذا الحيوان المنوي الصغير وهو بين مليونين من الحُطَّاب الآخرين وقطره
 لا يزيد عن ستين جزء من ألف جزء من الميلتر $\frac{1}{1000000}$ ميلي متراً - فهو أصغر من
 خطية الكير بكثير - فماذا يصنع لكي يسبق سائر الحُطَّاب فبهذا السباق؟ وماذا
 يصنع الآخرون؟ ليس هناك إلا الخلق البديع لكل واحد منها - حيث خلق الله رأساً
 مكوراً ولرأسه عنقاً لولياً، ولعنقه ذنباً طويلاً يضرب به الماء ويتبَلَّط، وجعل هذا
 الذيل معقوداً بأنشودة لينفكَّ عنه إذا دخل إلى البيضة!

فكل واحد من هؤلاء الذكور كانوا أسرع وأقوى في هذا السباق، فهو يسبق
 مناوئيه إلى جدار البيضة العذراء، فيضرب برأسه جدارها فيدخل برأسه من باب
 الجاذبية / CONEDUT TUACTION / فإذا دخل أغلقت العذراء بابها،
 وقطعت جذبها، وأحصنت فرجها، وصدَّت الملائين من الحطاب الآخرين،
 وردتهم ليموتوا حزناً وأسفاً.

فهكذا تتكوّن النطفة الأمشاج في التسلسل الأول والثاني^(١) - وهذه بداية
 المشج ولما يكمل ...

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾!

ثم الرحم: البيت الزوجي، لمضيف كريم - إنه يستعد ويتهيأ كل شهر
 لاستقبال العروسين وإيوائهما وإطعامهما - فتتنفخ خلايا غشائه المخاطي، وتتسع

(١) تسلسل كل نطفة من صاحبها - ثم تسلسل العروسين منها - ثم الثالث تسلسل المشوج الأخير
 منها كما يأتي .

الشعيرات الدموية، وتنشط الغدد، فإذا تم الزواج استقبل الزوجين على الرحب والسعة - وإن تعرقل الزواج بسبب من الأسباب تميز غيضاً وتمزق أسفاً وبكى على البيضة الميتة دماً غزيراً .

النطفة الأمشاج في التسلسل الثالث :

الزواج بعد ذلك لا يكاد يتم حتى يبدأ العمل المشترك في بناء الانسان الجديد فيمشج الشريكان كل ما عنده بما عند الآخر من عناصر التخطيط: (الكرموزومات CHROMOSMES) وما فيها من الخلق المخلقة: الجينات (GENES) التي خطتها وخلقتها وسوتها يد القدرة، بأقلام الإرث المنحدر عبر الأجيال - من الجدود والآباء إلى الأبناء وأبناء الأبناء - .

سلالة من طين - ثم سلالة منها هي النطفة الأمشاج الأولى من كل من الزوجين - ثم السلالة الأخيرة هي النطفة الأمشاج الثانية، وثم رابعة هي جزء من أجزاء هذه الأخيرة !!!

ومن هذا الإختلاط تتكون النطفة الأمشاج التي اشار إليها أحسن الخالقين .

الماء الدافق كيف يدفق ومن أين ؟

وإنما اعتبرت النطفة على وحدتها جمعاً في وصفها بالأمشاج - كما اعتبرت اثنين في وصفها بدفقها من بين الصلب والترائب، ذلك لمشجها من نطفتي المائين هنا، وللجمعية المحاصلة لها في شتى النواحي هناك - حيث النطفة من كل من الزوجين

دافقة في منيه عن الصلب أو الترائب - بما أنها مجمعان جاذبان يجمعان الماء المنوي عن شتات أعضاء البدن وتراكيبه، فليست المادة المنوية حصيلة عضو واحد فحسب، من خصوص الصلب أو الترائب، وإنما هما الخزانة الأولى التي تجذب بها المادة المنوية - من شتات أعضاء البدن وأجزائه، ثم تنتقل إلى الخزانة الثانية في بيضة الذكر ومبيض الأنثى - وإنما تعتبر الخزيتان الأخيرتان خزيتي الإحتياط - أو الخزينة الأولى هي الفعالة التي تجذب شيئاً فشيئاً، ثم عند الوقوع تجذب دفعاً ودققاً وتُعين الخزينة الثانية - بيضة وميضاً - في دفع المادة المنوية .

النطفة الأمشاج وأمشاجها :

فهذه النطفة المنوية أمشاج قبل الزواج مشجاً بين النطفتين - ثم يتحقق المشج الثاني بازدواج نطفة الذكر والأنثى في البوق - ثم المشج الثالث أن يمشح الشريكان كلُّ ما عنده بما عند الآخر من عناصر التخطيط والخلق المخلقة كما فصلناه، ثم يختص جزءٌ من هذه المشوجة الثالثة بكونها النطفة الجرثومية التي يتكون منها الجنين - فهناك الإنسان حصيلة تسللات وأمشاج ثلاثة - سلالة السلالات - ومشيج الأمشاج !

أجل إن أحسن الخالقين يخلقنا ﴿ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ (٣٢ : ٨)
 ﴿ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ... ﴾ (٧٦ : ٢) ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾
 (٢٣ : ١٢ - ١٤) !

ما هذه الكروموزومات والجينات ؟

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ :

إنها عناصر التخطيط والتخليق والتسوية التي يخلق الله بها المضغة لتكون بشراً سوياً - فرداً يتميز عن غيره من الناس بكل صفاته الجسدية والروحية - ترسم كلها للفرد : المخطوط الأولى من حظه في الحياة -

المضغة المخلقة وغير المخلقة :

فالمضغة المخلقة هي التي يتهيأ لتكون بشراً سوياً . وغير المخلقة إنما تتولى أمر حفظ المخلقة ووقايتها وتغذيتها!

التسلل الرابع والأخير :

هذه النطفة الأمشاج تسير سيراً زهواً بطيئاً في البوق - فلا تنتهي منه إلى الرحم إلا بعد ثمانية أيام أو عشرة - تقوم خلالها بتقسيم نفسها تقسيماً بعد تقسيم لكي تهيئ كل قسم وتعدّه للدور الذي سيقوم به في تكوين الجنين الجديد، أو حفظه وحمايته أو في تغذيته - فتصل البيضة النطفة إلى بيت الزوجية المهياً لها ، فتلتصق بجداره وتبدء خلايا الأقسام عملها العظيم بالتعاون مع بعضها أو مع خلايا جدار الرحم - فتجعل حول الجنين غلاقاً فوق غلاف فوق غلاف :

في ظلمات ثلاث :

أما الغلاف الأول الظاهر الذي يحيط بجميع الأغشية ويسمى (الكورين CHORION) فتتخذ من جانبه اللاصق بجدار الرحم وسيلة للتغذية الأولية، ثم

لتكوين المشيمة العجيبة - وتتخذ من جانبه الظاهر غير الملصق بجدار الرحم وسيلة لوقاية الجنين وحفظه -

أما الغلاف الثاني الباطن فتتسجه بعد ذلك تحت الكورين ليحيط بالجنين إحاطة كاملة من وراء غلاف مائي يحيط بالجنين إحاطة مباشرة - ليقيه مع الغلافين الأولين كل صدمة أو رجّة تأتي من الخارج -

وفي الوقت نفسه تبدأ الخلايا الجرثومية (المخلّقة) التي تكوّن الجنين، تبده سيرها في تطوُّرها من نطفة إلى مضغة و ... كما ذكره القرآن .

ومن المضغة المخطّطة المخلّقة - بكر وموزوماتها المتخالطة وجيناتها يبدء تكوين الأعضاء والأحشاء - كما بدء تكوين أغشية الحفظ والوقاية والتغذية من الخلايا غير المخلّقة - فيقوم قسمٌ من الخلايا الجرثومية بتكوين مبادئ القلب - بينما يقوم قسم آخر منها بتكوين مبادئ المخِّ ومبادئ العمود الفقري - إلى جانب خلايا أخرى تقوم بتكوين مبادئ الأحشاء من الجهاز الهضمي والتنفسي والتناسلي - وإلى جانب آخر تقوم بتكوين العظام - كلٌّ في دائرة اختصاصه -

فلا ينتهي الشهر الثاني إلا وتكاد المضغة تصبح إنساناً كاملاً مُلأً جميع أعضائه وأحشائه وأعصابه :

مصدر النطفة الجرثومية :

هل النطفة الجرثومية من مني البيضة والمبيض؟ أو من ما يدفقه الصلب والتراتب حالة الوقاع؟

لقد أسلفنا أن هنا خزيتين للبادء المنوية - الخزينة الأولى المستوردة وهي الصلب والترائب - فإنها يستوردان المني دوماً بطبيعة الحال من شتات أجزاء البدن باجزائها ويودعانه إلى البيضة والمبيض وهما خزيتنا الإحتياط - والمني الدافق حالة الجماع مزيجٌ عما ينحدر من الخزيتين ، وشاهداً حسياً وجدانياً لذلك أن الإنسان يحس بالفتور والتعب في صلبه كما في البيضتين - وإن كان الضعف إذ ذاك ظاهراً في جميع أجزاء البدن للإستيراد الفجائي منها - حيث تستورد الخزينة الأولى بذب عنيف سريع، المادّة المنوية من مختلف أجزاء البدن - لا كما كانت تستورد في سائر الأحوال - حيث كانت تعمل عمليتها بصورة مداومة ملائمة دونما دفع ودفق - إلا أنها عند الجماع تستورد المني بجذب شديد، وتدفعه كذلك بأشد ما يكون - فهناك دفقان في المني الخارج وهو مزيج المائين - دفق من الخزينة الأولى الرئيسية، وآخرى من خزينة الإحتياط - إلا أنّ النطفة الجرثومية متسللة عن الدافق من الخزينة الأولى : ﴿ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ :

والمادة المنوية في خزينة الإحتياط وإن كانت دافقة إلا أن دفقها يخص حالة الإنزال - لا أن يدفق في سائر الحالات ولو من الخزينة الأولى حيث تنزل منها إليها ببطيءٍ وفتور - وإنما الماء الدافق من الصلب والترائب حين الإنزال هو الذي يستوردانه فجأةً بدفق وقوة ، والآية ترى خلق الإنسان من الماء الدافق من الصلب والترائب، لا الخارج من البيضة فحسب ، وليس إلا المستورد دفقاً عند الإنزال - دون الخارج دفقاً عنده من خزينة الإحتياط فقط - أجل إلا مصاحباً معه ليعلنه في عملياته المستقبلية - .

! ! !

هذا - فلقد نطق القرآن بما لم يكن من المحتمل أن يعرفه الإنسان في ذلك الزمان - في البيئة الجاهلة القاحلة البدائية من عرب الحجاز ، لا سيما من رجل أُمي محض! فهل من عاقل منصف يحتمل أن هذه النظرات الثاقبة الصائبة العلمية في التكوين إلا من ناحية الوحي الإلهي -

فهب إن العلم يطير بإجنحته الخفاقة نحو الرقي بالكثير الكثير - ولكنه يجد نفسه خلف النظرات العلمية القرآنية - ويرى أنه لا يدرك ولا يبصر - مهما أسرع في طيرانه ، لا يدرك إلا رشحات يسيرة من يمه الواسع مترامي الأطراف !

وهذا طرفٌ يسير مما كشفت عنه البشرية من نشوء الإنسان ، ولحد الآن يبقى التقدم والخلود لآي الذكر الحكيم في إشاراتهِ وتصريحاته الحكيمة اللطيفة، وعلى ضوء التقدمات العلمية المتواصلة سوف يتجلى تقدم القرآن عصراً بعد عصر - حتى يأخذ بأزمة الكائن الإنساني ويخلصه من كل أزمة وضلالة وحيرة^(١) رغم الدعايات الزور الناجمة عن القوميات والطائفيات العمياء الجاهلة -

فلا تحتاج الدعوات القرآنية المجيدة إلى زخرفات تزئين آياته البينات حيث إن في آياته كفاية عبر القرون - رغم سائر الدعوات غير القرآنية حيث تحتاج في دعاياتها إلى تزويد الكثير من الأموال والزخرفات الأخرى ولكي تزئين فيحسبها الجاهل حقاً .

فيا أبناء آدم! إلى القرآن ، إلى آياته البينات ، إلى النور الخالص والعلم الحق الخالد ، والله يهدي من يشاء إلى سراط مستقيم .

(١) تجد عديداً منه في تفسيرنا الموضوعي ، مجلد العلوم التجريبية بين الكتاب والسنة .

مقارنات علمية بين القرآن والعهدين في تكوين العالم

المقارنة «١»:

التوراة والتكوين:

تنص التوراة «أن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وتفسرها بستة ليالٍ وأيام - فخلق في الليل والنهار الأول من هذه السنة: النور، وفصل بينها وبين الظلمة: في البدء خلق الله السماوات والأرض وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرفُّ على وجه الماء» / تلك ١: ١ - ٥ /!
«وقال الله ليكن جلد في وسط المياه وليكن فاصلاً بين مياه ومياه فعمل الله الجلد وفصل بين المياه التي فوق الجلد وكان كذلك ودعا الله الجلد سماءً وكان مساءً وكان صباح يوماً ثانياً» (٦ - ٨)

«وقال الله: لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد، ولتظهر اليابسة، وكان كذلك، ودعى الله اليابسة أرضاً ومجتمع المياه دعاه بحاراً. وقال لتنبث الأرض عشباً وبقلاً يبزر بذراً وشجراً ذا ثمر يعمل ثمرأً كجنسه بزره فيه على الأرض وكان كذلك. فأخرجت الأرض عشباً وبقلاً يبزر بزرأً كجنسه وشجراً يعمل ثمرأً كجنسه وكان مساءً وكان صباح يوماً ثالثاً» (٩ - ١٣).

«وقال الله لتكن أنوار في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل وتكون الآيات وأوقات وأيام وسنين - وتكون انواراً في جلد السماء لتنير على الأرض وكان كذلك فعمل الله النورين العظيمين - النور الأكبر لحكم النهار ، والنور الأصغر لحكم الليل . والنجوم - وجعلها الله في جلد السماء لتنير على الأرض . ولتحكم على النهار والليل ، وتنفصل بين النور والظلمة وكان مساءً وكان صباح يوماً رابعاً (١٤ - ١٩) .

«وقال الله لتفض المياه زحافات ذوات أنفس حية وتطير طيراً فوق الأرض على وجه جلد السماء فخلق الله التنانين العظام وكل ذوات الانفس الحية الدبابة التي فاضت بها المياه كأجناسها وكل طائر ذي جناح كجنسه وباركها الله قائلاً: إثمري وأكثرى واملاي المياه في البحار وليكثر الطير على الأرض وكان مساءً وكان صباح يوماً خامساً» (٢٠ - ٢٣) .

«وقال الله : لتخرج الارض ذوات أنفس حية كجنسها . بهائم ودبابات ووحوش أرض كأجناسها ، وقال الله : نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا .. فخلقه على صورته - على صورة الله خلقه ، ذكراً وأنثى خلقهم . وكان مساءً وكان صباح يوماً سادساً» (٢٤ - ٣١) .

«فأكملت السموات والأرض وكل جندها . وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل . فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل . وبارك الله اليوم السابع وقدّسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً» / تك ٢ : ١ - ٣ /؟!!

فهذه هامة استعراضات التوراة لخلق الأرض والسموات بما فيها ومن فيها - وهي مخرجة للعقل في تناقضها وتهافتها وبعدها عن العقل والعلم والواقع الخارجي وإليكم أسئلة حولها في جهات :

أصباح ومساءً قبل خلق الشمس؟!

١- ... هنا وهناك في ذكرى خلق السماوات والأرض في ستة أيام - يتكرر تفسير كل يوم بصباح ومساءً - فهل إن هاتين الحالتين - لأرضنا أو العالم أجمع - إلا خلقه وخلق النيرات الدوارة حول الكواكب طالعة وغاربة - حتى يظهر الصباح والمساء؟ فما معنى الصباح والمساء عند خلق العالم!

اضطراب الآيات في زمان الخلق :

٢- تذكر الآيات / ١ - ٥ / أن الله خلق في البدء السموات والأرض - فما هو البدء الذي خلقنا فيه؟ أهو اليوم الأول من الأيام الستة؟ أم يوم فذُ قبلها؟ ثم بعدئذٍ: حينما كانت الأرض خربة وعلى وجه الماء ظلمة وروح الله يرف على وجه الماء! أخذ يخلق النور وفصل بينها وبين الظلمة فدعى النور نهراً والظلمة ليلاً فكان صباح ومساءً اليوم الأول من الستة، حينذاك ألا ينجم لنا من ذلك أن خلق العالم كان قبل اليوم الأول؟ ثم إذ خلق النور فهي المايزة بينها وبين الظلمة ذاتياً - فكيف يحتاج إلى الفصل بعد خلقها؟ أفصلاً بعد حصوله!

أتحصيل للحاصل أم نسيان؟

٣- ذلك: إلا أن صريح الآيات / ٦ - ٨ / أن خلق السماء إنما هو في اليوم الثاني - إذ فصل رب التورات بين مياه ومياه مجلد: جرم قوي صلب - فجعل المياه جزئين: فوق الجلد وتحتة، فدعى الجلد سماءً فهل خلقت السماء مرتين، مرة قبل

اليوم الأول وأخرى في اليوم الثاني؟

أم إن رب التوراة نسي ما فعله قبل ذلك فأخذ يخلق سماء أخرى بعد ما خلق الأولى؟ أو خلق الأولى مرتين؟

٤- وكذلك صريح الآيات / ٩ - ١٣ / أنه خلق الأرض في اليوم الثالث : صباحاً ومساءً - حيث امر بتجمُّع المياه تحت هذه السماء مكاناً واحداً - وأن تظهر اليابسة فدعاها ربُّ التورات أرضاً ومجتمع المياه بحاراً ثم أثمرت الأرض بثمارها فكان يوماً ثالثاً - فهل إن الأرض ونباتها خلقتنا في هذا اليوم معاً؟ أم نباتها فحسب؟ والأرض كانت مخلوقة قبليئذٍ : قبل اليوم الأول - ولكنها كانت خربة فعمرها رب التورات بإنباتها؟

٥- بعدئذٍ نرى الآيات / ١٤ - ١٩ / تصرِّح أنه خلقت أنوار في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل - فليت شعري إذا كان الليل والنهار مخلوقين من ذي قبل - كما في تصاريح الآيات / ١ - ٥ / فما الحاجة إلى خلق أنوار لتفصل بينها في اليوم الرابع - فإنهما مفصولان بذاتيهما ! أفهل يحتمل أو يمكن مضيِّ زمان على النور والظلمة - لا ميز بينهما؟

صباح كمساء إلا في الإسم!

وكذلك تصرِّح أنه عمل الشمس والقمر في اليوم الرابع لحكم النهار والليل - وقد مضى على الدهر ثلاثة أيام صباحاً ومساءً - فهل إن هذه الثلاثة لم يكن فصلٌ بين صباحها ومساءها لعدم وجود الشمس قبل اليوم الرابع؟ فحينذاك ليس الصباح

والمساء إلا مجرد الإسم من دون حقيقة ومسمى - أو كان هناك فصل من دون نيرٍ
يشرق ويغرب؟! أو أن رب التورات سهى ونسي!

إله التورات ذكر وأنتى!

٦- وتختص الآيات / ٢٠ - ٢٣ / اليوم الخامس بخلق حيوان البحر
والآيات / ٢٤ - ٣١ بخلق الحيوان والانسان في اليوم السادس ، خلقها من البر -
وأن إله التورات خلق الإنسان كصورته ذكراً وأنتى! فهل إن الله كمثل الإنسان؟ ثم
هل هو اثنان؟ ذكر وانتى؟ أم واحد مركب منها!؟

إله التورات يحيى فيستريح!

٧- ثم تختص الآيات / تك ٢: ١ - ٣ / اليوم السابع أنه يوم فراغ واستراحة
إله التورات من خلقه - وأنه باركه وقدّسه لأنه استراح فيه من جميع الخلق ... فهل
إن الله عاجز يحتاج إلى الإستراحة؟ ولا منتهى لقدرته!.. ويقول الله رداً عليه:
﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ (٥٠: ٣٨).

فماذا يصنع علماء التورات بهذه المشاكل السبعة في اقتسام الأيام السبعة ، في
كل منها مشاكل - إلا أن يقروا بتحريف التورات - أو يصروا رغم ذلك بأنه وحي
خالص على ما فيه من التناقضات وما يخالف العقل ويختلف عن العلم؟ فيالكتبة
التورات كيف يفتحون هذه الأبواب السبعة كعدد أبواب الجحيم ، يفتحونها في بداية
التورات عندما تأخذ في استعراض التكوين - تزييفاً لها في البداية ولحدّ النهاية!!!

القرآن وخلق السماوات والأرض :

ربي إسحاق أبرنبال : وإنما أيضاً حينما نتلوا القرآن عند تلکم الإستعراضات التكوينية ، نجد من أمثال هذه المشاكل على سواءٍ، إذاً فالجواب - لو كان - ليس إلا نفس الجواب!

المناظر : رجاء استعراضها ؟ لننظر كيف تفكرون في آي الذكر الحكيم ... إن فيها مشاكل لا محيص عنها - أم حقائق ناصعة ، تفكرون فيها بالتفكير الإسرائيلي ، وتفسرونها كشاكلة التورات كما تهواه أنفسكم ؟

ربي : هناك نجد آيات تصرّح أن خلق السموات والأرض كان في ستة أيام - فهل هي إلا أياماً كأيام التورات - صباحاً ومساءً وليلاً ونهاراً ؟ وحينذاك فالمشكلة الأولى مشتركة بين الكتابين!

المناظر : كلا ! حيث التورات تفسر تلکم الأيام : أن كل يوم منها صباحٌ ومساءً - ولا هكذا القرآن : حيث يعني باليوم مطلق الزمان - لا الحادث من حركة الأرض والشمس - أو من أيّة حركة لأيّّة أرض حوله أيّ نير من الشمس .

فهناك آيات سبع تغلق السبع أبواب المجيم ، وتصرّح أن خلق السموات والأرض كان في ستة أيام - كل يوم أو يومين لشيءٍ منها على ما فصل في الآيات من فصلت - وفيما يلي نصوصها أجمع :

خلق العالم في ستة ايام :

١ - ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٧: ٥٤﴾.

٢- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَدَبُرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (١٠: ٣).

٣- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٥٧: ٤).

٤- ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ (١١: ٧).

٥- ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَانُ فَسئَلُ بِهِ خَبِيرًا﴾ (٢٥: ٥٩).

٦- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ (٥٠: ٣٨).

٧- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (٣٢: ٤).

فهذه الآيات تصرّح: أن خلق السموات والأرض وما بينهما كان في ستة أيام - أي أوقات - وأن المادة الاصلية لخلق العالم هو الماء - الآية ٤ - وقد يأتيكم نبأ الفصل بعد حين -

وتصرّح: أن خلق الشمس والقمر والنجوم إنما كان في هذه الأيام فلا شمس ولا قمر ولا أيُّ نيرٍ، فلا ضوء ولا نهار - فلا صباح ولا مساء قبل ذلك - وهذه من القرائن التي تدلنا على المعنى من هذه الأيام - الآية ١ -

وقريئة أخرى هي: أن القرآن قد يعتبر زمان خلق السموات والارض يوماً واحداً - اعتباراً لمجموع ازمته خلق العالم بالنسبة لما قبله: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ﴾ (٩: ٣٦) حيث قوبل يوم الخلق أياً كان - بما قبله - وهذا لا ينافي التصاريح السبعة أنها خلقتنا في ستة أيام - باعتباراً بالأفاعيل المختلفة في أجزاء الزمان لخلقها - فالاعتبار هنا غيره هناك .

الأيام الستة إنما هي الادوار الستة :

وأيضاً فإن أكثر ما يذكر اليوم في الذكر الحكيم يعني به غير مجموع الليل والنهار - أو مقدارهما من الزمان - أو خصوص النهار - كيوم القيامة، حيث لا يتصور له حدٌ ولا نهاية - وإن كان هذا اليوم الواحد أيضاً قد يُعتبر أياماً حسب الأفاعيل المختلفة الواقعة فيه - كأيام الخلق :

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ (١٨ : ٤٧) ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾ (١٧ : ٧١) ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ (٢٠ : ١٠٢).

وإننا نجد إطلاق اليوم على الزمان إطلاقاً في جميع الآي المذكور فيها اليوم وهي (٣٤٩) آية، إلا زهاء عشرين موضعاً منه عني فيها غير ذلك - من النهار أو

هو مع الليل...^(١).

فمن ذلك أيام الله المفسرة بيوم الموت والبرزخ والقيامة ويوم المهدي الموعود عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (١٤: ٥).
ومنه يوم الأحزاب: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ (٤٠: ٣٠).

ووقت الحصاد: ﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ (١٤١: ٧).

ووقت الطعن والإقامة: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ (١٦: ٨٠).

وإلى العشرات من إطلاقات اليوم بمعنى الوقت والزمان محدوداً أو غير محدود - قليلاً أم كثيراً.

وشاهداً آخر على ذلك ما تداوله العرف في محارواتهم كما يقال: يوم لسانان ويوم لحاقان، يوم حار ويوم بارد، الدهر يومان يوم لك ويوم عليك فإذا كان لك فلا تبطر وإذا كان عليك فاصبر فبكلاهما ستختبر، كانت الأرض يوماً شامساً ذائبه ثم ذلت وصلبت ليوم آخر - وكانت يوماً مضطربة في حراكها ثم اعتدلت حركاتها بالراسيات من جلا ميدها ليوم آخر وامثال ذلك من إطلاقات اليوم.

(١) وهذه الآيات هي: ٢: ٢٠٣ و ٣: ٤١ و ٧: ٦٩ و ٢: ١٨٤ و ١٩٦ و ١٥٩ و ١١: ٦٥ و ٣٤: ١٨ و ١٩: ١٨ و ٢٠: ١٠٤ و ٢٣: ١١٩ و ١٩: ١٥ و ٧: ١٦٣ و ٩: ٣.

إذاً فليس المعنى من أيام الخلق إلا أوقاته - لا الأيام المحاصلة من حراك الأرض حول نفسها ، ولا اليوم الربوبي ولا العالمي ولا الذري : الالكتروني ، ولا غير ذلك مما فصلنا البحث فيها في كتابنا حول التكوين^(١).
وقد تختلف هذه الأيام طويلاً وقصراً حسب اختلاف الأفاعيل التي حصلت فيها - كما أن أدوار الأرض مختلفة كذلك.

أزمان قبل خلق الزمان:

ربي : أين الزمان قبل تكوين السموات والأرض - وليس هو إلا ظاهرة من ظواهر حراك المادة .. فأين هو قبل خلقها ؟
المناظر : الآية / ١١ : ٧ / تصرّح : أن السماوات والأرض لم يُخلقا بمادّتهما وهيئتهما معاً في زمان واحد ، حيث كان هناك ماءً فخلق الله منه الخلق بأرضه وسماؤه وما الماء هنا إلا تعبيراً عن مادة تشبه الماء في تشابه أجزائها ، فالزمان حينذاك ظاهرة الحركات في هذه المادة الأصلية ، لا حركات الأرض حول الشمس ، ولم تخلقا بعد ! فليس الزمان إلا انتزاعاً عن الفواصل بين أكوان المادة كيفما كانت : قبل خلق السموات والأرض وبعده - وظاهرة الليل والنهار هي من المصاديق الساذجة المعلومة الزمانية لكل أحد ، وهذا لا يستدعي انحصار الزمان فيه فحسب ...^(٢)

(١) وهو السماوات والأرض في نظر القرآن باللغة الفارسية ، وباللغة العربية في تفسير الفرقان ، التسلسل سيء ومجلد العلوم التجريبية بين الكتاب والسنة في التفسير الموضوعي .

(٢) هناك قول فصل في المادة الأولية المعبر عنها بالماء فصلناه في كتاب كالحوار بين الإلهيين

ستة أيام أو ثمانية :

ربي : أجل - إلا أننا نجد آية التقسيم في «فصلت» حينما تقسم أيام الخلق
تعتبرها ثمانية ، وبينها والأيام الستة في التصريح السالفة تضاداً بين - فهل إن آله
القرآن نسى هنا فأضاف اليومين أو هناك فنقصهما!

المناظر : كلا - بل أنتم نسيتم أن تفكروا فيها كما يحق حيث يقول :

﴿قُلْ أَنتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ
أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِّنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ
فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ * ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ
دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ
سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا
بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٤١ : ٩ - ١٢﴾.

أيام الخلق وأيام التكميل :

فما الأيام الأربعة بعد اليومين لخلق الأرض إلا أيام تكملتها - من جعل
رواسيها وبركاتهما وتقدير اقواتها - وهذه غير أيام الخلق الأصيلة، فهناك بون بين
بين أيام الخلق وأيام التكميل ، فالكون ينحو نحو التكامل من حين خلق دوئنا وقفة:
﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (٥١ : ٤٧) فهذه السماء بما فيها ، دائبة
التوسعة بما قدّر الله من حين خلقها.

→ والماديين وفي تفسير الفرقان، ومجلد العلوم التجريبية بين الكتاب والسنة من التفسير
الموضوعي.

حينذاك فلا تذكر آيات التقسيم إلا أياماً أربعة من هذه الستة - يومين لخلق الأرض ويومين لقضاء دخان السماء سماوات طباقاً -

ثم المقارنة بين الآيات في خلقها في ستة أيام - وبين آية التقسيم المصرحة: أن السماء قبل طباقها كانت دخاناً - هذه المقارنة تنتج: أن لأصل الدخان السماوي نصيباً من هذه الأيام الستة - كصيرورتها سبعاً طباقاً حيث لم يخلق دخان السماء وطباقها في حالة واحدة مقارنة!

حينذاك فاليومان الباقيان من الستة إما أنهما يخصان الدخان وهو أصل الطباق السبعة ، أو يوم له ويوم لخلق الأنجم - أو أحدهما لتسبيح الأرض والآخر لخلق دخان السماء - وما إلى ذلك من فروض فصلناها في كتب أخرى .

ما هي المادة الاصلية لخلق العالم؟

ثم قد نلمس من مقارنة آية التقسيم وآية خلق السماوات والأرض من الماء : أن حادثة الخلق كانت انفجاراً عنيفاً في المادة الأصلية المعبر عنها بالماء، وليست هي من هذه المياه المركبة من H_2O ، وشاهدنا على ذلك الحالة الثانية السماوية للماء وهي الدخان حيث الماء لا يُصعد عند الغليان إلا بخاراً لا الدخان، وهو المستصحب للهب - وحيث لا لهب لهذه المياه التي نعرفها فلتكن المادة الأصلية غير هذه المياه - ذات لهب وانفجار مهيب !

والدخان بهذا التفسير لا يخص المتصاعد من لهب الحطب ومثله - بل يُعمه أو يخص غير أمثال الحطب والبترول ... فما ذاك إلا لهب الانفجار الأول للمادة

الأصلية - الذي أنتج تكوُّن المادة الأصلية السماوية وهي الدخان «ثم استوى إلى السماء وهي دخان» وكذلك الأرضية المحترقة المذابة وهو الزبد الباقي من هذا الانفجار العظيم!

وشاهدًا آخر على ذلك: الحادلة الفعلية لكثير من الانجم والشموس الحارة كمثل الشعري، حيث الدخان: الغاز - الكائن في مركزها - يبلغ من الحرارة زهاء ٢٨٠ مليوناً، وهي أبعد من الشمس من كرتنا الأرضية بـ ٥٠٠٠٠٠ ضعفاً - فكيف يعقل أو يحتمل تولد مثل هذه النجمة الحارة من الماء - إلا من دخان أشد حراً منها - وهو الناتج عن انفجار المادة الأصلية التي أنتجت حرارة أشد من مواليدها كمثل الدخان!

فحصيلة البحث في ناحية كيفية التكوين من ذي بدءٍ - على ضوء هذه الآيات: - أن الماء أي المادة الأولية لخلق الأرض والسماء - اضطرم ناراً - أشد من الانفجارات الذرية أو كما هي ... فأنتجت دخاناً وأزبدت زبدًا - فالأول لخلق السماء بطابقها والثاني للأرض .

وفي الباقرى عليه السلام: كان كل شيء ماءً وكان عرشه على الماء، فأمر الله تعالى الماء فاضطرم ناراً، ثم أمر النار فخدمت فارتفع من خمودها دخان فخلق السماوات من ذلك الدخان وخلق الأرض من الرماد^(١).

وفي آخر «... وخلق الشيء الذي جميع الأشياء منه - وهو الماء الذي خلق الأشياء منه - فجعل نسب كل شيء إلى الماء ولم يجعل للماء نسباً يضاف إلى شيء ...

(١) أصول الكافي .

ثم خلق النار من الماء فشقت النار متن الماء حتى ثار من الماء دخان على قدر ما شاء أن يثور فخلق من ذلك الدخان سماءً صافية...^(١).

ربي : أجل إلا أنه لم يتبين لنا حتى الآن كيفية بيّنة لتقسيم هذه الأيام على الخلق - فما هي ؟

الأيام العشرة!

المناظر : التصاريح السالفة من آيات التكوين في الذكر الحكيم تدلنا إلى : أن خلق الأرض في يومين - أي : وقتين - وكذلك خلق طباق السماء السبعة - ثم لا تصریح هناك لليومين الباقيين - إلا أن المقارنة بين الآيات ترشدنا أن للدخان السماوي نصيباً من هذين اليومين .

وتبيّن أن الأرض بعد ما خلقت - مضت عليها أربعة أيام لأفاعيل ثلاث اكتملت فيها هي : خلق للرواسي والبركات والأقوات .

خلق الأرض في يومين :

ثم هذان اليومان لخلق الأرض بين الفروض التالية :

١ - يومٌ لتكوّن المادة الزبدية الأرضية من الإضطرام الأول في المادة الأصلية ثم يوم ثان لاقتسام الأرض إلى سبعة أقسام : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ (٦٥ : ١٢) يعني : مثلاً في العدد - اعتباراً بأن الأرض في آية

(١) أصول الكافي .

التقسيم جنسها لا أرضنا هذه فحسب .

٢- أو أن اليوم الأول لتكوّن المادة المحترقة الزبدية الباقية من الانفجار والثاني تجمّدها وتصلّبها - وقد نلمس ذلك من قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُؤُولًا ﴾ (٦٧ : ١٥). إعتباراً بأن الأرض كانت شمساً لحالة الذوبان والحراك غير المعتدل - فلم تكن تحنّ للسكنى والعيشة فيها - ثم ذلت بعد شماسها - أن صارت باردة وعُدلت حركاتها : «وعُدّل حركاتها بالراسيات من جلا ميدها»^(١).

٣- أو يقال (إنّ اليوم الأول لهاتين الحالتين، والثاني لدحوها وتحريكها حراكاً معتدلاً : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴾ (٧٩ : ٣٠ - ٣٣).

تكملة الأرض في أربعة أيام - أفاعيل ثلاثة في أدوار أربعة :

دور تكوّن الجبال يشغل يومين من هذه الأربعة : ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا ﴾ .

خلق الجبال - أو تاد الأرض :

لقد كانت هذه الأرض عندما تكوّنت من الإحتراق الهامّ الأول في المادة الأصلية - كانت محترقة مذابة - فجعلها الله ذلولاً - بأن أثّرت برودة الهواء المجاورة لها على سطحها - فأوجدت عليها قشراً من نفسها .. وحينذاك أخذت الأرض تتوج

(١) من خطبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام .

في الأمواج الفضائية وتدور وتسير سيراً - فتكوّنت على سطحها مرتفعات هي جبالها ، قضيةً لقانون الفرار عن المركز -

وكما في العلوي عليه السلام حينما سُئل : مم خلقت الجبال ؟ قال : من الأمواج! (١) أي من الأمواج العارضة على سطح الأرض نتيجةً للحركة الدورية وغيرها ، ولأنها كانت ذائبةً ذاك -

هذا ولكن الأرض - بعد - لم تعدل في حراكها - حيث لم تكن هذه المرتفعات الأولية تكفي لتعديلها في حركاتها - إلى ان أشتدت هذه المرتفعات من فوق الأرض تعلوا من فوقها وعليها ، وتنفذ وترسخ فيها من باطنها ، حتى رست كالأوتاد الراسية فتعانقت من داخل جرم الأرض وارتبطت وارتبكت من قواعدها برباطات شاملة - فاعتدلت حركات الأرض بهذه الجبال الراسية «وعدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها وذوات الشناخيب الشّم من صياخيدها» «ووتد بالصخور ميدان أرضه» (٢).

أجل: ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ (٣٣: ٧٨) في الأرض ، بعد أن خلقها من فوق الأرض ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا﴾ لأن خلق بركات الأرض وأقواتها متأخر عن بداية خلق الجبال: ﴿وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلنَّاسِ لِيُنذِرَ﴾ (١٠: ٤١) في حين أن إرساء تلكم الجبال التي خلقت من ذي قبل لم يكن إلا بعد خلق للبركات والأقوات: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا *﴾

(١) البرهان ١ - ٣٢٧ .

(٢) الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام .

أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢: ٨٩﴾ وهي أوتاد الأرض
تميد بساكنيها عن بأس حراكها: ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ (٧: ٧٨) ﴿وَأَلْقَى فِي
الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ (١٦: ١٥).

وغير خفي أن توتيد الوتد إنما هو بعد تكوينه - وحينذاك فيومٌ لتكوين الجبال
ويوم لتوتيدها وإرسائها في الأرض ... ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا﴾
﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾!

اليوم الثالث دور تكوين البركات:

﴿وَبَارَكْ فِيهَا﴾:

فلما عدلت حركات الأرض بالراسيات من جلاميدها المخلوقة من فوقها بأن
بردت وذلت بعد شماسها - حينذاك استعدت لظهور البركات فازدوجت الذرات
الأكسিজينية والثيدروجينية المنتشرة في الجوِّ فأنتجت الماء وهو أصل الحياة لكل
حي - ولم تكن الأرض قبل ذاك لتحنَّ وتأهل لقبول الحياة والمواد الحيوية فيها ،
لشماسها من أجل حرارتها الشديدة - ولكنها بعد أن بردت واعتدلت، استعدت
لتكوُّن الحياة والمواد الحيوية فيها ، فظهر الماء حينذاك بازدواج ذراته المناسبة في
جوها - وبنزول أمطار من السماء عليها: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾
(٣٢: ٧٨).

فأخذت الأرض - حينذاك - تظهر بركاتهما حيث رُوِّيت بأصل البركات
والخيرات وهو الماء - من عطشها الشديد من ذي قبل - وهذه البركات هيأت جوًّا

صالحاً لخلق الأحياء واقواتها في اليوم الرابع : «هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
ذُلُولاً فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ» (٦٧ : ١٦).

والذلول لغوياً هو الدابة التي ذلت بعد شماس - فلقد كانت أرضنا هذه - منذ
العصور القديمة - شماساً لا تحنّ لراكب - شماساً في حراكها المضطرب ، وفي حرارتها
الشديدة ، وفي ذوبانها ولينها وفي ... ثم ذللها ربها بأن بارك فيها بعد أن جعل فيها
رواسي من فوقها وأرساها في اعماقها -

اليوم الرابع تقدير الأقوات وأهلها :

﴿ وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا ﴾

أخذت النباتات المختلفة تنبت على وجه الأرض والحيوان يظهر جيلاً بعد
جيل ، وأخيراً خلق الإنسان وقد تم خلق الأقوات التي تنفعه .

تداخل الأدوار الأربعة :

حصيلة تكامل كرتنا الأرضية في تلکم الأدوار : أنها أخذت تبرد شيئاً
فشيئاً على أثر الحركة ومجاورة الفضاء ، فحدثت على سطحها مرتفعات يسيرة -
تربوا بعضها على أخرى قضية لاختلاف مناطق الكرة - وحينذاك يُعتبر أواخر
الدور الأول لبعض الرواسي أوائل الدور للآخر - حتى اكتملت الرواسي في
الدورين -

وبين الدورين كانت تحدث عوامل الحياة شيئاً فشيئاً : ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا

وَمَرَعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٧٨ : ٣٢ - ٣٣﴾.

ثم في أواخر الدور الثاني أخذت تظهر البركات بصورة كاملة ، وفي منتهاها الأوقات كذلك، فلا ميز بين هذه الادوار إلا بما يخص كل واحدة منها من التكوين.

مقارنة في أدوار الأرض :

وعلماء معرفة الأرض يقتسمون عمر الأرض إلى خمسة أدوار - يعتبرون الأربعة الأخيرة منها : أنها بعد العهد الأول - الذي لم تكن في الأرض حياة نباتاً، وهو زهاء مليار سنة، في حين أن القرآن يعتبر هذا العهد يومين كما أسلفناه - إلا أن يقصدوا من هذا الدور اليوم الثاني من يومي خلق الأرض - دون أن يعتبروا اليوم الأول وهو يوم خلق جرمها الزبدي من الانفجار الأول من المادة الأولية .

ثم يعتبرون الدور الأول من أدوار تكامل الأرض ٣٦٠ مليون سنة والثاني ١٣٥ مليون سنة وفيها تكونت الجبال والرواسي -

ثم الدور الثالث يعتبرونه ٥٤ مليون سنة وقد كوّنت فيه أكثر النباتات الحالية. والدور الرابع دور طلوع الحياة على الأرض وهو ٢٠٠٠٠٠ سنة وقد خلق الإنسان فيه -

وهذا التقسيم لتكامل الأرض من علماء الطبيعة وإن كان حدساً، ولا سيما في عمر كل دور ، إلا أنه قد يوافق السير الطبيعي في تكامل هذه الكرة الأرضية وقد صدقه القرآن في أصوله بعض التصديق .

أي كل الأنسال الإنسانية، لا - فقط - هذا النسل الأخير .

هل إن الخالق استراح عن تعبته بعد خلقه ؟

فهذا طرفٌ يسير من إشارات القرآن إلى كيفية التكوين - وأخيراً يعتبر القرآن بعد اليوم السادس للخلقة على خلاف ما تعتبره التورات - حيث التورات تصرح : أن الله استراح في اليوم السابع - كأنه تعالى عيبي وتعب في خلقه - والقرآن يزيف هذا الرأي الكافر الدخيل في كتاب الوحي قائلاً : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ (٥٠ : ٣٨) ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِبْ عَنْهُنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُخَيِّبَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٤٦ : ٣٣).

هذا : نتيجةً لهيئته على كتب الانبياء ، ولذلك يندد في هاتين الآيتين بما في التورات : أن الله - وحاشاه - استراح في اليوم السابع عن عمله الذي عمل !!! وكذلك يندد بأكذوبة مماثلة الإنسان ربّه في صورة ذكر وأنثى - قائلاً : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ وقد يأتي تفصيله عند المقارنة بين إله التورات وإله القرآن .

المقارنة «٢» :

اين الأرض؟ أفي جوّ السماء؟ أم على قرني الثور؟ أو ظهر الحوت أو...؟
 الأسقف : نجد التورات تصرح أن الإله الملهم يعلّق الأرض على اللاشيء^(١)
 في حين أنكم المسلمين تعتبرونها على قرني الثور أو على ظهر الحوت ، وحكم العقل والعلم يعضد نص التورات ويفنّد خرافات الثور والحوت !

(١) تك : ٣٦ : ٧ .

صاروخنا الجوي - طائرنا العجيبة؟ ...

المناظر: أول ما نقول: إن تصاريح القرآن تُحيز الأرض في جو السماء وتمثلها طائرة سريعة تحول حول نفسها وتسير دائبة على جادة فضائية وفلك جوي - وما خرافة الحوت والثور إلا من اختلاقات الأقدمين، وقد نشبت في أخبارنا أحياناً كنشوب طرفٍ من الخرافات الإسرائيلية فيها أيضاً - أجل وهناك رواية في باب المزارعة تفسر قصة الثور كما يلي:

سائلٌ من الدهاقين يسأل الإمام الصادق عليه السلام: «إن لي ثورين أزرع بهما الأرض وقد كبرت وضعفت عن العمل - فما رأيك في أن أبيعهما وأعيش خاتمة عمري على راحة؟ أجابه الإمام عليه السلام: لا تفعل فإن الأرض على قرني الثور!»^(١).
إذاً - أليس هذا إشارة إلى أن الزراعة مبنية على قرني الثور - لا أن جثمان الأرض عليها؟

هل إن الأرض على اللاشيء؟

إن الأرض كما أنها ليست على قرني الثور أو على ظهر الحوت - كذلك ليست على اللاشيء فكيف يعقل أن يُحمل أرضنا هذه على كبرها وثقلها على اللاشيء! إلا أن يراد بالشيء جسم صلب تتحيز الأرض عليه - لا مطلق الشيء - حيث الأرض على جادة فضائية - منجذبة في حركاتها بالقوة الجاذبية - فلا تنحرف عن مسيرها ولا تسقط في جو السماء - بما أمسكها الله تعالى - وإليكم بياناً فصلاً في ذلك من الذكر

(١) وسائل الشيعة .

الحكيم وأهله :

الأرض لا يمسكها قرنا الثور ولا الحوت ولا العجل ولا أي شيء كما مثال هذه
- بل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا
مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (٤١ : ٣٥). وهذه من آيات قدرته
وحكمته : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ﴾ (٣٠ : ٢٥).

فلا قوام للأرض والمليارات من الكرات في جو السماء إلا بالله أولاً وأخيراً
بما دعم في ما بينها دعامة القوة الجاذبية وغيرها مما لا يرى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ
السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ (١٣ : ٢). ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾
(٣١ : ١٠)^(١).

«فتم عمد» من عماد القوة الجاذبية أو مما لا نعلمه لحد الآن - عمدٌ «ولكن
لا ترونها» فالجادة الفضائية وأفلاكها أعمدٌ - والجاذبية العمومية التي تمسكها أن
تزلزل عن قراراتها ومداراتها عمدٌ ... ولكنها لا ترى^(٢) ... فليست الأرض على
اللاشيء بل على شيءٍ أو أشياء لا ترى!

وهذا أيضاً رسول الله ﷺ : يدعم السماوات والأرضين بغير عمد مرئي
قائلاً: «نور السماوات والأرضين وفاطرهما ومبتدعها بغير عمد خلقها فاستقرت
الأرضون بأوتادها فوق الماء».

(١) كلمة السماوات إذا افردت عن الأرض تشمل الأرض أيضاً لأنها في الجو المحيط العبر عنه
بالسماوات .

(٢) في الرضوي : فتم عمد ولكن لا ترونها - مجمع البيان عن العياشي عن الحسين ابن خالد
عنه عليه السلام .

يريد ﷺ : أنها فوق البحر المحيط الجوّي بأوتادها الراسيات وسائر القوات.

حركات الأرض في مدار جوي :

وهذا تلميذه الأكبر علي عليه السلام يفسر هذه المقالة ببيان فصل قائلاً : «وأنشاء الأرض فأمسكها من غير اشتغال ، وأرساها على غير قرار ، وأقامها بغير قوائم ورفعها بغير دعائم وحصّنها من الأود والإعوجاج ، ومنعها من التهافت والإنفراج أرسى أوتادها وضرب أسدادها واستفاض عيونها ، وخذّ أوديتها فلم يمين ما بناه ولا ضعف ما قواه»^(١).

... أجل إنه تعالى وتقدس أرسى الأرض لا كإرساء الأوتاد في محالها الثابتة، بل «على غير قرار» أرساها على جادة فضائية مستقرة لا ترى، وهي لا تنزلق عنها رغم حراكها المتواصل ، جادة بيضوية شعاع ارتفاعها عن الشمس (١٥١٩٩٦٠٠٠) كيلومتراً، وشعاع حضيضها (١٤٦٩٩٣٠٠٠) كيلو متراً - فتدور دور هذا الفلك الجوّي البيضوي طيلة (٣٦٥) يوماً - حوالي (٩٥٠٠٠٠٠٠٠٠) كيلومتراً حول الشمس ، في كل ثانية ٧٠٠ متراً -

«أرساها على غير قرار - وأقامها بغير قوائم ورفعها بغير دعائم» فلا هناك قوائم مرئية، ولا دعائم محسوسة - إلاّ دعامات الجاذبيات وغيرها - وفوقها إرادة الله تعالى وفوق كل شيء!

(١) نهج البلاغة .

«حصنها من الأود والإعوجاج ومنعها من التهافت والإنفراج» وذلك على كبرها في حجمها حوالي (١٠٨٣٣٢٠٠٠٠٠٠٠٠) كيلو متراً مربعاً! ووزنها (٥٩٨ بقوة ١٠٢٧) كيلو غراماً.

فهل إن هذه الطائرة العجيبة على اللاشيء - أو على قرني الثور أو ظهر الحوت أو المعز - كلاً - لا ذا ولا ذاك ولا ذياك - وإنما يمسكها الله تعالى بإرادته ويدعمها على دعائم لا ترى - بغير عمد ترونها - فتم عمد وأعمد ولكن لا ترونها!!!

طائرنا الراجفة :

ثم من جهة أخرى هي حركات الأرض في مدارها الجوي يؤكد أنها ليست على دعامة ثابتة بل هي في حراك دائم وأي حراك!

فالقرآن يعتبر الأرض راجفة يسميها باسمها - رمزاً إلى حركاتها المتداخلة قائلاً: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ (٧٣ : ١٤) مشيراً إلى رجفة عنيفة تعترى هذه الأرض الراجفة الدائبة في رجفتها - تعترىها عند تقضي عمرها : ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ (٨٤ : ٣ - ٥) ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ (٩٩ : ١ - ٣) ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ (٦٩ : ١٤ - ١٥) فلو أن الأرض كانت وتكون ساكنة ثم ترجف رجفتها القاضية - لم تسم راجفة قبل قيامتها - وقد سميت بها بما أنها من أسمائها الدالة على حالتها الفعلية من حركات متداخلة - ولقد كشفت البشرية لحد الآن لها أربعة عشر حركة متداخلة أدغمت فيها ، فلا يحق لها أن تسمى متحركة فحسب - لا! إلا أن تسمى راجفة - إشارة إلى كثرة حركاتها وتداخلها!

طائرنا الجوية الكفات :

ومن ناحية أخرى يعتبرها القرآن كفاتاً - طائرة مسرعة في طيرانها قابضةً ما عليها - كيلا تسقط في قعر الأجواء الواسعة - قائلاً :

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا * وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوَاسِيَّ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴾ (٧٧ : ٢٥ و ٢٧) .

حيث الكفات لغوياً هو الطائر الذي يسرع في الطيران قابضاً جناحيه^(١) . فأرضنا هذه طائرة جوية سريعة الطيران - تطير في كل ثانية (٧٠٠) متراً - وهي قابضة ما عليها من أحياء وأموات - بقوة مرموزة جاذبية - تحافظ عليها من السقوط في هُوات الأجواء البعيدة - فهذه القوة تقضي على ما يقتضي قانون الفرار عن المركز حين الطيران : وضعياً وانتقالياً - تقضي عليه إلى حيث لم يحس ساكنوا هذه الأرض - لحد الآن - أنها محكومة بحركات متداخلة كثيرة - إلا من وجهات النظرات العلمية -

أحياءاً وأمواتاً ...

فمن هذه الأحياء الأكسجين التي هي رمز الحياة لكل نبات وحيوان وإنسان وأصل لتولد الماء وغيره من أصول الحياة - ومنها النباتات والحيوان والمجان والإنسان كما وأن من الأموات أتلال الأرض وجبالها وسائر ما عليها .

(١) المفردات ولسان العرب وصاح اللغة والمنجد، والكفات تجمع بين معنى اللزوم : طائرة سريعة، والتعدي : قابضة ما عليها .

فهب إن الأحياء إنما هي ذوات الأرواح وهي تحافظ على بقائها بقواتها وليست .. - فما بال الأموات لا تسقط في مختلف الأجواء نتيجة لحركات الأرض السريعة المتداخلة ...

ذلك لأن الأرض كفات - تقبض ما عليها بالقوة الجاذبية ، ولإعتدال حركاتها بعد شماسها كما في العلوي عليه السلام :

«وعدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها وذوات الشناخيب الشم من صياخيدها - فسكنت من الميدان برسوب الجبال في قطع أديمها» .

وفي آخر : «فسكنت على حركتها من أن تميد بأهلها أو أن تسيخ بحملها أو تزول عن مواضعها - فسبحان من أمسكها بعد موجان مياها وأجمدها بعد رطوبة أكنافها فجعلها لخلقها مهاداً وبسطها لهم فراشاً فوق بحر لجي راكم لا يجري ، وقائم لا يسري ، تُكرِّره الرياح العواصف - وتمخضه الغمام الذوارف - إن في ذلك لعبرة لمن يخشى»!

وفي الصادق عليه السلام : «أن حركات الأرض وسكانها من جملة أدلة حدوث العالم»^(١) .

والعلم لحد الآن كشف للأرض إحدى عشرة حركة : (فيلكس) أو أربعة عشر: «فلا ماريون» : حركات متداخلة - والقرآن ينبيء عن حركات الأرض قبل أربعة عشر قرناً - حينما كان القول بذلك كفراً وخلافاً للحس - .

(١) الاحتجاج للطبرسي والبحار عنه عليه السلام - وهناك آيات أخرى أيضاً تدل على حركات الأرض وكرويتها وبيضيتها فصلناها في بحث تكوين السماوات والأرض من كراسنا حول الموضوع .

وهناك آيات بينات أخرى تدل من شتى الجهات بلطائف الدلالات على حركات الأرض :

فقد جعل الأرض مهذاً: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ (٥٣: ٢٠) ومهاداً: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ (٧: ٧٨).

وحيث إنه لا بد لكل مهده ومهاد من أوتاد تحافظ عليه من السقوط وتربطه في الحراك - لذلك تعتبر الجبال أوتاد مهادنا الأرضي - توتدّها في حراكها الدائم عن مَيدانها: «ووتد بالصخور مَيدان أرضه» .

وهذا المهده يختلف عن غيره - بأن أوتاده لم توتد في غيره - وأن حباله ليست كسائر الجبال المرئية المربوطة إلى ما يربطها - وإنما حباله: القوة الجاذبية - وأوتاده: جباله الموتدة في أعماقها!

سفينةنا الفضائية :

وقد يعتبر القرآن أرضنا هذه مع أخويها: الشمس والقمر - من السفن الجوية السابحة في البحر المحيط في الأجواء - وكما يقول :

﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ﴾ (٣٦: ٣٣) ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (٣٦: ٣٨-٤٠) .

فقد اعتبرت هذه الآية الأخيرة هذه الأنجم المذكورة : من الأرض والشمس والقمر ، تعتبرها ساحة في الأفلاك الجوية - لا كعديم الشعور والإدراك - بل كممثل العقلاء الأذكياء الفائقين في السباحة، دونما غرق ولا اصطدام ولا فتور ولا فشل تشير إلى كل ذلك بضمير الجمع العاقل في: «يسبحون» إشارة إلى إرادة الله العلي القدير، خالق العقول ، التي يمسخها في حراكها بالقوات الرموزة التي ركزها فيها وفيما بينها: «بغير عمد ترونها» وإلى أنها تسبح كأعقل العقلاء رغم أنها جمادات ! ... إذ ذاك فكيف يصدق مقالة «رايد»^(١) : إن نيوتون أول من كشف النقاب عن وجه القوة المجاذبية و«أنيشتاين» آخر من شرحها بجزئياتها!

كلا - حيث القرآن بهذه التصاريح القيمة قبل أربعة عشر قرناً ، يكشف النقاب عن ذلك وعن الكثير مما لم تنله أيدي العلماء لحد الآن - ولا بد لقوافل العلم العباقره ، أن يفتفوا أثر القرآن في نظراته الكونية، مع أنها فيه استطرادية - فكيف بغيرها من نظراته الصائبة الثاقبة في الأنظمة الروحية والجسمية - الفردية والجماعية - وفيما يتعلق بالدنيا والآخرة وما له مساس بأية حاجة من الحاجات - والله من وراء القصد .

! ! !

وبعد اللتيا والتي - فهل إن القرآن ترجمة عربية من التورات أو من أية كتابة من الكتابات الإلهامية وغيرها!!

فهل إن الحداد يفترى أيضاً فريته المكررة : أن القرآن نسخة عربية عن

(١) ماكسول رايد في كتابه النجوم للجميع .

الكتاب الإمام: التورات؟! فهل توجد من هذه الأسرار الكونية شيء إلا ما سلف في سفر التكوين من مناقضات ومهافتات ومما يخجل كل ذي لب ، فلا يدعه إلا أن يعتبرها من التدخلات الجاهلة، احتفاظاً على كرامة الوحي! .

الأسقف : هل يجوّز القرآن هذه الأسفار السماوية بالصواريخ الجوية، وهل يرى أن في أنجم السماء أحياء كمثلنا:

المقارنة «٣»

الأسفار الجوية في نظر القرآن:

الجواب هنا مثبت كل الإثبات - إلا أنه لا مقارنة هنا كما لم تكن في حركات الأرض - حيث العهدان خاليان عن ذكرهما - وإن اعتبرناها مقارنة فهي بحسب العلم اليوم!

فها هو القرن يأمرنا لننظر ماذا في السماوات والأرض - نظرات عقلية وحسية: ﴿قُلِ انظُرُوا مَا ذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٠: ١٠١).

ثم يبشر أن البشر سوف يمر على أي تكوينية في السماوات كما في الأرض - إلا أنه معرض عن الذكرى لخالقها ومبدعها - كما يعرض حتى الآن ، الذين سافروا إلى الأجواء البعيدة - من غير المسلمين ، يبشر قائلاً:

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ (١٢: ١٠٦).

ف: يرون - وإن كان يشمل المرور على كرات السماء وآياته من بعيد ، في تلكم الأزمنة البعيدة الغابرة - مروراً بصرياً من بعيد - إلا أن قضية الاستقبال المستمر - المستفاد من المضارع - شمولها لما سوف يأتي وقد أتى نماذج يسيرة من هذه الأسفار الجوية وسوف تتزايد وتكمل لحد لا نعلمه الآن .

هل في السماء مدن ؟ أجل ومدائن كثيرة ومتمدنون!!!

وآية بينة أخرى تدلنا على وجود دواب : من عقلاء وغيرهم ، هم في السماء كما في الأرض - وأنه سوف يتحقق التسافر والتقارب بينهما بالأسفار الفضائية لنا ، أو الأرضية لهم ، أو التسافر فيما بيننا وبينهم - هي الكريمة القائلة :

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُشْتَكِرُونَ﴾ * يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٢٧ : ٤٩ - ٥٠﴾ .

حيث إن مقابلة الدابة بالملائكة تميزها عنهم وتختصها بغيرهم : من الدواب العقلاء - اعتباراً بضمير الجمع العاقل : هم !

اجل إن في دواب السماء عقلاء وغيرهم : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ ﴿٤٢ : ٢٩﴾ .

وهذا الجمع لا يخص يوم القيامة حيث قوبل بالبث - فليس إلا جمعاً بين ما بث في السماوات والأرض - وهذه بشارة أو إشارة لطيفة إلى مستقبل قريب أم بعيد : تتسافر فيه عقلاء الأرض والسماء ، كل إلى موطن الآخريين . وأما من هو السابق في هذا السباق ؟ ليس الجواب إلا : لا ندري ، ولسوف ندري ، وقد يتحقق - لأول مرة

في الفضاء، لواقع التساوي في الكمالات بين عقلاء الأرض والسما حسب القرآن.
فهذا كتاب الله يخبر عن وجود عقلاء غير الملائكة في السماء ودواب آخر
لا تعقل، وسوف يتقاربان .

مدن السماء المعمورة في روايات الإسلام :

وهذا أمير المؤمنين عليه السلام يقول^(١): «هذه النجوم التي في السماء مدائن مثل
المدائن التي في الأرض مبروطة كل مدينة إلى عمودين من نور طول ذلك العمود في
السماء مسيرة مأتين وخمسين سنة» !

ولعل العمودين هنا هما الطاقتان المزدوجتان في العمود النوري الواحد كما
أشار إليه : ذلك العمود - فهما كيفيتا الجذب والدفع في هذه الوسيلة الإرتباطية
الجوية بين المدن المعمورة السماوية - طولها ٢٥٠ سنة : نورية أو غيرها - ومهما يكن
من شيء فهذا الطول كما يناسب الأجواء البعيدة والله اعلم .

وإذ ذاك فهل توجد مدينة خالية عن عقلاء يعمرونها لعيشتهم ؟ كلا !
فلولا هم لم تسمّ مدينة!

العقلاء المتمدنون في بعض الأنجم المعمورة:

أجل إنها مدائن معمورة بمن عمرها من عقلاء السماء المتمدنين - كمثل التي في
الأرض ، وإن الله تعالى بث العقلاء وغيرهم من الدواب في مختلف أرجاء الأرض

(١) تفسير علي بن إبراهيم القمي عن ابيه عن ابن أبي عمير عنه عليه السلام .

والسما وأجوائها «وهو على جمعهم» بعد هذا البث الطويل المدى - «إذا يشاء قدير» فلا يقول: إن شاء - بل إذا يشاء - إشارة إلى أن مشيئته تلك سوف تتحقق - فيجتمع عقلاء العالمين: الأرضي والسموي، وأقرب وسيلة لأبسط جمع بين من هنا وهناك هو التسافر الجوي من المجاننين - إلا أن أيّاً منها أسبق في هذا السفر؟ لا ندري ولسوف ندري!

ويصرح نبي القرآن عن ليلة معراجه: «رأيت في السماء السابعة ميادين كميادين أرضكم هذه»^(١).

ويقول حفيده الصادق جعفر ابن محمد عليه السلام: «إن في واحدة من السماوات السبع خلقاً كثيراً وكذلك في ما بينها»^(٢).

ويقول أيضاً: إن الله تعالى خلق بقاعاً كثيرة ومساكن طيبة - فخلف مغربكم هذا تسعة وثلاثون مغرباً - مدينة تشرق فيها الشمس وتغرب - وهي مملوءة من خلق عقلاء يتمتعون بمعرفة الله ونعمته - لم يدنس ساحتهم إثم ولا خبرة لهم عنا..... وعن باقر العلوم عليه السلام: إن وراء شمسكم هذه أربعون عين شمس بين كل واحدة أربعون سنة - وفي كل منها خلائق كثيرون لا يدرون هل خلق الله آدم أم لا وإن وراء قمركم هذا أربعون قرماً بين كل واحدة أربعون سنة، فيها خلائق كثيرون لم يطلعوا على خلق الإنسان ولقد ألهمهم الله كمثال النحل غريزة سنن المعيشة^(٣).

(١) البحار عن الفخر الرازي بالاسناد عنه عليه السلام.

(٢) البحار عن كتاب مثنى ابن الوليد الحفاظ عن أبي بصير عنه عليه السلام.

(٣) في تفسير القمي - وقد روى هنا روايات كثيرة بشأن ما خلق في السماوات من خلق عقلاء

هذا وذياك في حين أن العلم بأجنحته الخفاقة لم يكشف لحد اليوم عن كرة معمورة تصلح للحياة - إلا حدساً وتخميناً - ولم يسافر البشر إلى هذه المعمورات إلا القمر وما شابه كالمريخ !!!

أجل ولحد الآن ، وبعد اللتيا والتي ، وقفت البشرية على ضوء الاكتشافات العلمية وباستخدام العدسيات القوية ، أن تصل إلى حد الحدس والتخمين بوجود بعض المظاهر من شرائط الحياة في بعض الأنجم القريبة من أرضنا ، كمثل المريخ ، حيث تمثل لهم شبه المزارع والمرايع من بعيد - ولكنهم في ريبهم يترددون : أنها هل هي مرايع في واقع الأمر ؟ فضلاً عن وجود الحيوان أو الإنسان وشبههما فيها !!!

فليات الحداد ومن إليه من المبشرين الإنجيليين وغيرهم بأمثال هذه العلوم البارعة من العهدين أو من مكتشفات العلم اليوم - فلياتوا برهان ميين أو إثارة من علم إن كانوا صادقين !!!

البحار الجوية في نظر القرآن:

الأسقف : على ضوء الاكتشافات الحديثة في علم النجوم تطلعت البشرية على أن هناك في الأنجم السماوية بحاراً أو أن بعضها كمثل اورانوس بحر لجي بتمامه - فهل إن لهذا أثراً في المنقولات الدينية الإسلامية ؟

المناظر : أجل وفوق ذلك حيث القرآن يعتبر جلّ مياه الأرض نازلة من

→ ومحل التفصيل كتابنا الخاص باستعراض بحوث الحلقة عن القرآن : سماوات القرآن وارضه - فارسية، و«القرآن والعلوم التجريبية» من التفسير الموضوعي.

السما : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ ﴾ (٢٣ : ١٨).

فلو كانت مياه الأرض كلها ، من نفس الأرض ، لم يكن للتهديد برجعه إلى السماء موقع !

أجل وإن القرآن يربط الحياة في الأرض بأسرها بمياه السماء النازلة عليها وما تنزل : ﴿ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَى بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ (٢ : ١٦٤).

سواءً أكانت الحياة نباتية أم فوقها من مختلف أشكالها : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ (٣١ : ١٠) ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (٦٩ : ٩٩).

حيث يسند كلية الإنبات في سائر النباتات الأرضية إلى مياه السماء النازلة عليها - فلقد كانت الأرض قبلئذ كرة عسطنانة محترقة لا ماءً فيها - قدر حاجتها - ولا كلاء ، حتى أحياها الله بما أحى ، وجعل الأرض بهذه الرحمة المتواصلة ذلولاً تذلل لراكبيها الأحياء ، وتذل للحياة فيها ، ومنها ، وعليها ، بعد أن كانت شامساً : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (٦٧ : ١٥).

ثم هناك تصاريح : أن في السماء خزائن المياه المغلقة أبوابها - لو انفتحت لصارت الأرض بحراً لجياً ، أو كأنها سفينة محاطة بالبحر المحيط من مختلف جوانبها ، وكما يقول في قصة طوفان نوح : ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوَاحِ وَدُسِّرِ

* تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرًا ﴿٥٤﴾ (١١ - ١٤) فلو أن الأرض لم تكن تبتلع حينذاك مائها الزائدة عليها المتفجرة منها - ولو أن السماء لم تقلع وترجع مائها المنهمر - لقضي على حياة الأرض وأحيائها أبداً، إلا أن رحمة الله أدركت المؤمنين من أهل الأرض فصدرت النداء التكويني من مصدر الألوهية و: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (١١: ٤٦).

البحار الجوية في روايات الإسلام:

في النبوي ﷺ - عندما يستعرض قصة المعراج: ... رأيت في السماء السابعة بحاراً من نور تبهر العيون من تلعلعها - وبحاراً من ظلمة وبحاراً من الثلج يسمع منها وقعات الرعد والبرق (١).

وفي آخر عنه ﷺ: إن في السماء السابعة بحراً عمقه كما بين الأرض والسماء الأولى (٢).

وفي ثالث عنه ﷺ: إن في السماوات السبع بحاراً عمق أحدها خمسمائة سنة (٣).

هذا - في حين أن العلم لحد الآن لم يكشف إلا عن ثلاثة بحار سماوية في أدنى

(١) تفسير القمي عن أبيه عن ابن عمير عن هشام عن الصادق عليه السلام .

(٢) السيوطي في الدر المنثور عن تسعة عشر كتاباً عن عباس ابن عبدالمطلب عنه ﷺ .

(٣) التوحيد للصدوق بسنده عن الصادق عليه السلام عن أبيه عن جده عنه ﷺ .

٣٨٤ المقارنات بين الكتب السماوية

المنظومات الشمسية في المجرة الأدنى - هي السيارات التالية من منظومتنا: أرنوس
- نبتون - بلوتو -

يقول ماكسول رايد^(١) هذه السيارات الثلاث بحارٌ جوية ، والغلظة المتوسطة
في مياهها أكثر من الماء بقليل - بمعنى أن الطبقات السطحية فيها أرق من الماء وسائر
الطبقات العميقة أغلظ منه ...

(١) في كتابه : النجوم للجميع .

هل السماوات سبع؟

ربي اسحاق : مهما يكن من شيءٍ - وقد صدقنا براعة القرآن في ذلك - ولكن التورات حينما يذكر خلق السماء لا يعتبرها سبعة - والقرآن يصرح بهذا العدد في مواضع - وعلماء النجوم اليوم طالما أبصروا بالمجرات السماوية والمليارات من انجمها ، لم يطلعوا حتى الآن على جوٍّ آخر يعتبر سماءً ثانية، فضلاً عن السبعة ! فما هذه السبعة؟

السماء الدنيا - سماء الأنجم :

المناظر : هنا القرآن يعتبر السماء الأولى من السبعة - وهي أقرب الأجواء إلى أرضنا هذه - يعتبرها سماء الأنجم - ما نبصر منها وما لا نبصر - بالأبصار المجهزة وغيرها وكما يقول :

﴿ .. وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾
(٤١ : ١٢) ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ﴾ (٣٧ : ٦).

فإنما السماء الدنيا وهي ادنى السماوات إلينا^(١) هي التي زُيّت بمصاييح وبزينة هي الكواكب ...

فتلكم المجرات السماوية من مليارات ومليارات - التي لا يحصي عددها إلا الله - هذه كلها أو جلها في السماء الأولى ، وكل مجرة جزيرة سماوية - وهي مجموعة الأنجم الشاملة على مليارات الأنجم - فجرتنا التي تحتوي على منظومتنا الشمسية وغيرها من المنظومات ، تسع «٥٠٠٠٠» سنة نورية - وقد احتفت شمسنا هذه ١٠٠٠٠٠ مليون نجماً - على أن هناك مجرات يبلغ قطرها خمسة أضعاف مجرتنا : «٢٥٠٠٠٠ سنة نورية» .

والبشر اليوم لا يبصر بالأبصار المجهزة إلا أنجماً قليلةً في مجرتنا وسائر الأنجم المجتمعة يراها على شاكلة السحاب اللولبي - وحينذاك فأنى له إنكار أجواء وسماوات أخرى وراء هذه السماء الأولى ، ولم يبلغ من هذه غايتها ومنتهاها؟! فأنى له الإنكار!!!

اتساع المملكة السماوية شيئاً فشيئاً :

الأسقف : .. قد يُلمس من آيات السماوات : أن الخلق توقف فيها دون أن يعمل الخالق ويصنع نجماً أو سماءً غير ما صنع ، وعلم النجوم يكشف لحد الآن أن السماء لا تزال في سعة من جوها وأنجمها دونما وقفة ، فكيف التوفيق !

(١) الدنيا صفة السماء لا مضاف إليه لها فليس المعنى من السماء الدنيا ما يقابل سماء الآخرة بل المعنى أدنى السماوات إلينا .

المناظر : لقد سبق القرآن هذه النظرية النجومية المهمة ، سبقها بقول فصل ، في عصر لم تكن البشرية لتعرف ما هي السماء وما هي الأنجم - فأتى بآية تفرع آذان العقول قائلة :

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (٥١ : ٤٧).

.. وهذه النظرية اليوم معروفة في المكاتب النجومية بنظرية التوسعة والآية صريحة في التوسع المداوم المتواصل السماوي : جواً وأنجماً!

البيئات النجومية :

فن النجوم ما لم تخلق بعد وإنما هناك غازات ومواد أخرى متفرقة في جو السماء قد تجتمع وتشكل كوكباً صغيراً أم كبيراً - ثم يكمل الكوكب فيصير نجماً ، أي كوكباً طالعاً : إما بطلوع التمدن فيه أم عمران آخر ، ثم قد تنفرض النجمة وتنطمس ، وهذه قيامتها الخاصة قبل أن تطمس كافة النجوم وتنشق السماء في القيامة العامة الكبرى ...

فلا تزال السماء في التوسع من ناحية ، والحراب من أخرى ، والتبدل من ثالثه - وإن إله الكون : «كل يوم هو في شأن» دون أن يقف بلا صنع وتدبير ، إلا أن مواليد السماء وسعتها أكثر من متوفياتها نتيجة للسعة : «وإننا لموسعون»!



المدفعات والمدفوعات الجوية العجيبة!

الأسقف: ... ومما يثير العجب التصاريح المختلفة في القرآن: أن النجوم تُقذف أحياناً لدحر الشياطين كيلا يَسْمَعُوا إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى ، وهذا عجيب في ناحيتي القذف والمقذف! فما لإله القرآن يدحر الشياطين بالأنجم التي أحدها كملائين أضعاف الأرض - وماله يقضي هكذا على المملكة الوسيعة السماوية - بدل أن يوسعها وكما وعد: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ (٥١: ٧٤).

المدفوعات العادلة في ثغور السماء: النيازك النارية:

المناظر: هناك آي من الذكر الحكيم تعتبر النجوم بروجاً وزينة للمناظرين ومصاييح وحفظاً من مردة الشياطين، الذين يسترقون السمع فيتبعهم شهاب مبين أجل: ومن فوائدها أنها حفظاً من الملاء الأعلى، ورجومٌ للشياطين، وذلك تقدير العزيز العليم - ولا نجد آية آية تعتبر النجوم بتمام أجرامها العظيمة نيازك نارية تقذف بها سراق السماء - وإنما تعتبر آيات الشهاب النجوم مدفوعات في ثغور الملاء الأعلى - تدفع بقواذفها ونيازكها النارية وشهبها النورية، تدفع وتدحر هؤلاء الشياطين من الجن مسترقي السمع - كما وقد تهدف شياطين الإنس في الأرض! فإذا أذاعت إذاعة عربية إسلامية أن المدفوعات الإسلامية - مثلاً - قذفت

الطائرات الإسرائيلية وأسقطتها ، أو أن مدرعاتهم دفعت قوات العدو - فهل تزعم أيها الأسقف ان المقذوف والمدفوع إذ ذاك نفس المدفعية أو المدرعة - ركباً ومركوباً بما فيه وما عليه ؟ أم لا تشك ولا أحد يشك : أنها تقذف بما أعدَّ فيها - وهي في موضعها ثابتة أم سائرة ؟

إذ ذاك فكيف تفترى على القرآن أنه يعتبر النجوم ساقطة بأجرامها العظيمة لدحر مردة الشياطين إذ تسمع قوله تعالى : ﴿ إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ * وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ * لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ * دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ * إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ (٣٧ : ٦ - ١٠).

فأين اعتبار أن الكواكب حفظٌ للملاء الأعلى - من قذفها بتامها، أن تخص حفظ المدفعية بأن تدفع بتام جرمها ! ثم أين القذف من كل جانب ، من كون المقذوف نفس أجرام هذه الكواكب ؟ وليست الشهب الثاقبة إلا النيازك النارية التي تدفعها المدرعات والمدفيعات الكوكبية إلى مسترقي السمع من الشياطين ! فأين النيازك من نفس الكواكب ؟ فهل من شبهة بين النيزك وبين كرة سماوية عظيمة أم صغيرة ! فأين تذهبون ؟

فإنما القرآن يعتبر قسماً من هذه النجوم رسداً أو مدرّعة سماوية ورجوماً للشياطين : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾ (٦٧ : ٥) ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ * وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ * إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴾ (١٥ : ١٦ - ١٨).

أجل : شهاب مبین يسقط من هذه المصاييح - لا أن الساقط نفس المصاييح
وهناك حرس شديد وشهاب رصد يرصدان كل مجاوز حده إلى الملاء الأعلى :
﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَةً حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا * وَأَنَا كُنَّا
نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ (٧٢: ٨-٩).
شهابٌ رَصَدٌ يثقب بنوره ووقعه بالنيازك المدفوعة منه : ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا
الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ (٨٦: ٢-٣).

فهذه جماع آيات الشهاب ، فأين فرية سقوط الأنجم بأنفسها - أجل وإنها
شهب نورية تقضي على ظلمة هذه التهمة الجارفة وما إليها ، وتأتي من ناحية أخرى
معجزة من معجزات القرآن الكونية ...

الشهب والأحجار السماوية :

... وهناك فرق بين الشهب والأحجار السماوية الساقطة منها - رغم اتحادهما
في جنس المواد ، وهي المواد الخليطة بمختلف أنواع الفلزات - والفرق أن الشهب
لا تصل إلى الأرض لإحتراقها في مسيرها إليها كما ترى ليلاً ، ونسميها الأنجم
ذوات الأذنان ، والأحجار تصل إلى الأرض لكبرها وتصلب جرمها أكثر من
صلابة الشهب -

والعلة الطبيعية الظاهرة لاحتراق الأحجار الشهابية شدة وقعها في مسيرها
الجوي فتحترق وتتبدل رماداً ، وقد تنضم رمادها وتتجمع بعد التقلبات
والإنفعالات الكيميائية والفيزيائية - وقد ترجع جزءاً من نفس النجمعة التي

انفصلت عنها - أو من نجمة أخرى - أو تصير نجمة مستقلة - وبذلك تتسع المملكة السماوية : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ (٥١ : ٤٧).

وكما أن بعضاً من فوائد الشهب قذف مرده الشياطين في السماء - كذلك الأحجار السماوية ، فإنها قد تسقط عذاباً لقوم مجرمين : ... ﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ * لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ * مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾ (٥١ : ٣٢ - ٣٤) ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ (١١ : ٨٢ - ٨٣).

تستعرض هذه الآيات ذكريات هائلة من رجم قوم لوط المجرمين بحجارة من سجيل ، جعلت مسكنهم وأنفسهم كأن لم تُغنِ بالأمس - جعلت عاليها سافلها... وقصة الحجارة السماوية بمثابة من الوضوح لا ينكرها حتى الكذابين المنكرين - حيث التحدي منهم في إبطال الرسالة المحمدية هكذا :

﴿ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْنِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٨ : ٣٢).

وهذه مقالة من : ﴿ إِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٨ : ٣١).

المدفعيات الطائرة :

ولقد استهدفت المدفعيات الصغيرة الجوية من الطائرات الأبايل إستهدفت من أراد المهانة والتدمير لبيت الله الحرام - فجعلهم بإذن الله كعصف مأكول :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾ (١٠٥: ١-٥).

فهذا قسم من الأحجار السماوية ، وقسم آخر تسقط على الأرض ولعلها من غير جهة العذاب ...

حجارة من طين - حجارة من سجيل :

سجيل معرب : سنگ گل : الفارسية - أي حجر الطين - وشاهداً على ذلك تفسيرها في الآية الأخرى بحجارة من طين - ولعل الطين في هذه الحجارات الساقطة من أجل الأمطار والرطوبات التي تعرضها وتصاحبها في مسيرها الجوي فالرماد المتلوي على سطحها يتبدل طيناً فتصير حجارة من طين، أو أن هذه الأحجار هي المخلوقة من الطين .

الأسقف : أجل ولكن العلم لم يعرف لحد الآن الأهداف التي تتجه إليها هذه الشهب، فمن أين لكم أنها تقذف الشياطين ؟

المناظر : لم يعرف أولن يعرف الهدف لهذه النيازك النارية بالأساليب المادية حيث الشياطين لا تُرى بهذه الأبصار ، وبالأولى لا يُرى القصد من سقوط هذه الشهب، فإنها لا يعلمها إلا الخالق العليم، وقد نبأنا في الذكر الحكيم، وهناك بحثٌ فصل في الشهب والأحجار السماوية بحث عنها العلماء اليوم من وجهات النظرات النجومية^(١).

(١) من أراد التفصيل فليراجع كتابنا السماوات والأرض في نظر القرآن - قسم الشهب والاحجار السماوية وتفسير الفرقان، وكتاب العلوم التجريبية بين الكتاب والسنة. التفسير الموضوعي .

... فهما يكن من شيء فلا يجد المعترض على القرآن - مهما قرع أبواب الفرية - لا يجد فيه إلا أضواءً من الحجج البالغة المنيرة التي لا يزدادها تقدم العلوم المادية إلا ازدهاراً وهوراً وظهوراً، هذا: فضلاً عن العلوم غير المادية .

الشمس في نظر القرآن :

إلى هنا نختم بحوثنا في النظرات الكونية القرآنية وهي قطرة من اليم - نختمها في بيئة سراجنا السماوي: الشمس ..

كما أن الأرض متحركة في نظر القرآن - فكذلك الشمس - وبعض الأنجم الأخرى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (٣٦:٣٨).

الأمطار الغزيرة النازلة على وجه الشمس :

في خبر من أهل بيت الوحي المحمدي ﷺ أن هذه الكرة المحترقة تنزل عليها الأمطار الغزيرة دائبةً ، ولو لا ذلك لاشتعلت الأرض من شدة حرقها وثورة زبانتها :

يروى الجابر عن الباقر عليه السلام^(١) قال : «إن الشمس تطلع ومعها أربعة أملاك . ملك ينادي يا صاحب الخير أتم وأبشر - وملك ينادي يا صاحب الشر إنزع واقصر - وملك ينادي أعط منفقاً خلفاً وآت ممسكاً تلقاً - وملك ينزحها بالماء ولو لا ذلك اشتعلت الأرض» .

(١) البحار طبعة كمياني ج ١٤ ص ١٢٤ .

هذا ! وكيف يمكن الإنباء عن هذا الغيب المكتوم في ذلك العصر الجاهل القاحل الخالي عن الوسائل والعيون المجهزة - إلا من طريق الوحي ؟
ولم تكن البشرية لتعلم أن هناك امطاراً فوق الشمس أو أن ذلك من الممكن أو المحتمل ! حيث الشمس محكومة بحرارة خارقة - ففي مركزها ٧٠ مليون درجة وعلى سطحها ٤٠٠٠ درجة من الحرارة - فكيف يتصور إمكان وجود الماء في جوها المحيط بها لكي ينزل عليها بالأمطار المتناوبة الغزيرة .

ولقد رأى الدكتور «دونالد منزل» المنجم الشهير الأمريكي، رأى من وراء التلسكوب في مرصده النجمي «أن اختلاف الأشكال في القطعات السحابية المرئية في وجه الشمس ، هي نتيجة نزول الأمطار الشديدة المتواصلة عليها دون فتور وقد صرح بذلك في لجنة المنجمين العليا المندوبين من كبار المنجمين، وأراهم من الأفلام التي أخذها من وجه الشمس في مرصده النجمي عند رؤيته ذلك المنظر الهائل، ولقد شوهد فيه أن مطراً غزيراً ينزل على الشمس من شعاع ٨٠٠٠٠ كيلو متراً»^(١) .
وأول من رأى هذه القطعات السحابية في وجه الشمس غالية الفرنسي^(٢) .



(١) نقلته جريدة الإطلاعات الإيرانية المؤرخة يوم الخميس ١٥ ربيع الاول ١٣٦٩ القمري الهجري الموافق ١٥ / ١٠ / ١٣٢٨ الشمسية - نقلته عن مکتوب دونالد منزل الامريكي .
(٢) ماكسول رايد في كتابه : النجوم للجميع .

متى خلق الإنسان؟

الأسقف : تعتبر الروايات الدينية ، تفسيراً لآيات القرآن : أن نسل البشر خلق قبل زهاء عشرة آلاف سنين - في حين أن العلم على ضوء الاكتشافات والحفريات الحديثة يعتبر خلقه قبل مآت الآلاف من السنين ، فكيف التوفيق ؟

المقارنة «٤» :

المناظر : هذا السؤال لا يخص المسلمين فحسب حيث العهدان أيضاً متوافقان في تسجيل هذا التاريخ بخلق الإنسان - إلا أن القرآن والأحاديث الماثورة عن المعصومين عليهم السلام تبين أن هذا التاريخ إنما هو للنسل الموجود لا كل أنسال الإنسان مهما كانت عهودها قديمة ولقد كان قبل هذا النسل الحالي أنسالٌ تترى ، فانقرضت ثم كوّن هذا النسل الحالي - وكما يقول الله :

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢ : ٣٠).

فالخليفة من يخلف الغابر من جنسه إما بانقراضه رأساً أو حاجته في أشغاله إلى من ينوب عنه - وإطلاق الخلافة هنا يقتضي الأول ، وهو هنا أن الأنسال

السالفة التي كانت على شاكلة الإنسان قد انقرضت وقضت نجها، ثم الله أنشأ النسل الحالي خلفهم - يخلفهم فيما كانوا عليه.

فليست الخليفة هنا خليفة الجن لأنهم بعد لم ينقرضوا لحد الآن، ولا خليفة الله، حيث لا يخلفه وينوب عنه أحدًا لا في وجوده بعد عدمه - وحاشاه!، ولا في أفعاله فإنه على كل شيء قدير، وإنما هي خليفة من قضى نجه من إنسان الأرض، وإن اختلفا في الاستعدادات والقوات روحية وغيرها، وما يُذكر في الروايات الدينية من كلمة: خليفة الله، فإنما يراد بها من جعله الله خليفة لمن قبله فيما يختص به السالف من محتدٍ ومنزلة روحية وغيرها، فخليفة الله بمعنى من جعله الله خلف غيره يخلفه في شأنه أيًا كان... لا من يخلف الله في ألوهيته أو شأن من شؤونها، وحاشاه!

ثم شاهدًا على ذلك سؤال الملائكة على عصمتهم ومعرفتهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ سؤالاً للتفهم لا التعنت، قضية لقداستهم وعصمتهم - فلو لم يروا سابقة سوءٍ من الإنسان الأرضي - إفساداً وسفكاً للدماء - لم يكن لسؤالهم هذا محل يناسب المورد ويناسب منزلتهم الروحية .

ولو أن هؤلاء الذين انقرضوا لم يكونوا من جنس التراب ومن العقلاء المكلفين - لم يناسب قياس الملائكة هذه الخليفة بهم - ولا التنديد بهم بالإفساد وسفك الدماء قبل أن يروا ذلك منهم!

وهنا يتبين لنا أن كان قبل النسل الحالي نسلٌ أو انسال عقلاء مخلوقون من الأرض مفسدون فيها - والله سبحانه وتعالى استدرك في خلق النسل الحالي بقوله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ تفضيلاً لهم على الغابرين - كما ويقول: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ

عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿١٧ : ٧٢﴾ ويقول : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ ﴾ (٦ : ١٦٥) ﴿ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ﴾ (٣٥ : ٣٩) .

فالأجيال الحالية خلائف الغابرين! وقد فضلوا عليهم تفضيلاً...

وفي الباقرى عليه السلام: (١) ... «لعلك تزعم أن الله خلق هذا العالم من بادئ البدء ولم يخلق بشراً سواكم - كلاً...، بل إن الله تعالى خلق ألف ألف عالم وألف ألف آدم وأنت في آخرهم» !!!

فهل القرآن بعدُ نسخة عربية من التورات ؟ فلا يفضل عليها في شيء - ألا فاعتبروا يا أولي الأبصار !

الأسقف : أنتم المسلمون تدعون خلود الإعجاز للقرآن من شتى النواحي فهل يوجد فيه تمثيل للإنعكاسات الصوتية والصورية المذاعة من الإذاعات والتلفزيونات وسائر الوسائل، تسجيل الصور والأصوات ؟

المناظر : رغم أن القرآن لا يهدف في تعاليمه المنيرة الخالدة إلا سوق البشرية إلى الكمالات الروحية ، إلا أنه يقنطر الرقي المادي وتقدم الإنسان في شتى العلوم المادية - يقنطرها للوصول إلى معارج الكمال الروحي - ويوجد في آيه الكريمة إشارات وتصريحات إلى رموز من الكون - لم يكشف البشر عنها النقاب لحد الآن - أو كشف عنها نزرأ يسيراً - فالقرآن له السباق في شتى الميادين العلمية والتربوية والتقنية و... والعلم بأجنحته الخفاقة لا يكاد يطير فوق ما فيه من علوم ولا يكافئه - بل للقرآن التقدم تقدم الخالد على الدائر الناقص .

(١) التوحيد للصدوق .

المقارنة «٥» :

انعكاس الأعمال .. المسجلة الأرضية والجوية

المسجلات السرية في جثمان الإنسان ...

هنالك آي كثيرة في الذكر الحكيم - تنذر البشرية من سوء القول والعمل وتبشرها بالخير من خير أعمالها ... وأن الأعمال والأقوال محفوظة مسجلة في الأرض : ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ وفي أعضاء العامل : يستنسخها فيها الله سبحانه وتعالى ...

المسجلة الأرضية :

قبل حوالي قرن ما كانت البشرية تحتمل أن الاصوات والصور تبقى، فأيات بقاء الأعمال كانت مأولة عند المؤمنين بها ومكذوبة بكل هزء عند المنكرين إياها حيث العلم والحس ما كانا يصدقان بقاء الأعمال كما حدثت ولو آناً ما، فضلاً عن خلودها حتى القيامة الكبرى .

فلقد كانت تُعتبر هذه الآيات متشابهة عند الكثير من المفسرين، يؤولونها كما يرتأون، ومحكمة عند البعض على إبهام للمعني منها من حيث الواقع الخارجي، وقليل ما هم.

وبعد صنع الراديو والتلفزيون أصبحت هذه الآيات محكمة ما أوضحها! دون تأويل وتوجيه ... فهناك طائفة من الآيات تعتبر الأرض مسجلة الأصوات والأعمال قائلة :

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ
الْإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا * يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ
النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (سورة الزلزال).

فالأرض مُحدثة بعد زلزالها بأخبارها: ما حدث عليها - خيراً أو شراً - من
ساكنيها المكلفين .. لا تحديثاً بلسانها فإنها ليس لها لسان! بل تحديثاً تمثيلاً لما حدث
عليها من صور وأصوات: ﴿بأن ربك أوحى لها﴾: رمز في تكوينها رمزاً
لتسجيل ما يحدث عليها!

وشاهدنا على هذه المغزى صدور الناس يومئذ ليروا أعمالهم - رؤيئة بالسمع
والبصر - لا سماعاً لحديث اللسان حكاية عنها فحسب: ، بل رؤيئة لما عملوا كما
عملوا، وسماعاً لما تكلموا: ما يحكي عنه القلم واللسان ، وحينذاك فالأرض لا
تحدث إلا بنفس الأعمال والأقوال - لا الألفاظ الحكاية عنها فحسب ﴿فَمَنْ يَعْمَلُ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ... يَرَهُ﴾ يراه ثم يذوق جزائه: إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرّاً. يراه
ذاتياً لأنه يرى الحاكي عنها ثم يرى الجزاء عليها!

فهذه المسجلة المرموزة الأرضية لا تحدث إلا ما سجلها - قولاً أو عملاً: خيراً
أو شراً - تحدث حينما زلزلت زلزالها - إذا مدت وألقت ما فيها وتخلت .. ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ
الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ !

فهي بخلاف ساير المسجلات التي تسكت وتعجز عن التحديث إذا مُزقت
شريئاتها أو دمرت هي بنفسها!

مسجلة النفس...!

ثم هناك طائفة ثانية تعتبر الإنسان بأعضائه مسجلة لأعماله قائلة: ﴿وَكُلَّ
إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا *
اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (١٧ : ١٥ - ١٦).

فطائر الإنسان - وهو عمله - ملزم في عنقه - لا ينمحي رأساً - ولا يحاسب به
إلا نفسه.

فبدلية الطائر عن الإنسان: ﴿أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ﴾ رمز إلى ان بقاء الإنسان إنما
هو ببقاء عمله، وإن تهدّلت أجزائه وتبدلت بعد الموت .

والتعبير عن العمل بالطائر - رمز إلى أن عاقبة الإنسان خيراً أو شراً في
عاجله وآجله إنما هي رهينة عمله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (٣٨ : ٧٤) فلا
طيرة إلا وأنها حصيلة العمل.

وأيضاً هو تنديد وتزييف بالمقالات الساذجة الجاهلة: أن العمل يفنى من
حينه دون أي بقاء ولو بعد حين - وتثبيتاً أن هذا الذي تعتبرونه طائراً يطير عن
الإنسان بعد حدوثه - هذا ليس كما تزعمون - بل هو ملزم ملصق في عنقه - في
عهدته وذاته - ليراه من نفسه حين البعث بما هو مسجل في ذاته، ويحتج عليه أوله بما
عنده دونما حاجة ماسة إلى شهود آخرين بما هو في عهدته!

أجل في عنقه - لا على عنقه فحسب ولا عنق غيره - حيث العنق هنا ظرف
للعهدة ولشاكلة العمل أيضاً.

﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ما ألزمناه في ذاته وعلى عهدته - نخرجه

﴿كِتَابًا﴾ ثابتاً بحروفه الصوتية والصورية كما صدر بادئ بدء. كتاباً ﴿يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ ليست له صحائف ككتابتنا ، فهذا كتاب النفس والذات - لا ما يكتب بالمداد - مها كان على القرطاس.

.. ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ !!!

فلو لم يكن هذا الكتاب من نفس الذات لم تتحول شهادة الكتاب إلى النفس ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ﴾ فلا بد أن تكون هي هو وهو هي - كتاب مكتوب بقلم القدرة على ذات الإنسان، وهو يكفي نفسه شاهداً عليها، لأنه من نفسه فهو إلى نفسه دونما انفصال.

المسجلات الأخرى للأعمال :

ثم هناك طائفة ثالثة فيها تصاريح : ان الاعمال والاقوال تظهر يوم القيامة كما صدرت : من مسجلة الأرض أو النفس أو الأعضاء أو ... :

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٣ : ٣٠).

فالآية - من دون أيّ تأويل - تعتبر نفس الأعمال حاضرة يوم القيامة، وإن كانت غائبة يوم الدنيا بعدما عملت، للغفلة والغطاء : ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ * لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (٥٠ : ٢١ : ٢٢).

ولا غفلة إلا عن موجود حينها ، فالأعمال كانت ثابتة يوم الغفلة : «الدنيا» ثم

كشفت غطاء الدنيا بعد الموت ، فالبصر إذ ذاك حديد - يرى يومذاك ما لم يكن يراه
يوم الدنيا!

وكتاب الأعمال تعبير عن نفس الأعمال - بصورها وأصواتها - إعتباراً
بثبوتها كما هو معنى الكتاب : ﴿ وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا
فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا
وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (١٨ : ٤٨).

استنساخ الأعمال كما صدرت :

وكاتب هذا الكتاب هو الله الذي كتب كتاب التكوين بقدرته وحكمته، فهو
يستنسخ الأعمال كما تصدر : ﴿ وَتَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا
الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا
نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٤٥ : ٢٨ - ٢٩).

فكل أمة مستوفزة على ركبها كهيئة قعود الخصوم بين يدي القضاة ﴿ كُلُّ أُمَّةٍ
تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا ﴾ ما كُتِبَ عليها من فروض وما عملها من أعمال، فكلُّ كتابٍ
اعتباراً يثبوته : كتاب التكليف وكتاب الأعمال !

كلُّ أمة تدعى إلى هذا وذاك ، ليوزن بالأول أعماله، ويُحتج عليه بالثاني فيما
عمل ، ثم أخيراً يجزى جزاءً وفاقاً بظهور ملكوتها ﴿ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴾ .

﴿ هَذَا كِتَابُنَا ﴾ - هذا الذي ترون من أقوالكم وأعمالكم : ﴿ يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ

بِالْحَقِّ ﴿ - دوئنا خطأٍ وَّ خطل - ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾! هذا كتابنا لأننا استنسخناه - وكتابكم حيث إنه صور أعمالكم : ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (١٧ : ١٥).

وقضية الإستنساخ من كل شيءٍ أن ينقل بصورته الكاملة - فكلما كانت المشابهة أتم كان الإستنساخ أقرب إلى الواقع المستنسخ منه ، إلى أن تنقل صورة العمل وصوت القول كما صدرت على سواء !

فهل تحسب أن الله يعيا عن تكوين نسخة كاملة من الأقوال والأعمال - لكي يلجأ إلى نسختها الضئيلة التي لا حجة فيها - وهي المرقوم بالمداد على القرطاس أو ما إليه من كتاب ضئيل .؟

ذلك في حين أن البشر يستنسخ الأقوال والأعمال كصورتها الأصلية في المسجلات والراديووات والتلفزيونات ... فهل إن الخالق أعجز من خلقه وأعنى فحاشاه وسبحانه وتعالى عما يصفون !

فما هذا الإستنساخ إلا تسجيلاً لنفس الأعمال والأقوال - ولكي يصدق قوله تعالى : ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ حيث يعتبر نفس العمل جزءاً - قضيةً لظهوره كما كان - فخير له عامله وشره شر وإن كان قبل الجزاء .

ثم هذه الأعمال هي بنفسها حطب جهنم أو نعيم الجنة ، وقد يعتبر القرآن أعضاء الإنسان شهوداً على أعماله - وليست هذه الشهادة إلا ظهور الأعمال كما صدرت على سواء : من كل عضو في نفس العضو - كتحديث الأرض بما عمل عليها : ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُؤْفِكِهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ (٢٤ : ٢٥ - ٢٦)

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاؤَهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِمَ لَجُّودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٤١ : ١٩ - ٢٢).

فالعدل الحكيم إنما يأتي يوم الجزاء بأعدل الشهود المرضيين عند الحاكم يوم الدين والمحكوم عليهم - إذا فليست هي إلا نفس الاعمال - بصورها وأصواتها - لا مكتوباتها - أو الألفاظ المخلوقة في الأعضاء الحاكية عن أعمالها - أو ما إليها - حيث لا حجة فيها إلا حجة استبداد في اختناق - وحاشا الله عن ذلك - حاش علمه وعدله وقدرته!

وشاهداً على ذلك من الأخبار، الصادق عليه السلام: أنها^(١) نزلت في قوم تعرض عليهم أعمالهم فينكرونها - فيقولون ما علمنا شيئاً منها فتشهد عليهم الملائكة الذين كتبوا عليهم أعمالهم فيقولون: يا رب! هؤلاء ملائكتك يشهدون لك - ثم يخلفون بالله ما فعلوا من ذلك شيئاً وهو قول الله: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيُخَلِّفُونَ لَهُ كَمَا يَخْلِفُونَ لَكُمْ﴾ (٥٨ : ١٨) فعند ذلك يختم الله على ألسنتهم وينطق جوارحهم فيشهد السمع بما سمع ما حرم الله ويشهد البصر بما نظر إلى ما حرم الله، وتشهد اليدان بما أخذتا، وتشهد الرجلان بما سعتا فيما حرم الله، ويشهد الفرج بما ارتكب مما حرم الله، ثم أنطق الله ألسنتهم فيقولون لجلودهم: لم شهدتم علينا؟ فيقولون:

(١) أي الآيات ٤١ : ١٩ - ٢٢ .

أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء... (١).

فلو كانت شهادة هذه الأعضء أيضاً بخلق الكلام فيها - لم تختلف عن الشهادات السالفة التي انكروها - ولم تثبت عليهم حجة، وكان كراً على ما فر منه ، إذاً فهي ظهور الأعمال من كل عضو كما عمل - وقد سجلت فيه بما استنسخها الله تعالى بقلم القدرة والحكمة ... : ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

الله حفيظ على الإنسان أياً كان!

أجل إن إله القرآن حفيظ على الإنسان بأحواله وأعماله وأقواله طيلة حياته التكليفية في الدنيا وبعد موته ، فلا يعزب عن علمه تعالى مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء :

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾
 (٨٣: ١٠-١٢) ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفِظَةً ﴾ (٦: ٦١) ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ ﴾ (١١: ٥٧) ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيزٌ ﴾ (٥٠: ٤) ﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيزٌ عَلَيْهِمْ ﴾ (٦: ٤٢).

أجل : حفيظ وخير حفيظ :

يحفظ كل نفس ليوم أجله الذي أجل له .

ويحفظ له قوته الذي قدره له - ويحفظه عن خطرات ناجمة حافة عليه .

ويحفظه بأنجم الهداية الثاقبة بأنوارها : أولئك الذين يوحى إليهم من غيب الألوهية - لكي يهدوا الناس بثواقب أنوار الوحي، ويصدوا الشياطين عن تضليلهم. ويحفظ أعماله وأقواله وأحواله في مسجلات عادلة أمينة ، كالأرض التي ﴿ تَحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾ وكنفس الإنسان : بأعضائه وأجزائه ، وكسائر الجواسيس العادلة التي قررها رب العالمين للمحافظة على الأعمال خيراً وشرّاً ﴿ لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .. -

ثم عند موته يتوفاه بروحه وجسمه حفيظاً لهما دون أن يشذ عنه شيء ولا مثقال ذرة : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا... ﴾ (٤٣ : ٣٩).

يأخذها في قبضته وافياً، ولا يعزب عن علمه منه شيء - وإن تفتتت أجزائه وتفرقت في مشارق الأرض ومغاربها - وإن تجول روحه هنا وهناك - فلا يخرج بيدنه عن سلطان الله وملكه - ولا عن علمه وحيطته وحياطته ولا عن حفظه : ﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (١٢ : ٦٤).

إله القرآن والعهدين :

هذا إله القرآن - الحفيظ على كل شيء - رغم إله التورات والإنجيل - الذي يسهو وينسى ولا يستطيع أن يحفظ حتى نفسه - فيصرع في مصارعة مع عبده يعقوب حتى ليضطر أن يباركه لكي يتخلص من بأسه في ميدان المصارعة . أو يُصلب بأيدي شذاذ الآفاق اليهود الأذلاء ... أو غير ذلك من شتات الأحوال الضئيلة التي ينقلها العهدان - وحاش ربنا : رب العالمين - من هذه الأضغاث الأحلام وخرافات الأوهام والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

... هذه نماذج من تصاريح القرآن بالنسبة لبقاء الأصوات والأعمال ولم يشكف البشر حتى اليوم إلا بقاءهما في أحيان ، يتمكن من استخدامها وتمثيلها بواسطة الإذاعات والتلفزيونات وما إليها من صناعات - على حدود وشروط ... ولكن البشرية لم تتمكن لحد الآن من استخدام أصوات السابقين وأعمالهم ولو بهذه الوسائل الراقية المحيرة للعقول - فضلاً عن أن تخرجها من الأرض والجو ، دون أية وسيلة - حال أن تصاريح القرآن متوفرة على أن الأرض بجوها وجرمها، والإنسان بأعضائه ، هذه كلها مسجلة للأعمال كما عُمِلت، والله يظهرها يوم القيامة لإقامة للحجة على أصحابها كما استنسخها من ذي قبل في كتابات ومسجلات الأعمال آفاقية وأنفسية!

وقد ينجم من خلال هذه الأنجم النورية القرآنية رجاء أن يتطلع البشر ويستخرج أصوات السابقين ولعله سوف يوفق لذلك على ضوء العلم .

هنالك أسألكم أيها الروحانيون الكتائبيون : علماء التورات والإنجيل ، هل تجدون شيئاً من هذه الإشارات والتصريحات العلمية في العهدين ؟ أم هل يوجد في الكتاب المقدس بحث حول اليوم الآخر وتصاريح عن يوم يقول الناس لرب العالمين - وإن يسيراً .. فضلاً - عن البشارات العلمية في خلاها ؟

فيا الله من كتاب موسى والمسيح عليه السلام هذين الرسولين من أولي العزم من الرسل - على شتات البحوث فيها - وحتى عن التواريخ غير اللازم ولا الراجح ذكرها - وعن ذكر الأنساب والأحساب و... كيف يخلوان عن ذكر المعاد وهو من الأصلين الأولين الرئيسيين في أصول الدين : المبدء والمعاد! (١) .

(١) قد أتى البحث عن معاد العهدين عند مقارنته بمعاد القرآن في كتاب «عقائدنا» .

أم كيف ترضون بالعهدين ، كتابي الوحي الإلهي وهما خلؤ من الإنذار
والتبشير - ليوم تشخص فيه الأبصار وذلك يوم الخلود؟!

هذا وذاك طرف يسير ونماذج من المعجزات العلمية القرآنية في ناحية
التكوين - رغم أنه ليس الهدف الرئيسي من دعوته . وإنما يقنطر بذلك للوصول إلى
إيقاظ الغافلين ولكي يأخذوا سبيلهم إلى رب العالمين -

هذا ! فكيف بسائر الأنظمة العلمية في شتى النواحي : السياسية والاقتصادية
والقضائية وما إليها من النواحي الأحكامية : الفردية والجماعية .

ومن الغرائب في العهدين طوال البحوث الطائفة فيهما أنها لا يأتيان بقسم
كبير من البحوث القيمة القرآنية لكي تتحقق المقارنة فيها - فإنما نذكرها هنا شاهدة
على القيم الفذة في هذا المعجز الخالد - ثم نقارن بينهما وبينه فيما يشتركان في ذكره -
لمن ألقى السمع وهو شهيد - لمن ينطلق متحرراً متحللاً عن التعصبات الجاهلة
العمياء ويتخلص إلى الحق الصراح في عصر العلم والصواريخ الجوية - ويصغي إلى
الصرخات المدوية الخالدة من الذكر الحكيم - ولكي يؤمن بالشرعية الأخيرة
الخالدة المحمدية على بصيرة وحجة - دون تهكم وتقليد!

... أجل - ولو ان موسى وعيسى ومحمد ﷺ ماتوا وقضوا نحهم
بأشخاصهم - فتلك كتاباتهم وهي تمثل قيمهم الرسالية - ولا قيمة لإيمان من يؤمن
بهم بعد موتهم إلا من طريق المقارنات الحرة العادلة المجانية عن التعصبات الجاهلة
والعنصريات البالية .

هل في القرآن تناقض

وكما في العهدين؟

مقارنات بين افتراءات تبشيرية وحقائق قرآنية

التناقضات المزعومة في القرآن :

الأسقف : طالما تكررون التنديد بالعهدين بوجود التناقض فيها . ومن
اسانيدكم في صحة الوحي القرآني أنه لا اختلاف فيه : ﴿ وَكَوْكَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ
لَوْ جَدُّوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ في حين أن القرآن أيضاً لا يخلوا عن تناقضات
كما يلي :

الفرية الأولى:

الحداد : ... في مشكله وموهم التناقض والاختلاف فيه^(١) : من ذلك نفي
المسألة يوم القيامة واثباتها : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ .. ﴿ فَلَا
أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ . ﴿ وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُورُونَ ﴾ . ﴿ فَيَوْمَئِذٍ
لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾ ؟

(١) ص ٦٧٣ ج ٢ .

المناظر : لا تناقض ولا اختلاف في الوحي القرآني إطلاقاً - وما تلکم الإستعراضات والإعتراضات إلا لسوء الفهم أو عدم التفكير في المعنى من الآيات ومرماها .

فالتسائل الذي تثبته الآية : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ (٢٧:٣٧) غير الذي تنفيه الآية : ﴿ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ (١٠:٢٣) حيث التسائل الأول تسائل توييخي بين الذين عبدوا من دون الله أو ثانياً وطواغيت، يتسائل التابع متبوعه الذي أضله عن الحق : ﴿ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَآغِينَ * فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ * فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ * فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ (٢٣:٢٨ - ٣٣).

فلم يكن نتيجة هذا التساءل إلا مزيد الحسرة للمتسائلين ، وقطعاً لأعدارهم الجاهلة ، وتثبيتاً للحجة عليهم ...

وأما التسائل المنفي هناك فهو التسائل عن الأنساب فإنها منفية الفائدة يوم القيامة، حيث يشغل الكل بنفسه عن سؤال الأنساب وغيره مما لا يعني : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ * فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ (١٠١:٢٣ - ١٠٤).

أجل إنهم لا تنفعهم أنسابهم ولا غيرها إلا ثقل موازينهم من عقائد وأعمال ولا تضرهم كذلك إلا خفتها - فلذلك - ولا يشتغال كل بنفسه فهم لا يتسائلون، وإنما التسائل السالف بين الغاوين لغرض الاعتذار عند رب العالمين الله ، والتوييخ على

دعاة الضلال . الذين لا ينتجان إلا الحكم عليهم ودحض حجتهم في اعتذارهم ...
وكذلك لا تنافي بين الآيتين الأخيرتين حيث يختلف السؤال المثبت في
إحداهما عن المنفي في الأخرى .

فالأول هو المسؤولية والتوبيخ : ﴿ أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ -
أَتْبَاعَهُمْ فِي الظُّلْمِ - وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ
الْجَحِيمِ * وَقَفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنصَرُونَ ﴾ (٣٧ : ٢٣ - ٢٦) .
والسؤال المنفي إنما هو سؤال الاستفهام والاستعلام : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ
ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ... يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي
وَالْأَقْدَامِ ﴾ (٥٥ : ٣٩ و ٤١) .

فالآية الأخيرة تبين وجه النفي : أن المجرمين معروفون عند ملائكة الرب
بسيماهم - فلماذا يسألونهم سؤال استفهام !

الفرية الثانية :

الحداد : وكتان المشركين حالهم يوم الدين وإفشائه ، فالكتان : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ
فَتَنَّتْهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ (٦ : ٢٣) ثم الإفشاء : ﴿ وَلَا
يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾ (٤ : ٤٧) .

المناظر : لم يتحقق من المشركين كتان لشركهم وإنما كذبوا على أنفسهم في
فتنتهم : ﴿ وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ * أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ
عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (٦ : ٢٤) .

فإن الله تعالى يعلم كذبهم وشركهم وإن أقسموا أنهم ما كانوا مشركين - وذلك لا يستوجب تحقق الكتمان إلا لمن يمكن في حقه الكتمان - فهم لا يستطيعون أن يكتموا الله من أنفسهم خافية وإن أنكروها : ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ (٤ : ٤٢).

أجل إنهم ليس في وسعهم أن يكتموا شيئاً من أمرهم عن الله وإن أنكروه بالسنتهم ، فلا تنافي بين الآيتين !

الفرية الثالثة :

الحداد : وكقوله تعالى : ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ - مع قوله - ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ .

المناظر : المأمور به كلتا الآيتين إنما هو التقوى المستطاعة إلا أن الأولى توجه العباد إلى الذروة من مدارج التقوى ، والثانية تأمرهم بما يستطيعون - كلاً على طاقته - دون أية وقفة في أي من مدارجها حتى يصلوا إلى الذروة، وهي حق التقوى بمستطاعتهم، ولا يصل المتقي إلى حق التقوى إلا أن يأخذ مسيره في التقوى كما يستطيع حتى يصل إلى الذروة - كما في كل متدرج إلى الكمال .

الفرية الرابعة :

الحداد : وكقوله : ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لَا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ مع قوله : ﴿وَلَسْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ .

العدل في المحبة والقسم :

المناظر : العدل هنا غيره هناك - والبون شاسع - فهو في الأولى العدل فيما يجب من القسم والنفقة وأمثالهما فردياً وجماعياً - دون العدل في المحبة والحنان فإنه عدل غير مستطاع : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنْ نِسَاءٍ مِثْنَىٰ وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ (٤ : ٣).

حيث التنزل من حرة واحدة ثم إلى ما ملكت الإیمان مع التذييل بتعليل أن ذلك أدنى ألا تعولوا . هذا كالتصريح بأن العدل هنا إنما هو في النفقة وما إليها من واجب أحكام الزوجية - سواء أكان بين النساء أو بالنسبة لواحدة حرة - قضية لوجوب القسم والنفقة هن دون الأمة المملوكة ، أو الزوجة المنقطعة - والعدل بالنسبة لحررة واحدة لا يتصور أن يكون في المحبة ، فما معنى وجوب العدل في حب الزوجة الواحدة ؟ أجل إلا في نفقتها وعشرتها عشرة حسنة .

ولكن العدل في الآية الثانية فإنما هو في المحبة والحنان : ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (٤ : ١٢٩).

فإنها تستحيل العدل هنا بين النساء - لا وبالنسبة لواحدة أيضاً كما في الأولى ثم تنهى عن الميل والإعراض عن بعضهن كل الميل، فتكون كالمعلقة فلا هي أئيم ولا ذات بعل - فاكتفت عن العدل في المحبة بما يستطاع - من إيفاء حق القسم والنفقة حتى ترى أنها ذات بعل - وإن لم يتمكن الزوج من التسوية بينهما في ما سواهما من المحبة والحنان ، وأخيراً تأمر بالإصلاح والإلتقاء : بالعمليات الإيجابية والسلبية المفروضة في البيئة الزوجية - حتى يغفر الله ما دون ذلك مما لا يستطاع ...

الفرية الخامسة :

الحداد : وكقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ - مع قوله - أَمْرًا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾ .

المناظر : أجل إن الله لا يأمر بالفحشاء - بل إنه : ﴿ يَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١٦ : ٩٠) ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطْوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ (٢٤ : ٢١).

ولم يأمر المترفين بالفسق بتاتا وإنما يأمرهم بما يأمر من فروض فيفسقون ، أي يخرجون عن طاعته فيما أمروا : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمْرًا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ (١٧ : ١٦).

إعتباراً بأن تدمير القرى يناط بفسق مترفيها عن أمر ربها - لا أن يأمرها بالفسق ! بل بأن يأمرهم بما يأمر ، ثم فسقهم عن أمره ، أي خروجهم عن طاعته في أمره ، فسبحانه وتعالى ونعوذ به من سوء الفهم أن يخلط الامر بالفسق عن مطلق الأمر ، فيزعم أن الله قد يأمر المترفين بالفسق .

والقول الفصل في الآية : أن الله يريد بيان بعض الظروف المستدعية لتحقيق كلمة العذاب والتدمير وهو : أن يأمر المترفين بما يناسب وظروفهم من الواجبات المالية والجماعية ، فيفسقوا عن أمر ربهم ويعصوه - ولما كان فسق المترفين مدمراً للمصالح الجماعية : مالية وعقائدية وخلقية - دون فسق غيرهم - لذلك يعتبر فسقهم بخصوصهم عما أمروا به - يعتبره مقتضياً لتدميرهم لكيلاً يترسب ويفشوا الفساد الناتج عن فسقهم في المجتمع ، ولكي يذوقوا وبال أمرهم .

ولو أن الناظر في هذه الآية بلغ من الجهل إلى حيث لا يميز الفسق عن الأمر عن الأمر بالفسق فليقتف اطلاق القول : أمرنا ... ثم يتحسس عن سائر الآيات المناسبة : هل إن الله يأمر بالفسق ولو أحياناً؟ أم : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ (١٦ : ٩٠).

و : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٧ : ٢٧) فإذا تحقق عنده أنه تعالى لا يأمر بالفسق استشعر المعني من قوله تعالى ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ وهو الأمر بالخير ﴿فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ أي خالفوا أمره ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ (١٧ : ١٦).

الفرية السادسة :

الحداد : وقوله : ﴿الَّذِينَ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا ... وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ (٧٩ : ٢٧ و ٣٠) مع قوله : ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ حيث يتناقضان في خلق الأرض والسماء أيهما أقدم ؟

المناظر : أول ما نقول : إن آيات النزاعات إنما تستعرض دحو الأرض أي تحريكها - لا خلقها ، فلا تدل على تأخر خلق الأرض عن السماء - بل تأخر دحوها عن خلق السماء فحسب - أي أن الله تعالى حرك الأرض وكان نتيجة الحراك أن ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ وقد فصلتها الآيات في فصلت - كما تقدم - : أن تكملة الكرة الأرضية بظهور البركات والأقوات وجعل الجبال فيها ، هذه كانت قبل خلق طباق السماء ، فالمقارنة بين آيات فصلت

والنازعات تنتج: أن دحو الأرض وإخراج الماء والمرعى عنها وإرساء الجبال فيها - هذه إنما كانت بعد بناء السماء دخاناً، لا جعلها سبعاً، فإنه مؤخر عن تكملة الكرة الأرضية - حيث إن للسماء مرحلتين: الحالة الدخانية قبل طباقها - وحالة الطباق - والمعني من بناء السماء في النازعات إنما هو البناء الأول، حيث الثاني إنما هو بعد تكملة الأرض لآيات فصلت كما مضت.

فلا تنافي بين خلق الأرض وتكملتها في أدوارها الثلاثة قبل طباق السماء، وبين دحوها وتكملتها بعد بناء السماء، فليتك يا حداد تأملت وفكرت تفكيراً صالحاً - ولا أقل ساذجاً - في أي الذكر الحكيم، ولم تستعجل بما فيه فضيحتك وحتى في الأدب العربي فضلاً عن دقايق العلم!

ولا تكن يا صاحبي - على ثقافتك - كمن كان ينهى عن الصلاة مستدلاً بالآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ ناسياً قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾! خذ حذرَكَ أن تقول ما يفضحك بعد حين!

الفرية السابعة:

الحداد: وكفوله عن عصا موسى - تارة: ﴿فَإِذَا هِيَ تُعْبَانُ﴾ - أي الكبير من الحيات - وأخرى: ﴿تَهْتَرُ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ وهي الصغيرة منها!

جانُّ وُتعبان!

المناظر: الآيتان تخبران عن هاتين الحالتين لعصى موسى لوقتتين بينها بون

شاسع ، لا لوقت واحد : فالحالة الأولى إنما كانت في بداية رسالته : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾ (٢٧: ٨ - ١٠).

حينذاك يميّزه ربه بما يُريه من آيات رسالته لكي يأنس بها ويكون على سابقه أنس منها - فلا يستوحش ويعقب عند فرعون عن عصاه كما عقب وخاف بداية أمره - وكان يكفيه في البداية تبدل عصاه حية صغيرة تسعى - لأن ذلك وتبدلها ثعباناً مبيناً ، هما على سواء في الإعجاز ، ولكي لا يخاف أزيد مما خاف - ولتكون آية له من صورتها الأخيرة التي يظهرها عند فرعون وملاءه .

والحالة الثانية عندما أتى فرعون : ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ .. قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ (٧: ١٠٤ و ١٠٦ - ١٠٧).

فهل هناك تنافٍ بين حالتين تعرض عصا موسى في وقتين مختلفين لكي يعتبرهما الحداد تضاداً في القرآن ، إذاً فلا يخلو - كائن متغير عن التضاد - ولنا تكذيب الحداد إذا أخبر عن نفسه : أني كنت نطفة عفنة ثم أتبدل جيفة نتنة وأنا الآن بين الحالتين خصيم مبين !

هاشم العربي: (١) ... إن تعارض كلامه أحياناً ، يدلنا أنه ليس من الله في شيء

(١) مترجم «مقالة في الإسلام» لمرجس صال الإنجليزي ، رداً على الإسلام - وما نقله هنا إنما هو من الإستدراكات التي ذكرها في ترجمته على هذا الكتاب .

كما يقول : ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ فهو إذاً بحكم نفسه - من عند غير الله ، وحسبنا لتأييد حجتنا ذكر لمع من تناقضه .

المناظر : هاشم العربي ومن ينحو منحاه طالما أتعبوا أنفسهم لكي يظهروا على تناقض في القرآن ليقضوا على وحيه كما قضي على كتبهم بمئات المناقضات - ولكنهم لم يأتوا بشيء إلا والقرآن يخجلهم فيه بينات آياته - وقد يذكر هذا المؤلف ما يكرره كتاباتهم في الرد على القرآن وفيما يلي إقتراءات من الهاشم العربي :

الفرية الثامنة:

هاشم : ... يذكر في النحل أنه ﴿لِسَانُ عَرَبِيٍّ مُبِينٌ﴾ والمبين لا يحتاج إلى تأويل - فنقض ذلك بقوله في آل عمران : أن فيه آيات متشابهات ، وأنه لا يعلم تأويله إلا الله !

المناظر : عربي أي بين لا تعقيد فيه ولا شيء آخر مما ينافي الفصاحة والبلاغة ومبين يعني مظهر للحقايق وما له صلة بفلاح الإنسان في نشأته ، وهاشم العربي يفسر المبين - وهو متعد - بتفسير العربي ؛ - اللازم - تفسيراً للمظهر بالظاهر ، وقد غلط فيه أيضاً غلطاً على غلط ، حيث خُيِّل إليه أن التأويل تفسيرٌ ، فاستنتج : أن حاجة المتشابهة إلى التأويل تنافي كونه مبيناً -

حال أن القصد من بيان القرآن للناس ليس تأويله : الذي يخص بالله - كلاً - وبالراسخين في العلم - بعضاً - ، - بل إنما هو ما يظهر منه ولو بالتأمل في مغزاه ومعناه - فالقرآن، بيان ومبين بمحكمه ومتشابهه وإن كان المتشابه يتضح معناه بإرجاعه إلى محكمه كما سوف يأتي في البحث الآتي عن المحكم والمتشابه .

الفرية التاسعة :

هاشم : وقال في يونس خطاباً لفرعون وقد أتبع بني إسرائيل بغياً حتى أدركه الغرق : ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً ﴾ ومعناه أن الله نجى فرعون من الغرق - فنقض ذلك بقوله في الإسراء : ﴿ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴾ وفي الزخرف : ﴿ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ وفي القصص ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾ !

المناظر : آية النجاة لا تدلنا إلا على أن الله نجى بدن فرعون بعدما أدركه الغرق : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ (١٠ : ٩٠ - ٩٢).

فهاشم العربي استغفل عن بدن فرعون فرعم، أن الآية تعني نجاة فرعون عن الغرق إطلاقاً حتى تنافي الآيتين الأخيرتين أنه غرق ومن معه - ولتنافي صدر الآية أيضاً : ﴿ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ ﴾ !

أو أنه استحالة الجمع بين غرق الإنسان في الماء ثم خروج بدنه ميتاً - ولذلك ودياك يرى بين آية نجاة البدن وآية الغرق تناقضاً .

فهو لا يبني بناية التناقض إلا على حذف البدن عن الآية الأولى - أو استحالة الجمع بين الغرق وخروج بدن الغريق بعد موته - والأول استغفال عن الآية نفسها - والثاني خروج عن حكم العقل والحسن !

الفرية العاشرة:

هاشم: وقال في مريم عن لسان عيسى ابنها: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ وهذا إثبات لموت عيسى وبعثه - لكنه منقوض بقوله في النساء: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ^(١) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ وهذا نفي لموته وبعثه، وهو المعنى الذي أراده القرآن، وإلا فقد كذبه بما تنبأ عن نفسه ولا أظنه أراد ذلك.

المناظر: ليت شعري أيّة منافات بين رفع عيسى عن الأرض إذ أرادوا صلبه وبين أنه يموت في المستقبل - إلا أن يفسر الهاشم مستقبل الموت: يوم أموت، بما ضيه: مت، حتى يحقق ما يهواه من تناقض الآيتين في زعمه - أو يقول بخلود المسيح في الحياة الدنيا وأنه لا يموت لحدّ قيام الساعة!

ولكن الآية الأولى تصرح: أن المسيح سوف يموت في المستقبل، وأنه يبعث بعد موته يوم القيامة - والثانية: أن الله تعالى رفعه عن الأرض دون صلب، وهذا كما يلائم ورفعته حياً - كذلك يلائم رفعه ميتاً بغير الصلب - وإنما الآية: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ (٤: ١٥٧) هي التي تأتي شاهدة على حياته عند رفعه ولحدّ الآن، وحتى يؤمن به أهل الكتاب أجمعون - وكما نعتقده في دولة المهدي القائم عليه السلام.

فلم تكن دعوى الهاشم إلا كذباً في كذب - وهشياً تذروه الرياح - لا يستطيع أن يمس كرامة القرآن والله من وراء القصد.

(١) اسقط الهاشم هنا قوله تعالى: ولكن شبه لهم، ليشبه الأمر على القارئ وأنى له هذا!

مشاكل إسرائيلية غادرة : ...

الفرية الحادية عشر :

كيف يتلائم ذل اليهود مع واقعهم الحالي ؟

ربي : وهناك أيضاً مناقضات بين الآيات في ذل بني إسرائيل وعزهم - في ناحيتين :

١ - تناقض الآيات كلٌّ مع الأخرى .

٢ - تناقضها مع الواقع الخارجي :

فمن الأولى : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ (٥٩ : ٢) مع قوله : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ (١٧ : ٥).

فكيف يجتمع الذل مع العلو الكبير ؟

ومن الثانية : مناقضة آيات الذل مع الواقع الحالي ومن قبل زمن طائلة - حين استقلت اليهود بدولة فذة قوية هي : دولة إسرائيل - فعلت على عشرات الملايين من العرب وسواهم فاستغلّتهم واستعمرتهم وأذلّتهم - رغم إنباء القرآن : أنهم مضروب عليهم الذلة والمسكنة و : أن إله القرآن تأذن : ﴿ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٧ : ١٦٧).

فهل إن إله القرآن نسي أن يبعث من يسومنا سوء العذاب إلى يوم القيامة ؟ أم قامت قيامته عند قيام إسرائيل ؟ أم إنه عجز عن الوفاء بوعدته مخالفة القوات

المجبرة الإسرائيلية أن تغتاله كما اغتالت عبيده المسلمين!!!

المناظر : يا صاحبي لقد أسرفت في تقوُّلك الزور والغرور، وتطوُّلك على القرآن، وكأنك لم تسمع لحد الآن إلى نتاج المقارنات السالفة بين القرآن والكتاب المقدس!.. أو نسيت أن تستعرض الآيات بتمامها أو أن تتدبر في معانيها ومراميها - ولكي تعارضنا بمثل ما ابتليت به لحد الآن، وسوف تبتلى بأشد مما سلف!
فهاك الآيات وإيانا - نقابل فيها كما يحق - فإننا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين .

طلاب إسرائيليون وإنجيليون : أجل يا أستاذ! فإن ربي قد أساء الأدب على القرآن : الكتاب المهيمن الإمام ، والسند الأول والأخير والمعيار المنير لمختلف الخلافات والشبهات - فرجاء العفو والبيان الفصل في تلك الآيات ﴿ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ .

ما هي الذلة والمسكنة وإلى متى؟

المناظر : هناك في الذكر الحكيم آيتان تصرحان بذل اليهود ومسكنتهم لحدِّ ما وثالثة تبعث عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب بشرطٍ ما، ورابعة تصرح أنهم سوف يفسدون في الأرض مرتين وليعلن فيها علواً كبيراً - لزمانٍ ما - فهي إذاً طوائف ثلاث :

الأولى : تذكرنا بما أنعم الله به عليهم من نعمات روحية : هي ابتعاث الكثير من رجالات الوحي منهم - وإنجائهم من فرعون وملاءه - وأخرى مادية : هي

إغراق فرعون وملائه الذين كانوا يسومونهم سوء العذاب ، يذبجون آبائهم ويستحيون نساءهم ، وما إلى ذلك من نعم لا تحصى ، وهم يقابلونها بالكفر والعصيان فقد اتخذوا العجل في غيبة موسى حيث غاب عنهم أربعين ليلة ، دعوة من ربهم لصالحهم - وامتنعوا عن الإيمان بموسى وربه إلا أن يرووا الله جهرة -

وبعد هذه كلها انعم الله عليهم بإنزال المن والسلوى وهم في التيه أربعين سنة فلم يرتضوا نعمته واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير : فأمرهم الله :

﴿ اٰهْبِطُوۡا مِصْرًاۙ فَاِنَّ لَكُمْۙ مَّا سَاَلْتُمْۙ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلٰتُۙ وَالْمَسْكَنَةُۙ وَبَاۗءُواۙ بِغَضَبٍۙ مِّنَ اللّٰهِۙ ذٰلِكَۙ بِاَنَّهُمْۙ كَانُوۡا يَكْفُرُوۡنَۙ بِآيٰتِ اللّٰهِۙ وَيَقْتُلُوۡنَ النَّبِيِّۙنَۙ بِغَيْرِ الْحَقِّۙ ذٰلِكَۙ بِمَاۙ عَصَوْۤاۙ وَكَانُوۡا يَعْتَدُوۡنَۙ ﴾ (٢ : ٥٩).

فقد ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة لا لأنهم يهود ، بل لكفرهم بآيات الله واعتدائهم على عباد الله ، وقتلهم أنبيائه ، فلم يبقوا رباطاً فيما بينهم وبين الله ولا خلقه ، فانتظعت عنهم العصمة والحرمة ، خلقاً وخالقاً - وهذا ما تقتضيه طبيعة الحال بالنسبة لكل أمة تهتك وتقطع الحبلين : حبل الخالق وحبل المخلوق ، يكفر بالله ويعتدي على خلقه .

وأما الذين آمنوا بالله ولم يعتدوا على خلقه فلهم أجرهم وعزهم على مستوى إيمانهم وعدلهم - إن يهوداً أو نصارى أو صابئين - كما في التصريحة التالية الآية الذل :

﴿ اِنَّ الَّذِيۙنَ اٰمَنُوۡا وَالَّذِيۙنَ هَادُوۡا وَالنَّصٰرٰىۙ وَالصّٰبِئِيۙنَۙ مَنْ اٰمَنَۙ بِاللّٰهِۙ وَالْيَوْمِۙ الْاٰخِرِۙ وَاَعْمَلۙ صٰلِحًاۙ فَلَهُمۙۙ اَجْرُهُمۙۙ عِنۡدَ رَبِّهِمۙۙ وَلَا خَوْۙفٌۙ عَلَيۡهِمۙۙ وَلَا هُمْۙۙ يَحۡزَنُوۡنَۙ ﴾ (٢ : ٦٠).

فللايمان والعمل الصالح أثرهما - ولأحدهما أثره - وللإيمان بالله وعدم الإعتداء على عباده أثرهما - ولكلٍ أثره .

فكل أمة تربط كيانها برباط الإيمان بالله والعدل في خلقه فلها الإعتلاء والعزة تماماً .

وكل أمة تقطع الرباطين - فلها الذلة والمسكنة تماماً .

وكل أمة تأخذ أحدهما وتذر الآخري فلها على قدر ما تأخذ، وعليها قدر ما تترك «وأن ليس للإنسان إلا ما سعى» .

إذ ذاك فليس ضرب الذلة والمسكنة على اليهود لزاماً طوال دهرهم لأنهم يهود - وإنما هو ما كانوا أعداء الله ومعتدين على عباده ... كما أن النصارى والمسلمين أيضاً إذا عصوا ربهم وظلموا عباده ذلوا ... فليس الإسلام ولا اليهودية والنصرانية جنسية في ثغر الانتساب الجائف ، دون شريطة الإيمان والعلم الصالح ، بل وإنما الأصل الجوال في هذه الجنسيات هو الإيمان والعمل الصالحان .

إلا بحبل من الله وحبل من الناس :

ثم هناك تصريحه أخرى تبين حد الذلة والمسكنة بأسبابها قائلة :

﴿لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أذىً وَإِنْ يُقَاتِلُكُمْ يُوَلُّوكمُ الْآدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ* ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تُثَقَّفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَآؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٣: ١١١ - ١١٢).

حبل من الناس :

وإسرائيل وإن تركت حبلاً من الله فذلت عند الله وعند المؤمنين لتركها حبله المتين ، إلا أنها لما أخذت تستحكم حبلاً من الناس فيما بينهم أنفسهم باتحادهم بعد الفرقة ، ومع قوات الإمبريالية الاستعمارية الانكلوأمريكن . فشدوا حبلاً من الناس ...

وبهذا الحبل الغادر أخذوا يستغلون المسلمين حيث هم تركوا حبل الله وحبل الناس معاً . فلا وحدة فيما بينهم أنفسهم، ولا اعتصام لهم بحبل الله كما يجب، ولا ريب أن صاحب حبل واحد يقضي على تارك الحبلين !

دويلة العصابات الصهيونية :

فنحن وإن كنا لا نعتبر دويلة العصابات كدولة مستقلة إسرائيلية ، فإنما هي عملية الاستعمار الأنكلوأمريكن ، ومصيدة الإستعمار العالمي ، تُصطاد بها سائر الدول ، إلا أن لحبل الناس أثره وإن دائراً مؤقتاً !

طالب إسرائيلي : كيف تغلب إسرائيل على المسلمين وإن على شذمة منهم وهم مكفول لهم بالنصر : ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْتُوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ (٣ : ١٠٨).

المناظر : أجل - إلا أنهم ليسوا كل من تسمى باسم المسلم وتجنس بالجنسية الإسلامية ، وإنما هم من خوطبوا قبل ذلك بالآيات التالية في سورة آل عمران : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ

بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (٩٦) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٩٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (٩٨) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا... (٩٩) وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَىٰ الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠١) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٢) كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ... (١٠٧) لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلِّكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصِرُونَ ﴿

فهذه شروط النصر :

(١) ألا يطبع المؤمنون الكفار (٢) وأن يعتصموا بالله (٣) ويتقوا الله حق تقاته (٤) ويعتصموا بحبل الله جميعاً (٥) ويكون فيهم أمة داعية إلى الخير... (٦) ولا يتفرقوا ...

إذ ذاك فلن يضروهم بهذه الشروط والأحوال - لا على أية حال ، لا أن يكتفوا بالجنسية الإسلامية ويتركوا حبل الله وحبل الناس .

ثم لئن انتصرت إسرائيل من شرذمة من المسلمين فلن يعتبر هذا لهم عزاً ، وإنما ذلك لانتكاس المسلمين عن حقيقة إسلامهم واستمساك اليهود بحبل من الناس : فيما بينهم أنفسهم بتدعيم الوحدة ، وبينهم وبين المستعمرين الأنكلوأمر يكن حيث أصبحوا عملائهم من حيث يشعرون أو لا يشعرون .

ثم إن ضرب الذلة والمسكنة على اليهود - من بداية أمرهم إلى ظهور الإسلام

إلى ما قبل سنين - ليس مما يمكن الإرتياب فيه ، حيث كانوا طوال هذه القرون المتتالية خَطَفَةً لكل خاطف وأذلة لكل مستذل ، دون أن تكون لهم دولة مستقلة أو حالة ثابتة - إلا ذلة ومسكنة - .

ذلة حيث كانوا منبئين في البلاد خائفين من كل صيحة يحسبونها عليهم ومسكنة ولو كانوا أغنياء حيث لا يهتمون إلا بتجميع الأموال وادخارها دون أن يصرفوها إلا كآكل الميتة ... هذه هي الذلة الصهيونية في الواقع الخارجي مدى دهر طويل ، ثم هم أذلاء في حكم الإسلام ما داموا يهوداً وإن علوا ما علوا في زعمهم وزعم أسيادهم ، فإن ضرب الذلة لا يخص الواقع الخارجي ...

وأما دويلة العصابات - فالقرآن يخبر عنها وعن إفسادها في الأرض مرتين وعن علوها الكبير ، وهم - على طول الخط - مصابون بانتفاضات فلسطينية وسواها كما هي الآن ، وكما يقول الله : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ (٧ : ١٦٧).

إفسادان وعلوان عالميان لليهود !:

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَتَتَغَلَّنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ (١٧ : ٥).

فقد يستثنى عن ذلهم هنا الزمن الموعود لإفسادهم العالمي وعلوهم الكبير ، إن اعتبرناه عزاً وليس به ، فإنما العز في طاعة الله وتطبيق أوامره ، والمفسد العالمي ذليل في معيار الحق مهما كان عالياً : ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ﴾ .

طليعة السلطة الموعودة الإسرائيلية الغادرة :

ولم يسبق في التاريخ طيلة القرون الإسرائيلية أن تتحقق لهم دولة فذة تعلوا العالم وتسيطر على الأرض إفساداً لها فتهلك الحرث والنسل - لم يسبق لحد الآن - إلا أن احتلال فلسطين ثم القدس ... طليعة المرة الأولى من علوهم العالمي - إلا أنها لا تستمر - فقد يقضى عليها بعباد صالحين :

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴾ (١٧ : ٦).

... إن الديار المقدسة بما فيها القدس

سترجع بقوات المسلمين المجاهدين :

فهؤلاء العباد الصالحون المبعوثون من عند الله إنما هم المجاهدون من المسلمين ﴿ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ﴾ استقصوا خلال الديار كلها - ما يظن أنكم أخفيتم أنفسكم فيها - فجاسوا على حرص وولع بالغ حتى قضاوا عليكم ﴿ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴾ اللهم حققه فينا بحق فاتح خيبر!

المرة الثانية والأخيرة:

ثم إن الله يرد لكم - اليهود - الكرة على المسلمين تمحيصاً لهم وابتلاء لكم ، للمرة الثانية والأخيرة :

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ

نَفِيرًا * إِنَّ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا * عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿١٧: ٧ - ٩﴾.

في هذه المرة الثانية والأخيرة من السلطة العالمية الإسرائيلية وهي أعلى من الأولى: «علواً كبيراً» يرد لهم الكرة على المسلمين بما أمدهم من أموال وبنين، فيملي لكم لا لشيء إلا لتزدادوا إثمًا أم إيماناً وعملاً صالحاً، «فإذا جاء وعد المرة الآخرة» من السلطة العالمية الإسرائيلية إذ ذاك فهو لآء العباد الصالحون الذين جاسوا خلال الديار للقضاء على اليهود لأول مرة، فهم يسوئون وجوه الصهيونية العالمية ويدخلون المسجد الأقصى المحتلة كما دخلوه أول مرة، ولكي يتبروا: يدمروا ويهلكوا لحد النهاية الإعتداء الصهيوني للمرة الثانية والأخيرة.

ثم لا تكون لهم أية سلطة جبارة لحد القيامة الكبرى في دولة الحق، إلا أن يؤمنوا أو يستسلموا لدولة الحق فيرحمهم الله كما يرحمون أنفسهم، وإن عادوا في الكفر والعناد عاد الله في تدميرهم وإبادتهم ولا يزال ﴿مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾.

فهو لآء العباد الصالحون، هم الذين يسومونهم سوء العذاب وكما يقول: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٧: ١٦٧).

... سريع العقاب إذا كفروا واعتدوا، وغفور رحيم إذا آمنوا واستسلموا ...

المسلمون يدمرون السلطات المعتدية الإسرائيلية مرتين :

١ - بالعمليات الفدائية : الانتفاضة

... فالمرّة الأولى لعلها تبدو بالعمليات الفدائية المتواصلة في الأراضي المقدسة ولكي تسترجع قدسيتنا ، إذا استقامت واتحدت الحكومات الإسلامية وحققت وطبقت هذه البشارة الإلهية في التضحيات المتواصلة من الفدائيين المؤمنين .
والأ فسوف تتحقق هذه البشارة في مستقبلنا فيقضى على السلطات الإسرائيلية بأيدينا نحن المسلمين .

٢ - بأصحاب قائم الإسلام المهدي عليه السلام

والمرّة الثانية سوف تتحقق في دولة القائم المهدي عليه السلام حيث يقضى فيها على جميع السلطات : اللادينية واللائسانية ومنها السلطة الصهيونية ، فأصحاب المهدي عليه السلام هم الذين يواصلون في سوم هذه السلطات سوء العذاب إلى يوم القيامة، كما في رواياتنا .

والآية لا تقرر أن هؤلاء يواصلون عملياتهم الإصلاحية من حين نزولها لحد يوم القيامة ! حيث تقول : ليعثن ، اي أنه تعالى سوف يبعث من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة .

فإن كانت هذه المواصلتة دون انقطاع ، فهؤلاء المصلحون إنما هم أصحاب المهدي عليه السلام حيث لا ينهزمون طيلة القرون في دولة الحق لحد القيامة الكبرى .
وإن كانت على انقطاع ، فقد أخذت الحكومة المحمدية من البداية تُسود

وجود اليهود وأحزابهم سوء العذاب، ولا تعتبر الأزمنة القصيرة لسلطات اليهود الجبارة - كما في هاتين المرتين - لا تعتبر بشيء في جنب الذل والخزي المتواصل لهم عبر القرون لحد القيامة، وكما نرى الآن انتفاضة فلسطينية ضدهم ليل نهار .

! ! !

إذاً فلا منافات بين آيات الذل والسوم وآيات الإعتلاء العالمي لليهود .
وقد يقال : إن واقعهم الحالي وفي المرة الثانية في اعتلائهم، هذا لا ينافي وذلمهم في جنب الله وفي جنب المؤمنين وسائر الناس .

أما في جنب الله فما قيمة سلطة جائرة تختلف عن التشريع المقدسة الإلهية ؟
وكذلك في جنب المؤمنين .

وأما في نظر العالم - فما قيمة سلطة دائرة تخلفها الولايات المدمرة المتواصلة :
أن يبعث الله عليهم من يسومهم سوء العذاب ، وهي في نفس الوقت عميلة الإستعمار !

فهب إنها خروج عن الذلة، ولكنه ليس إلا بجبلٍ من الناس كما في تصريحه .
أن تصبح الصهيونية عميلة الإستعمار وأدات له ، فتحمل أوزار المستعمرين على عواتقها دون عائدة وفائدة . إلا وبالأخير قضاءً حاسماً لكيانهم .

وكما في تصريحه أخرى : أنه ليس إلا لمرتين - ثانيتهما هي الأخيرة - ثم لا ترى إسرائيل وجه الإستقلال والعز إلا إذا آمنت بما آمن به المسلمون أن تستسلم للسلطات العادلة الإسلامية عبر قرونها ، ولا سيما في الدولة الأخيرة المهدوية .
عجل الله فرجه وسهل مخرجه .

* * *

توجيه اسلامي هام

وأخيراً نلفت انظار المسلمين بحكوماتهم وشعوبهم - بمختلف قومياتهم وطائفياتهم بما يلي:

أيها المسلمون! إن الخطر لعظيم عظيم - ولا دافع إلا الله - ولا يدفع عنكم وينصركم قبال اعدائكم إلا ان تصروا دينه: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (٤٧: ٧) ﴿وَإِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ﴾ (٣: ١٦).

وإلا أن تعتصموا بحبل الله جميعاً - ألا وهو القرآن العظيم - تطبيقاً لأنظمتة الخالدة في شتى المجالات الحيوية ، دون أن تنفرقوا عنه ولا فيه ، ولا أن تنفرقوا فيما بينكم ، كلاً : فإنما يربطكم جميعاً الاعتصام بحبل الله، ويحافظ عليكم من مختلف العصابات الكافرة في ناحيتين :

١ - إعتصاماً طويلاً : أن تجعلوا القرآن إمامكم الوحيد وأمامكم في مختلف المجالات .

٢ - وآخر عرضياً وهو تدعيم الوحدة العريقة الأخوية فيما بينكم وتناسي الخلافات والضغائن الطارئة هنا وهناك، نتيجةً لمختلف القوميات والطائفيات ، فلا قومية ولا طائفية ولا عنصرية في الإسلام ، وإنما الميزة الأولى والأخيرة هي التقوى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (٤٩ : ١٣) ألا فادعموا عقد الأخوة

الإسلامية على دعائم التقوى والإيمان بالله .

ألا يا زعماء المسلمين - من روحيين وسياسيين - حققوا الصرخة المدوية في الذكر الحكيم : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا... ﴾ (٣ : ١٠٣) جمّعوا وركّزوا كافة الطاقات والإمكانات في قبال الإستعمار المثلث : الصهيوني الأنكلو أمريكي : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٣ : ١٣٩) ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ (٤ : ١٠٤).

ألا أيها الشعوب المسلمة ! أيها الفدائيون الإنتفاضيون المناضلون الأحرار ! أيها الانتفاضيون الأبرار ! كونوا صامدين في الخطوط الأمامية : معركة المجد والشرف، فالى خط النار للأخذ بالثار والقضاء على العار، إلى الأراضي المقدسة ف : ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ (٥ : ٢١) دّمروا القوات الإسرائيلية وجوسوا خلال الديار لتدميرهم وتشريدهم والقضاء عليهم ، كما قتلوا رجالكم وهتكوا حرمتكم وشردوا ذراريكم ، فهذه بيوتكم خاوية بما ظلموا ودياركم خالية بما شردوا وأبدان مضرجة بدمائهم !!!

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴾ (٤ : ٧٥) فكونوا أنتم الأولياء والأنصار الذين تواصلون التضحيات بالنفس والنفيس لاسترجاع قدسكم وقدسياتكم والأخذ بشاركم والإنتصار من أعداءكم .

﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ - ﴿وَهُمْ بَدَأُوكُمْ أَوْلَ مَرَّةٍ﴾ (٩: ١٣)
 ﴿وَلَقَدْ ابْتَدَعُوا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكُمُ الْأُمُورَ﴾ (٩: ٤٨) ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى
 لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾
 (٢: ١٩٣) ﴿فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ﴾ (٩: ١٢).

فيا لهذا الواقع المرير ، هذه الظروف القلقة المرة التي تمر على الإسلام
 والمسلمين من خلفيات موحشة ! يا لثارات إخواننا وأخواتنا وذرائعنا !
 يا لثارات الإسلام والمسلمين والمجد المحطم تحت نير الذل !
 ألا فانهضوا أيها المسلمون نهضة واحدة مدمرة للسلطات الصهيونية العميلة
 اللاإنسانية -

... فلقد سودت هذه الانتكاسة في حرب الأيام الستة وجه التاريخ الإسلامي
 المشرق المشرف ، ألا فيبضوا وجه التاريخ الإسلامي وطبقوا البشارة الإلهية القائلة:
 ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا
 خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا.... فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ
 وَيُدْخِلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوْلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ .
 ألا فدمروا قواتهم وادخلوا عليهم بلادهم وادخلوا المسجد الأقصى كما كان
 في أيديكم، والله من وراء القصد.

وعلى كافة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها التضحيات المتواصلة حتى
 النصر - بالنفس والنفيس - بالأسلحة والأموال - والاستعداد بكل ما يستطيع
 ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ
 وَعَدُوَّكُمْ﴾ وإن النصر لحليفكم ﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

آلاف الأغلط والمناقضات في العهدين :

طلاب كتابيون : أستاذ ! وهل هناك أغلاط واختلافات ومناقضات في الكتب المقدسة ؟

المناظر : أجل بالكثير الكثير ، لحد لا تحصى كما مضى ، وقد أنحأها الفاضل « ياركز » إلى ثلاثين ألفاً^(١) والقسيس « ميل » إلى نيف ومائة ألف وكما يقول « كريسباج » ويقول « شولز » إنها لا تحصى ، وفي دائرة المعارفة البريطانية والفرنسية أنها زهاء مليون - وقد يعترف بهذه الاختلافات الكثيرون مثل : اكهارن - كيسر - هيس - ديوت - ويز - فرش^(٢) فهناك اختلافات بين مختلف النسخ ومختلف التراجم وفيما بينهما ، وهناك أغلاطٌ وبالأخير تناقضات يحق لسردها تأليف كتاب فذ ولا نستطيع هنا إلا استعراض نماذج منها !!!

ربي والأسقف : هاك ما تدعي يا أستاذ ! فإننا ما نعتبر أمثال هؤلاء العلماء الكتابيين إلا عملاء مبتدعين !

(١) YARKZ في ج ٥ من تفسيره .

(٢) راجع إلى بيثة العهدين أوائل الكتابين فإن فيها قولاً فصلاً من ذكريات العلماء في أغلاط العهدين .

المناظر: إذأ يصبح كبار علمائكم علماء مبتدعين فمن ذا يبقى بعدئذ! وقد يكفي لصدق دعواهم وجود الإختلاف في العهدين وتصاريح: انسيكلو پديا بریتانیکا: باريس - حيث اشترك في تأليفه الكثيرون من كبار علماء العهدين .

الطلاب: هاك يا أستاذ فماذا تصنع هذه الإفتراءات المتعصبة من ربي والأسقف، قبال عسكر اختلاف العبارات في العهدين وهي من القضايا التي قياساتها معها .

المناظر: أجل وكما يقول ياركز^(١): «قالت ملة بروتسنت: إن المعجزات الأزلية والأبدية حفظت العهد العتيق والمجدید أن تصل إليها صدمة خفية - لكن هذه المسألة لا تقدر أن تقوم في مقابل عسكر اختلاف العبارات التي هي ثلاثون ألفاً» .

رغم أن هذا أقل ما يذكر ويعترف به من الإختلاف في الكتابات المقدسة، حيث أبحاها دائرة المعارف الفرنسية والبريطانية إلى مليون!

نماذج من الأغلط في العهدين :

زبانية العهد العتيق التسعة عشر :

١ - عمر الإنسان لا يعدو ١٢٠ عاماً!

في / تك ٦ : ٣ / فقال الرب لا يدين روجي في الإنسان إلى الأبد لزيغانه ، هو بشر وتكون أيامه مئة وعشرون سنة!»!

وهذا غلطٌ يزيفه الواقع الخارجي عبر القرون البشرية حيث عمر فيها

(١) المفسر الشهير الانجيلي في ج ٥ من تفسيره .

المعمرون بأضعاف ذلك لحد الألف والألفين عاماً ، وكذا تصاريح للتورات أن نوحاً
عمر ٩٥٠ سنة وسام ٦٠٠ وارفحشد ٢٢٨ و ...

ربي : قد يجوز أن المعني من ١٢٠ سنة الحد الأخير في أكثر الناس ولم يعمر
أكثر من هذا الحد إلا قليلاً .

المناظر : وكذلك لا يعمر ١٢٠ سنة إلا أقل القليل منهم فيلزم تخصيص الأكثر
وهو قبيح في مذهب الفصحاء ، وأيضاً هذا العام يأبى عن التخصيص وإن بالقليل
القليل لأنه معلل ، حيث البشرية - التي اعتبرت علة لهذا الحد النهائي من العمر -
تعم عامة البشر، إلا أن تعتبروا المعمرين ملائكة أو جنأً أو سنخاً غير البشر أياً كان!

٢- أغلاط ثلاث في آية واحدة:

في / لو ٣: ٢٧ / ابن يوحنا بن ريسا بن زربابل بن شألتييل بن نيري .

١ - فقد يذكر / ١ - أيام ٣ / أسماء بني زر بابل وليس فيهم ريسا - وفي نفس
الوقت هذا يخالف تصريح متى أيضاً!

٢ - زر بابل هو ابن فدايا وابن أخي شألتييل لا ابنه!

٣ - شألتييل ابن يوخانيا كما في متى لا ابن نيري!

٣- متى بني بيت المقدس؟

في / ١ - ملو ٦: ١ / وكان في سنة الأربعة والثمانين لخروج بني إسرائيل من
أرض مصر ، في السنة الرابعة لملك سليمان على إسرائيل ، في شهر زيو وهو الشهر

الثاني : أنه بنى البيت للرب» .

وهذا التاريخ غلط ، أجمع على خلافه المؤرخون وإن اختلفوا فيما بينهم كما يلي :

آدم كلارك^(١) يكتب عند شرح هذه الآية : أن المؤرخين مختلفون في تاريخ بناء البيت :

ففي المتن العبراني (٤٨٠) واليوناني (٤٤٠) وعند كليكاس (٣٣٠) و : كيور كانوس (٥٩٠) و : يوسى فس اليهودي (٥٩٢) و : سلبى سيوس سويروس (٥٨٨) و : اكليمنضس الإسكندري (٥٧٠) و : سيد رينس (٦٧٢) و : كود وما نوس (٥٩٨) و : واسي يوس وكايالوس (٥٨٠) و : سراريوس (٦٨٠) و : نيكولاس إبراهيم (٥٢٧) و : مستلي نوس / ٥٩٢ / و : بيتياويوس و : والتهى روس (٥٢٠) .
فلو أن النسخة العبرانية كانت إلهامية تعارضته الترجمة اليونانية وعسكر المؤرخين الكتابيين ، فهي إذاً ليست إلهامية ولا صحيحة كيفما كانت .
وقد نرى يوسفس واكليمنضس خالفا النسخة اليونانية أيضاً على تصلبها وتعصبها في المذاهب!

٤- وعدٌ مكذوب!

في / ٢ - صموئيل ٧ : ١٠ - ١١ / «وعيّنت مكاناً لشعبي إسرائيل وغرسته فسكن في مكانه ولا يضرب بعد ولا يعود بنوا الإثم يذللونه كما في الأول . ومنذ

(١) في ج ٢ ص ١٢٩٣ من تفسيره .

يوم أقت فيه قضاة على شعبي إسرائيل وقد أرحتك من جميع أعدائك».

وهذا وعدٌ مكذوب في ناحيتين :

١- أن الأشرار تسلطوا عليهم ، ومنهم سلطان بابل حيث أذلهم وأسرهم ثلاث مرات وقتلهم وأبادهم شر قتلة وابادة ، ومثله طيطوس الرومي حيث قتل منهم ١١٠٠٠٠٠ - قتلاً وصلباً وجوعاً ، وأسر منهم ٧٠٠٠ - ولحد الآن نرى إسرائيل متفرقة عبر البلاد إلا في دويلة العصابات الصهيونية الحالية التي لا تعتبر إلا عميلة وممثلة للإستعمار العالمي الجنهمي .

٢- وكذلك الأخبار قبل ١٤٠٠ سنة وهم المسلمون المحمديون حيث دمرهم وأبادوهم إلا من بقى في ذمة الإسلام . ولقد أخذوا منهم فلسطين بما فيها القدس الشريف لحد اعتبرت من البلاد المقدسة الإسلامية - وعماً قليل سترجع بلدة قادسة إسلامية كما كانت وكما وعدنا الله سبحانه : ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً﴾ .

فلم يكن مقام إسرائيل في الأراضي المقدسة ولا تجتمعهم فيها على أمن إلا لأيام قلائل يتكلم فيها إله صموئيل ، وآخر كمثلها - ورغم هذا الوعد العتيق أنهم يسكنون أراضيهم على رغد الأمن والعيش - فالتاريخ عبر القرون الإسرائيلية لا يعرف لهم دولة مستقلة وعزاً إلا قطرة من يم وساعة من قرن .. فيا لهم من ذلة متواصلة عبر التاريخ لحد النهاية إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد .. ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتُمْ﴾ ...

٥- اختلاف عجيب في عدد بني إسرائيل ويهوذا:

في تصرّيحة لـ / ٢ - صموئيل ٢٤ : ٩ / فدفّع يوآب جملة عدد الشعب إلى الملك فكان إسرائيل ثمانمئة ألف ذي بأس مستلّ السيف ورجال يهوذا خمسمائة ألف رجل» .

وفي أخرى لـ / ١ - أيام ٢١ : ٥ / فدفّع يوآب جملة عدد الشعب إلى داوود فكان كل إسرائيل ألف ألف ومائة ألف رجل مستلّي السيف ، ويهوذا أربعمائة وسبعين ألف رجل مستلّي السيف» .

فقد اختلف العددان في إسرائيل بـ ٣٠٠٠٠٠ - وفي يهوذا : ٣٠٠٠٠ .

٦- اختلاف هام في الأسماء :

قابل / ١ - أيام ٣ : ٢٩ - ٣٨ / و / ١ - أيام ٩ : ٣٥ - ٤٤ / تجد اختلافاً صريحاً في الأسماء المذكورة فيها ، إلى حيث يضطر آدم كلارك^(١) لينقل مقالة علماء اليهود : أن عزرا عند تجديد التورات وجد كتابين فيها هذه الآيات فلم يميز الصحيح من السقيم فيها ، ولذلك نقلها كما كانت دون ترجيح !

٧- الشك بين ٣ و ٧ :

في / ٢ صموئيل ٢٤ : ١٣ / فأتى جاد إلى داود وأخبره وقال له : أتأتى عليك سبع سنيّ جوع في أرضك ، أم تهرب ثلاثة أشهر أمام أعدائك وهم يتبعونك ، أم

(١) في ج ٢ من تفسيره .

يكون ثلاثة أيام وباء في ارضك» .

وفي / ١ - أيام ٢١ : ١١ - ١٢ / فجاد جاء إلى داود وقال له هكذا قال الرب
اقبل لنفسك . إما ثلاث سنين جوع أو ثلاثة أشهر هلاك أمام مضايقيك وسيف
أعدائك يدركك ، أو ثلاثة أيام يكون فيها سيف الرب ووباء في الأرض وملاك
الرب يعثوا في كل يوم تخوم إسرائيل» .
فهذا شك بين ثلاثة سنين وسبعة!

٨ - الشك بين السبعة والعشرة :

متى استقرت سفينة نوح على الجبل ؟ : في الشهر السابع أو العاشر ؟
في / تك ٨ : ٤ - ٥ / «أنها استقرت في اليوم ١٧ من الشهر السابع على جبل
من جبال ارارات .
وكانت تقل المياه تدريجاً إلى الشهر العاشر وفي اليوم الأول من هذا الشهر
ظهرت رؤوس الجبال» !
والإختلاف ظاهر في الآيتين، حيث الأولى تحكم بأنها استقرت في الشهر
السابع، وقضية الآية الثانية استقرارها في العاشر، لأنه بداية ظهور رؤوس الجبال.

٩ - الشك بين ٢ و ٧ :

ماذا أخذ نوح إلى السفينة ؟
يستفاد من / تك ٦ : ١٩ - ٢٠ و تك ٧ : ٨ - ٩ / أن الله أمر نوحاً أن يأخذ من

كل من الطيور والبهايم والحشرات زوجاً زوجاً ويسكنها السفينة» .
ومن / تك ٧ : ٢ - ٣ / أن يأخذ من كل بهيمة طاهرة ومن الطيور طاهرة
وغير طاهرة : سبعة سبعة ومن البهيمة غير الطاهرة زوجاً زوجاً ... فهذا تضاد بين
بين زوج وزوج ، وسبعة سبعة !

١٠ - ولد أكبر من أبيه بسنتين :

قضية الجمع بين / ٢ ملو ٨ : ٢٦ / و / ٢ - أيام ٢٢ : ٢ / جمعها في الصدق
والصحة - أن يهورام مات عن ابنه «أخريا» وكان أصغر منه بسنتين :
حيث الأولى تصرح : أن «أخريا» في بداية سلطنته كان ابن ٢٢ سنة وبقى
سلطانه في أورشليم سنة ، وإسم أمه عثليا بنت عمري ملك إسرائيل -
والثانية : أنه كان بداية سلطانه ابن ٤٢ سنة ، آه .
والأخيرة غلط كما يقرُّ به المفسرون ، وكيف لا ! مع أن يهورام أبي «أخريا»
مات في الأربعين من عمره - فجلوس ابنه إذ ذاك على عرش الحكم وهو ابن ٤٢
سنة يقتضي أنه كان أكبر من أبيه حينذاك بسنتين .

١١ - أب يلد وهو ابن إحدى عشر سنة :

قضية الجمع بين / ٢ ملو ١٦ : ٢ / و / ٢ ملو ١٨ : ٢ / أن حزقيا ولد عن أب
له إحدى عشر سنة!
حيث الأولى تصرح : أن «أخريا» جلس على عرش الحكم في العشرين من
عمره ، وحكم في أورشليم إلى ستة عشر سنة ، فهذه ستة وثلاثون سنة .

والأخرى تصرح : أن ابن حزقيا لما جلس على عرش الحكم كان له من العمر خمسة وعشرون سنة ، إذ أفالنتيجة : أن أباه إذ ذاك كان ابن إحدى عشر سنة ، أو يقال إن إحدى الآيتين غلطٌ ، وكما في في تفسير هنيري واسكات : أن الظن الغالب في الأولى هو الثلاثون بدل العشرين لكي يستقيم تقدير السن فيها .

١٢ - الشك بين ٨ و ١٨ :

في ٢ - ملو ٢٤ : ٨ / أن يهويياكين في ١٨ من سنى عمره جلس على عرش الحكم واستمر لثلاثة اشهر - وأمه «نحشتاتي» بنت الناثان من أورشليم .
وفي ٢ / أيام ٣٦ : ٩ / انه إذ ذاك كان ابن ثمانى سنين واستمر سلطانه ثلاثة أشهر وعشرة أيام .

١٣ - أغلاط ثلاثة في آية واحدة :

بين الآية / ٢ - صموئيل ٢٣ : ٨ / و / ١ - أيام ١١ : ١١ اختلافات أنهاها الدكتور «كاني كات» إلى ثلاثة قائلاً : إن في هذه الآية تحريفات ثلاثة جسيمة^(١).

١٤ - الاختلاف في صندوق العهد :

في / ٢ صمو ٥ و ٦ / داوود جاء بصندوق العهد بعد محاربة فلسطين .

(١) ينقله عنه آدم كلارك في تفسيره .

وفي / ١ - أيام ١٣ و ١٤ / أنه أتى به «قبل المحاربة» .. ولم تكن الحادثة إلا واحدة!

١٥ - الشك بين ٢٠٠٠ و ٣٠٠٠:

الإختلاف في صرح سليمان المرد - كم حجمها ؟
في / ١ ملو ٧ : ٢٦ / وغلظه شبرٌ وشفته كعمل شفة كأس بزهر سوسن . يسع الفين بناً^(١) .

وفي / ٢ - أيام ٤ : ٥ / وغلظه شبرٌ وشفته كعمل شفة كأس بزهر سوسن . يأخذ ويسع ثلاثة الأف بث .

١٦ - أنبياء التورات يغلطون في حساب ساذج !

المقابلة بين الباب ٧ من نحيا و ٢ من عزرا تنتج : أن بينهما إختلافاتٍ واغلاطاً عظيمة في مواضيع شتى ، ومنها : أن النبيين أجمعا على غلط فاضح في حساب ساذج ، فقالا : إن جميع الذين أتوا من بابل إلى أورشليم بعد إطلاق أسرى بابل - ٤٢٣٦٠ - شخصاً .

حال أن حاصل جمعهم في استعراض عزرا (٢٩٨١٨) وفي نحيا (٣١٠٨٩) فقد اتفقا على غلط فاضح ! ولذلك إن المؤرخ يوسيفس اليهودي^(٢) يخطئها في

(١) أي خم من الماء .

(٢) في الباب الأول الباب ١١ من تأريخه .

الجمعين ويعتبر العدد (٤٢٤٦٢) وجامعوا تفسير هنيري وإسكات يصرحون في تفسير كلام عزرا: أن هناك بين البابين اختلافاً شاسعاً.

١٧ - الشك بين الله والشيطان !:

في / ٢ - صمو ٢٤ : ١ / وعاد فحى غضب الرب على إسرائيل فأهاج عليهم داود قائلاً: إمض واحص إسرائيل ويهوذا .
وفي / ١ - أيام ٢١ : ١ / ووقف الشيطان ضد إسرائيل وأغوى داود ليحصى إسرائيل .

فاقض العجب من سوء الأدب والمناقضة الفاضحة بين الآيتين ثم اقض ما أنت قاض !

١٨ - غلط في النسب :

في / قضاة - ١٧ : ٧ / كان شابٌ من بيت لحم من يهوذا وكان من اللاويين» .

وهذا غلط ، حيث لا رباط بين اللاوي وقبيلة يهوذا - والمفسر «هارسلي» يعترف بهذا الغلط و «وهيوبي» يسقط هذه العبارة من متنه .

١٩ - غلط في الواقع الخارجي :

في / دانيال ٨ : ١٣ - ١٤ / فسمعت قدوساً واحداً يتكلم فقال قدوس واحد لفلان المتكلم : إلى متى الرؤيا من جهة المحرقة الدائمة ومعصية الخراب لبذل القدس

والجند مدوسين . فقال : إلى ألفين وثلاثمائة صباح ومساء فيتبرأ القدس» .
فإنها تخبر عن حادثة خراب البيت أنها لحد ٢٣٠٠ يوماً من زمن الإخبار
أي ست سنين وثلاثة أشهر وتسعة عشر يوماً - وعلماء الكتابين حائرون في تعيين
مصدق صحيح لهذا الخبر كالتالي :

فالجمهور من مفسري بايبل يعتبرونه حادثة «انتيوخس» ملك روم ، حيث
حدثت في ١٦١ قبل الميلاد - فقد سيطر على أورشليم حينذاك - واختار هذا الرأي
يوسيفس اليهودي، إلا أنه حسب تصريح هذا المؤرخ^(١) لم يتسلط انتيوخس على
المقام المقدس إلا ٣/٥ سنين - والأيام الموعودة في دانيال ٦ سنين و ٣ أشهر و ١٩
يوماً - ولذلك فإن «إسحاق نيوتن» يخطئ هذا الرأي : أن تكون الحادثة من
انتيوخس - ومثله «طامس نيوتن» في تفسيره^(٢) حيث ينقل قول الجمهور ثم يزيفه
مستحسناً قول «إسحاق نيوتن» ثم يؤكد : أن الحادثة ليست حادثة انتيوخس ، ثم
يحتمل أنها تخبر عن ملوك روم وبابائهم .

ويقول : سنل جانسي^(٣) في تفسير هذا الخبر : إن تعيين مبدء زمان الحادثة في
غاية الإشكال» ...

أقول : لا إشكال أن المبدء هو زمن الرؤيا دون ريب، وإنما المشكلة هي عدم
وفق الواقع الخارجي للزمن الموعود ، والمحق كذب الخبر - وفي ذلك راحة

(١) في الباب ٩ من تأريخه .

(٢) الذي ألفه في الحوادث الآتية المدرجة في بايبل - المطبوع في لندن سنة ١٨٠٣ - ج ١ .

(٣) في تفسيره عن الأخبار الآتية المطبوع ١٨٣٨ وقد ادعى أنه جميع تفسيره هذا من ٨٥
تفسيراً .

للمفسرين أجمعين حيث الحادثة لم تحدث للمدة الموعودة !
فهذه الزبانية التسعة عشر نماذج يسيرة من أغلاط العهد العتيق في غير
الأحكام، وفيها أكثر وأكثر، وإليكم نماذج من الأغلاط والتناقضات من العهد
الجديد:

١- الشك بين ١٣ و ١٤ في طبقات ثلاث :

في / مت ١ : ١٧ / «فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلاً،
ومن داود إلى سبي بابل أربعة عشر جيلاً، ومن سبي بابل إلى المسيح أربعة عشر
جيلاً» .

فهذه تصريحاً أن نسب المسيح يشمل ثلاثة أقسام - كل قسم أربعة عشر
طبقة - وهذا غلط - حيث الأول يبتدء من إبراهيم وينتهي إلى داود - فداود لما
انتهى به القسم الأول لا يبتدء به الثاني حيث يبتدء فيه بسليمان وينتهي بـ «يوخانيا»
وهذا أيضاً لا يتكرر في بداية القسم الثالث، وإنما يبتدء فيه بـ «شلتائيل» ويختم
بالمسيح - فكل واحدة من هذه الطبقات تشمل ثلاثة عشر شخصاً لا أربعة عشر!
ولذلك ترى علماء الإنجيل يعترضون على هذه الآية عبر القرون ومنهم «بور
فري م٣» فلا يُصغى إلى الاعتذارات الباردة دفعاً لهذا الاعتراض البين !

٢- سلطان أبدي - معزول من بداية أمره لحد الآن - ٢٠٠٠ عاماً :

في / لو ١ : ٣٢ / « يقول عن المسيح عليه السلام : هذا يكون عظيماً وابن العلي يُدعى
ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه . ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون
لملكه نهاية» .

وهذا كذب محض حيث لم يجد المسيح فرصة الجلوس على عرش الملك ولا سماً بالنسبة لبني إسرائيل حيث خذلوه وصلبوه - كما زعموا - فأين المسيح والملك! ولا سماً أنه كان يفر بطبيعة الحال عن الملوكية كما في يوحنا - .

وأيضاً إن المسيح من ولد «يهوياقيم» حسب تصريح متى - ثم هناك تصريحة في / ارميا ٣٦ : ٣٠ / تستحيل الملك لولد «يهوياقيم» قائلة : «لذلك هكذا قال الرب عن يهوياقيم ملك يهوذا . لا يكون جالس على كرسي داود وتكون جثته مطروحة للحر نهاراً وللبرد ليلاً . وأعاقبه ونسله وعبده على إثمهم وأجلب عليهم وعلى سكان أورشليم وعلى رجال يهوذا كل الشر الذي كلمتهم عنه ولم يسمعوا» .

فرغم التصريحة الأولى التي تبشر بالسلطان الأبدي للمسيح - فالواقع الخارجي لا يصدقها وإنما الصادق هي التصريحة الثانية - والعياذ بالله : أن المسيح عذب حسب الوعد الإلهي في ولد يهوياقيم الذين وعدهم رب الإنجيل بكل ضرر وشر وأن تكون جثتهم مطروحة .

وبالأخير لعل اليهود طبقوا حكم التورات فيمن يخلق لله شريكاً - طبقوه في مسيح الإنجيل فصلبوه - للنص التالي :

/ تث ١٨ : ٢٠ / «وأما النبي الذي يطغى فيتكلم بإسمي كلاماً لم أوصه أن يتكلم به أو الذي يتكلم بإسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي» ... أي حكمه الموت في نظر التورات .

إذ ذاك فلا تخلو حال التصريحة الأولى : أن تكون هي كاذبة مختلقة - أو أن المسيح الموعود لم يأت لحد الآن !

٣- سلاطين لا عرش لهم! إلا الذل والموت قبل أن يملكو حتى أنفسهم:

في / مت ١٩ : ٢٨ / « فقال لهم يسوع : الحق أقول لكم : إنكم انتم الذين تبعتموني في التجديد .

متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسيّاً تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر» .

الأسقف : هذا السلطان لمسيحنا لا يكون إلا في رجعته الثانية ، وإذ ذاك يجلس تلاميذه أيضاً حوله على كراسي المجد والعظمة .

المناظر : هب إنه كما تفسرون إلا أن هناك كرسيّاً واحداً يجب أن يبقى بلا سلطان وهو كرسي يهوذا الأسخريوطي ، ذلك المعاند الضاري الذي باع المسيح بثمان بخس دراهم معدودة وكان فيه من الزاهدين ! فما هناك إلا إحدى عشر كرسيّاً فحسب !

٤- كذب مجذور : كذب × كذب :

أترك زوجتك للمسيح يجازيك بمائة نسوة في الدنيا و ... !

في / مر ١٠ : ٢٨ - ٣٠ / ومثله في / لو ١٨ : ٢٩ / وابتداء بطرس يقول له : ها نحن قد تركنا كل شيءٍ وتبعناك . فأجاب يسوع وقال : الحق أقول لكم : ليس أحد ترك بيتاً أو إخوة أو أباً أو أماً أو امرأةً أو أولاداً أو حقولاً لأجلي ولأجل الإنجيل . إلا ويأخذ مائة ضعف الآن في هذا الزمان بيوتاً وإخوة وأخوات وأمّهات وأولاداً وحقولاً مع اضطهادات وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية» .

وهذا غلط واضح فاضح في جهات :

١ - الواقع الخارجي يكذب هذا الوعد مائة بالمائة ، حيث لم يعرف التاريخ المسيحي لحد الآن مؤمناً بالمسيح - ترك لأجله كل شيء - أنه زوّد بمائة ضعف مما ترك : من أخ وأخت وأب وأم وأمرأة وحقل وبيت .

٢ - وعد إعطاء مائة امرئة للتارك واحدة ، وعد يخالف التشريع الإنجيلي وكما يزعمون : أنه لا يحل لرجل واحد إلا زوجة واحدة !

٣ - ما هو المعنى من إيتاء مائة أب ومائة أم ؟ وهل يتصور لإنسان واحد أن يشترك فيه أكثر من أب وأم - ولا سيما بعد أن ولد من أبويه لأول مرة ؟ اللهم إلا مسيح الإنجيل فإنه بين أم وأبوين هما الله ! ويوسف النجار !

اللهم إلا أن يموت هذا الموعود، ثم يولد مرة ثانية بين آباء وأمهات مشتركين في توليده عن هذا الوفر العجيب، والشركة الفاضحة من السفاح - إذاً يصبح من ترك أبويه للمسيح أن يعذب أولاً بالموت، ثم بالولادة الثانية - من هذا السفاح الجماهيري الفاضح العجيب - ولعله جزاء وفاق - إثم بإثم ترك الوالدين - فإن وجوب الإحسان إليهما من النواميس العشرة الثابتة التوراتية على عاتق كل إنسان كيفما كانت معاليه وأهدافه !

على أن الحواريين - وهم أرقى المؤمنين بالمسيح - كانوا طيلة حياتهم فقراء مُعَدِّمين وماتوا على فقرهم -

فحال هذا الوعد بين : أنه كذب في كذب ، أو أنه لم يؤمن بالمسيح ولا واحد من تلاميذه ولم يتركوا لأجله ما معهم ومن إليهم - إذاً فكيف يعتمد على كتاباتهم عن المسيح إذ لم يؤمنوا به كما يجب !

٥- أدب يخالف التشريعات الإلهية :

في / لو ١٤ : ٢٥ - ٢٦ / وكان جموع كثيرة سائرين معه فالتفت وقال لهم . إن كان أحدٌ يأتي إليّ ولا يبغض أباه وأمه وامراته وأولاده وإخوته وأخواته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً» .

وهذه فرية فاضحة على المسيح أن يكلف المؤمنين به ما لم يكلف به ربُّه وهو بغض الأبوين كيفما كانا - في حين أن المسيح نفسه يندد باليهود الذين كانوا يبغضون الآباء والأمهات قائلاً : «حسناً رفضتم وصية الله لتحفظوا تقليدكم . لأن موسى قال : أكرم أباك وأمك . ومن يشتم أباً أو أمّاً فليمت موتاً» / مر ٧ : ٩ - ١٠ / .

فهل إن المسيح ينقض الناموس الذي هو يأمر به ويندد بتاركة ، أو تتناقض تعاليمه كما تناقضت ذاته : أنه الإله المجرد في حين أنه ابنه وعبدته الناسوتي - في وحدة وكثرة حقيقتين - فقد أصبح مسيح الإنجيل متناقضاً في ذاته وفي تعليماته فاقض ما أنت قاض!

٦- كذب سرعان ما تبين من مسيح الإنجيل !

في / مت ١٠ : ٢٣ / ومتى طردوكم من هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى . فأني الحق أقول لكم : لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان» .

فإنه قد كملت مدن إسرائيل لزمان قليل ومدنٌ أخرى غيرها ، ولحد الآن وبعد ٢٠٠٠ سنة لم يحقق مسيح الإنجيل وعده حيث لم يأت!

أجل إن الحواريين ساروا في بلاد إسرائيل خائفين يترقبون الفرج وماتوا في انتظارهم ولما يأت مسيحيهم!

٧- كذب عجلان ما افتضح قائله !:

في / مت ١٦ : ٢٧ - ٢٨ / فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله . الحق أقول لكم : إن من القيام ههنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً في ملكوته» .
هذا وقد مات جميع الذين كانوا قياماً هناك وصارت عظامهم رمية فلم ير أحدهم المسيح آتياً في ملكوته وسلطانه - إلا من يزعم منهم أنه رآه مخفياً - أجل لم يروه ، ولحد الآن لم يره أحدٌ عبر القرون العشرين الماضية على صعوده !

٨ - معجزة غالطة :

إخبار ووعدٌ مكذوب ، عُمر يقضي على مسيح الإنجيل في إخباره :
في / مت ٢٤ : ١ - ٢ / و / مر ١٣ : ٢ / و / لو ٢١ : ٦ / «ثم خرج يسوع ومضى من الهيكل . فتقدم تلاميذه لكي يُروه أبنية الهيكل فقال لهم يسوع : أما تنظرون جميع هذه . الحق أقول لكم : إنه لا يترك ههنا حجرٌ على حجر لا ينقض» .
فهذا إخبار من مسيح الإنجيل باستحالة بناية جديدة أو وضع حجر على حجر في بيت المقدس - لا يُنقض - وقد نقضه عمر وكما يصدقه الواقع الخارجي ويعترف به «طامس نيوتن»^(١) قائلاً :
... إن عمر من خلفاء الإسلام سيطر على أراضي العرب والعجم وحاصرت جنوده أورشليم وجاء هو إلى أورشليم من المدينة في عام ٦٣٧ لما ضاق صدره من

(١) في تفسيره عن الاخبار الآتية ط لندن ١٨٠٣ م في ج ٢ ص ٦٣ - ٦٤ .

طول المحاصرة فاحتل أورشليم ولكنه حافظ على كرامة المعابد المسيحية وطلب من الأسقف أن يسمح له ببنائة مسجد في البيت - فسمح له أن يبني مسجده في حجر يعقوب وموضع الهيكل السلياني - وقد كان الهيكل مملوءاً من كل قذارة ونجاسة من ناحية المسيحيين عناداً لليهود ، فأخذ عمر يظهر الهيكل هو وجنده وبنوا هناك مسجداً وهذا أوّل مسجد إسلامي بني في أورشليم .

هذا وقد وسّع عبد الملك المسجد وهو موجود حالياً يمضي عن بنايته منذ بُني لحد الآن زمان ممتد، وفي ذلك نقض فاضح لما بشر به مسيح الإنجيل أنه : لا يوضع هناك حجر على حجر إلاّ نقض .

٩ - صلب المسيح تطبيق لنبوة إلهية يهودية!!!

في / يو ١١ : ٤٩ - ٥٣ / فقال لهم واحد منهم وهو قيافا . كان رئيساً للكهنة في تلك السنة . أنتم لستم تعرفون شيئاً . ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها - ولم يقل هذا من نفسه بل إذا كان رئيس الكهنة في تلك السنة تنبأ أن يسوع مزعم أن يموت عن الأمة وليس عن الأمة فقط بل ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد .

وهذا غلط من وجوه :

- ١ - صريح الآيات : أن رئيس الكهنة كان نبياً - فكيف نبى وهو يحكم بصلب رسول عظيم أرسل إليه وإلى سائر الشعب والشعوب !
- ٢ - لو كانت مقالته عن نبوة صادقة كانت النتيجة : أن موت المسيح كفارة

عن اليهود فحسب دون الآخرين، وهذا يناقض مزاعم المثلثين أنه افتدى من لعنة
الناموس للمؤمنين به فحسب .

ثم لا محيص عن الكذب في إحدى النبوتين : نبوة كاتب الإنجيل : أن المسيح
فداءً للعالم ! أم نبوة رئيس الكهنة أنه فداء لليهود خاصة ! ثم اقض العجب من النبوة
الأولى حيث تزعم أنها تصدق الثانية في حين أنها تكذبها في مدى الفداء، وأولى
بساحة المسيح الصديق وكرامته ، كذب النبوتين جميعاً .

٣- قيافا هذا الذي يصدقه يوحنا في خبره ويعتبره نبوة إلهية - هو الذي أفتى
بصلب المسيح حيث كان رئيس الكهنة حينذاك - فقد كذب المسيح وكفره وأهانته
وبصق في وجهه وأخذ يضربه هو وسائر الحضور من اليهود قائلين : أخبرنا عن
نبوة من ضربك ؟ هزءاً به / مت ٢٦ : ٥٧ - ٦٨ /

١٠ - شهادة مسيح الإنجيل المتناقضة :

في / يو ٥ : ٣١ - ٣٣ / إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقاً الذي
يشهد لي هو آخر وأنا أعلم أن شهادته التي يشهد بها لي هي حق» وتناقضه الآية
/ يو ٨ : ١٣ - ١٤ / فقال له الفريسيون : أنت تشهد لنفسك ، شهادتك ليس حقاً .
أجاب يسوع وقال لهم : وإن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق لأني أعلم من أين
أتيت وإلى أين أذهب . وأما أنتم فلا تعلمون من أين آتى ولا إلى أين أذهب» .

فاقض العجب من هذا التناقض البين، ولعله مقبول عند المثلثين الذين
لا يستحيلون المناقضة في ساحة الألوهية ، وكذلك التعليل العليل الذي أتى به عذراً
لقبول شهادته . فاقض ما أنت قاض !.

١١ - مسيح الإنجيل معصوم شريراً!

في / ١ أيام ٢ : ١ / وإن أخطأ أحدٌ فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار وهو كفارة لخطايانا . ليس لخطايانا فقط ، بل لخطايا كل العالم أيضاً» .
ويناقضها في اشتراط بر الفادي وعدله / امثال ٢١ : ١٨ / الشرير فدية الصديق ومكان المستقيمين - الغادر» .
حيث الأخير يعتبر الفداء للشرير عن الصديق والأول نقيض ذلك!

١٢ - شريعة التورات ميدان المناقضات :

ففي / عب ٧ : ١٨ و ٧ : ٨ / تصاريح في تزييف شريعة التورات - رغم / زبور ٧ : ١٨ / فإنها تعتبرها صادقة واجبة الإعتناق .

١٣ - مسيح الإنجيل مفسد يأمر بالصلح :

في / مت ٥ : ٩ / طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يُدعون» .
وفي / مت ١٠ : ٣٤ - ٣٥ / لا تظنوا أني جئت لألقي سلاماً على الأرض . ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً . فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والإبنة ضد أمها والكثرة ضد حمايتها» .

١٤ - عجب على عجب !!

مسيح الإنجيل يعذب شجرة التين أنها لم تأت بثمرتها لغير وقتها ، أجل ولأنها لم تعارض ربها في تكوينها!

في / مت ٢١ : ١٩ - ٢٠ / فنظر شجرة تين على الطريق وجاء إليها فلم يجد فيها شيئاً إلا ورقاً فقط . فقال لها : لا يكن منك ثمرة بعد إلى الأبد . فبيست التينة في الحال» وفي / مر ١١ : ١٣ / «أن التينة ما كانت في موسم الثمر» .

فعجب من مسيح الإنجيل كيف يريد الأكل من تينة ليس يملكها! وهي أيضاً في غير وقت الثمر! فما كان ذنبها وذنوب مالكها إذ لم تأت بالثمر لغير الموسم - إلا أن الله لا يريد منها أن تثمر إلا لوقت الثمر - فسبح الإنجيل أيبس التينة رغبها ورغم مالكها ورغم الآله - فاقض ما أنت قاض» .

فهذه الأغلاط والمناقضات ومآت المآت من أمثالها اضطرت الكثيرين من علماء الإنجيل إلى التصريح : أن ليست كتابات العهدين إلهامية بتام آياتها وإنما هي مزيجية من خرافة وإلهام وكما يلي :

في دائرة المعارف البريطانية - انسيكلوبيديا بريتنايكا^(١) اختلفت كلمة العلماء في مندرجات الكتب المقدسة هل هي إلهامية إطلاقاً أم لا - وقد ينكر كونها إلهامية جمع كثير من الأعلام مثل : جيروم - كروتيس - ارازمس - بروكوييس .

وفي موضع آخر منه^(٢) : القائلون بأنها إلهامية لا يتيسر لهم إثبات هذه الدعوى، ولو سألنا: أيُّ جزءٍ من أجزاء العهد الجديد إلهاميٌّ؟ لم يكن الجواب إلا أن المسائل والأحكام والانبئات عن المستقبل - الموجودة عند الملة المسيحية الحقيقية - هذه لا تخلوا ولا تنفك عن إلهام - وأما الكتابات الأخرى فقد يكفي في بيئتها أن الأراكلة حفظتها» .

(١) الذي اشترك في تأليفه خمسمائة من علماء الإنجيل ، في ص ٢٧٤ ج ١١ .

(٢) ص ٢٠ ج ١٩ .

الحواريون غير معصومين عن الخطأ!

والأراكلة ما كانوا يعتبرون أنفسهم ذوي وحي وإلهام كما يظهر ذلك من بحوثهم في محفل أورشليم - ويظهر من إلزام بولس بطرس - وكذلك المتقدمون من علماء الإنجيل لا يرونهم معصومين عن الخطأ وشاهداً عليه ما كانوا يُخطئونهم ويعترضون عليهم وكما يظهر من / ١ ع ١١: ٢ - ٣ و ٢١: ٢٠ - ٢٤ / .

وقد يصرح بولس - إمامهم - بهذه الحقيقة الناصعة أن الحواريين ما كانوا أصحاب إلهام في جميع حالاتهم / قر ١١: ١١ / و / قر ٧: ١٢ و ٢٥ و ٤٠ / .

إلى غير ذلك من اعترافاتهم التي فصلناها عند استعراض بيئة العهدين عبر القرون فراجع .

هل إن فصاحة القرى، وبلاغته تنافى وجود المتشابه فيه؟

الحداد : في آية التفسير : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾.

... خمسة تصاريح على وجود المتشابه في القرآن وحتى تحدد معنى إعجاز القرآن ومداه - ففي القرآن آيات محكمات هي آيات الأحكام المئة والخمسين أو الخمسة - والباقي يدخل في حكم المتشابه كما رأيت -

فكيف ينسجم الإعجاز البياني والبلاغي مع المتشابه منه وهو أكثر القرآن - وكيف يكون معجزاً للثقلين الكلام الذي ﴿لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾؟ وكيف يكون معجزاً للناس كلام لا يعلم تأويله الراسخون في العلم أنفسهم - بل يفوضون علمه لله؟ ... «جاء في الإتقان ايضاً - أن ما لا يمكن الوقوف عليه لا يمكن التحدي به» كما رأيت من المتشابه - الذي لا يعلم تأويله إلا الله - لذلك لا يمكن التحدي به ... والإعجاز في البيان العربي للخاصة من العرب - فكيف بعامة البشرية؟ أيعجزهم بما لا يمكن أن يفقهوه؟

محكم القرآن ومتشابهه :

هناك إحصاءات وتشابهات لا على سواء :

المناظر : لنا في محكم القرآن ومتشابهه بحث فصل فصلناه في موسوعتنا :
الفرقان^(١) .

المحكم :

المحكم من الأحكام وله اعتبارات حسب مختلف المواضيع :

فقد يراد منه الإجمال قبال التفصيل : ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ (١ : ١١) حيث القرآن كان محكماً قبل نزوله ليلة القدر ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمَّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴾ (٤ : ٤٣) وحكياً عند نزوله مجملاً ليلة القدر ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ (٩٧ : ١) .

وقد يقصد منه الأحكام عن تسرُّب الباطل فيه - وعن تطرق الدس والتحريف والنسخ - والأحكام في الدلالة على المفاهيم المعنية منه ، والحقايق والأحكام المذكورة فيه ، والدلالة بإحكام على نبوة ورسالة نبيه - وإحكامه في خلوده - وما إلى ذلك .. : ﴿ أَلَمْ تَلِكْ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾ (١ : ١٠) وجميع آي الذكر الحكيم حكيمة بهذه المعاني - قبال الوهن .

وثالثة يراد منه الحكمة بمعنى الدلالة على المصاديق المرادة من آيها دون

(١) في تفسير الفرقان وفيه تفسير كل آية بالآيات التي في مجراها ثم يعرض عليها الأحاديث التي تفسرها فما وافق يؤخذ وما خالف يطرح .

تشابه فيها - قبال الآي التي يتردد في المصاديق المعنية من مفاهيمها - وهي الآيات المتشابهات - على اشتراكها محكمة ومتشابهة في وضوح الدلالة على المفهوم اللغوي الموضوع له الكلمة والمستعملة هي فيه -

المتشابه :

فلا تجد أئمة آية يتردد فيها من حيث الدلالة على مفهومها المعني منها، اللهم إلا أن هناك جهتين توجبان الإشتباه في المصاديق المعنية من ذلك المقهوم :

١ - ضيق الفهم عن درك كافة المصاديق المعنية من مفهوم الآية من حيث دلالة اللفظ عليه .

٢ - علو المعنى في ناحية أو نواحي - في استعراض الجهات التكوينية أو الروحية العالية .

فلهذا وذاك قد يختلف الناس في فهم الآيات حسب اختلافهم في مراتب الفهم - فمن آية هي محكمة عند قوم في حين أنها متشابهة عند آخرين : وكما في الرضوي عليه السلام : «المتشابه ما اشتبه علمه على جاهله»!

... فمن يأنس من الدنيا بما كله ومشربه - لا يكاد يفهم من الرزق في مثل قوله تعالى : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ إلا مصاديقه المادية - دون من يأنس بالحقائق أكثر من ذلك أو على سواء - فإنه يرجح المصاديق الروحية للرزق أو يعدها من معانيه على سواء .

والباقري عليه السلام في تفسير الآية : «أي مما علمناهم يبتون» تنبيه على توسعة

المفهوم رغم ضيق الفهم ممن أخذ إلى الأرض واتبع هواه وكان أمره فُرطاً - فيرى أن الرزق إنما هو المادي فحسب !

فهذه الآية بالنسبة لشمولها الأرزاق الروحية متشابهة لمن ضاق صدره، ومحكمة لمن شرح الله صدره بالإسلام فهو على نور من ربه . يرى المصاديق الروحية من الرزق قبل المادية وأنها معاً معنيان .

ومن ذلك قوله تعالى : «وروح منه» بالنسبة للمسيح عليه السلام - فمن آمن بالله كما يجب بالأدلة العقلية والفطرية والنقلية المحكمة القرآنية وعرفه : «أنه ليس كمثله شيء» و«لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير» - «وهو بكل شيء محيط» و... وقد انشرح صدره بنور المعرفة - فهذه الآية عنده محكمة - لا يعتبر روح المسيح إلا صادراً من الله لا متولداً من ذاته ولادة الشيء عن جنسه، اعتباراً بأن «من» هذه نشوية - لا جنسية -

وأما من ضاق صدره فهو يميل إلى خرافة المجانسة بين روح المسيح وذات الله «سبحانه وتعالى عما يشركون».

ومنه قوله تعالى : ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ فإنها محكمة للعارف بالله - أنه مجرد عن الجسم والحيز - فيفسره بنتاج المجيء للرب وهو أن يحين حين تجلي ربوبيته يوم الجزاء بإثابة المطيعين وعقاب العاصين - فمجيء الرب كناية لطيفة عن مجيء أمره بربوبيته حينذاك : ﴿لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ (١١ : ١٠١ و ٦٧) فالمجئى ليس نصاً ولا ظاهراً في كون فاعله جسماً أو منتقلاً في فعله من مكان إلى مكان ، أو من جهل وعجز إلى علم وقدرة - فإن ذلك من مصاديقه الضئيلة التي لا تناسب وساحة الرب المجرد عن شبه المخلوقين - الصمد العليم القدير الذي لا يعلم عن جهل

ولا يقدر عن عجز!

ففاعل كل فعل قرينة بيّنة بكيانه وما هيته للمصداق المعني من مفهومه - وكما أن فعل كل فاعل قرينة وبيان لمحدد الفاعل ومنزلته - فكل فعل ينسب إلى الرب تبارك وتعالى فإنما يراد منه ما يناسب وساحته وقدسيته ... - ثم «ربك» وهو من صفات فعله ، يعني مجيء الرب بربوبيته الجزاء يوم الدين ، كما جاءت ربوبيته تعالى يوم الدنيا بتكاليف المكلفين .

ومثالاً على ذلك أن تقول : ذهبت فكريتي إلى النجف وأنت في طهران ، وتقول: ذهبت إلى النجف - وحينذاك أفلا يكوى الفاعل الأول قرينة على أن المعنى من ذهابه غير الثاني - فهما على اشتراكهما في الانتقال والحدوث يختلفان في كفيته - انتقالاً مادياً أو روحياً .

وكذلك إذا قيل جاءت فكريتي إلى كذلك بعد أن كنت أجهله - وجاء الرب يوم القيامة : ﴿ إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ... وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ﴾ .

حيث المجيء بالنسبة للرب يجرده عن الانتقال تجريداً ثانياً - كما جرد عن جسمانية الفاعل أولاً ، وإنما القرينة هنا وهناك هو الفاعل بكيانه وماهيته -

وحصيلة البحث في التشابه مقابل المحكم في أي الذكر الحكيم : أنه التشابه في تطبيق المفهوم - البين من الآية - على المصداق المعني منه - لا التشابه في نفس المفهوم ومعنى الكلمة لغوياً ، ولا الإشتباه مفهوماً كلاً! فلا تجد في القرآن آية آية أريد منها خلاف نصها أو خلاف ظاهرها المستقر منها - فإنما يراد منها ما يستفاد من ظاهرها من مفهوم - ثم مصاديق هذا المفهوم تختلف حسب اختلاف الأفهام والإستعدادات ، ولا بد لمن يجهل المعني منها الرجوع إلى محكمات الآيات التي تعين المعني منها

بصراحة أو ظهور.

كما أن آيات نبي التشبيه واستحالة الرؤية . وإثبات اللانهاية في العلم والقدرة هذه الآيات تكفي بياناً واضحاً لكون المعني من روح الله ما خلقه الله من روح ، ومن مجيء الرب : تحيّن حين الجزاء يوم الجزاء .

فمتشابهات الآيات إنما هي المشتبه علمها على جاهلها - وآية التقسيم تبين علاجها بإرجائها إلى محكماتها - حيث تعبر عن المحكمات أنها أم الكتاب - وهناك تبرق بارقة أنه يمكن رفع التشابه عن آياته بإرجائها إلى محكماتها التي هي في مجراها - وادق منه وارق التأمل الكافي في الآية كما في مثل ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ .

ومن المتشابه في القرآن المحكمات التي لا يصدّق الحس والعلم الخاطئان غير البالغين - لا يصدقانها - فقد يؤولها شذمة من المفسرين كما تناسب الحس والعلم في حاضرهم وغابرهم - يؤولونها إلى غير ظاهرها دون أي سناد سوى أن الحس والعلم - غير المطلق - لا يصدقان ظاهرها ، كمثل آيات انعكاس الأعمال وحركات الأرض وما إليها - وقد يبطل تأويلهم بتقدم العلم واكتشافه عما كان خفياً عن السالفين كما يبطله الآيات أنفسها - فادلة حراك الأرض - المتقنة - وصنع الراديو والتلفزيون والمسجلات ... التي تصدق بقاء الصور والأصوات - هذه تأتي مصدقه لما يظهر من آيات حركات الأرض وانعكاس الأعمال !

فعلى المفسر ألا يفسر الآيات الكونية التي لها صلة باستعراض الكون - لا يفسرها بخلاف ظواهرها المستقرة - بسناد الحس والعلم المزعومين غير المطلقين - بل يؤمن بها نظراً إلى ظهور صدقها بتقدم العلم الذي يفسره في المستقبل - .

وأن يفسر الآيات المتشابهة في الحقايق الروحية بمحكماتها إذا استطاع وألا فلا يفسرها كما تهواه نفسه -

فإنما القرآن - وهو كتاب التدوين - على مثال كتاب التكوين في غوره وشموله لمختلف ألوان العلوم والحقايق، فلا يزداده التقدم العلمي إلا ظهوراً وبهوراً. إذا فالتشابه هكذا في القرآن ليس إلا برهاناً ساطعاً على غوره وعمقه، وأنه فوق ما عند البشر من علوم وتفكيرات - فلا بد لهم أن يجعلوه الإمام القدامى للرحلات والنظرات العلمية - والقرآن يجري في مجاري الأفكار كجري الشمس طوال القرون، وإذ ذاك فكيف يزيف وجود التشابه في القرآن ولا يخلو عنه أي سفر علمي ... كلما ازداد عمقاً ازداد تشابهاً، لا لقصور في الدلالة بل لعدم بلوغ القاصرين - فإذا تصنع الفصاحة والبلاغة في الأسلوب المخارق بياناً وتبياناً بالنسبة لمختلف الأفهام قوة وضعفاً إلا أن يحار فيه الضعيف أحياناً - ولكن القرآن يكشف الغطاء عن آياته المتشابهات بأنفسها، وبأخر محكمات هن أم الكتاب، ثم بمحكمات العلوم التقديمية التي تكشف النقاب عن وجه متشابهاته!

أجل إن هناك تفسيرين لآيه المتشابهة كلاهما رهين التعقل والتقدم العلمي :
١ - ما فيه من محكمات - ٢ - ما تصل إليه اجنحة العلم الخفاقة في مختلف العلوم الكونية وغيرها، اضافة إلى دلالات الآيات أنفسها.

وحينذاك فلا ضير في عموم تحدي القرآن بعموم آيه الكريمة لم كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ثم إنه لا ينحصر إعجاز القرآن في ناحية اللفظ فصاحة وبلاغة، كما سلف .

تحدي القرآن العالمي:

ولا ينحصر اعجاز القرآن في ناحية اللفظ وزخرفته كما سلف، حتى يخص العرب فحسب - بل هو معجز خالد في جميع ما يمكن فيه التفاضل - فيرجع الجاهل في كل جهة إلى العالم به - كما هو الشأن في كل معجزة غير حسية - بل وكذلك الحسية أحياناً حيث المميز بين السحر والإعجاز في الأعمال الخارقة ليس إلا ممن يميز السحر عن غيره - كما أن سحرة فرعون صاروا قدوة للعوام إذ قالوا: ﴿أَمَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ * رَبُّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ فآمن بهم الكثيرون من غيرهم إيماناً بخبرتهم . فالقرآن آية خالدة عبر القرون - إما بلا واسطة أو واسطة وثيقة ممن له خبرة بوجوه الإعجاز، كل على خبرته الخاصة به .

وأما قصة انحصار علم التأويل بالله أو الراسخين في العلم أيضاً فهي لا تصطدم عموم التحدي - حيث لا صلة للتحدي بالتأويل . وإنما ينحو منحى تفسير اللفظ دون التأويل - أو آية التقسيم إنما تندد بمن يتبع المتشابه على تشابهه دون إرجاعه إلى محكمه - ابتغاء تأويله إلى ما تهواه نفسه -

وفي الصادق عليه السلام: «من رد متشابه القرآن إلى محكمه فقد هُدي إلى صراط مستقيم» .

ثم من التأويل ما يعلمه غير الله وغير الراسخين في العلم أيضاً - وهو تفسير ظاهر اللفظ من بعض المتشابهات - ومنه ما يخص تأويله بالراسخين أو افضلهم وهم المعصومون . وهو مناطات الأحكام التي ترجع وتؤول إليها الأحكام، وكذلك نتائجها في النشاطين - ومنه ما يخص علمه بالله - كتأويل صفات الله واليوم الآخر وما إليها مما اختص الله بعلمه ...

فاقض العجب من أكذوبة الحداد أن آي القرآن غير آي الأحكام متشابهة لا يمكن التحدي فيها - وأخيراً: أن اعجاز القرآن إنما هو للعرب خاصة لا عامة البشر... فاقض ما أنت قاض .

ورغم ذلك كله . فالقرآن يتماشى في تحديه مع الزمن ، مختلف العلوم والعقريات ، وهو الحاوي لجميع ما يمكن فيه الإعجاز من شتى النواحي - اللفظية والمعنوية - العلمية والتربوية - التقنية والإجرائية - السياسية والاقتصادية - وما إليها مما للبشر فيه نبوغ وبلوغ - فلا تنقضي عجائبه - ولا تنفى غرائب بل وتزيده تقدم العقل والعلم وتوسعها نوراً وبهوراً!

أجل - و:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (٧: ٣)
أصله الذي يرجع إليه عند كل مشكلة ومتشابهة ، رجوع الرضيع إلى أمه قضاءً لحاجته «وأخر متشابهات» دون أي تناف بين أن تكون كل آياته الكريمة محكمات الدلالة على المفاهيم المقصودة منها، محكمات البرهان على نبوة نبيها، ومحكمات ومحكمات من شتى الجهات إلا واحدة هي الدلالة على المصاديق الخاصة المعنية من مفاهيمها على وضوح دلالتها لمفاهيمها، فطائفة من آياته متشابهة من هذه الجهة للجاهل بها - وقد يعلمها جاهلها إذا تنظر فيها، أو أرجعها إلى أمها من المحكمات.
«وأخر متشابهات» دون أي تناف هناك أن تكون آياتها كلها متشابهات من سائر الجهات ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعْرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (٣٩: ٢٤).

من تشابه الكل في جزالة الأسلوب فهي في رتبة واحدة من حيث الفصاحة والبلاغة - دون أن تكون في ذلك أبعاضاً، بأن تبلغ البعض منها دون الأخرى - كلا! حيث التحدي شامل لأصغر سورة كسورة الكوثر المشتملة على آيات ثلاث - أو ثلاث آيات متفرقات من شتى السور أو من واحدة .

ومن تشابه المعاني في علو المحتد - حيث تمثل علمه تعالى وحكمته بما فيها من سمات الألوهية وطوابعها .

ومن تشابه الكل - وهي مفصلة - لمحكمها في علم الله - والنازل ليلة القدر على رسول الله ﷺ .

ومن تشابه متشابهاتها لمحكماتها التي هي أمها في المعنى منها - حيث تفسر المشابه بنصها أو ظاهرها .

ومن تشابه حقائقها في شتى العلوم والأنظمة والقوانين وما إليها - بمعنى تلائمها وتناسقها دون أية مضادة ومنافرة - بل إن القرآن يفسر بعضه بعضاً ويشهد بعضه لبعض وينطق بعضه على بعض .

فليس المعنى من الأحكام والتشابه في آية التقسيم إلا واحداً من معانيها وهو من صفات المعنى - يعني المصداق المعنى من المفهوم - لا من صفات اللفظ حتى تصبح ألفاظ القرآن متشابهة الدلالة على ما يراد منها من مفاهيم، ولا سيما في الأحكام الفرعية التي تبلغ زهاء ألف آية، فلا تشابه بمعنى الإشتباه فيها إطلاقاً .

ثم التشابه قد يعتري بعض المصاديق أحياناً لعدم بلوغ العلم إلى حيث يصدقها علمياً وإن يؤمن بها المؤمن بالقرآن تعبداً - كآيات في انعكاس الأعمال

والتمدن في الأنجم السماوية، وإمكان التسافر بين عقلاء الأرض والسما والسماء وما إليها. وهذا النوع من التشابه معجزة في حالتي التشابه والإحكام لإخباره عما لا أثر عنه قبل إحكامه، ثم العلم يصدقه ويجعله محكماً، كما أن النوع الأول من التشابه أيضاً الذي تفسره محكمات الآيات هذا أيضاً معجزاً كمعجز المحكم.

كالآيات في شتى المعارف الراقية المعنوية المعنية من آيات بينات - ظاهرة الدلالة على مفاهيمها - متشابهة من حيث المصاديق المعنية سعة وضيقاً - لسداجة وجهالة البعض ممن أخذ إلى الأرض أو لم يدرس تلك الدروس العالية الروحية درساً فطرياً وعقلياً - أو درساً في المكتبات العالية وما إليها من دراسات .

وأخيراً إن الحروف الرمزية هي عديمة الدلالة ، فلا هي متشابهة ولا محكمة وإنما يعرف معانيها صاحب الوحي ، وحيث يستفيد منها موضوعات غيبية وأحكاماً ، ليست في نصوص القرآن وظواهرها، ووحى الله إلى الرسول الأعظم ليس إلا واحداً هو القرآن، ظاهرياً إلى كافة المكلفين، أو رمزياً إلى خصوص صاحب الوحي كما تدل عليه آيات مثل: ﴿وَأْتَلُ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ (١٨: ٢٧) فلا ملتحد رسالتاً للرسول الأعظم إلا القرآن، كما لا ملتحد ربانياً له إلا الله: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنُ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ (٧٢: ٢٢).

فتبصر يا حداد وحدد النظر في آيات الله البينات تجدها كما نقول معجزة خالدة تمشي مع الزمن ، في حين أن التورات والإنجيل اللذين تعتبرهما الكتاب الإمام والقدوة للقرآن! فيها الشيء الكثير من المناقضات وما يخالف العقل والعلم والواقع الخارجي ، حيث يُمس فيها كرامة الرب وأنبيائه، وكرامة العقل والعلم

والفطرة ، ونحن إذ نريد الذود عن ساحة الوحي نضطر إلى القول : إنها محرفتان تحريفاً كاسحاً كافراً !

ويحق للناقد البصير أن يقول : العهدان بلغا من التهافت والإبتدال والتضاد إلى حد العجز، حيث يعجز كلّ ذي فطرة سليمة أن يعزيهما إلى الوحي إلا طرفاً منها طريقاً، وهو ضئيل، والله على ما نقول وكيل ، كما أتى ويأتي نبأه الفصل عند المقارنات .



هل إن رسالة محمد ﷺ عربية أم عالمية ؟

قد يزعم الحداد ومن إليه رسالة القرآن عربية محدودة رغم التصاريح المتوفرة على عموم ورسالته عبر القرون ، ولكن خلود الإعجاز وعموم التحدي تصريحة اخرى على العلوم .

حداد : وهنا تبدو المشكلة الشائكة : هل اقتضت الدعوة القرآنية على العرب أم كانت بهم موجهة إلى العالم أجمع ؟ ... هل كانت رسالة محمد عربية أم عالمية ؟

إن المبادئ التي وضعها القرآن المكي تجعل الرسالة القرآنية عربية وتقتصرها على العرب ، لأن كل رسالة سماوية هي في نظر القرآن قومية .

المبدء العام عنده ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ﴾ (١٠ : ٤٧) ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ (١٣ : ٧) لذلك ﴿ بَعَثَ اللَّهُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا ﴾ (١٦ : ٣٦) وبعث محمدًا رسولاً للعرب : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ ﴾ (١٢٦ : ٨٩) وفي المدينة يبق محمد رسولاً من العرب وإلى العرب : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ (٣ : ١٦٤).

الرسالة المحمدية العالمية :

المناظر : اختصاص كل أمة برسول وكل قوم بهادٍ لا يقتضي تحديد كل أمة بطائفة من الناس دون آخرين - فلأمة مجال واسع قد تخصص فرداً من آحاد الناس: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ (١٦ : ١٢٠) وقد تشمل طائفة دون أخرى وهم مشتركون في الدين: ﴿مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ﴾ (٣ : ١١٣) وقد تعم البشرية كافة: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ (٢ : ٢١٣) ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ (١٠ : ١٩).

فوحدة الأمة - وهي من القصد - إنما هي بوحدة الهدف والاتجاه - إن شخصاً واحداً له الاهتمام الهام لتحقيق هدفه كمثل إبراهيم ومن إليه من النبيين والمصلحين أو طائفة أو طوائف، أو بالأخير عامة الطوائف البشرية وكافة المكلفين - فلا تخص أمة كل رسول بطائفة وقوم خصوص - كلا - بل المتبع في حد الأمة دليلٌ فذيدنا على حده ومدته فالآية: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ﴾ لا تأتي شاهدة على أن كل رسالة سهاوية في نظر القرآن قومية - ومن ناحية أخرى فهناك آيات كثيرة تدلنا على عموم الرسالة والدعوة لأولي العزم من الرسل ولا سيما الرسالة المحمدية التي تمتاز عن غيرها بخلود الدعوة مضافاً إلى عمومها.

محمد ﷺ شهيد الشهداء :

وليت شعري كيف يستدل الحداد بالآية: ﴿ويوم نبعث...﴾ على القومية العربية في الدعوة المحمدية إلا اعتباراً أن المعني من هؤلاء هم العرب فحسب، رغم أن العرب لم يسبق لهم ذكرٌ في الآية ولا قبلها، وإذا بقي هذه الإشارة خلواً عمن يشار إليهم!

أو أن المشار إليهم من سلف ذكرهم وهم كل الأمم - فتصبح الآية شاهدة على الضد مما يهواه الحداد، حيث تعتبر رسول الإسلام شاهداً على الأمم بشهادتهم فهو ولي لمن سلف من الأنبياء والأمم، وبالأحرى له الولاية على الناس كافة، من حين بعث إلى الأبد.

محمد رسول المؤمنين كافة :

ثم آية المنة ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ﴾ كيف تدل على أن محمداً بعث إلى العرب خاصة إلا أن يخص الإيمان بالعرب ويعتبر غيرهم كفاراً أيّاً كانوا!

أجل إن آية المن تمن على المؤمنين الذين آمنوا ويؤمنون بمحمد - عرباً وعجماً من اي قوم وطائفة - ﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ : من المؤمنين لا من غيرهم . ولعل هذا تنديد بمن يدعي الإيمان من اهل الكتاب ، وكتاب دينه يشهد لعدم إيمان نبيه ، كما ويشهد العهدان على عدم إيمان الرسولين - موسى وعيسى - وحاشاهما - ومن بينها من النبيين -! إذاً فرسلهم من غير المؤمنين فهم أحرى ألا يؤمنوا .

... النبي العربي الأمي العالمي :

النبي العربي = النبي العالمي = النبي الأمي : هذه تعبيرات عن الشخصية المحمدية ﷺ على سواء!

الحداد : والمبدء الثاني في مكة أن قومية الرسول تحدد قومية رسالته ، هذا

المبدء تطبيق للمبدء العام . والقرآن في المدينة يطبقه على الرسول بوصفه «النبي الأمي» أي العربي: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ (٢: ٦٢) ففي منتصف العهد المدني يصرح القرآن بأن محمداً رسول من العرب وإلى العرب وأهل المدينة الذين يخاطبهم صنفان: أهل الكتاب والأميين^(١): أي العرب، ويوجه الدعوة إليهم جميعاً: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ - الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى - وَالْأُمِّيِّينَ - مُشْرِكِي الْعَرَبِ - أَسْلَمْتُمْ؟ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ (٣: ٢٠) فالنبي الأمي هو للأميين العرب، وإن دعى الكتابيين الذين بين ظهرانيهم: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾.

... فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ ﴿ (٧: ١٥٨) فما دعوته الكتابيين العرب الإلتزام الوحدة القومية والدينية في العرب، لأنه أولاً وأخيراً رسول من العرب وإلى العرب^(٢).

المناظر: من أين لك يا حداد تفسير الأمي بالعربي^(٣) وقد تكرر ذلك لعل التكرار يؤثر في قبول قولك الزور دون أي دليل - كلا!:

فإن الأمي - كما أسلفنا - له إطلاقات في الذكر الحكيم - منها مقابل الكتابي - إن عرباً أو عجماً: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ﴾ (٣: ٢٠). ومنها الجهال وإن من أهل الكتاب: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا

(١) الصحيح الأميون عطفاً على أهل الكتاب بما انهما خبر صنفان فقد يأتي الحداد بغلط على غلط!

(٢) ٣: ١٦٤ و ٢٢: ١.

(٣) فقد أسلفنا البحث عن امة الرسول ومعناها ص ١٦٠ فراجع.

أَمَانِي ﴿ (٧٨ : ٢) .

ومنها من لم يدرس عند بشر وإن درس العلم عند الله : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ﴾ (٧ : ١٥٧) .

واعتبار الأمية في هذه الثلاث في جهة مشتركة بينها وهي : عدم درس
الكتاب الإلهي، حيث إن غير الكتابي لا يحن إلى درس الكتاب فهو أمي لا يدرسه
والكتابي الجاهل الساذج الذي لا يعلم الكتاب إلا ظنوناً وتقاليد هو أيضاً أمي رغم
أنه كتابي، والذي لم يدرس لا الكتابات الدينية ولا غير الدينية، أمي بالمعنى الأعم.
والرسول الأعظم ﷺ كان أمياً بالجهة الأخيرة - أمياً قبل مبعثه إطلاقاً
وبعد مبعثه في الناحية الدراسية العادية وهي البشرية، ولكنه درس العلم عند الله
العليم القدير .

! ! !

ثم هب أن الأمي - كما تشتهي - هو العرب - فماذا تفيدك الآية : ﴿ هُوَ الَّذِي
بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ (٦٢ : ٢) إلا أنه عربي بعث في العرب - لا إلى
العرب خاصة - فكيف لا تميز بين البعث في قوم والبعث إليهم ﴿ بَعَثَ فِي
الْأُمِّيِّينَ ﴾ !؟

فلو قيل لك إنك قسيس في أهل بيروت - أي قاطن فيهم - فهل إن ذلك
يخص دعوتك بهم لأنك فيهم ؟ حينذاك فلماذا تنشر دعايتك على القرآن وإلى
المسيحية - خارج لبنان إلى أقاصي البلاد؟

ثم هب أخيراً - إنه مبعوث إلى العرب - فإين البعث إليهم من اختصاصه بهم

إلا ترجيحاً لهم في هذه الدعوة حيث هم أحوج إليه لشركهم - مضافاً إلى الآيات الصريحة في عموم الدعوة؟!

وبعد - فليت شعري كيف تستند إلى الآتين الأخيرتين في دعواك، وهما من تصاريح القرآن على عموم الدعوة: حيث تجمع الأولى: الأُميين والكتّابيين أجمعين، تجمعهم في الدعوة - رغم ما تهواه من اختصاصها بالعرب من غير الكتّابيين فحسب ءأجتهداً مقابل النص: ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا ﴾ (٣: ٢٠).

والثانية تخاطب الناس جميعاً بعد تنديد هام بكفرة أهل الكتاب: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (٧: ١٥٧-١٥٨).

تشير الأولى من هاتين إلى لقب الأُمي للنبي ﷺ الموجود في الكتّابين، ثم ترغّبهم إلى اتّباعه وتبشرهم بالفلاح على أضواء دعوته، والثانية تأمرهم في الناس جميعاً: أن يؤمنوا به لعلهم يهتدون -

ورغم ما يهواه الحداد من عربية الدعوة فالآية تخاطب الناس جميعاً، وأمر الحداد ومن إليه حينذاك بين أن يعتبروا انفسهم خارجين عن الناس لكيلا تتجه

إليهم الدعوة المحمدية العالمية ، أو هم اناس يفسقون عن أمر ربهم - أو يؤمنوا به
لعلمهم يهتدون !!!

ناس ونسناس !

أجل إن هناك ناسٌ ونسناس، والدعوة المحمدية تشمل الناس أجمع، فن
يعتبر نفسه خارجة عن هذه الدعوة فليصدق خروجه عن الناس، ودخوله في
النسناس فاقض ما أنت قاض .

وقد أسلفنا تصديقاً للآيتين تصريحين من العهد العتيق في ذكر رسولنا بلقب
الأمي - وإليكم هنا تصاريح في عموم دعوته وختمها من العهدين :

محمد هو الكل :

١ - من الأصل الأنقلوسي في نبوءت هيلد^(١) :

«محمد ... كليليا»

أي : محمد هو الكل - يعني : يجمع في صفاته صفات القديسين من الأنبياء
 والمرسلين - وفي دعوته جماع دعواتهم الصالحة إلى كل الأمم ، فهو الكل بما له من
معنى صالح يليق بساحة نبوته الخالدة !

٢ - من الأصل العراقي / ٢ حكى / ٧

(١) يأتي القول الفصل في ذلك عند تفصيل البشارات انشاء الله تعالى .

وَهَرِ عِستى إِتْ كَالِ هَغوِيمِ وَبائُو حَمَدَتْ كَالِ هَغوِيمِ وَمَلُوْتى إِتْ
هَبَّيْتْ هَزَّهُ كَابُوْدُ أَمْرٍ يَهُواهُ صِبائُوْت .

أي : أهيج كلَّ الأمم ويأتي محمّد كلَّ الأمم ومرغوبهم وأملاً هذا البيت من
الجلال - هذا أمر ربّ الجنود^(١) .

٣- وفي إنجيل برنابا / ٩٦ : ٨ / أجاب يسوع «لعمرك الله الذي تقف بحضرتي
نفسى إني لست مسيّا الذي تنتظره كل قبائل الأرض كما وعد الله أبانا إبراهيم قائلاً:
بنسلك ابارك كل قبائل الأرض .

٤- من الأصل العبراني - / تكوين ١٧ : ٢٠ / وفقاً لهذه الدعوة :
وَلَيْشَمَعِيلِ شِمَعْتِيخَا هِينَهُ بَرَحْتى أُوْتُو وَهِيْفَرْتى أُوْتُو وَهِيْرَبْتى أُوْتُو
بِمُنْدُ مَنْدُ شِنِيمِ عاسار نسيئيم يُولِدِ وَنَتْتِيُو لِعُوِي غادُل .

أي : ولا إسماعيل سمعته: (إبراهيم في دعائه له بالبركة) حالياً أباركه وأمّيه
وأعظمه «بمحمّد ﷺ» واثنى عشر إماماً من نسله - يولدهم إسماعيل واجعله أمة
كبيرة ... أبارك العالم بهم !

وما إلى ذلك من البشارات التي تترى عليكم في كتاب البشارات.

هل إن اللغة تحدد الدعوة؟

الحداد : والمبدء الثالث في مكة : أن لغة الرسول تحدد مدى رسالته - ... وهو

(١) قد أتى تفصيل هذه البشارة في البشارات ان شاء الله تعالى في كتابنا: «رسول الإسلام في
الكتب السماوية».

تطبيق القاعدة العامة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ (١٤ : ٤) لذلك فهو رسول من الأميين العرب وإليهم.

المناظر: إضافة قوم الرسول إليه لا تقتضي اختصاص بعثته إليهم - وإنما تعبر الآية عن ضرورة وفق اللسان بين كل رسول وقومه الذين أرسل فيهم - حيث هم مبدء الاتجاه في دعوته - ثم منهم إلى غيرهم من اقوام: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (١٤ : ٤).

وأخيراً إذا حددت لغة الرسول مدى رسالته - فلتحدد كل لغة رسالة صاحبها - وأنتم لا ترضونه كلياً - فما لكم كيف تحكمون - فبأي حديث بعد الله وآياته تؤمنون؟!

ثم «لسان قومه» هو غير «لغة قومه» فلسان قومه ليس إلا ما يتفهمنه وإن كانت بترجمته .

ثم هنالك نقض بين كما عن المسيح: لم أرسل إلا إلى خراف إسرائيل الضالة / مت ٢ : ٦ / ١٥ : ٢٤ وهو صريح في اختصاص بعثة المسيح ببني إسرائيل ، لا تعدوهم إلى غيرهم - حال أنكم تعتبرون شريعة الإنجيل عالمية - تريدون حمل مختلف الشعوب عليها وعلّكم تستندون في ذلك إلى قوله: «اكرزوا بالإنجيل في العالم» .

فهل يرتضي المبشرون المسيحيون اختصاص دعوتهم ببني إسرائيل الذين هم المخصوصون بالدعوة ، حيث إن عبرية اللغة تحدد الدعوة بالعبرانيين ، أو يونانيته كذلك اعتباراً بلغة المسيح اليونانية! - وكما عن المسيح الإنجيل: «لم أرسل إلا إلى خراف إسرائيل الضالة» / مت ٢ : ٦ / و / ١٥ : ٢٤؟

كلا! إلا تفسيراً لهذا النص بما تحبون من كلية الدعوة الإنجيلية، وما ينقل عن المسيح: «اكرزوا بالإنجيل في العالم» رغم التناقض البين في هذا البين.

إذ ذاك فكيف يؤولون الرسالة المحمدية ويختصونها بالعرب، لا لشيء إلا لأنه أرسل بلسان قومه - ولكنهم لا يختصون الرسالة الإنجيلية بخراف إسرائيل الضالة. رغم التصريح الإنجيلي في هذا الاختصاص !!!

كلا -: لا ذا ولا ذاك فلا أن الرسالة الإنجيلية تختص قوم المسيح الإسرائيليين، ولا بالاولى، الرسالة المحمدية الختمية الخالدة تختص العرب، بل إنها تفرح أسمع العالمين: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٧: ١٥٨).

فكما أن الله له ملك السماوات والأرض - بالذات - كذلك لرسوله الخاتم الملك والدعوة الدينية العالمية من الله دونما حد، في عرض الزمان وطوله، وفي طول العالم وعرضه.

ثم الحداد يكرر مبدء اللغة ثانية، يعدها مبدئاً رابعاً عربية الدعوة مستدلاً بأمثال قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (٧: ٤٢) ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ (٤٣: ٤٤) ... والجواب هو الجواب: أن كل رسول يجب أن يرسل بلسان قومه الذين هم بداية دعوته، والعرض الأول من شريعته.

ما هو المعنى من عربية القرآن حكماً وتعبيراً؟

ومن ناحية أخرى نعلم أن العربي بمعنى الواضح البين، وقد اعتبر القرآن عربياً في لفظه أو إطلاقاً^(١) وفي حكمه: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ (١٣: ٣٧).
 فعربية الحكم في القرآن بمعنى وضوحه تعبيراً، وسهولته تعقلاً وعملياً: أن لا تعقيد فيه ولا صعوبة في آية ناحية من نواحيه، ولا عوج: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (٣٩: ٣٨).

وآياته مفصلات دون إجمال: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٤١: ٣) وفي عربيته أي أسلوبه البياني الواضح مجالات واسعة للتعقل: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٤٣: ٣) وفي أنه مبين منة على المؤمنين به وعلى غيرهم: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (٢٦: ١٩٥). «يبين الألسن ولا يبينه الألسن»^(٢).

فلقد ترون الآيات تنيط الإبانة، ومجال التعقل، وسهولة التفهم، وأنه لا عوج فيه ولا إجمال في آية الكريمة، كل هذه تربطها بأنها بلسان عربي مبين، ومما لا يريه شك إلا رباطاً خاصاً بين هذه الميزات وبين عربية اللسان من حيث اللغة، وإنما ذلك لا اختصاص هذا اللسان بوضوح التعبير واتقان القواعد والمجالات الواسعة الأخرى في البيان، فلفظه ومعناه وحكمه وكل شيء فيه عربي، أي: واضح كأوضح

(١) ٤٢: ٧.

(٢) عن باقر العلوم عليه السلام في تفسير المبين.

ما يمكن ، دون الألسنة الأخرى حيث لا تصل في جزالة الأسلوب البياني إلى لسان القرآن العظيم، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

فالمعني من أم القرى ومن حولها : عامة القرى العالمية بما فيها مركزها الرئيسي : مكة المكرمة ، على اختلافهم في أجناسهم وألسنتهم وأفهامهم - وذلك الإنذار العام لا يتيسر إلا بما يُقرء عليهم ويتلى واضحاً لاستار عليه :

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ (٤٢: ٧).

فهل إن الرسالة القرآنية - بعد - عربية إسماعيلية ؟

ثم يختلق الحداد أربع مبادئ أخرى تجعل في زعمه الرسالة القرآنية عربية إسماعيلية !

الأول : أن الدعوة القرآنية في المدينة كانت إلى ملة إبراهيم بإسماعيل :
 ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٢: ١٣٥) وملة إبراهيم وصلت إلى النبي بإسماعيل : ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ .. وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ (٢: ١٢٨) فكان النبي والمسلمون ولد إسماعيل : بكر إبراهيم ، أولى الناس بإبراهيم : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ ﴾ (٣: ٦٧ - ٦٨) يجعل إسلام القرآن على ملة إبراهيم بإسماعيل عربياً إسماعيلياً للعرب الإسماعيليين !

ما هي الملة ؟

المناظر: كأن الحداد يفسر الملة في هذه الآيات بالنسل والذرية ، وهو خلاف اللغة وخلاف نص الآيات ، حيث الملة لغوياً هي الطريقة والسنة ... والآية: ﴿يَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ إضراب من أن يكونوا هوداً أو نصارى وحناناً إلى الملة الإبراهيمية لا بتعادها عن الشرك ، فهل يعقل الإقتراح في تبديل الملة بمعنى النسل ، بأن اليهود والنصارى سألوهم أن يبدلوا نسلهم من إبراهيم إلى اليهود والتنصر ، وهم لم يرضوا إلاّ البقاء على الإبراهيمية على أنها أيضاً ملتان كمثلها، أي من نسل إبراهيم؟! فاقض ما أنت قاض .

كلاً إنه لم يكن التسائل والإقتراح إلاّ في تحميل الكتائبين غيرهم من المسلمين أن يمضوا ويمضوا على ملتهم وسنتهم الوثنية من اليهود والتنصر وهم لم يرضوا إلاّ اتباع سنة إبراهيم في التوحيد: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾! ثم الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم من إسماعيل ليسوا هم المسلمون باجمعهم، بل هم النبي ﷺ والأئمة المعصومون الإثنى عشر من عترته دون من سواهم ، حيث يسأل إبراهيم ربه عند بناء البيت أن يجعله الله وإسماعيل مسلمين له ومن ذريتهما أمة مسلمة لله كما هما مسلمان: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ وهذا الإسلام أعلى مدارج التسليم لله، لا الشهادتان، والإيمان الساذج على وفقها ، حيث إن إبراهيم كان حينذاك من أولى العزم من الرسل ، فكيف يسأل ربه بعدئذ أن يجعله مسلماً بهذا المعنى! أسوأ لا إخفاض موقفه من الإسلام!

كلا! إنه لا يستدعي لنفسه ولإسماعيل ولبعض ذريته منه إلاّ الرتبة العليا من

الإسلام وهي كمال الزلفى من الله .

ومعلوم أن المسلمين لم ينالوا هذه الدرجة ولا القليل منهم إلا النبي وعترته المعصومون الإثني عشر، فقد نالوها وزيادة ، حيث الولاية والعصمة المحمدية ﷺ تفوق ما سواها كيفما كانت !

فقوله تعالى : ﴿ وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ يعني في المسلمين المعصومين في ذريتها - كما بعثه وإسماعيل نبين - وقد تقدمت البشارة من التورات في إجابة دعوة إبراهيم «بمئذ مئذ شينم عاسار نسيئيم» بمحمد وإثنا عشر إماماً من ولد إسماعيل .
وإنما يسقط الحداد في هوات الخطل والخبل لعدم تدبره في آي الذكر الحكيم فيرى الملة نسلأ - أو الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم وإسماعيل يراهم جميع المسلمين مها اختلفت عنصرياتهم ! ومراتهم في الإيمان .

حال أن القرآن يعتبر كل مخلص لله مسلماً ، كما في وصية يعقوب لبنيه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٢: ١٣٢) . ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ ﴾ (٥: ١١١) وقد يعتبر نبينا أيضاً مسلماً وأول المسلمين : ...

﴿ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٦: ١٦٣) .. إذا فكل مخلص لله مسلم عبر القرون البشرية ، ولكن المسلم في دعوة إبراهيم من هو في أعلى مدارج الإسلام التي يضاهاي إسلام إبراهيم ، أو يزداد عليه ، كما في المسلمين المعصومين من ذريته من إسماعيل : محمد وعلي وفاطمة وإحدى عشر من ولدهم الطاهرين ﷺ .

دعوة القرآن العالمية :

فإسلام القرآن وان كان على ملة إبراهيم يعني سنته في التوحيد الخالص ، إلا أنه ليس عربياً إسماعيلياً ، بل عالمياً للناس كافة ، رغم ما يهواه الحداد !
وأخيراً لو صح ما يزعمه ، فلا ملازمة بين البعثة إلى قوم وعدمها إلى آخرين ، فإن اثبات شيء لشيء لا ينفي ما عداه ، ولا سيما أن هناك تصاريح قرآنية لعموم الدعوة المحمدية .

ومثلاً على ذلك : التصاريح المتوفرة في العهدين والقرآن أن موسى وعيسى عليهما السلام أرسلوا إلى بني إسرائيل ، والحداد لا يرتضي قومية دعوتها اعتباراً
أنها من أولي العزم من الرسل - إذاً فليحكم على سواء !

ما هو الوجه في انتساب كل نبي إلى قومه ؟

والسر في ظاهرة الاختصاص أن بني إسرائيل كانوا عبرانيين كموسى ، وأحوج الأقوام إلى الأنبياء حيث كانوا أبعد الناس عن الهدى وأشدهم اضطهاداً تحت نير الظلم ، رغم أنهم من بيوتات النبوة ، فلذلك كانوا مبادئ الاتجاهات الدينية فأحرى من يحن إليه الطبيب أكثر المرض داءً وأقربهم رحماً !

كذلك المشركون وهم قد اخلدوا إلى عبادة الأوثان طيلة قرون ، فبالأحرى أن تتجه الدعوة المحمدية بداية الأمر إليهم ، فإنهم أحوج إليهما بما هم أظلم وأطغى :
﴿ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴾ * لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿ (٦: ٣٦) . ﴿ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٢٨: ٤٦) .. ﴿ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (٣٢: ٣) ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ

لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴿١٩: ٩٧﴾ ثم أهل الكتاب كافة.

على أن للإنذار المحمدي إتجاهاً واسع النطاق يشمل المكلفين كافة: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (٦: ٩٢) من حولها من العالمين أياً كانوا وإينا كانوا: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (٢٥: ١) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (٣٤: ٢٨) ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٢٢: ٤٩) ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (٧: ١٥٨).

أم القرى ومن حولها:

المركز الرئيسي العالمي للدعوة الأخيرة الإلهية، المحمدية ﷺ:

فآية أم القرى تعتبر مكة المكرمة أم القرى، إذ بعث فيها الرسول الأعظم محمد ﷺ حيث أصبحت على ضوء الرسالة المحمدية المركز الرئيسي للمعمورات العالمية في النواحي الرسالية الروحية، فإن القرية هي المجتمع الإنساني وغيره من المكلفين أياً كانوا، في رستاق أو قصبه أو بلد أو في صحراء، في كرتنا الأرضية أم في الأنجم السماوية، وأم القرى مركزها الرئيسي، فالمركز الرئيسي العالمي الذي صدرت ونشرت عنه الدعوة المحمدية الخالدة هو مكة المكرمة، والقرى بما أنها الجمع المحلي باللام، تشمل سائر المجتمعات من المكلفين في شتى أرجاء الكون، فما حولها، أي حول أم القرى من كافة المعمورات، مهما كانت في الأرض أم في الأنجم التي نجم فيها التمدن للمكلفين، فمن حول الأمم هم عامة المكلفين إعتباراً بأنهم أياً كانوا فهم حول مكة، الحول القريب أم البعيد، فإنما يراد من الحول هنا ما يناسب كلية القرى

المستفادة من استغراق الجمع فيها، حيث لا يناسب اختصاص الإنذار ببعض القرى وهي المجاروة، دون البعض الآخر وهي البعيدة - كون مكة أما لعامة القرى - أفهل تخص دعوة الزعيم الروحي في عاصمته العالمية، تخص بعض القرى؟ أترجيحاً لبعض القرى وتخلفاً للآخرى عن حكم عاصمتها؟

فإذا أُنذر المركز الرئيسي للقرى بزعيمها، فمن حول المركز يعم جميع قراه دون شذوذ، والقرى بما تشمل جميع المجتمعات من المكلفين دون اختصاص، فدعوة الأم تشملها إطلاقاً وإلا لم تحسب من قراه فكيف تنسب إلى الأم؟

إذاً فعامة العقلاء المكلفين الذين يسكنون مساكنهم في الأرض وحول الأرض بقراها: في الأنجم السماوية المتمدنة - هؤلاء بأجمعهم تشملهم الدعوة المحمدية ﷺ، كما وتشتمل الجن بما في آيات مخاطبتهم كالإنس.

أجل: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (٢٥: ١) وهم أعم من الناس وممن في الأرض ومن في السماء، كما أن العالمين في ربوبيته تعالى تعالى لا يخص طوائف دون آخرين، ف: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١: ٢).

هذا! وتخصيص الناس بالذكر في آيات، لأنهم أهم المخاطبين بهذه الخطابات: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾ (٣٤: ٢٨) أو لأن غيرهم أيضاً أناس كأمثالهم إلا الجن وقد شملتهم الدعوة المحمدية ﷺ بما في سورة الجن وغيرها.

فلتة غير مغفورة:

إن الحداد بعد اللتيا والتي - أخيراً يضطر إلى وصمة التشابه على تصاريح عموم الدعوة - قائلاً: وهناك آيات متشابهات استنتجوا منها أن رسالة الإسلام

من أصلها عالمية ... ولكن بين المبدء والواقع بون شاسع ، فإن السور التي وردت فيها أمثال تلك الآيات المتشابهات جاء فيها أو قبلها وبعدها تصاريح واضحة تحصر معناها في القوم الذي يخاطبهم النبي مباشرة^(١).

المناظر : بل إن هناك بوناً شاسعاً بين الحق ومزاعم الحداد ، حيث يعتبر مثل قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ (٧ : ١٥٨) يعتبره وما إليها من الآيات متشابهات ، ولعله لاشتباه الأمر عليه في سائر الأقوام غير العرب ، هل إنهم من الناس ، كافة أم من النسناس ! ولكنه لا يملك إلا نفسه ومن ينحو منحاه ، ولا يحق لأمثاله أن يمساو كرامة الإنسانية كافة !

على أن هذه الآيات تتلو مباشرة ما تأمر أهل الكتاب أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ، فهل إن الحداد يعتبر ذلك أيضاً من التصاريح الواضحة التي تحصر دعوة النبي ﷺ في العرب دون أهل الكتاب كافة وسائر المكلفين؟
فما له يخرج نفسه عن الناس كافة وعن أهل الكتاب كيلا تشمله الدعوة الحمديّة الموجهة للناس كافة ولا سيما أهل الكتاب ؟

فرغم ذلك كله : إن الدعوة الحمديّة الغراء دعوة إلى الناس كافة^(٢) ووحى القرآن لا يندار الموجودين في زمنه ومن بلغه في طول العالم وعرضه لحد يوم القيامة : ﴿ وَأَوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ (٧ : ١٩) ورسالته للناس كافة : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٣٤ : ٢٨) ورحمة للعالمين : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٢١ : ١٠٧) واندراه يعم العالمين : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ

(١) القرآن والكتاب للحداد ص ١٠١٢ - ١٠١٣ .

(٢) ٧ : ١٨٥ .

عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿٢٥: ١﴾ لمن كان منهم حياً ويحق القول على الكافرين: ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٣٦: ٧٠).

فمن كان من العالمين ومن الناس - وهو حي يريد مزيد الحياة، ويحنُّ إلى الرحمة ... فليؤمن برسالة القرآن المحمدية ﷺ، حيث هو رسول إليه - ومن هو بخلاف ذلك وذيالك فليفعل ما يشاء ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ ﴿مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّٰ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ .

الأمة الوسط

إن الحداد يكرر طيلة كتابه كلمة الأمة الوسط، ويعتبرهم أمة الإسلام، وسطاً بين المشركين والكتابين بدئاً! ثم بين اليهود والمسيحيين في النهاية! (١).

حال أن الإسلام توحيد خالص رفضاً لوثنية المشركين إطلاقاً، وللتفكيرات الإشرافية، والكتابية، فكيف تعتبر أمتهم وسطاً بين المشركين والكتابين، حال أن الإسلام يرفض التهود والتنصر كما يرفض الشرك، فكيف يُعتبر بينهما ... كلا - لا ذا ولا ذاك! وإنما هو رفضٌ لأساطير الأولين، وتجديد لما يرتضيه الله من الدين.

حينذاك ندخل في صميم البحث المقارني بين الكتب الثلاث - بدل أن نلقت النظر إلى اختلاقات الحداد ومن ينحو منحاه - تقديماً للبحث عن المعنى من الأمة الوسط كما يستفاد من الذكر الحكيم، ولكي يجر السقف على الحداد من فوقه فيترك

(١) ص ٨٥٣ يبحث عن الموضوع تفصيلاً وفي سائر مواضع كتابه اختصاراً كما في ص ٧٣٨ وغيرها.

ما يكرره ليل نهار في دروسه القرآنية على زعمه - ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ .

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (٢: ١٤٣).

من هم الأمة الوسط ؟ وما هو الوسط ؟

هل إنهم المسلمون أجمع ؟ أم العدول منهم ؟ أم خلفاء الرسول المعصومون الذين يحذون حذوه وينحون منحاه ؟

ثم هم أيّاً كانوا - فهم وسط بين من ؟ وبين ما ؟ فهل إنهم وسط في التشرييع بين الشرايع ومنها القبلة ؟ أو وسط بين المشركين والكتابين ؟ أو بين اليهود والتنصر ؟ أو وسط بين الرسول وبين الأمة جمعاء ؟

الحداد : هم المسلمون أجمع ، منذ مطلع العهد المدني يتجلى لنا هدف القرآن الأكبر في تأسيس إسلام القرآن «أمة وسطاً» بين الموسوية والمسيحية بمناسبة تحويل القبلة إلى كعبة مكة (١٣٥ - ١٤٣) ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٢: ١٣٥).

وهم قبلذاك في مكة - كانوا أمةً وسطاً بين المشركين والكتابين .
وهم أيضاً وسط في النواحي العقائدية والعملية بين أهل الكتابين ، ومن ذلك القبلة ، لما كان الخطاب متوجهاً لموسى من الجانب الغربي ، وتوجهت إليه اليهود وتوجهت النصارى إلى المشرق ، كانت قبلة الإسلام وسطاً بين القبلتين ، قال الله

تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ ... والإسلام أمة وسط في شريعته بين اليهودية والمسيحية ...

المنظر : ليت شعري ! من أين يأتي الحداد بهذه المختلقات في تفسير الآيات دون أي سناد ، إلا تخيلات ساقطة يهواها لتحقيق مرماء من إسقاط حجة القرآن وأنى له ذلك !

فالأمة الوسط إنما هم من وجبت لهم دعوة إبراهيم الخليل عليه السلام :
 وهم المعصومون من عترة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وسط بين الرسول وأمته !
 وإن هنالك يتبين المعنى من الآية ... من نفسها وما إليها من آيات كما يلي :
 ... ﴿ وَكَذَلِكَ ﴾ أي : كما ابتلى إبراهيم وجعله إماماً ومن ذريته ، العدول منهم ^(١).

وكما دعى لذريته من إسماعيل : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ﴾ (٢ : ١٢٨). وكما استدعى : ﴿ وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢ : ١٢٩) وكما صبغكم بصبغته ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾ (٢ : ١٣٨) وكما ولاكم عن بيت المقدس إلى قبلة أبيكم إبراهيم : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ (٢ : ١٥٠).

﴿ وَكَذَلِكَ ﴾ وبالأخير ﴿ جَعَلْنَاكُمْ ﴾ عترة هذا الرسول المعنيين طوال الآيات السالفة بقرائنها ، ﴿ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ : بينه وبين الأمة ﴿ لِتَكُونُوا

(١) ٢ : ١٢٤ .

شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴿ تشهدون عليهم عقائدياً وعملياً ﴾ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴿ .

ذلك لتحقق دعوة أبيكم إبراهيم، حيث استدعى من ربه أن يجعل من ذريته من إسماعيل أمة مسلمة - كما التمس ذلك الإسلام لنفسه ولإسماعيل: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ﴾ فقد استجاب له ربه دعوته، أن بعث فيهم رسولاً منهم، وجعلهم أمة وسطاً بينه وبين الأمة جمعاء، وكما سلف من نص التورات: بمئد مئد شنيم عاسار نسييم يُولد:

بمحمّد واثني عشر إماماً من ولد إسماعيل!...

فهذا محمّدهم - وقد جعله نبياً - وهؤلاء عترته الإثني عشر، جعلهم أمة وأمة وسطاً بينه وبين الناس ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ .

ثم شاهداً آخر - بعد شهادة الآيات قبل آية الأمة الوسط - على أن الشهداء هنا هم المعصومون - أن الآية تعتبرهم شهداء على الناس وما هي هنا إلا شهادتهم على أعمال العباد بما أراهم الله، فهم يلقون الشهادة على الأعمال يوم يقوم الأشهاد، بما شهدوها يوم الدنيا^(١): فكيف ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا ﴾ (٣٣: ٤٥) ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ ﴾ (٧٣: ١٥) ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ (٤: ٤١).

فإنما الشهادة على الناس من شؤون الرسل ومن إليهم في المحتد والمنزلة، من

(١) الشهادة لغوياً هي تلقي الأعمال عن شهود والقاء الشهادة عليها وقد جاءت بالمعنيين في أي كثيرة .

أوصيائهم - لا الأمة جمعاء - بل ولا العدول منهم أجمعون - وإنما هم : ﴿ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٤٢ : ٨٤) والذين اجتباهم الله وهم من نسل إبراهيم من إسماعيل وقد سماهم الله مسلمين في لسان إبراهيم إذ دعى ربه : ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ﴾ : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ (٧٨:٢٢).

حيث الإجتباء والشهادة لا يعان المسلمون أجمع ولا العدول منهم كذلك ، وليسوا هم بأجمعهم من ولد إبراهيم من إسماعيل ، ولم يسم إبراهيم في دعائه مسلماً إلا أخصاء ذريته عن إسماعيل .

فشهادة الرسول عليهم ، شهادة منه على ولايتهم ورعاية على أعمالهم عملياً وتربوياً ، حتى استاهلوا أن يكونوا وسطاً بينه وبين الأمة ، تعليماً وتربيةً وشهادةً وما إليها من شؤون الرسول ﷺ إلا النبوة .

فالوسطية في الآية إنما هي ما تستتبع الشهادة على الناس ، فلا تناسب ما اختلق لها من تفسير لا يلائم مقام الشهادة : كما اختلقه الحداد ، وكما قيل : من الوسط بين الإفراط والتفريط - أو الوسط بين الأمم زماناً ، المنافي لمخاتمه الإسلام ، ولا غير ذلك : بل هم الأمة الوسط بين الرسول والأمة ليكونوا شهدائه عليهم وعلى أعمالهم : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ ﴾ (١١ : ١٩) كما ﴿ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ (٧٨:٢٢).

فليست أمة الإسلام وسطاً بين المشركين والكتابين ، ولا بين اليهود

والنصارى ، بل هم أمة قاسطة فذة مطهرة من الوثنيات والخرافات الكتابية يهودية
ونصرانية ، أجل إن أمة الإسلام في القمة من شتى النواحي العقائدية والأنظمة
الفردية والجماعية .

ذكرى الخمسة الطيبة في كتاب ادريس عليه السلام :

يقول ادريس النبي صلى الله عليه وسلم في كتابه (١) عن آدم عليه السلام : ..

إنه لما خلقني ربي بيده ونفخ في من روحه جلست ناظراً إلى عرش ربي ، فإذا
بأنوار خمسة في غاية العز والجلال والبهاء والكمال ، وقد أغرقتني وأوهنتني بوارق
أنوارهم !

قلت : رب ! من هؤلاء ؟

قال : هم أشرف خلأتي وأبواب رحمتي والوسائط بيني وبين خلقي :

«إِنِّي لِهَوَيُّوهُ أَنَا لِبُرَيْنِ وَارْحُ لَا الشَّمَامِي وَلَا أَلْ أَرْعَا وَلَا النِّبْرِدِسْ وَلَا
الْكَيْهِنُ وَلَا الشَّمِشُ وَلَا السَّعْرُ» (الأصل السرياني) .

أي : لولاهم لما خلقتك ولا السماء ولا الأرض ولا الجنة ولا النار ولا
الشمس ولا القمر .

قلت : يا رب ! ما اسمائهم ؟ قال : انظر إلى العرش حيث الأنوار القادسة ،
فنظرت وإذا كتائب من نور :

(١) المطبوع في لندن بالسريانية ١٨٩٥ م - في ص ٥١٤ - ٥١٥ .

«پارَ قَلِيْطًا: مُحَمَّدٌ ﷺ - ايلِبا: (علي ﷺ) - طِيْطُهُ: (فاطمة ﷺ) -
شِيْرَه: (حسن ﷺ) شِيْرَه: (حسين ﷺ) - هَلِيْلُوهُ لِتِ آلِهِ شُوْقٌ مِّنِّيَّ «مُحَمَّدٌ ﷺ»
إِنْوَى ذَالَةَ لِكَلُّهُ عَالَمٍ» (الأصل السرياني).

يعني: هم «مُحَمَّدٌ ﷺ» عليُّ - فاطمة - حسن - حسين - هَلُّوْنِي وَسَبْحُوْنِي
يا خَلَائِقِي فَلَإِ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا وَمُحَمَّدٌ ﷺ رَسُوْلِي لَجَمِيْعِ الْعَالَمِ.

والحمد لله أولاً وآخراً، والسلام على من اتبع الهدى
وقد أُلِّفه وحرّره العبد الفاني: مُحَمَّدُ الصَّادِقِي الطَّهْرَانِي

الرموز والاشارات للسور والآيات كما يلي:

الرمز	الاسم	الرمز	الاسم
تك	تكوين	جا	جامعة
لا	لاويين	نش	نشيد الأنشاد
عد	اعداد	اش	اشعيا
تث	تثنية	ار	ارميا
يش	يشوع	مرا	مراي
قض	قضاة	حز	حزقيال
را	راعوث	دا	دانيال
١ صم	صموئيل الأول	هو	هوشع
٢ صم	صموئيل الثاني	يو	يوئيل
١ مل	الملوك الأول	عا	عاموس
٢ مل	الملوك الثاني	عو	عوبديا
١- اي	الأيام الأول	يون	يونا
٢- اي	الأيام الثاني	مي	ميخا
عز	عزرا	نا	ناحوم
نح	نحميا	حب	حبقوق
اس	استير	صف	صفنيا
أي	ايوب	حج	حجي
مز	مزامير	زك	زكريا
ام	امثال سليمان	مل	ملاخي

العهد الجديد:

الرمز	الاسم	الرمز	الاسم
مت	متى	١ - تي	رسالته إلى تيموثاوس الأولى
مر	مرقس	٢ - تي	رسالته إلى تيموثاوس الثاني
لو	لوقا	تي	رسالته إلى تيطس
يو	يوحنا	فل	رسالته إلى فليمون
١ - ع	اعمال الرسال	عب	رسالته رسالته إلى العبرانيين
رو	رومية	يع	رسالة يعقوب
١ - كو	كورنثوس الأولى	١ - بط	رسالة بطرس الأولى
٢ - كو	كورنثوس الأولى	٢ - بط	رسالة بطرس الثانية
غل	رسالة بولس إلى غلاطية	١ - يو	يوحنا الأولى
اف	رسالته إلى افسس	٢ - يو	يوحنا الثانية
في	رسالته إلى فيلبي	٣ - يو	يوحنا الثالثة
كو	رسالته إلى كولوسي	يه	رسالة يهوذا
١ - تس	رسالته إلى تسالونيكي الأولى	رؤ	رؤيا يوحنا
٢ - تس	رسالته إلى تسالونيكي الثاني		

المحتويات

الإهداء	٣
مقدمة الطبعة الثانية	٥
تقريب	٩
مقدمة المؤلف	١٣
المدخل	١٥
لا حجة الآن لصحة دين ما إلا الكتاب الذي خلفه نبيه	٢٠
مقارنات كتابية: هل يوجد إنجيل المسيح؟ هل إن الكتب الثلاث توجد بأعيانها؟ ...	٢٣
مراجعة إلى المكتبات الإنجيلية: مدخل المناظرات	٢٣
نبي بلا كتاب!	٢٥
معنى الإنجيل	٢٧
إنجيل المسيح في الأناجيل؟	٢٩
من تصاريح الأربعة وبولس حول إنجيل المسيح «أول البشارة: انجل المسيح ﷺ» ..	٣٠
تصاريح غير الأربعة حول إنجيل المسيح	٣٢
عدد الأناجيل وبيئتها عبر القرون المسيحية	٣٣
إنجيل المسيح	٣٧
«إين إنجيل المسيح وبرنابا القديس؟»	٤٠

- ٤٢ «نظرة شاملة إلى الأناجيل: من أئمة الإنجيل وعلمائه»
- ٤٣ هل الغاية تبرر الوسيلة؟!
- ٤٤ «وجهة النظر إلى أسباب وأساليب التحريف»
- ٤٧ العهد الجديد في الجديد
- ٤٧ تصفية الأناجيل في المجامع المسيحية طيلة عهدها
- ٤٧ محرومية الكنائس في القرون المسيحية قبل مجمع نيقية
- ٤٨ معارضة الموحدين والمثلثين الأقدمين
- ٥٠ قسطنطين الوثني مؤسس المسيحية الحالية
- ٥١ «الأناجيل المعتمدة عند المسيحيين» والكتاب المقدس
- ٥١ الأناجيل الأربعة
- ٥٢ مرقس
- ٥٤ لوقا
- ٥٥ إلهامي أم لا؟
- ٥٦ يوحنا
- ٥٨ متى
- ٥٨ هل يوجد إنجيل متى الأصيل؟
- ٦١ وأما سبب فقد الأصل
- ٦٢ نظرات العلماء في نسبة الأناجيل الأربع إلى الأربعة بصورة عامة
- ٦٣ عديد الاختلافات في العهدين
- ٦٦ نظرة ثاقبة في الأناجيل بأسرها

٤٩٩	المحتويات
٦٨	فروع العهد الجديد غير الأربعة
٧١	الكتاب المقدس بصورة عامة
٧٣	حصيلة البيئة الإنجيلية!
٧٥	بولس ناقض الشريعة في اطار تاريخي مسيحي
٧٦	تفاق عارم في إيمان بولس
٧٧	بولس يشهد لنفسه بالرسالة!
٧٧	بولس ينتصر للقضاء على المسيحية!
٧٨	رمز السلطة البولسية
٧٩	ظروف التصوف البولسي
٧٩	معاركة بولس مع المسيح في التشاريع العملية
٨١	بولس يهدد العاملين بشريعة الناموس!
٨٢	الصبغة البولسية في الأناجيل
٨٣	بولس في نظرات علماء الإنجيل
٨٣	فبدع الفلسفة
٨٤	وأما بدع الأخلاق
٨٤	وأما البدع المتعلقة بطبعتي المسيح
٨٤	وأما بدع المجادلة
٨٥	إنجيل برنابا القديس
٨٦	ذنوب هذا الإنجيل!
٨٦	نوح دامي على المسيح وانجيله

٥٠٠ المقارنات بين الكتب السماوية

- ٨٧ إنجيل برنابا القديس
- ٨٩ الحفلة الثانية
- ٨٩ الآراء حول إنجيل القديس برنابا
- ٩٠ هل إن إنجيل برنابا ألف قبل الإسلام أم بعده؟
- ٩٠ بيئة إنجيل برنابا عبر القرون؟
- ٩٠ متى ألف ومن ألفه ولماذا احتجب؟
- ٩١ ذكريات وجوده قبل الإسلام
- ٩٢ برنابا وبطرس البستاني
- ٩٥ كيف ظفر المسلمون بهذا الإنجيل ومتى ظفروا؟
- ٩٦ أول من عشر على النسخة الإسبانية
- ٩٦ أول من وجد الإيطالية
- ٩٧ فرامرينو وإنجيل برنابا
- ٩٨ شماس الموصلية والقسيس يوسف
- ٩٩ أثر هذا الإنجيل: الروحي
- ٩٩ إذ لا إنجيل فماذا يصدقه القرآن؟
- ١٠٢ بيئة العهد العتيق عبر القرون الإسرائيلية
- ١٠٢ شهادات علماء ومؤرخي أهل الكتاب على تحريف العهد العتيق وعدم تواتره ...
- ١٠٩ النقض والأبرام حول تحريف التورات
- ١١١ مناقضات بين نسخ التورات العبرانية واليونانية والسامرية
- ١١٢ ٢- بين خلق آدم وطوفان نوح عليه السلام

المحتويات	٥٠١
٣- ما بين الطوفان إلى ولادة إبراهيم ﷺ	١١٣
٤- هل إن موسى ﷺ امر ببناء المسجد في جبل عيبال أو جرزيم؟	١١٤
حرق التورات وتأليفها من جديد	١١٥
١٩- ملحقات بينة في التورات ليست من موسى	١١٦
نظرة شاملة في العهدين	١١٧
نظرات حول أجزاء العهد العتيق	١٢٠
١- التورات	١٢٠
٢- راعوث ويونس	١٢٠
٣- ايوب	١٢٠
٤- زبور داود ومصنفوه!	١٢١
٥- أمثال سليمان	١٢٢
٦- الجامعة	١٢٢
٧- نشيد الأنشاد	١٢٣
٨- دانيال	١٢٤
٩- استير	١٢٤
١٠- أرميا	١٢٤
نظرة جامعة إلى تحريف التورات	١٢٥
فماذا تصنعون إذ لا كتاب في البين؟	١٢٥
الشهادة المزدوجة على تحريف العهدين	١٢٥
مقارنات في الرّسل والرّسالات	١٢٧

- ١٢٩ ها هو القرآن
- ١٣٠ لو لم ينزل القرآن قضي على الوحي كله!
- ١٣٣ علل الاختلاف في الدين
- ١٣٣ هل هي آلهية أم بشرية أم...؟
- ١٣٣ اختلاف في الشرايع وعللها
- ١٣٥ فهناك اختلافان
- ١٣٥ الدين واحد وهو الإسلام
- ١٣٥ والشرايع مختلفة اختلافاً يسيراً ظاهرياً في بعض الفروع
- ١٣٧ إنما الدين هو أمر الله
- ١٣٧ الدين واحد والشرايع إليه خمسة
- ١٣٩ نوعية الاختلاف في الشرايع
- ١٤٠ تحويل القبلة
- ١٤٤ شريعة الإنجيل تابعة لشريعة التورات
- ١٤٥ فقد تتركز دعوة المسيح في ناحيتين
- ١٤٥ شريعة الأنجيل لا تستقل عن التورات
- ١٤٦ مواضيع الاختلاف بين شريعتي القرآن والتورات
- ١٤٨ القرآن رمز الوحدة الدينية
- ١٤٩ تحرّف العهدين يفرض نزول كتاب بعدهما لم يحرف ولن يحرّف
- ١٥٠ تصديق القرآن للكتابين وحدوده
- ١٥١ هل القرآن نسخة عربية عن العهدين؟!

المحتويات	٥٠٣
الحفلة الثالثة	١٥١
الأستاذ حداد يتكلم عن الجذور القرآنية	١٥٢
هل بين القرآن والعهدين إتصال ونسب؟	١٥٢
كتاب موسى شاهد صدق للقرآن	١٥٣
إحتفاف محمد ﷺ بشهود ثلاث	١٥٤
محمد ﷺ شهيد الشهداء	١٥٦
محمد ﷺ رسول إلى الرسل	١٥٧
البشارة بنزول القرآن في زبر الأولين	١٥٨
النبي الأمي محمد ﷺ يكلم شعب إسرائيل بغير لسانهم	١٦٠
عود على بدء	١٦٤
تناقض بيّن	١٦٥
هل ان القرآن تفصيل للتورات أم لأم الكتاب لدى الله علي حكيم؟	١٦٧
القرآن تفصيل لأم الكتاب ومهيمن على ما قبله من كتاب	١٦٨
مختلف مصاديق الكتاب في القرآن	١٦٨
منازل القرآن	١٧١
بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم	١٧٣
أيطلع صحيح من سقيم ونور من ظلام؟	١٧٥
هل يقتدي محمد بأهل الكتاب أم يهديهم؟	١٧٦
المعني من إقتداء النبي بهدي النبيين	١٧٦
هل درس محمد ﷺ الكتاب عند أهله؟	١٧٨

- ١٧٨ هل شك محمد ﷺ فيما أوحى إليه ؟
- ١٧٩ فيم يشك الرسول ؟
- ١٨٠ آية الشك تزيدنا علماً أن القرآن نازل من عند الله
- ١٨٢ أهل الكتاب يعرفون محمداً وقرآنه
- ١٨٢ بما عرفتهم به كتابات الوحي!
- ١٨٤ ما هي شهادة الشاهد الإسرائيلي المؤمن للقرآن
- ١٨٥ النبي الأُمي
- ١٨٦ المعنى من أمية محمد ﷺ
- ١٨٦ القرآن يفسر الأُمي بمن لم يدرس الكتاب
- ١٨٩ محمد ﷺ إلى أيّ كتاب اهتدى ؟
- ١٨٩ إنه ما درس الكتاب إلا عند الله
- ١٩١ شاهد صدق إنجيلي أن محمداً ﷺ لم يدرس قبل مبعثه
- ١٩٢ فرية تعلم الكتاب إلى محمد ﷺ إلحاد وكفراً!
- ١٩٣ هل درس محمد ﷺ الكتاب عند أهله ؟
- ١٩٦ هل إن القرآن يقرأ أهل الكتاب على كتبهم ؟
- ١٩٦ هل إن إقامة التورات والإنجيل تنافي ونسخهما وتحريفهما ؟
- ١٩٩ توهم أبدية التورات بآية تمامه
- ٢٠١ هل إن تصديق القرآن للعهدين يلائم وتحريفهما ؟
- ٢٠٣ ماذا يصدق القرآن وحدوده ؟
- ٢٠٤ أي التحريف

المحتويات	٥٠٥
تصديق ما بين يديه	٢١٠
تصديق ما مع أهل الكتاب	٢١٠
هل النسخ ينافي التصديق ؟	٢١٢
شبهات حول موقف الرسول ﷺ من الوحي القرآني ومعجزة حفظ القرآن!	٢١٢
تواتر القرآن	٢١٣
بيئة القرآن عبر القرون الإسلامية	٢١٣
فرية النسيان في وحي القرآن!	٢١٥
الشبهة الأولى:	٢١٥
الجواب عن الشبهة	٢١٦
معنى نسخ الآية وإنسائها والمحو والإثبات	٢١٧
آية الإقراء والإنساء	٢١٩
الإستثناء بالمشية	٢٢٠
آية الإنساء من آيات أن محمداً ﷺ لم ينس ما قرئه ربه	٢٢٢
... سنقرئك .. إلا ما شاء الله (من علمه)	٢٢٤
آية الحفظ	٢٢٤
هل كان النبي ﷺ يخلق من عنده شيئاً من القرآن ؟	٢٢٦
الشبهة الثانية	٢٢٦
الاستعجال في نزول القرآن لا يصطدم الوحي القرآني	٢٢٧
لا تحرك به لسانك	٢٢٨
مراتب نزول القرآن	٢٢٩

- ٢٣٠ القرآن وحي في وحي
- ٢٣١ الشبهة الثالثة
- ٢٣١ هل يركن النبي ﷺ في وحي القرآن إلى فتنة الناس ؟
- ٢٣٢ لا يركن النبي إلا إلى الوحي الفذّ
- ٢٣٣ خرافة الغرائق الملعونة
- ٢٣٣ أمنية باطلة في آية الأمنية وحق القول فيها
- ٢٣٣ احتجاج بالنقيض على نقيضه!
- ٢٣٥ آية السنة تسن العصمة لا الضلالة ؟
- ٢٣٦ الشبهة الرابعة
- ٢٣٦ هل ترك النبي بعض ما أوحى إليه؟
- ٢٣٧ امكانٌ لا وقوع!
- ٢٣٩ الشبهة الخامسة
- ٢٣٩ هل هناك تبديلٌ في أي القرآن من ناحية الرسول محمد ﷺ ؟
- ٢٤٠ الشبهة السادسة
- ٢٤٠ هل النسخ من افتعال الشيطان ؟ أم من سنن الرحمان !؟
- ٢٤٠ ليس للشيطان أية علاقة وصلة بالنسخ والتبديل
- ٢٤٥ صيانة القرآن عن التحريف
- ٢٤٥ مما لا بد منه عقلاً ونقلاً
- ٢٤٥ الشبهة السابعة
- ٢٤٥ شبهات ساقطة حول تحريف القرآن

المحتويات	٥٠٧
القرآن والتحريف؟!	٢٤٨
ارميا يندد باليهود في التحريف	٢٥٠
قول فصل في آية الحفظ	٢٥١
هل إن الذكر المحفوظ هو الرسول - أو...؟!	٢٥١
الذكر المُنزَل والذكر المُنزَل	٢٥٢
الذكر المحفوظ هو القرآن فحسب	٢٥٣
عزة القرآن وحكمته تُمثّلان حكمته تعالى وعزته	٢٥٨
الله مجيد وقرآنه مجيد على سواء!	٢٦١
بل هو قرآن مجيد . في لوح محفوظ	٢٦٢
جامع القرآن ومؤلفه ومبينه هو الله	٢٦٣
أدلة العقل والإعتبار على صيانة القرآن عن التحريف	٢٦٣
١- دليل اللطف	٢٦٣
تواتر الوحي صيانة للوحي الأصيل	٢٦٤
في صيانة القرآن حفاظ تام لسائر كتابات الوحي	٢٦٥
جمع المصحف الإمام وتأليفه زمن الرسول محمد ﷺ	٢٦٦
كيف - يُجمع المسلمون على تأليف من لا يرتضونه؟!	٢٦٧
حديث الثقلين من أدلة عدم التحريف	٢٦٧
ومنها أحاديث العرض	٢٦٧
ومنها تواتر القرآن كما هو الآن طيلة القرون الإسلامية	٢٦٨
نظرات علماء الإسلام حول عدم التحريف	٢٦٨

- ٢٦٩ تأليف القرآن في زمن الرسول ﷺ
- ٢٧٢ نظرة إلى احاديث جمع القرآن
- ٢٧٤ شبهات واهية حول التحريف
- ٢٧٧ أقسام التحريف : كتبي ولفظي ومعنوي وعملي
- ٢٧٧ معنى التحريف
- ٢٧٩ حصيلة البحث عن فرية التحريف في المصحف الشريف
- ٢٨٠ اجماع على الباطل عجيب !
- ٢٨٢ نظرة في احاديث التحريف
- ٢٨٣ الآيات المزعوم تحريفها
- ٢٨٧ اعجاز القرآن
- ٢٨٧ هل لرسول الإسلام آية معجزة ؟
- ٢٨٨ ألم تكن لمحمد ﷺ من معجزات ؟
- ٢٨٩ المعجزة والاعجاز في القرآن
- ٢٨٩ تيارات حول المعجزة
- ٢٩٠ الموقف السلبي من الإعجاز
- ٢٩١ لا صلة للموقف السلبي بالإعجاز
- ٢٩٢ خلود النبوة تلازم خلود المعجزة
- ٢٩٢ المعجزة الخالدة من القرآن وفيه
- ٢٩٣ هدف الإعجاز الرئيسي
- ٢٩٥ هل يجب إجابة المتعنتين في متطلباتهم كما يهرون - من المعجزات أو غيرها؟ ...

المحتويات	٥٠٩
موقف القرآن السلبي فيما لا حجة فيه أو يستحيل من المعجزات	٢٩٥
ارتجاع إلى الجاهلية الأولى	٢٩٦
نقضٌ وحلٌ : في متطلبات المتعنتين	٢٩٨
موقف القرآن السلبي من المعجزات التخويفية	٣٠٣
معجزة وقحة!	٣٠٥
موقف الإنجيل السلبي من الإعجاز	٣٠٨
ذودٌ عن ساحة محمدٍ والمسيح ﷺ	٣٠٩
كلنل اينكر صال الأمريكي ومعجزات المسيح	٣١٠
اويد شتراوس	٣١٠
المعجزة العقلية والحسية	٣١٠
ختم الرسالة يملي على الخاتم ﷺ تناسي المعجزات الحسية الداثرة	٣١١
ويكفيه آية لعدم ختمه أن لو اكتفى بالمعجزات الحسية!	٣١١
لا يراد من المعجزة إلا الحجة	٣١٢
موقف القرآن السلبي يخص المقترحات الجاهلة المتعنتة	٣١٥
موقف القرآن الإيجابي بالنسبة للاعجاز - عموماً وخصوصاً	٣١٥
إشارات عامة	٣١٦
معجزة الانشقاق	٣١٦
المعجزة الخالدة	٣١٧
١- لا يؤتون بمثل هذا القرآن	٣١٧
٢- ولا بعشر سور مثله	٣١٧

- ٣- ولا بسورة واحدة ٣١٨
- تحدّى القرآن بعدم الإختلاف فيه ٣١٨
- مختلف النواحي في إعجاز القرآن ٣٢١
- ظاهرة عدم الاختلاف في قول فصل ٣٢١
- القرآن معجزة في كلما يمكن فيه الإعجاز - عقلياً وعلماً ٣٢٤
- النسخ لا يعد اختلافاً ٣٢٦
- أدب القرآن الخالد ٣٢٨
- صلة القرآن العريقة بكل ما تمس الإنسان من حاجة ٣٢٨
- قرآن محمد ﷺ ومحمد القرآن ٣٢٩
- عموم الإعجاز لمختلف الطبقات البشرية ٣٣١
- هل هذا سحر يؤثر؟ ٣٣١
- ذكريات من معجزات القرآن العلمية على ضوء الاكتشافات الحديثة ٣٣٤
- تحريض القرآن على العلم ومزيد التفكير من براهين وحيه ٣٣٤
- نظرية القرآن في خلق الإنسان ٣٣٦
- المنى بحر لجي من ملائین النطف: الدوات العلقية ٣٣٧
- يخرج من بين الصليبين والترائب ٣٣٨
- السلالة الأولى والثانية ٣٣٨
- العلق في المنى ومنه، خلق الإنسان من علق ٣٣٩
- عود على بدء في خلق الإنسان، في النظر المقارن ٣٣٩
- (أَفْرَأُ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ) (٩٦: ١ - ٢) ٣٤٠

المحتويات	٥١١
تكوّن الإنسان في ظلمات ثلاث في ثلاث	٣٤٠
زواج بعد زواج عجيب	٣٤١
النطفة الأمشاج في التسلسل الثالث	٣٤٣
الماء الدافق كيف يدفق ومن أين؟	٣٤٣
النطفة الأمشاج وأمساها	٣٤٤
ما هذه الكروموزومات والجينات؟	٣٤٥
المضغة المخلّقة وغير المخلّقة	٣٤٥
التسلسل الرابع والأخير	٣٤٥
في ظلمات ثلاث	٣٤٥
مصدر النطفة الجرثومية	٣٤٦
مقارنات علمية بين القرآن والعهدين في تكوين العالم	٣٤٩
المقارنة «١»	٣٤٩
التوراة والتكوين	٣٤٩
أصبحُ ومساءً قبل خلق الشمس؟!	٣٥١
اضطراب الآيات في زمان الخلق	٣٥١
أتحصيل للحاصل أم نسيان؟	٣٥١
صباح كمساءٍ إلا في الإسم!	٣٥٢
إله التورات ذكر وأنثى!	٣٥٣
إله التورات يحيى فيستريح!	٣٥٣
القرآن وخلق السماوات والأرض	٣٥٤

- ٣٥٤ خلق العالم في ستة ايام
- ٣٥٦ الأيام الستة إنما هي الادوار الستة
- ٣٥٨ أزمانٌ قبل خلق الزمان
- ٣٥٩ ستة أيام أو ثمانية
- ٣٥٩ أيام الخلق وأيام التكميل
- ٣٦٠ ما هي المادة الاصلية لخلق العالم؟
- ٣٦٢ الأيام العشرة!
- ٣٦٢ خلق الأرض في يومين
- ٣٦٣ تكملة الأرض في أربعة أيام - أفاعيل ثلاثة في أدوار أربعة
- ٣٦٥ اليوم الثالث دور تكوين البركات
- ٣٦٦ اليوم الرابع تقدير الأوقات وأهلها
- ٣٦٦ تداخل الأدوار الأربعة
- ٣٦٧ مقارنة في أدوار الأرض
- ٣٦٨ هل إن الخالق استراح عن تعبته بعد خلقه؟
- ٣٦٨ المقارنة «٢»
- ٣٦٨ اين الأرض؟ أفي جو السماء؟ أم على قرني الثور؟ أو ظهر الحوت أو...؟
- ٣٦٩ صاروخنا الجوّي - طائرتنا العجيبة؟
- ٣٦٩ هل إن الأرض على اللاشيء؟
- ٣٧١ حركات الأرض في مدار جوي
- ٣٧٢ طائرتنا الراجفة

المحتويات	٥١٣
طائراتنا الجوية الكفات	٣٧٣
أحياءاً وأمواتاً	٣٧٣
سفيتتنا الفضائية	٣٧٥
المقارنة «٣»	٣٧٧
الأسفار الجوية في نظر القرآن	٣٧٧
هل في السماء مدن؟ أجل ومدائن كثيرة ومتمدنون!!!	٣٧٨
مدن السماء المعمورة في روايات الاسلام	٣٧٩
العقلاء المتمدنون في بعض الأنجم المعمورة	٣٧٩
البحار الجوية في نظر القرآن	٣٨١
البحار الجوية في روايات الإسلام	٣٨٣
هل السماوات سبع؟	٣٨٥
السماء الدنيا - سماء الأنجم	٣٨٥
اتساع المملكة السماوية شيئاً فشيئاً	٣٨٦
البيئات النجومية	٣٨٧
المدرعات والمدفيعات الجوية العجيبة!	٣٨٨
المدفيعات العادلة في ثغور السماء: التيازك النارية	٣٨٨
الشهب والأحجار السماوية	٣٩٠
المدفيعات الطائرة	٣٩١
حجارة من طين - حجارة من سجل	٣٩٢
الشمس في نظر القرآن	٣٩٣

- ٣٩٣ الأمطار الغزيرة النازلة على وجه الشمس
- ٣٩٥ متى خلق الإنسان؟
- ٣٩٥ المقارنة «٤»: متى خلق الإنسان؟
- ٣٩٨ المقارنة «٥»
- ٣٩٨ انعكاس الأعمال .. المسجلة الأرضية والجوية المسجلات السرية في جثمان الإنسان ..
- ٣٩٨ المسجلة الأرضية
- ٤٠٠ مسجلة النفس...!
- ٤٠١ المسجلات الأخرى للأعمال
- ٤٠٢ استنساخ الأعمال كما صدرت
- ٤٠٥ الله حفيظ على الإنسان أيًا كان!
- ٤٠٦ إله القرآن والعهدين
- ٤٠٩ هل في القرآن تناقض وكما في العهدين؟
- ٤٠٩ مقارنات بين افتراءات تبشيرية وحقائق قرآنية
- ٤٠٩ التناقضات المزعومة في القرآن
- ٤٠٩ الفرية الأولى
- ٤١١ الفرية الثانية
- ٤١٢ الفرية الثالثة
- ٤١٢ الفرية الرابعة
- ٤١٣ العدل في المحبة والقسم
- ٤١٤ الفرية الخامسة

المحتويات	٥١٥
الفريفة السادسة	٤١٥
الفريفة السابعة	٤١٦
جانُّ وٲعبان!	٤١٦
الفريفة الثامنة	٤١٨
الفريفة التاسفة	٤١٩
الفريفة العاشرة	٤٢٠
مشاكل إسرائيية غادرة	٤٢١
الفريفة الحادية عشر	٤٢١
كيف يتلائم ذل اليهود مع واقعهم الحالي؟	٤٢١
ما هي الذلة والمسكنة وإلى متى؟	٤٢٢
إلا بحبل من الله وحبل من الناس	٤٢٤
حبل من الناس	٤٢٥
دويلة العصابت الصهيونية	٤٢٥
إفسادان وعلوان عالمان لليهود!	٤٢٧
طليعة السلطة الموعودة الإسرائيية الغادرة	٤٢٨
ان الديار المقدسة بما فيها القدس سترجع بقوات المسلمين المجاهدين	٤٢٨
المرفة الثانية والأخيرة	٤٢٨
المسلمون يدمرون السلطات المعتدية الإسرائيية مرتين	٤٣٠
١- بالعمليات الفدائية: الإنتفاضة	٤٣٠
٢- بأصحاب قائم الإسلام المهدي <small>عليه السلام</small>	٤٣٠

- ٤٣٢ توجيه اسلامي هام
- ٤٣٥ آلاف الأغلاط والمناقضات في العهدين
- ٤٣٦ نماذج من الأغلاط في العهدين
- ٤٣٦ زبانية العهد العتيق التسعة عشر
- ٤٣٦ ١- عمر الإنسان لا يعدو ١٢٠ عاماً!
- ٤٣٧ ٢- أغلاط ثلاث في آية واحدة
- ٤٣٧ ٣- متى بني بيت المقدس؟
- ٤٣٨ ٤- وعدٌ مكذوب!
- ٤٤٠ ٥- اختلاف عجيب في عدد بني إسرائيل ويهوذا
- ٤٤٠ ٦- اختلاف هام في الأسماء
- ٤٤٠ ٧- الشك بين ٣ و ٧
- ٤٤١ ٨- الشك بين السبعة والعشرة
- ٤٤١ ٩- الشك بين ٢ و ٧
- ٤٤٢ ١٠- ولد أكبر من أبيه بستتين
- ٤٤٢ ١١- أب يلد وهو ابن إحدى عشر سنة
- ٤٤٣ ١٢- الشك بين ٨ و ١٨
- ٤٤٣ ١٣- أغلاط ثلاثة في آية واحدة
- ٤٤٣ ١٤- الاختلاف في صندوق العهد
- ٤٤٤ ١٥- الشك بين ٢٠٠٠ و ٣٠٠٠
- ٤٤٤ ١٦- أنبياء التورات يغلطون في حساب ساذج!

المحتويات ٥١٧

١٧- الشك بين الله والشيطان! ٤٤٥

١٨- غلط في النسب ٤٤٥

١٩- غلط في الواقع الخارجي ٤٤٥

١- الشك بين ١٣ و ١٤ في طبقات ثلاث ٤٤٧

٢- سلطان أبدي - معزول من بداية أمره لحد الآن - ٢٠٠٠ عاماً ٤٤٧

٣- سلاطين لا عرش لهم! إلا الذل والموت قبل أن يملكوا حتى أنفسهم ٤٤٩

٤- كذب مجذور: كذب × كذب ٤٤٩

٥- أدب يخالف التشاريع الإلهية ٤٥١

٦- كذب سرعان ما تبين من مسيح الإنجيل! ٤٥١

٧- كذب عجلائن ما افتضح قائله! ٤٥٢

٨- معجزة غالطة ٤٥٢

٩- صلب المسيح تطبيق لنبوته إلهية يهودية!!! ٤٥٣

١٠- شهادة مسيح الإنجيل المتناقضة ٤٥٤

١١- مسيح الإنجيل معصوم شريراً! ٤٥٥

١٢- شريعة التورات ميدان المناقضات ٤٥٥

١٣- مسيح الإنجيل مفسد يأمر بالصلح ٤٥٥

١٤- عجب على عجب!! ٤٥٥

الحواريون غير معصومين عن الخطأ! ٤٥٧

هل إن فصاحة القرى، وبلاغته تنافى وجود المتشابه فيه؟ ٤٥٨

محكم القرآن ومتشابهه ٤٥٩

- ٤٥٩ هناك إحكامات وتشابهات لا على سواء
- ٤٥٩ المحكم
- ٤٦٠ المتشابهة
- ٤٦٥ تحديّ القرآن العالمي
- ٤٧٠ هل إن رسالة محمد ﷺ عربية أم عالمية ؟
- ٤٧١ الرسالة المحمدية العالمية
- ٤٧١ محمد ﷺ شهيد الشهداء
- ٤٧٢ محمد رسول المؤمنين كافة
- ٤٧٢ النبي العربي الأمي العالمي
- ٤٧٦ ناس ونسناس !
- ٤٧٦ محمد هو الكل
- ٤٧٧ هل إن اللغة تحدد الدعوة ؟
- ٤٨٠ ما هو المعني من عربية القرآن حكماً وتعبيراً ؟
- ٤٨١ فهل إن الرسالة القرآنية - بعد - عربية إسماعيلية ؟
- ٤٨٢ ما هي الملة ؟
- ٤٨٤ دعوة القرآن العالمية
- ٤٨٤ ما هو الوجه في انتساب كل نبي إلى قومه ؟
- ٤٨٥ أم القرى ومن حولها
- ٤٨٥ المركز الرئيسي العالمي للدعوة الأخيرة الإلهية، المحمدية ﷺ
- ٤٨٦ فلتة غير مغفورة

المحتويات	٥١٩
الأمة الوسط	٤٨٨
من هم الأمة الوسط؟ وما هو الوسط؟	٤٨٩
ذكرى الخمسة الطيبة في كتاب ادريس <small>عليه السلام</small>	٤٩٣
الرموز والاشارات للسور والآيات	٤٩٥
المحتويات	٤٩٧

طريق الارتباط القرآني مع المؤلف:

URL: www.forghan.org

Email: sadeghi@forghan.org

من مؤلفات سماحة آية الله العظمى الصادق الطهراني (دامت بركاته)

- بالعربية:
- الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة « ٣٠ مجلدًا ».
 - التفسير الموضوعي بين الكتاب والسنة « ٢٢ مجلدًا ».
 - الفقه المُقارَن بين الكتاب والسنة « ٨ مجلدات ».
 - عقائدنا.
 - المقارنات.
 - رسول الإسلام في الكتب السماوية.
 - حوار بين الإلهيين والماديين.
 - عليّ والحاكمون.
 - علي شاطيء الجمعة.
 - فتياتنا.
 - أين « الكراسية ».
 - مقارنات فقهية.
 - تاريخ الفكر والحضارة.
 - لماذا انتصرت اسرائيل ومتى تنهزم؟
 - حوار بين أهل الجنة والنار.
 - المناظرات.
 - المسافرون.
 - تبصرة الفقهاء بين الكتاب والسنة.
 - تبصرة الوسيلة بين الكتاب والسنة.
 - أصول الاستنباط بين الكتاب والسنة.
 - غوص في البحار بين الكتاب والسنة.
 - الفقهاء بين الكتاب والسنة.
 - شذرات الوسائل والوافي « مخطوط ».
 - البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن.
- بالفارسية:
- بشارات عهدین.
 - ستارگان از دیدگاه قرآن.
 - اسرار، مناسک وادلة حج.
 - انقلاب اسلامی ١٩٢٠ عراق.
 - آفریدگار و آفریده.
 - حکومت قرآن.
 - دعاهاى قرآنى «خطی».
 - حکومت مهدی علیه السلام.
 - آیات رحمانی.
 - گفتگوی در مسجد النبی صلی الله علیه و آله.
 - مسیح علیه السلام از نظر قرآن و انجیل.
 - خاتم پیامبران.
 - سپاه نگهبانان اسلام.
 - مفت خواران.
 - قرآن و نظام آموزشی حوزه « جزوه ».
 - قضاوت از دیدگاه کتاب و سنت.
 - حکومت صالحان یا ولایت فقیهان «خطی».
 - ماتریالیسم و متافیزیک.
 - مفسدین فی الأرض.
 - نماز جمعه.
 - نماز مسافر با وسایل امروزی.
 - پیروزی اسرائیل چرا و شکست آن کی؟
 - برخورد دو جهانی بینی.
 - حقوق زنان از دیدگاه قرآن و سنت.
 - رساله توضیح المسائل نوین (تألیف سال ١٣٦٨).
 - فقه گویا.
 - مسافران (نگرشی جدید بر نماز و روزه مسافر).
 - توضیح المسائل نوین (تألیف سال ١٣٧٣).
 - ترجمان قرآن (ترجمه و تفسیر فارسی مختصر قرآن).

قم - بلوار امین، زقاق ٢١، رقم ٧. الرمز البريدي: ٣٧١٣٩

هاتف: ٢٩٣٤٤٢٥، فاكس: ١-٢٩٣٥٤٨٠

«منشورات جامعة علوم القرآن»